

الجزء الرابع

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم
الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاه
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الصوفي المعروف بالخوازن
تقدمه الله برحمته
آمين

وقد حلّ هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود
النسفي عليه سحائب الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العلمية

على ثقة أصحابها

مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكرى وعيسى
(بمصر)

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يس) عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طي وعنه ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث ان الله تعالى سماني في القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطره ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل ياسيد يس بالامالة على وحزة وخلف وحاد ويحيي (والقرآن) قسم و (الحكيم) ذي الحكمة أولانه دليل ناطق بالحكمة أولانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (انك ان المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلنا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر وأصلة للمرسلين أي الذين أرسلوا (٢) على صراط مستقيم أي طريقة مستقيمة وهو الاسلام (تنزيل) نصب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية﴾

وهي ثلاث وثمانون آية وسبع مائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على موتاكم يس أخرجه أبو داود وغيره

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طي يعني محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياسيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) أي ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (انك ان المرسلين) أي أقسم بالقرآن ان محمد صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلنا (على صراط مستقيم) معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) أي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) يعني لم تنذر آباؤهم لان قر يشالم بأنهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب (فهم غافلون) أي عما يراد بهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) أي وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك ﴿قوله عز وجل﴾ (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا) نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمد صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه

اللام شامى وكوفي غير أى
يكرر على اقرأ تنزيل أو
على انه مصدر أى نزل
تنزيل وغيرهم بالرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف أى
هو تنزيل والمصدر بمعنى
المفعول (العزيز) الغالب
بفصاحة نظم كتابه أو هام
ذوى العناد (الرحيم)
الجاذب بلطافة معنى خطابه
افهام أولى الرشاد واللام في
(لتنذر قوما) متصل بمعنى
المرسلين أى أرسلت لتنذر
قوما (ما أنذر آباؤهم) ما نافية
عند الجمهور أى قوما غير
منذر آباؤهم على الوصف
بدليل قوله لتنذر قوما
ما أنذرهم من نذر من قبلك
وما أرسلنا اليهم قبلك من
نذير أو موصلة منصوبة على
المفعول الثانى أى العذاب
الذى أنذره آباؤهم كقوله انا
أنذرناكم عذابا قريبا
أو مصدرية أى لتنذر
قوما انذار آباؤهم أى مثل
انذار آباؤهم (فهم غافلون)
ان جعلت ما نافية فهو

بالحجارة

متعلق بالنفي أى لم ينذروا فهم غافلون والافهم متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول

أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعنى قوله لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين أى تعاقبهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعواؤهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متمامون عن النظر في آيات الله بقوله (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا) الى

(الى الاذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزومة اليها (فهم مقمحوون) مرفوعة رؤسهم يقال قح البعير فهو قاح اذا روى فرفع رأسه وهذا الان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتي طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطي رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فاغشيناهم) فاغشيناهم (۳) أبصارهم أي غطيناهم وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون)

الحق والرشاد وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف أن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فاتاد وهو يصلي ومعه حجر ليدفع به فلما رفع يده اثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر أنا قتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره (وسواء عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من اضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وروى ان عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك انى تأب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرجه فاخذته هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (انما تنذر من اتبع الذكر) أي انما ينفع

بالحجارة فاتاد وهو يصلي ومعه حجر ليدفع به فلما رفع يده اثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بني مخزوم أنا قتله بهذا الحجر فاتاد وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يبرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لودنوت منه لا كنى فأنزل الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا لا يراها الذين هم من اليمان غل أراد منعناهم عن اليمان بموانع جعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصى في الحقيقة وهي ما سينزله الله عز وجل بهم في النار (فهى) يعنى الابدى (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى الضيق (فهم مقمحوون) أي رافعوا رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعوا الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن اليمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى اليمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسد ادوقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فاغشيناهم) أي فاعميناهم (فهم لا يبصرون) يعنى سبيل الهدى (وسواء عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) أي خافه في السر والعلن (فبشره بمغفرة) أي لذنوبه (وأجر كريم) يعنى الجنة قوله تعالى (انا نحن نحيي الموتى) أي للبعث (ونكتب ما قدموا) أي من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) أي ونكتب ما سئوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجرهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال كانت بنو سامة في ناحية من المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم نكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضى الله عنه قال أراد بنو سامة أن يتحولوا الى قرب المسجد فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بنى سامة ألا تحسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعنى نحلى فتترك عراه وهو الفضاء من الارض الخالى الذى لا يستره شيء (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سامة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سامة دياركم نكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا اذا تحوّلنا قوله بنى سامة أي بنى سامة وقوله دياركم أي الزموا دياركم (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا فى الصلاة بعدهم

بأنذارك من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهى العفو عن ذنوبه (وأجر كريم) أي الجنة (انا نحن نحيي الموتى) نبههم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك الى اليمان (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنعوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سبي كوظيفة وظيفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستأن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يؤمنه بما قدم وأخر من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى

فابعدهم مئتي والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام ﴿ قوله عز وجل
(وكل شيء أحصيناه) أي حفظناه وعددناه وأثبتناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ ﴿ قوله عز وجل
(واضرب لهم مثلاً) أي صف لهم شياً مثل حالهم من قصة (أصحاب القرية) يعني انطاكية (اذ جاءها
المرسلون) يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

(ذكر القصة في ذلك)

قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الخواريين الى أهل انطاكية فلما
قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ
لهما من أنتمما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن
فقال الشيخ لهما معكما آية قالانعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لي ابنا
مريضا منذ سنين قالانا نطلق بنا نطلع على حاله فاتي بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى
صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفي الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه
انطيوخس وكان من ملوك الروم فانهى خبرهما اليه فدعا بهما وقال من أنتمما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة
والسلام قال وفيما جئنا قالان دعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولانا له
دون آلهتنا قالانعم الذي أوجدك وأهلك قال لهما قوموا حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما
وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فاتيها فلم يصلا الى ملكها
وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبر اذ ذكر الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحسوا وجلد كل
واحد منهما مائتي جلدة فلما كذا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الخواريين شمعون الصفار
على أثرهما ليبصرهما فدخل شمعون البلد متذكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى
الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن
وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب يئني وبين ذلك قال فان
رأى الملك دعاها حتى تطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قال الله الذي
خاق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأجزا قال انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال
شمعون وما آيتكما قالاما تنمنا دأمر الملك حتى جاؤا به لأم مطموس العينين وموضع عينيه كالجهة فآزالا
يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا ابندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر
بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت اهلك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولاهلك
فقال له الملك ايسر لي عنك سر مكتوم فان الهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع وكان شمعون
يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ما منهم فقال للملك للرسولين ان قدر اهلكما الذي
تعبدانه على احياء ميت آمنابه وبكما قالالهنا قادر على كل شيء فقال للملك ان ههنا ميتا قدمات منذ سبعة
أيام ابن دهقان وأنا آخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تفر وأرواح فجعل لا يدعوان
ربهما علانية وشمعون يدعور به سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت
في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا
حسن الوجه يشفع لهُؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذا ان وأشار بيده الى صاحبيه
فحجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم
وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة

خطاهم الى الجمعة أو الى
الجماعة (وكل شيء
أحصيناه) عددناه
و بيناه (في امام مبين)
يعني اللوح المحفوظ لانه
أصل الكتب ومقتداها
(واضرب لهم مثلاً أصحاب
القرية) ومثل لهم من
قولهم عندي من هذا
الضرب كذا أي من هذا
المثال وهذه الاشياء على
ضرب واحد أي على مثال
واحد والمعنى واضرب لهم
مثلا مثل أصحاب القرية أي
انطاكية أي اذكر لهم
قصة عجيبة قصة أصحاب
القرية والمثل الثاني بيان
للأول واتصاف (اذ) بانه
بدل من أصحاب القرية
(جاءها المرسلون) رسل
عيسى عليه السلام الى
اهلها بعثهم دعاة الى الحق
وكانوا عبدة أوثان

(اذ) بدل من اذا الاولى (أرسلنا اليهم) أي أرسل عيسى بامرنا (اثنين) صادقاً وصادقاً وقافلاً ساقراً بمن المدينة رأياً شيخاً خبيراً غنياً له وهو حبيب النجار فسأل عن حاله ما فقال نحن رسول عيسى ندعوكم من عبادة لاوثان الى عبادة الرحمن فقال معكم كما آية فقال انشئ المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام قائماً من حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهم ما خاف كثير فدعاهما الملك وقال لهما انا اله سوى آلهتنا قال نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسهما بعث عيسى شمعون فدخل متنكراً وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذي خاق كل شيء ورزق كل حي وليس له شريك فقال صفاه وأجزأالا بفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قال لا ما تمنى الملك فدعا بغلام اكمه فدعوا الله فابصر الغلام فقال له شمعون أرايت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضرب ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنابه فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال اني أدخلت في سبعة أودية من النار لم امت عليه من الشرك وأنا أذكركم ما أتم فيه فأمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهما قال الملك ومن هم قال شمعون وهذا ان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه قائماً من وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم (٥) جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب

أصحاب القرية الرسولين (فعز زنا) فقوبناهما فعز زناً أبو بكر من عزه يعزّه اذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصوباً الى غرض من الاعراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه صرف ووض فقالوا انا اليكم مرسلون) أي قال الثلاثة لاهل القرية

فجاء عيسى اليهم يذكّرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحنو بولس وقال كعب صادق وصدوق (فعز زنا بثالث) أي قوبنا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما أضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعني الرسل جميعاً لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثللنا وما أنزل الرحمن من شيء) أي لم يرسل رسولاً (ان أنتم الا تكذبون) أي فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) أي وان كذبتمونا (وما علينا الا البلاغ المبين) أي بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انما تطيرنا بكم) أي تشاء منا منكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) أي تسكتوا عننا (لنرجنكم) أي لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليس منكم من أذاب الهم قالوا طائر كم معكم) أي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم بمعنى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (أئن ذكركم) معناه اظيرتم لان ذكركم ووعظتم (بل أنتم قوم مسرفون) أي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم ﴿قوله عز وجل﴾ (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصاراً وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيماً قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمناً بصدقته يجمع كسبه فاذا أمسى قسمه نصفين نصفاً ليعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان في غار يعبد به فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم

(قالوا) أي أصحاب القرية (ما أنتم الا بشر مثللنا) رفع بشر هنا ونصب في قوله ما هذا بشر لا تتقاض الذي بالافلم يبق لما شبهه بليس وهو الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شيء) أي وحياً (ان أنتم الا تكذبون) ما أنتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) أ كذا الثاني باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيد ووربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله (وما علينا الا البلاغ المبين) أي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قالوا انما تطيرنا بكم) تشاء منا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه وقبلته طبايعهم ويتشاءموا بما انفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا أو بركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالكم هذه (لنرجنكم) لنقتلنكم أولنظردنكم أولفشتمنكم (وليس منكم من أذاب الهم) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قالوا طائر كم) أي سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر (أئن) بهمة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي (ذكركم) وعظمت ودعيت الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم أين بهمة ممدودة بعد هاء مكسورة أبو عمرو وأين همزة مقصورة بعد هاء مكسورة مكى ونافع ذكركم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد في العصيان فمن أنتم الشؤم من قبلكم لامن قبل رسل الله وتذكيرهم وبل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيكم حيث تشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أنسلون على ما جئتم به أجا قالوا لا (قال يا قوم اتبعوا المرسلين)

اتبعوا من لا يستلکم اجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أي الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال (وما لي لأعبد الذي فطرني) خلقتني (والله ترجعون) والله مرجعكم وما لي حجة (أأنتخذ) بهمزتين كوفي من (دونه آلهة) يعني الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقذوني فاسمعوني في الحالين يعقوب (اني اذا) أي اذا اتخذت (اني ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا إيماناً لتشهدوا لي به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره في سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوماً وفيه (٦) دلالة ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القرم أن يقتلوه رفعه الله اليه وهو في الجنة

ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربّي) أي بغفرتي ربّي أو بالذي غفرت لي (وجعاني من المكرمين) بالجنة (وما أنزلنا) مانافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أي من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا ننزلين) وما كان يصح في حكمنا أن نزل في اهلاك قوم حبيب جنداً من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة أو العقوبة (صحيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صحيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى أن الله كفى أمرهم صحيحة

أنسألون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يستلکم اجرا وهم مهتدون) أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وترجعون صحة دينكم فيحصل لكم خيرا الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باللهم فقال (وما لي لأعبد الذي فطرني والله ترجعون) قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكانت عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه وای شئ لي اذا لم أعبد خالقي أو اليه تردون عند البعث فيجزىكم بأعمالكم (أأنتخذ من دونه آلهة) أي لا أنتخذ من دونه آلهة (ان يردن الرحمن بضر) أي بسوء ومكروه (لا تغن عني) أي لا تدفع عني (شفاعتهم شيئا) أي لا شفاعة لها فتغني عني (ولا ينقذون) أي من ذلك المكروه وقيل من العذاب (اني اذا في ضلال مبين) أي خطأ ظاهر (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى أهلكوا وقبره بانطاكية فلما اتى الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربّي وجعاني من المكرمين) ثم أنى أن يعلم قومه ان الله تعالى غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فجهل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فانواعن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا ننزلين) أي ما كنا لنفعل هذا بل الامر في اهلاكم كان أيسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعصاه في باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أي ميتون (يا حسرة على العباد) يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم مالا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيراً قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فمقنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تحسروا عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا يستهزؤن) قوله تعالى (ألم يروا) أي ألم يخبروا وخطاب لاهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أي من الامم الخالية من اهل كل عصر سمو بذلك لاقتراانهم في الوجود (انهم اليهم لا يرجعون) أي لا يعودون الى الدنيا فلا يعتبرون بهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يعني ان جميع الامم يحضرون

ملك ولم ينزل لاهلاكم جنداً من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا) يوم كانوا يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا انداء للحسرة عليهم كما نما قيل لها تعالى يا حسرة فلهذه من أحوالك التي حقتك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم أحقاء بان يتحسروا عليهم المتحسرون ويتلطف على حالهم المتلهفون أو هم متحسروا عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا ويرامعنى عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ في الجملة وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكم القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامى وعاصم وحزة بمعنى الاوان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ماصلة للتأكيدي وان مخففة من الثقيلة وهي متلانة باللام لا محالة

والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وانما أخبر عن كل بجمع لان
كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فاعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعني ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر أي وعلامة تدل على ان الله
يبعث الموتى باحياء الارض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة والتشديد مدني (أحييناها)
بالطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أرادهم باجنسان مطلقان
لا أرض وليل باعيانها فعمولا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه * ولقد أصر على التثنية بسبني * (وأخرجنا منها حبا) أراد
به الجنس (فنه يا كلون) قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا
قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها
من العيون) من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون (٧) به (ليأكلوا من ثمره) والضمير

لله تعالى أى لياكلوا مما
 خلقه الله من الثمر من
 ثمره حمزة وعلى (وما عملته
 أيديهم) أى وما عملته
 أيديهم من الغرس والسقي
 والتلقيح وغير ذلك من
 الاعمال الى أن يبلغ الثمر
 منتهاه يعنى ان الثمر فى نفسه
 فعل الله وخالقه وفيه آثار
 من كرمه بنى آدم وأصله
 من ثمرنا كما قال وجعلنا
 وجننا فنقل الكلام من
 التكامل الى الغيبة على طريق
 الالتفات ويجوز أن يرجع
 الضمير الى النخيل وترك
 الاغراب غير مصرعوع اليها
 لانه علم انها فى حكم النخيل
 بما علق به من أكل ثمره
 ويجوز أن يراد من ثمر

يوم القيامة (وآية لهم) يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى (الارض الميتة احييناها) أى بالمطر (وأخر جنايتها) أى من الارض (حبا) يعنى الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أى من الحب (وجعلنا فيها) أى فى الارض (جنت) أى بساتين (من نخيل وأعقاب ونجفنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره) أى من الثمر الحاصل بالماء (وما علمته أيديهم) أى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ ^{بالحط} عمات بغير هاء وقيل ما للنبي والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) أى نعمة الله تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) يعنى الاصناف كلها (مما تنبت الارض) أى من الاشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم) أى الذكور والانثى (ومما لا يعلمون) يعنى عما خافى الله تعالى من الاشياء فى البر والبحر من الدواب ^{التي} قوله عز وجل (وآية لهم) يعنى تدلهم على قدرتنا (الليل نساخ) أى نزع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظلمون) أى فاذا هم فى الظلمة وذلك ان الاصل هو الظلمة والنهار داخل عالمها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجري لمستقر لها) أى الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى الى مستقرها الذى لا تتجاوزه ثم ترجع الى أول منازلها وهى أنها تسير حتى تنتهى الى أبعد مفاصلها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجري لمستقر لها أى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية أبدا الى يوم القيامة وقد صرح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفى رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها وبوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

المدكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق كأنه في الجلد توليع البهق فتميل له فقال أردت كان ذلك وما عملت كوفي غير حفص وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على أن النمر خاق الله ولم عمله أيدي الناس ولا يقدر أن عليه (أفلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذي خلق الأزواج) الأصناف (كلها ما تنبت الأرض) من النخيل والشجر والزرع والتمر (ومن أنفسهم) الأولاد ذكوراً وإناثاً (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها في الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار آخره لا يبقى معه شيء من ضوء النهار أو نزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعري نفس الزمان كشخص زنجي أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتمى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظالمون) داخلون في الظلام (والشمس تجري) وآية لهم الشمس تجري (المستقرها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاها أمورها عند انقضاء الدنيا

(ذلك) الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستوي سير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستمر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أى قدرناه نوره فيزيد وينقص أو قدرناه مسيره منازل فيكون ظرفاً إذا كان في آخر منزله دق واستقوس (حتى عاد كالرجون) هو عود الشمر أخ إذا يبس واعوج ووزنه فعولون من الانعراج وهو الانعطاف (٨) (القديم) العتيق المحول وإذا قدم دق وانحى واصفر فشب القمر به من ثلاثة أوجه

(لا الشمس ينبغي لها) أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لأن لكل واحد من النيران سلطاناً على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل التنوين فيه عوض من المضاف إليه أى وكلهم والضمير للشمس والافار (في فلك يسبحون) يسبحون (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) ذريتهم مدنى وشامى (في الفلك المشحون) أى المملوء

العليم أخرجه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدى فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع وقيل تجرى إلى وقت لها أصل لا تعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وإدراك بخاقه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) أى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذى بكل النظر عن استخراجها وتخيير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أى الغالب بقدرته على كل شئ مقدور (العليم) أى المحيط علماً بكل شئ قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) أى قدرناه منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستمر ليلتين أو ليلة إذا نقص فاذا كان في آخر منزله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالرجون القديم) وهو العود الذى عليه شمار يج العذق إلى منبته من النخلة والقديم الذى أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه إلى آخر منزله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يحصى أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما فى سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل فى فلك يسبحون) أى والشمس والقمر فى فلك يسبحون قوله عز وجل (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أى أولادهم (فى الفلك المشحون) أى المملوء (وخلقناهم من مثله) أى مثل الفلك (ما يركبون) أى من الابل وهى سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية أن الله عز وجل حمل آباءهم الأقدمين فى أصلاب الدين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس بل نطفة تركب السفين وقد * أجم أسرا وأهله الفرق

وإنما ذكر ذريتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم وأبلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله أى من مثل ذلك الفلك ما يركبون أى من السفن والزوارق فى النهار الكبار والصغار (وان نشأ نغرقهم فلا صر يحلهم) أى لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) أى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابى (الارحة مناومتا إلى حين) أى إلا أن يرحمهم الله ويمتعهن إلى انقضاء آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم

يعنى

والمراد بالذرية الأولاد ومن بهمهم حملة وكانوا يبعثونهم إلى التجارات فى بر وبحر والآباء

لأنهم من الأضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذريتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفى أصلابهم هم وذريتهم وإنما ذكر ذريتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم (وخلقناهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهى سفائن البر (وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلا صر يحلهم) فلا مغيث أو فلا غائث (ولا هم ينقذون) لا ينجون (الارحة مناومتا إلى حين) أى ولا ينقذون الارحة مناومتا لمتابع بالحياة إلى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أتم عملون من بعداً ومن مثل الوقائع التى أتت بهما الامم المكذبة بأنبيائهم وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة

(اعلمكم ترجون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذ امض رأي اعرضوا وجاهز حذفه لان قوله (وماتايتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لنا كيد النفي والثانية للتبعية أى وذاتهم الاعراض عن كل آية وموعظة (واذا قيل لهم لم يمشركى مكة) أنفقوا مائة رزقكم الله) أى تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا) (٩) الذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) عن ابن عباس

يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم يعنى وقائع الله تعالى من كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعنى الآخرة (اعلمكم ترجون) أى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وماتايتهم من آية من آيات ربهم) أى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) قوله عز وجل (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم) أى مما أعطاكم (الله) نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا الكفار مكة أنفقوا على المساكين مما رزقكم الله تعالى من أموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم (قال الذين كفروا الذين آمنوا أنطعم) أى أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) أى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى منى بك ويقول قدمه أفأطعمه أنا ومعنى الآية أنهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم ف نحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا الغنى لاستحقاقها وأمر الغنى بالانفاق لاجل حاجته الى ماله ولكن ليبلوا الغنى بالفقير فيما فرض له من مال الغنى ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان أتم الا فى ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أتم الا فى خطأ بين اتباعكم محمد او ترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار للمؤمنين جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنى يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) أى ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أى فى أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون فى الاسواق والمجالس وفى متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صبح فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولتقوم من الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم من الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقوم من الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقى فيه ولتقوم من الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخارى وهو طرف من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتهاوّل من يسمعه رجل يلوّط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس للنفخة بفتح اللام وكسرها الناقاة القريبة العهد من النماح وقوله وهو يليب حوضه يعنى يطينه ويصلحه وكذلك يلوّط حوض ابله وأصله من اللوط وقوله أصغى ليتهاوّل الليت صفحة العنق وأصغى يعنى أمال عنقه يسمع وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدرّون على الايصاء بل أعجلوا عن الوصية فاتوا (ولا الى أهلهم يرجعون) يعنى لا يقدرّون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشئ (ونفخ فى الصور) هذه النفخة الثانية وهى نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا أباهريرة أربعين يوماً قال أبيت قالوا أربعين شهراً قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظاما واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذا هم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) أى يخرجون منها أحياء (قالوا يا ويلنا

أطعمه) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (ان أتم الا فى ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبي وأصحابه (ما ينظرون) ينتظرون (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) جملة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يخصمون بادغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة اليها وبسكون الخاء مدنى وبكسر الياء والخاء يحى فاتبع الياء الخاء فى الكسر وفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضاً فى معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية)

(٢ - (خازن) - رابع) فلا يستطيعون ان يوصوا فى شئ من أمورهم توصية (ولا الى أهلهم يرجعون)

ولا يقدرّون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فاذا هم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أى الكفار (يا ويلنا

(من بعثنا) من أنشأنا (من مرقدا) أي مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد الكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا أصبح باهل القبور قالوا من بعثنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتدكرون ما سمعوه من الرسل فيجيئون به أنفُسهم وبعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعد والمصدق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون أي والذي صدق فيه المرسلون (إن كانت) النفخة الأخيرة (الاصبغة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون إن أصحاب الجنة اليوم في شغل) بضمين كوفي وشامي وبضمة وسكون مكى وناقع وأبو عمرو والمعنى في شغل أي شغل وفي شغل لا يوصف وهو افتراض البكار (١٠) على شط الأنهار تحت الأشجار أو ضرب الأوتار أو ضيافة الجبار (فأكهون) خبر ثان فكهون

من بعثنا من مرقدا قال ابن عباس إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا بعد الثانية وعانوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل إذا عان الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (إن كانت الاصبغة واحدة) يعني النفخة الأخيرة (فاذا هم جميع لدينا محضرون) أي للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) قوله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل) قال ابن عباس في اقتضا البكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عضافه أهل النار من العذاب الأليم (فأكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل محبون بما هم فيه (هم وأزواجهم في ظلال) يعني أكان القصور (على الأرائك) يعني السرر في الجبال (متكئون) أي ذوو انكساء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) أي في الجنة (ولهم ما يدعون) يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى إن كل ما يدعون أي أهل الجنة بأنهم (سلام) قولاً من رب رحيم يعني يسلم الله عز وجل عليهم روي البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولاً من رب رحيم ينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقولوا اسلموا السلامة الأبدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أي اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل إن لكل كافر في النار بيتا فيه دخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبداً لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض قوله عز وجل (ألم أعهد إليكم يا بني آدم) أي ألم آمركم وأوصكم يا بني آدم (أن لا تعبدوا الشيطان) يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله (إنه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة (وأن اعبدوني) أي أطيعوني ووحدوني (هذا صراط مستقيم) أي لا صراط أقوم منه قوله تعالى (ولقد

يزيد والفاكه والفكه المتعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يشد لذته وكذا الفاكهة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (في ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس كذب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهي ما سترك عن الشمس (على الأرائك) جمع الأريكة وهي السرير في الحجرة أو الفراش فيها (متكئون) خبر أو في ظلال خبر وعلى الأرائك مستأنف (لهم فيها فاكهة) ولهم ما يدعون) يفتعلون من الدعاء أي كل ما يدعونه أهل الجنة ياتيه أو يتمنون من قوهم ادع على ما شئت أي عنه على عن الفراء هو من

اضل

الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون (سلام) بدل ما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم

(قولا من رب رحيم) والمعنى إن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً لهم وذلك مقتناهم ولهم ذلك لا يمنونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحضر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبداً ويقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركنه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم (وأن اعبدوني) ووحدوني وأطيعوني (هذا) إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أي صراط بليغ في استقامة ولا صراط أقوم منه (ولقد

أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدني وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامي وأبو هريرة وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات في معنى الخلق (كثيرا) (١١) أفلم تكونوا تعقلون) استنهام

تقرع على تركهم الاتفاق بالعقل (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها (اصولها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أي نمنعهم من الكلام (ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشارهم فيصنفون ما كانوا مشركين حينئذ نختم على أفواههم ونكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لأجزع على الاشهاد من نفسي فخنم على فيه ويقال لاركانه انطلق فتنتق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تغطية شق العين حتى تعود مسوحة (فاستبقوا الصراط) على حذو الجار وإيصال الفعل والاصل فاستبقوا الصراط (فأيا يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو

أضل منكم جبلا كثيرا) أي خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) يعني ما أتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التي كنتم توعدون) يعني بها في الدنيا (اصولها) أي ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية ان الكفار ينكرون ويحدون كفرهم ونكذبهم الرسل ويقولون والله بنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان أعضاءهم التي كانت عوناً لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح أبلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مبصرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية أحدكم قال فيلقى العبد رباً فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذكرك رأساً وتربع فيقول بلى يارب فيقول أفظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذكرك رأساً وتربع فيقول بلى يارب فيقول أفظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدق وتبني بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن نبعت شاهداً عليك فيتكبر في نفسه من ذا الذي يشهد على فيختم على فيه ويقال لفتخذ دلو لجمه وعظامه انطق فتنتق لجمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه قوله أي فل يعني يا فلان قوله وأسودك أي أجعلك سيداً قوله وأذكرك رأساً أي تقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع أي تأخذ المر باع وهو ما يأخذ رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو رابعها وروى ترع بتاءين أي تنعم وتنسبط من الرنع قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون من افضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد رباً فيقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لأجزع على نفسي الاشهاد مني قال فيقول كفي بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطلق قال فتنتق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي أذهبنا أبصارهم والطمس تغطية شق العين حتى تعود مسوحة (فاستبقوا الصراط) أي فبادروا الى الطريق (فاني يبصرون) أي كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لاضلناهم عن الهدى وتركناهم عمياً يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء لفقنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيبتهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصر وارشد هم فاني يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكاتهم) يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها (فاستطاعوا مضياً) أي لا يقدر أن يرجعوا (ولا يرجعون) نشاء لمسخناهم (قردة وخنازير أو حجارة) (على مكاتهم) على مكاناتهم أبو بكر وحامد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أي لمسخناهم في منازلهم حيث يجترحون الماسم (فاستطاعوا مضياً ولا يرجعون) فلم يقدر واعلى ذهاب ولا جىء وأمضيا ما هم ولا يرجعون

نشاء لمسخناهم (قردة وخنازير أو حجارة) (على مكاتهم) على مكاناتهم أبو بكر وحامد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أي لمسخناهم في منازلهم حيث يجترحون الماسم (فاستطاعوا مضياً ولا يرجعون) فلم يقدر واعلى ذهاب ولا جىء وأمضيا ما هم ولا يرجعون

(ومن نعمة تنكسه) عاصم وحزة والتذكيس جعل الشيء أعلاه أسفله الباقون تنكسه (في الخلق) أي ثقله فيه معنى من أطلنا عمره تنكسنا خلقه فصار بدل لقوة ضعفه وبدل الشباب هرم ما وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى تنكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع إلى حال شبهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم (١٢) كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر

لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (أفلا يعقلون) أن من قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن راحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسحهم على مكاتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدني ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) أي وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعراء وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فإين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققته (وما ينبغي له) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدي إلى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض

أي إلى ما كانوا عليه وفيل لا يقدر على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمة تنكسه في الخلق) أي زرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها ونقصها بعد زيارتها وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فإذا انتهى إلى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد إلى ضعفه الأول فذلك تنكسه في الخلق (أفلا يعقلون) أي فيعتبرون ويعلمون أن الذي قدر على تصرف أحوال الإنسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قيل إن كفار قريش قالوا إن محمد أشاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يصح له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يترنن له بيت شعر وإن تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء تاهيا * فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا نبي الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء تاهيا * أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالآخبار من لم تزود * أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره أن عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض أخدث إليه ولم يتمثل إلا ببيت أخي بني قيس طرفة * ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالآخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود وبالآخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال إني لست بشاعر ولا ينبغي لي فإن قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صابه شجر فدميت أصبعه فقال هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة * فاكرم الانصار والمهاجرة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب قلت ما هذا الامن كلامه الذي يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشآت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعر او لما نفي أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الاذكر) يعني ما هو الاذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره (وقرآن مبين) أي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى

وأما قوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت فما هو الامن جنس كلامه في الذي كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق في خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعر الا ان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الياء في كذب وخفض الباء في المطلب ولما نفي ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أي المعلم (الاذكر) أي (الذي هو الاذكر) من الله يعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز

الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتندردني وشامى وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا بالقلب (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون وهم في حكم الاموات (أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاما) أي مما تولينا نحن احداؤه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها ما الكون) أي خلقناها لاجلهم فلكنها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالا تفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناهم) وصبرناها منتقدة لهم والافن كان يقدر عليها لولا بذليله تعالى وتسخيرها لها ولهذا ألزم الله سبحانه الركب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فها ركو بهم) وهو ما يركب (ومنهايا كون) أي سخرناهم ليركبوها وياكلوها (ولهم فيها منافع) من الجلود والابرار وغير ذلك ومشارب من اللبن وهو موضع الشرب والشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (وانخذوا من دون الله آلهة لهم ينصرون) أي لعل أصنامهم تنصرهم اذا خربهم أمر (لا يستطيعون) أي آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم (وهم لهم) أي الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) (١٣) يحذمونهم وذبون عنهم وانخذوهم لينصروهم عند الله

ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء وكسر الزاي نافع من حزنه وأخزته يعني فلا يهيك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه حق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان

في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقويل الشعراء الكاذبين (لتندردني) أي يا محمد وقرى بالياء أي القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنا حتى القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أي وتجب حجة العذاب (على الكافرين) قوله عز وجل (أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا) أي تولينا خلقه ببداعنا من غير اعانة أحد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي اذا تفرده ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو (انعاما) انما خص الانعام بالذكور وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى واجباده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها ما الكون) أي خلقناها لاجلهم فلكنها اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لأجل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أي لا أضبط رأس البعير والمعنى لم تخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدر على ضبطها بل خلقناها مذلة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناهم فنهاركو بهم) أي الابل (ومنهايا كون) أي الغنم (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبرها وأشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أي من ألبانها (أفلا يشكرون) أي رب هذه النعم (وانخذوا من دون الله آلهة) يعني الاصنام (لعلهم ينصرون) أي لتنصعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون في النار (فلا يحزنك قولهم) يعني قول كفار مكة في تكذيبك يا محمد (انا نعلم ما يسرون) أي في ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) أي من عبادة الاصنام

اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لأنه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رجة الله عليهم ما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله علما وعدم تعلقه لا بدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقدير كفتصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كسرا أو فاتحها على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فافيه الانهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلايتهم والنهي عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كافي قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل في أبي بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفته بيده ويقول يا محمد أرى الله يحبي هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم

(أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة أي فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لخاصة ربه وينكر قدرته على احياء الميت بعد مامت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلاً) بفته العظم (ونسى خلقه) من المني فهو أغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أي خلقنا اياه (قال من يحيي العظام وهي رميم) هو اسم لما يلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن ثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبت بهذه الآية وهي عندنا ظاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها أول مرة أي ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا تخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت في البر والبحر في جمعه (١٤) ويعيده كما كان (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا اتم منه توقدون)

تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطافئها به وهي الزناد التي توري به الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستتمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الوري والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكرك على العفار وهي أتى فتقذح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للشباب فمن قدر على

وقيل ما يملنون بالسنتهم من الاذى قوله تعالى (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) أي من نطفة قدرة خسيصة (فاذا هو خصيم مبين) أي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لخاصة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث وكيف لا يتفكر في بدء خلقه وأنه من نطفة قدرة ويدع الخصومة نزات في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث وأناه بعظم قدرم وبلى ففتته بيده وقال أترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وبعثك ويد خلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه) أي بدء أمره (قال من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية والمعنى وضرب لنا مثلاً في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتجب من يقول ان الله تعالى يحييه ونسى أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي خلقها أول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أي من الابداء والاعادة (عليم) أي يعلم كيف يخلق لا يتعاطمه شيء من خلق المبدأ والمعاد (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضي الله عنهما هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ بالراء والحاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستتمجد المرخ والعفار أي استكثر منهما وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب (فاذا اتم منه توقدون) أي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أي هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعني يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أي بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيأ) أي احداث شيء وتكوينه (أن يقول له كن) أي يكونه من غير توقف (فيكون) أي فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) أي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه (واليه ترجعون) أي تردون بعد الموت والله أعلم

جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب والا خضر على اللفظ وقرئ الخضر على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي أقدر بقوله (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل المبدأ وليس به (بلى) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فالخلاق أن المسكونات بتخليفه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة اليجاد كأنه يقول كما لا يشغل قول كن عليكم فكذا لا يشغل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها محالة من مبتدأ وخبر لان تقديره فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون ونعجب من أن يقولوا فيه ما قالوا (الذي بيده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شيء (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا

فوت ترجعون يعقوب قال عليه الصلاة والسلام ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن بس من قرأ يس بر يديه اوجه الله غفر الله له واعطى من الاجر كما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس امام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا اشبعه الله وان كان ظمآن ارواه الله وان كان عرا يانأ البسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آانس الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان في السجن أخرجه الله وان كان أسيرا خلاصه الله وان كان ضالاه داه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزانته وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم ﴿سورة الصافات مكية وهي مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والصافات صفا فالزجرات زجرا فالتاليات ذكرنا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة فالزجرات السحاب سوقا أو عن المعاصي بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات فالزجرات بالسوا عظم والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجرو الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفامصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجور ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (ان الحكم لواحد) قيل هو

﴿تفسير سورة الصافات﴾

وهي مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ أبي داود وقيل هم الملائكة تصف أجنتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنتها في الهواء (فالزجرات زجرا) يعني الملائكة تزجرو السحاب وتسوقه وقيل هي زجرات القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرنا) يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الحكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الحكم لواحد وانما أقسم بهذه الاشياء التنبيه على شرف زواتها وكال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعني أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك ﴿وقوله﴾ (ورب المشارق) قيل أراد بالمشارق ما كثر في باحدهما قال السدي المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغرب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء والمشارق والمغرب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرفت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد بمشارق الكواكب ﴿قوله تعالى﴾ (انا زينا السماء الدنيا) يعني التي تلي الارض وهي أدنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولولم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظرت في الليلة المظلمة الى

جواب قولهم اجعل الآلهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر أو مبتدأ محذوف أي هو رب وما بينهما ورب المشارق أي مطالع الشمس وهي ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغرب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطاع ولا تغرب في واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد بمشرق الصيف ومغرب الشتاء ومغربها وأما رب المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى (بزينة الكواكب) حفص وحزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعني أو على اعمال المصدر منونافي المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل أي بان زاتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أي بان زان الله الكواكب

وجعلنا لها نارا من السماء لحسنا في أنفسها وأصله زينة الكواكب لقراءة أبي بكر (وحفظا) محمول على المعنى لأن المعنى أنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المثل مقدر كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظنا ما حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لأنه في معنى الشياطين يسمعون كوفي غير أبي بكر وأصله يسمعون والتسمع نطلب السماع يقال تسمع فسمع أو لم يسمع وينبغي أن يكون كلاما منقطعاً ابتداء اقتصاصا لما عليه حال المسترقعة للسمع وأنهم لا يتدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا الخذف اللام كما حذف في جئت أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا الخذفان واهدر عملها كما في قوله • ألا بهذا الزاجري أحضر الوغي • وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراد ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين (١٦) سمعت فلا نأيت حدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه أن

المعدي بنفسه يفيد الإدراك والمعدي بالي يفيد الاصغاء مع الإدراك (إلى الملا الأعلى) أي الملائكة لأنهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الأسفل لأنهم سكان الأرض (ويقذفون) يرمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحور بن على الحال أولان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون أو قذفوا (ولهم عذاب واصل) دائم من الوصوب أي أنهم في الدنيا مرجومون

السماء ورأي هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلائية على سطح أزرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) أي وحفظنا السماء من كل شيطان متمرعات يرمون بالشهب (لا يسمعون إلى الملا الأعلى) يعني إلى الملائكة والكتابة لأنهم سكان السماء وذلك أن الشياطين يصعدون إلى قرب السماء فر بما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الانس ويوهمون بذلك أنهم يعلمون الغيب فنعمهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) أي يرمون بها (من كل جانب) أي من آفاق السماء (دحورا) أي يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصل) أي دائم (الامن خطف الخطفة) أي اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فاتبه) أي لحقه (شهاب ثاقب) أي كوكب مضى أقوى لا يخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله وقيل سمي النجم الذي ترمى به الشياطين ثاقبا لأنه يشقه فأن قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين إلى حيث يعلمون أن الشهب تحرقهم ولا يصلون إلى مقصودهم ثم يعودون إلى مثل ذلك قلت إنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم أنهم لا يصلون إليه طمعا في السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعني سل أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعني من السموات والأرض والجبال وهو استفتهم تقرير أي هذه الأشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعني من الأمم الخالية والمعنى إن هؤلاء ليسوا بأحكام خلقا من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى (أنا خلقناهم من طين لازب) يعني آدم من طين جيد حو لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين فيء (بل عجب) قرئ بالضم على اسناد التعجب إلى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لأن التعجب من الناس محمول على إنكار الشيء وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فإن كانت قبيحة فيرتب عليها العقاب وإن كانت حسنة فيرتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الإنكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبرة وفي حديث آخر عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته أياكم وقوله من ألكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال إن الله لا يحب من شيء ولكن بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن في (الامن) في محل الرفع وافق

بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي (خطف الخطفة) أي سلب السلبه يعني أخذ شيئا من كلامهم بسرعة (فاتبه) لحقه (شهاب) أي نجم رجم (ثاقب) مضى (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) أي أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة أو أصعب خلقا وأشفق على معنى الرد لأنكارهم البعث وإن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقهم من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما وما جىء بمن تغليباً للعلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (أنا خلقناهم من طين لازب) لاصق أو لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فن ابن استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أنذا كنا ترابا وهذا المعنى يعصده ما يتلوه من ذكر أنكارهم البعث (بل عجب) من تكذيبهم أياك

(ويسخرون) هم منك ومن تعجبك أو عجبك من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبك جزء وعلى أي استعظمت والعب روعة تعترى الانسان عند استعظام الشيء فدل على الاستعظام في حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبك (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رآوا آية) معجزة كانت شاق القمر ونحوه (يسخرون) يستدعي بعضهم بعضا ان يسخر منها أو يبالفون في السخرية (وقالوا ان هذا) ما هذا (الاسحرميين) ظاهر (أنذا) استفهام انكار (متناوكننا) تراو عظاما أننا لمبعوثون) أي أنبعث اذا كنا تراو عظاما (أو أبأونا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير في مبعوثون والمعنى أبعث أيضا أبأونا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم أقدم فبعثهم أبعدا وأبطل أو أبأوا بسكون الواو مدني وشامي أي أبعث واحدا منا على المباغة في الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبغثون نعم على وهما لغتان (وأتم داخرون) صاغرون (فأناهي) جواب شرط مقدور تقديره اذا كان كذلك فأنهي الا (زجوة واحدة) وهي لا ترجع الى (١٧) شئ أنما هي مبهمة موضعا خبرها

و يجوز فأنما البعثة زجوة واحدة وهي النفخة الثانية والزجوة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فأذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) الى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا يا ويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) أي اليوم الذي ندان فيه أي نجازي بأعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذي كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين من

وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فمجب قولهم أي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي عجبك من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبك (ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون) أي واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رآوا آية) قال ابن عباس يعني انشقاق القمر (يسخرون) أي يستهزئون وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخر (وقالوا ان هذا الاسحرميين) أي بين (أنذا متناوكننا) تراو عظاما أننا لمبعوثون أو أبأونا الاولون قل نعم وأتم داخرون) أي صاغرون (فأناهي زجوة واحدة) أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث (فأذاهم ينظرون) يعني أحياء (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا) أي اجمعوا (الذين ظلموا) أي أشركوا وقيل هو عام في كل ظالم (وأزواجهم) أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الجرم مع اهل الجرم واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فأهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس أي دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أي احبسوهم (انهم مسؤولون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم و يروى عنه عن لاله الا الله وروى عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدمي من عبادي يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره (٣) فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذي وله عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعاء الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لا زماله لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤولون (مالكم لا تناصرون) أي تقول لهم خزنة جهنم تو يبخا لهم مالكم لا ينصر بعضهم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون)

(٣ - (خازن) - رابع) كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) أي واشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي الاصنام (فأهدوهم) دلوهم عن الاصمعي هديته في الدين هدى وفي الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤولون) عن أقوالهم وأفعالهم (مالكم لا تناصرون) أي لا ينصر بعضهم بعضا وهذا تو يبخا لهم بالمجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرة في الدنيا وقيل هو جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو في موضع النصب على الحال أي مالكم غير متناصرة بن (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلام مستسلم غير منتصر

(٣) قوله فيما أفناه الخ كذا في النسخ باثبات الف ما الاستفهامية وهو قليل

(وأقبل بعضهم على بعض) أي التابع على المتبوع (يتساءلون) (قالوا) أي الاتباع للمتبعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) هن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أي انكم تحملوننا على الضلال وتفسروننا عليه (قالوا) أي الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أي بل أيتم أتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمككنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسابكم به تمككنكم واختياركم (بل كنتم قومًا طاغين) بل كنتم قومًا مختارين الطغيان (حق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا اننا لذائقون) يعني وعيد الله باننا ذائقون لعذابه لا محالة لانه محال اننا نلوحى الوعيد كما هو اقال انكم لذائقون واسكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحو قوله فقد زعمت هو ازن قل مالى * ولوحى قولها اقال قل مالك (فاغويننا كم) فدعونا كم الى النقي (انا كنا غاوين) فاردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (١٨) فانهم) فان الاتباع والمتبعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (في العذاب مشتركون)

كما كانوا مشتركين في الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أي بالمشاركين انما مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا واوبوا الا الشريك (ويقولون ائنا بهمزةين شامى وكوفى) لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمد عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصداقا لما بين يديه (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أي لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (اولئك لهم رزق معلوم فواكه) فدر الرزق

قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون لاحيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعني الرؤساء والاتباع (يتساءلون) أي يتخاصمون (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي من قبل الدين فتضلوننا وترونا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بيمانكم وقيل عن اليمين أي عن العزة والقدرة والقول الاول أصح (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أي لم تكونوا على حق حتى نضاكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قومًا طاغين) أي ضالين (حق علينا) أي وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعني كلمة العذاب وهي قوله تعالى لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا لذائقون) يعني ان الضال والمضل جميعا في النار (فاغويننا كم) يعني فاضلاناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) أي ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ في العذاب مشتركون) يعني الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى رداعليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعني انه انما أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الشرك والتكذيب (الا) أي لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) أي الموحدين (اولئك لهم رزق معلوم) يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهي الثمار كلها وطيبها وياسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقتوت وقيل ان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم خلقت للابد فكل مايا كالونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) أي بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (في جنات النعيم على سرر متقابلين) يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين) كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر

المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة وكأسا بالاقوات لان أجسادهم محكمة مخلوقة للابد فيايا كالونه للتلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منوعة بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعمون (في جنات النعيم) يجوز ان يكون ظرفا وان يكون حالا وان يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للسرور وأنس (يطاف عليهم بكأس) بغير همز أبو عمرو وحزة في الوقف وغيرهما بالهمز يقال للزجاجة فيها الخمر كأس ونسمى الخمر نفسها كأسا وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعبون وصف بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر

(بيضاء) صفة للكاس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أودات لذة (للشاربين لافهاغول) أي لا تغتال عقولهم كخمر الدنيا وهو من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده (ولا هم عنها يزفون) يسكرون من نرف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نرف ومنزوف يزفون على وجزأة أي لا يسكرون أولا يزف شراهم من أنرف الشارب إذا ذهب عقله أو شرا به (وعندهم قاصرات الطرف) قصرت أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم (عين) جمع عيناء أي نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون في الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فاقبل بعضهم) يعني أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاق عليهم والمعنى يشربون ويتحدثون (١٩) على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات إلا
أحاديث الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض
يتساءلون عما جرى لهم
وعليهم في الدنيا لا نهج
به ماضي على ما عرف في
أخباره (قال قائل منهم اني
كان لي قرين يقول أأنك)
بهمزتين شامى وكوفى
(من المصدقين) يوم الدين
(أأدأمتنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون)
لمجزيون من الدين وهو
الجزاء (قال) ذلك القائل
(هل أأنتم مطلعون) الى
النار لاريكم ذلك القرين
قيل ان في الجنة كوى
ينظر أهلها منها الى أهل
النار وأقال الله تعالى لاهل
الجنة هل أأنتم مطلعون
الى النار فاعلموا أن منزلتكم
من منزلة أهل النار
(فاطلع) المسلم (فأراه)
أي قرينه (في سواء الجحيم)

وكأ ساشربت على لذة ومعنى معين أي من خرجارية في الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعني ان خراج الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أي لذبة (للشاربين لافهاغول) أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لأنهم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والخمار والعربة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خراج الجنة (ولا هم عنها يزفون) أي لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شراهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أي حاسبات العين غاضات العيون قصرت أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم (عين) أي حسان العين عظامها (كأنهن بيض مكنون) أي مصون مستور شبههن ببيض النعام لأنها تكن بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض في صفة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة بيض النعام وتسميهن بيضات الخدور قوله عز وجل (فاقبل بعضهم على بعض) يعني أهل الجنة في الجنة (يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا (قال قائل منهم) أي من أهل الجنة (اني كان لي قرين) أي في الدنيا ينسكركم البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافرا اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهودا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أأنك لمن المصدقين) أي بالبعث (أأدأمتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أي مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل أأنتم مطلعون) أي الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل أأنتم مطلعون أي لننظر كيف منزلة أخي في النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) أي المؤمن قال ابن عباس كوى ينظر منها أهلها الى النار (فأراه في سواء الجحيم) أي فرأى قرينه في وسط النار سمى وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه (قال نال الله ان كدت لتردين) أي والله لقد كدت ان تهلكنى وقيل تغوينى ومن أغوى انسا ما فقد أرداه وأهلكه (ولو لا نعمت ربى) أي رحمة ربى وانعامه على بالاسلام (أكنت من المحضرين) أي معك في النار (أفأنا نحن بميتين الاموتنا الاولى) أي في الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لافيقولون (ان هذا هو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لاسم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا

في وسطها (قال نال الله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء في الحالين يعقوب (ولو لا نعمت ربى) وهي العصمة والتوفيق في الاستتمسك بعروة الاسلام (أكنت من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما حضرته أنت وأمثالك (أفأنا نحن بميتين الاموتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره أأنحن مخلصون من معذبين ولا معذبين والمعنى أن هذا حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا الاموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يمتنون فيه الموت كل ساعة وقيل الحكيم ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت وهذا قول يقول المؤمن تحذبا بنعمة الله بسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل بتقديره ولا تموت المرأة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت في الدنيا ثم قال لقرينه تقرىعاه (ان هذا) أي الامر الذي نحن فيه (هو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل

(مثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه (أذلك خير نذرا) تميز (أم شجرة الزقوم) أي نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نذرا أم شجرة الزقوم خير نذرا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مريكون بهامة (أنا جعلناها فتنة للظالمين) عنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حلقها وشبه رؤس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكره ومستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية (٢٠) عرفاء فيبيحة المنظر هائلة جدا (فأنهم لا يكون منها) من الشجرة أي من طلعها

(فالتون منها البطون) فالتون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) على أكلها (لشوبا) خلطا ولزاجا (من حميم) ماء حار يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم أنهم يملئون البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملي تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ما هو آخر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثم ان مرجعهم لآلى الجحيم) أي أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك ظاهر (أنهم ألفوا آباءهم

الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقول المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان يسكره قال الله تعالى (مثل هذا) أي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب في ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته (قوله تعالى) (أذلك) أي الذي ذكره لأهل الجنة من النعيم (خير نذرا) أي رزقا (أم شجرة الزقوم) التي هي نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم بكره أهل النار على تناولها فهم يتزفونه على أشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة من أخبت الشجر (أنا جعلناها فتنة للظالمين) أي للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبير لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أبوجهل بيته وقال يا جارية زقيننا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبوجهل تزقوا فهذا ما يوعدهم به محمد فقال الله تعالى (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي في قعر النار وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما (طلعها) أي نمرها سمى طلعها لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين بأعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فإن قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت أنه قد استقر في النفوس فبح الشياطين وإن لم يشاهدوا فكأنه قيل ان أقبح الأشياء في الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب إذا رأت منظرًا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس أتقتلني والمشرقي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب أغوال

شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا (فأنهم لا يكون منها) أي من نمرها (فالتون منها البطون) وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) أي خلطا ومزاجا (من حميم) أي من ماء شديد الحرارة يقال أنهم إذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شو باهم (ثم ان مرجعهم لآلى الجحيم) وذلك أنهم يردون إلى الجحيم بعد شراب الحميم (أنهم ألفوا) أي وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم بهرعون) أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) أي من الأمم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (الاعباد الله المخلصين) أي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى أنظر كيف أهلكنا المنذرين الاعباد الله المخلصين قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أي دعاه على قومه وقيل دعاه أن ينجيهم من الغرق (فلنعم المجيبون)

ضالين فهم على آثارهم بهرعون) علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتباعهم إياهم نحن في الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الأسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الأولين) يعني الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الذين أنذروا وحذروا أي أهل كوا جميعا (الاعباد الله المخلصين) أي الالذين آمنوا منهم وأخلصوا الله دينهم وأخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعائه إياه حين أسس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله اني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم مخوف والنحو من المديح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن

الاجابة ونصرناه على أعدائه واتقننا منهم ما يكون (ونجينا أهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الفرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فني غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث وهو أبو الترك ويأجوج وماجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهي (سلام على نوح) يعني يسمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها (في العالمين) أي ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزي المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بانه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلاله محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أي الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أي من شيعته نوح أي ممن شايعه على أصول الدين (٢١) أو شايعه على التصاب في دين الله

ومصابة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة وما كان بينهما من الانبياء هود وصالح (اذ جاء ربه) اذ تعلق بمافي الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقاب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لابراهيم أو بمحذوف وهو اذ كر ومعنى المجيء بقلبه ربه أنه أخلص الله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال) لايه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله أئفكا آلهة دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله أفكا وانما

نحن أي دعانا فاجبنا وأهلكنا قومهم (ونجينا أهله من الكرب العظيم) أي من الغم الذي لحق قومه وهو الفرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الاولاده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج وماجوج وما هنالك (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا له ثناء حسنا وذكر اجيالا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) أي سلام عليه منافي للعالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزي المحسنين) أي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار قوله عز وجل (وان من شيعته) أي من شيعته نوح (لابراهيم) يعني انه على دينه وملتته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لايه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أي أأفكون أفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم رب العالمين) يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم ألا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس أي مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معارض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة

قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون أفكا مفعولا به أي أتريدون أفكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك في نفسها أو حالا أي أتريدون آلهة من دون الله أفكين (فما ظنكم) أي شئ ظنكم (رب العالمين) وأتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم (فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر في النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا في نفسه كيف يحتمل أوراها انه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم فاوهمهم أنه استدل بامارة على أنه يسقم (فقال اني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهر بوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام ما فعل وقالوا علم النجوم حق ثم نسخ الاشتغال بعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معارض من الكلام أي سأسقم أو من الموت في عنقه سقيم ومنه المثل كني بالسلامات داء ومات رجل فجاء فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي صحيح من الموت في عنقه وأراد اني سقيم النفس لكفركم كما يقول أنا مريض القلب من كذا

(فتولوا) فأعرضوا (عنه مدبرين) أي مولين الدبار (فراغ إلى آلهتهم) فقال إليهم سرا (فقال) استهزاء (الأتا كلون) وكان عندها طعام (مالك لا تنطقون) واجتمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضر بهم ضربا لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم بضر بهم ضربا أي ضارب (بالبمين) أي ضربا شديدا بالقوة لأن البمين أقوى الجار حتين وأشد هماً أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذي سبق منه وهو قوله تالله لا كيدن أصنامكم (فأقبلوا إليه) إلى إبراهيم (يزفون) يسرعون من الزيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أرف إذا دخل في الزيف أرفا فافـ كانه قد رآه بعضهم يكسرها و بعضهم لم يره فأقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بابا لطمنا له لمن الظالمين فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكركم يقال له إبراهيم ثم قالوا (٢٢) باجمعهم نحن نعبد هاو أنت تكسرها فاجابهم بقوله (قال أتعبدون ما نحتون) بأيديكم

(والله خالقكم وما تعملون)

الانبياء وقيل انه خرج معهم إلى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم اشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) أي إلى عيدهم فدخل إبراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أي مال (إلى آلهتهم) ميلة في خفية (فقال) أي للاصنام استهزاء بها (الأتا كلون) يعني الطعام الذي بين أيديكم (مالك لا تنطقون فراغ) أي مال (عليهم ضربا بالبمين) أي ضربهم بيده اليمنى لانهم أقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد بالبمين القسم وهو قوله وتالله لا كيدن أصنامكم (فأقبلوا إليه) أي إلى إبراهيم (يزفون) أي يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه (قال) لهم إبراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما نحتون) أي بأيديكم من الاصنام (والله خالقكم وما تعملون) أي وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الاصنام وفي الآية دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فلقوه في الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشر ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى (فأرادوا به كيدا) أي شرا وهوان يحرقوه (فجعلناهم الأسفلين) أي المقهورين بن حيث سلم الله إبراهيم ورد كيدهم (وقال) يعني إبراهيم (إني ذاهب إلى ربي) أي مهاجر إلى ربي وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سبيدين) أي إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو أرض الشام فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) أي هب لي ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام في صغره حليم في كبره وفيه بشارة انه ابن وأنه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي) قال ابن عباس يعني المشي معه إلى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع إبراهيم والمعنى بلغ ان ينصرف معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) قيل انه لم يرب في منامه انه ذبحه وانما أمر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقه دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسندي واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب إلى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشام

وخلق ما تعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أي وخلق أعمالكم وهو دليلنا في خالق الأفعال أي الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أي لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشر ذراعا (فلقوه في النار) (فجعلناهم الأسفلين) المقهورين عند اللقاء فخرج من النار (وقال إني ذاهب إلى ربي) إلى موضع أمرني بالذهاب إليه (سبيدين) سيردني إلى ما فيه صلاح في ديني ويعصمني ويوفقني سيهديني فيهما يعقوب

(رب هب لي من الصالحين) بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد (فبشرناه) وروى

بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أو ان الحلم لان الصبي لا يوصف بالحلم وأنه يكون حلما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابر بن ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعي) بلغ أن يسعي مع أبيه في أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعاق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلاة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر عليه على السعي قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يا بني) حفص والباقر بن بكسر الياء (إني أرى في المنام أني أذبحك) وافتح الياء فيهما حجازي وأبو عمرو وقيل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى في اليقظة وانما يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فبقر قيل رأى ليلة التروية كان قائلا بقوله ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك

وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق في المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحدر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في راحة واحدة طويت له الاودية والجلال والقول الثاني انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والسكبي ورواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدي اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي أمر به بذيئ من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى في سورة هود فبشرناه باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيامن الصالحين بعد قصة الذبيح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد في قصة الذبيح فثبت بما ذكرناه ان اول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح وبما ذكرنا في كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيامن الصالحين فدل على ان المذبح غيره وأيضاً فان الله تعالى قال في سورة هود فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافله وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرطبي سأل عمر بن عبد العزيز رجلاً من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه أي ابني ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذي أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق أبوهم ومن الدليل أيضاً ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح أسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم

ذكر الاشارة الى قصة الذبيح

قال العلماء بالسيرة وأخبار الماضين لما دعا ابراهيم به فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو ذا الله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب في أمر الله تعالى إياه بالذبح فقال لاسحق انطلق تقرب لله قرباناً فاخذ سكيناً وحبلان واطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قر بانك فقال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حل على البراق فيغدو من الشام فيقبل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه أمر في المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كان قائلاً يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى في نفسه أي فكر من الصباح الى الراح أن الله هذا الحلم أم من الشيطان فن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانياً فاما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك (فانظر ماذا ترى) أي من الرأي على وجه المشاورة فان قلت لم يشاورة في أمر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاورة ليرجع الى رأيه واما

من المصباح الى الراح
أمن الله هذا الحلم أم من
الشيطان فن ثم سمي
يوم التروية فلما أمسى
رأى مثل ذلك فعرف
أنه من الله فن ثم سمي يوم
عرفة ثم رأى مثل ذلك في
الليلة الثالثة فهم بنحore
فسمى اليوم يوم النحر
(فانظر ماذا ترى) من
الرأي على وجه المشاورة لا
من رؤية العين ولم يشاورة
ليرجع الى رأيه ومشورته
ولكن ايعلم أن يجزع أم
يصبر ترى على وحزة أي
ماذا تبصر من رأيك وتبديه

أى ما تؤمر به وقرئ به
(ستجدنى ان شاء الله من
الصابرين) على الذبح
روى أن الذبيح قال لايه
يا أبت خذ بناصيتى واجلس
بين كتفى حتى لأؤذيك
إذا أصبتنى الشفرة ولا
تذبحنى وأنت تنظر فى
وجهى عسى أن ترحنى
واجعل وجهى الى الارض
ويروى اذبحنى وأنا ساجد
واقرأ على أمى السلام وان
رأيت ان تردقيصى على
أمى فافعل فانه عسى أن
يكون أسهل لها (فلما
أسلمها) انقاد لأمر الله
وخضعاً وعن قتادة أسلم
هذا ابنه وهذا نفسه (وله
للجبين) صرعه على
جبينه ووضع السكين على
حلقه فلم يعمل ثم وضع
السكين على قفاه فانقلب
السكين ونودى يا ابراهيم قد
صدقت الرؤيا ياروى ان ذلك
المكان عند الصخرة التى
بنى وجواب لما مخدوف
تقديره فلما أسماوتله
للجبين (ونادينه أن
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا)
أى حققت ما أمرناك به فى
المنام من تسليم الولد للذبح
كان ما كان مما ينطق
به الحال ولا يحيط به الوصف
من استبشارهما وجمعهما
لله وشكرهما على ما أنعم
به عليهما من دفع البلاء
العظيم بعد حلوله أو الجواب قبلنا منه ونادينه معطوف عليه

شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليم صبره على أمر الله وعزمه على طاعته ويثبت قدمه
ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المشوكة بالانقياد لأمر
الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك قلت ان هذا الأمر كان
فى نهاية المشقة على الذابح والمذبح فور دى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النعم باحوال اليقظة فاذا
تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى قال
الغلام لايه افعل ما أمرت به قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدينة
وانطلق الى هذا الشعب نخطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى الشعب أخبره بما أمره الله به فقال افعل ما تؤمر
(ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) انما عاق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية
الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فلما أسلمها) يعنى انقاد وخضعاً لأمر الله
وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه (وله للجبين) أى صرعه على الارض قال
ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشد درباطى كيلاً أضطرب وأكفف
عنى نيا بك حتى لا يتضح عليها شئ من دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستخدمت شفرتك وأسرع مر
السكين على حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد واذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت أن
تردقيصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها عنى فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يابنى
على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكى وقدر بطنه والابن يبكى ثم انه وضع
السكين على حلقه فلم تحك شيئاً ثم انه حدها مرتين أو ثلاثاً بالجر كل ذلك لا يستطيع أن يقطع شيئاً قيل ضرب
الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ فى القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند
ذلك يا أبت كبنى لوجهى فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وأدر كنت رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى
وأنا لا أنظر الى الشفرة فأجزع منها ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت
ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ياروى عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لأفتن منهم أحداً بدأ بدم الشيطان
فى صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدري من أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا
الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليدبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حباله من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره
بذلك قالت ان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن
وهو عشى على أن رأيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا
والله ما يريد الا أن يذبحك قال ولم قال ان ربه أمره بذلك قال فافعل ما أمره به ربه فسمعوا وطاعة فلما امتنع
الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب حاجة لى فيه قال والله انى لارى الشيطان
قد جاءك فى منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عنى يا عدو الله
فوالله لامضين لا ممر بى فرجع ابليس بغيطه لم يصب من ابراهيم وآله شيئاً مما أراد وامتنعوا منه بعون الله
تعالى وروى عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا
المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم
عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لأمر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما أسلمها وتله للجبين (ونادينه) أى فنودى
من الجبل (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أى حصل المقصود من تلك الرؤيا بحيث ظهر منه كمال الطاعة
والانقياد لأمر الله تعالى وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما

(انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة (ان هذا هو البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قرب به هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لاسارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخمة الجنة سمين وهي السنة في الاضاحي وروى أنه هرب من ابراهيم عند الجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لاله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر والله الحمد فبقي سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة والاظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبي بكر وابن عباس وابن عمر وجاعة من التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقر باو كان عبد الله آخر ففداه بمائة من الابل ولان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عندك عقلك وحي كان اسحق بمكة وإنما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحجر بمكة وعن علي وابن مسعود والعباس وجاعة من التابعين رضي الله عنهم أنه اسحق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح

(٢٥)

قيل وفديناه وان كان القادي ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدي منه لانه الامر بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدي به وههنا اشكال وهو أنه لا يخلو اما أن يكون ما أتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه واصرار الشفرة على حلقه في حكم الذبح أم لا فان كان في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح بيد وان لم يكن فما معنى قوله

كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصداقاً له بذل وسعه ومجوده وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو السلامهما لا امر الله تعالى وانقيادهم لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (انا كذلك نجزي المحسنين) يعني جزاه الله باحسانه في طاعته العفوع ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (ان هذا هو البلاء المبين) أي الاختبار الطاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أم لم يقرن فقال هذا فداه ابنك فاذبحه دونه فكبرا ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم وأتى به المنحجر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشارعي في الجنة أربعين خريفاً وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قرب به ابن آدم قيل حق له أن يكون عظيماً وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيماً لانه من عند الله تعالى وقيل اعظمه في الثواب وقيل لعظمه وسعته وقال الحسن ما فدى اسمعيل الا بقيس من الاروي أهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه في الآخرين) أي تركنا له ثناء حسناً فيمن بعده (سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أي بوجود اسحق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرنا بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشرنا مرتين حين ولد وحين نبى (و باركنا عليه) يعني على ابراهيم في أولاده (وعلى اسحق) أي يكون أكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهم محسن) أي مؤمن (وظالم لنفسه) أي كافر (مبين) أي ظاهر الكفر وفيه تنبيه

(٤ - (خازن) - رابع) قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدق الوصح منه الذبح أصلاً أو بدلاً ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم وهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس اسمعيل بدلاً منه وليس هذا بنسخ منه الحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتاً الا ان المحل الذي أضيف اليه لم يحل الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليعتبر حكم الامر عند المخاطب في آخر الحال على ان المبتغى منه في حق الولد ان يصير قرباناً بنسبة الحكم اليه مكرماً بالفداء الحاصل لمعرفة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالامر لا قبله وقد سمي فداء في الكتاب لا نسخاً (وتركنا عليه في الآخرين) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزي المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه كتحفاء ذكره مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف بشرناه أي بوجود اسحق نبياً أي بان يوجد مقدراً نبوته فالعامل في الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لان كل نبى لا بد وأن يكون من الصالحين (و باركنا عليه وعلى اسحق) أي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم في أولاده وعلى اسحق بان أخرجهما من صلبه ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهما السلام (ومن ذريتهم محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين)

أمرهما على العرف والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبايع والعناصر وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وإن المرء أعيا عاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجتاحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (ولقد مننا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بنى إسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أي موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الإسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما في الآخرين) سلام على موسى وهرون أنا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين (وإن الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو ادريس النبي عليه

على أنه لا يلزم من كثرة فضائل الأب فضيلة الابن ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد مننا على موسى وهارون) أي أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعني بنى إسرائيل (من الكرب العظيم) يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وقيل هو النجاة لهم من الغرق (ونصرناهم) يعني موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) أي على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعني التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) أي الثناء الحسن (سلام على موسى وهرون) أنا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين ﴿قوله عز وجل﴾ (وإن الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود أنه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو بنى من أنبياء بنى إسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

ذكر الإشارة إلى القصة

قال محمد بن اسحق وعلماء السير والخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الأحداث في بنى إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل إليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بنى إسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى إسرائيل وإن سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم الياس وعابهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها للناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان لياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه إذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنيته كان يتعش منها فاخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس إلى الملك وزوجته وأمره أن يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه أنه ما إن لم يتوب باعن صنيعهما ويرد الجنيته على ورثة المقتول أهلكتهم في جوف الجنيته ثم يدعهم أجيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله إليه في أمره وأمر امرأته والجنيته فلم يسمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعوننا إليه الا باطلا وهم يتعذّب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق الياس بشواهي الجبال فدخل مكان يأوي إلى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا بكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستتره منهم فلما طال الأمر على الياس وسكنى الكهوف في الجبال وطال عصفه ان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود بالياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألسنت أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفتي من خلقي سلني أعطك فاني ذوالرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميّني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بنى إسرائيل وملوتني فأوحى الله تعالى إليه يا الياس ما هذا اليوم الذي أعرى منك الأرض وأهلها وانما صلاحيها وقوامها بك وبأشباهك وإن كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس إن لم تمتني فاعطني ثاري من بنى إسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد أن أعطيك قال فملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتى فانه لا يذلم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس أنا أرحم مخلقي من ذلك وإن

(اذ قال لقومه ألا تتقون)
 ألا تخافون الله (أندعون)
 أتعبدون (بعلا) هو علم
 لصنم كان من ذهب وكان
 طوله عشرين ذراعاً وله أربعة
 أوجه فتنوا به وعظموه
 حتى أخذوه وأربعمائه
 سادن وجعلوهم أنبياء
 وكان موضعه يقال له بك
 فركب وصار بعلبك وهو
 من بلاد الشام وقيل في
 الياس والخضر انهما حيان
 وقيل الياس وكل بالفيافي
 كما وكل الخضر بالبحار
 والحسن يقول قد هلك
 الياس والخضر ولا نقول كما
 يقول الناس انهما حيان
 (وتذرون أحسن
 الخالقين) وتكون عبادة
 الله الذي هو أحسن
 المقربين (الله ربكم ورب
 آبائكم الاولين) بنصب الكل
 عراقى غير أبى بكر وأبى عمرو
 على البديل من أحسن
 وغيرهم بالرفع على الابتداء
 (فكذبوه فأنهم لمحضرون)
 في النار (الاعباد الله
 المخلصين) من قومه (وترك
 عليه في الآخرين سلام
 على الياسين) أى الياس
 وقومه المؤمنين كقولهم
 الخبيثون يعنى أبا خبيب
 عبد الله بن الزبير وقومه
 آل ياسين شامى ونافع لان
 ياسين اسم أبى الياس
 فاضيف اليه آل

كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك قال خمس سنين قال أنا أرحم بخلقى ولكن أعطيك
 نارك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأى شئ أعيش يا رب قال أسخر لك جيشاً من الطير
 ينقل لك طعامك وشرايبك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عز وجل عنهم
 المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً والياس على حاله مستخفياً من قومه
 بوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل ثلاث سنين القحط ففر
 الياس بمجوز فقال لها عندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعاه ودعافيه بالبركة ومسه
 حتى ملاجرها بادية فملاخوا بها زيتاً فملاها وأذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مربى رجل من حاله
 كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطأوه فوجدوه ففهرج بهم ثم انه آوى الى بيت امرأة
 من بنى اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضرفاً وتنه وأخفت أمره فدعاه لانيها فغوى من الضر
 الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر وأسن
 واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد أهلك كثير من الخلق ممن لم يعص من البهائم
 والدواب والطير والهوام بحس المطر فيزعمون ان الياس قال يا رب دعنى اكن انا الذى ادعوه لهم بالفرج مما
 هم فيه من البلاء لعلمهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقال له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل
 فقال انكم قد هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على
 باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجاب لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل
 علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوتم الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا
 باوثانهم ودعوه فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس ان قد أهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس
 ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق
 ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم
 ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعار به عز وجل ان يريحه منهم
 فقبل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فاجاءك من شئ فاركبه ولا تنهه فخرج
 الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذى أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي
 الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى فقد ذف اليه الياس بكسائه من الجو
 الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من
 بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساء الریش فصار انسياً ملسكياً أرضياً سماً وياوسلطان الله عز
 وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته أرييل
 في الجنينة التي اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثثهما ملقأتين في تلك الجنينة حتى بليت
 لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بنى اسرائيل وأوحى اليه وأيده
 فأمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقههم اليسع روى السدى عن يحيى
 ابن عبد العزيز عن أبى رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان بيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام
 وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال
 لقومه ألا تتقون أندعون بعلا) يعنى أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك
 قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أى وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدون (الله ربكم
 ورب آبائكم الاولين) فكذبوه فأنهم لمحضرون (أى فى النار) (الاعباد الله المخلصين) أى من قومه الذين آمنوا به
 فأنهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل

(انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا من المرسلين اذ نجيناها وأهلها أجمعين الا عجوزا في الغابرين) في الباقيين (ثم دمرنا) أهل كذا (الآخرين وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليه مصبحين) داخلين في الصباح (و بالليل) والوقف عليه مطلق (أفلا تعقلون) يعني تمرون على منازلهم في متاجرهم الى الشام ليلا ونهارا فسيحكم عقول تعبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين في آخر السورة فاكتمى بذلك عن ذكر كل واحد منفرد بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) الابق الهرب الى حيث لا يهتدى (٢٨) اليه الطلب فسمى هر به من قومه بغير اذن ربه ابا قحازا (الى الفلك المشحون) المملوء

وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوكت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أما الآبق وزج بنفسه في الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعه مرة أو ثلاثا بالسهم والمساخمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) فابتاعه (وهو مايم) داخل في الملامة (فلولا انه كان من المسيحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائمين لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة ويقال ان العمل

محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل ومعناه الياس وأتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وان لوطا من المرسلين اذ نجيناها وأهلها أجمعين الا عجوزا في الغابرين) أي الباقيين في العذاب (ثم دمرنا) أي أهل كذا (الآخرين وانكم) أي يا أهل مكة (لتمرون عليهم) أي على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) أي في وقت الصباح (و بالليل) أي وبالليل في أسفاركم (أفلا تعقلون) أي فتعبرون بهم قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) أي من جملة رسل الله تعالى (اذ أبق) أي هرب (الى الفلك المشحون) أي المملوء قال ابن عباس وذهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوكت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهي تقع على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه في الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأة وابنان له جاء مركب فاراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فخال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فاخذت ابنه الأكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الأصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما صرت السفينة في البحر ركبت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والالم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فخرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) أي فقارع (فكان من المدحضين) يعني من المقرعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت) أي ابتلعه (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه (فلولا انه كان من المسيحين) أي من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكرو قال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا ف شكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكر والله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا اذا كرا لله تعالى فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا انه كان من المسيحين (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولا انه كان يسبح في بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين للبت في بطنه الى يوم يبعثون أي اصار بطن الحوت قبره الى يوم القيامة قوله عز وجل (فنبذناه) أي طرحناه انما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى (بالعراء) أي بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) أي عليل كالفرخ المعطوقيل كان قد بلى لجه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وأبتنا عليه شجرة من يقطين) يعني القرع قيل ان كل نبت يمتد وينسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فائدة وهي ان

الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث في بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبي التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فالقيناه بالمكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدين الصبي حين يولد (وأبتنا عليه شجرة) أي أنبتناها فوقه مظلة له كما ينبت البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدة ان الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخى يونس

(وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الانتقام فتكون قدم مضرة (أو يزيدون) في مرآى الناظر أى اذا رآها الرأى قال هي مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال لك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فتعناهم الى حين) أى منتهى آجالهم (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهم ما المسافة أمر رسول الله باسـتفتاء قر يش عن وجه انكار البعث أو لاثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا الله تعالى (٢٩) الاناث ولا نفسهم الذكور فى

قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن وأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة انا وهـم شاهدون) حاضر ون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كالم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه يخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظراً ومعناه انهـم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لا فراط جهلهم كانهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون)

الذي لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لجه ونبات شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يست الشجرة وأصابه حر الشمس فخرن حزن شديد او جعل يبكي فارسل الله تعالى اليه جبريل وقال أنحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وانابوا (وأرسلناه الى مائة ألف) قيل أرسله الى أهل ينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلم يخرج من بطن الحوت أمر أن يرجع اليهم ثانيا وقيل كان إرساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون إرساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين (أو يزيدون) قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو يزيدون فى تقدير الرأى اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا ويصده ما روى عن أنى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فتعناهم الى حين) أى الى انقضاء آجالهم قوله عز وجل (فاستفتهم) أى فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (أر بك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبنى سامة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة انا وهـم شاهدون) أى حاضر ون خلقنا اياهم (ألا انهم من افكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى فى زعمهم (وانهم لكاذبون) أى فيما زعموا (أصطفى البنات) أى فى زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أى بالبنات لله والكم بالبنين (أفلا تذكرون) أى أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين على ان لله ولدا (فاتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل أراد بالجنة الملائكة سمو اجنة لا جتناهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخبر من الله والشرك من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائل هذا القول (لمحضرون) أى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الاعباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعنى يا أهل مكة (وما تعبدون) أى من الاصنام (ما أنتم عليه)

بالتخفيف حزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فاتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه وبين الله) (و بين الجنة) الملائكة لاستقارهم (نسبا) وهو زعمهم انهم بنات الله وان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الاعباد الله المخلصين) استثناء من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبودكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله

(بفائنين) بمضلين (الامن هو صال الجحيم) بكسر اللام أى لستم تضلون أحدا الاصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه من الاصنام ما أنتم على عبادة الاوثان بمضلين أحدا الامن قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين الامن أوجبت عليه الضلال في السابقة وما في ما أنتم نافية ومن في موضع النصب بفائنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا خذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هي واللام في الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (ومامنا) أحد (الاله مقام معلوم) في العبادة لا يتجاوز زه خذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانالحن الصافون) نصف أقدامنا في الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانالحن المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحانه الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحانه (٣٥) الله فترهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا لا كفره فاذا صح

أى على ما تعبدون (بفائنين) أى بمضلين أحدا (الامن هو صال الجحيم) أى الامن سبق له في علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار ٣٥ قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (ومامنا الاله مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ومامنا عشر الملائكة ملك الاله مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبرا لا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحينها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد أنقأها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيظ وقيل معنى الاله مقام معلوم أى في القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانالحن الصافون) يعنى الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف الناس في الصلاة في الارض (وانالحن المسبحون) أى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء ينخر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بعبودين كما زعمت الكفار ٣٦ قوله عز وجل (وان كانوا يقولون) يعنى كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) يعنى كتابا مثل كتاب الاولين (لكننا عباد الله الخاصين) أى لا خلاصنا للعبادة لله (فكفروا به) أى فلما أناهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم ٣٧ قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) أى بالحجة البالغة (وان جندنا) أى خز بنا المؤمنين (لهم الغالبون) أى لهم النصر في العاقبة (فتقول) أى أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى أمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) أى اذ انزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) أى ذلك فعند ذلك قالوا متى

ذلك فانكم وآلهتكم لاتقدرون ان تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضاهوه الامن كان من أهل النار وكيف نكون مناصبين لرب العزة وما نحن الاعبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفر اخشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين مجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ومامن المساهين أحد الاله مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر

هذا

أعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز

عليه (وان كانوا يقولون) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (ان عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكننا عباد الله الخاصين) لا خلاصنا للعبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخفقة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كامات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلاوهم على عدوهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلاوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب نبي فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والخنة والعبرة للغالب (فتقول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها إلى يوم بدر وإلى فتح مكة (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو

للعيد للتبديد أو انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حيث
(فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذر ين) صباحهم واللام في المنذر ين مبهم في جنس من أنذروا الان ساء وبئس
يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه قائلين كروه بجيش أنذر
بهجومه قومه بعض اصحابهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا
فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيذا
لوقوع الميعاد الى تأكيده وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول وانه يبصرونهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من
صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب (٣١) الآخرة (سبحان ربك رب العزة)

أضيف الرب الى العزة
لاختصاصه بها كانه قيل
ذو العزة كما تقول صاحب
صدق لاختصاصه بالصدق
ويجوز أن يراد انه
مامن عزة لا حد الا وهو
ربها وما لكها كقوله
نعز من نشاء (عما
يصصفون) من الولد
والصاحبة والشر يك
(وسلام على المرسلين)
عم الرسل بالسلام بعد
ما خص البعض في السورة
لان في تخصيص كل بالذكر
تطويلا (والحمد لله رب
العالمين) على هلاك
الاعداء ونصرة الانبياء
اشتملت السورة على
ذكر ما قاله المشركون
في الله ونسبوه اليه مما هو
منزه عنه وما عانا المرسلون
من جهتهم وما خولوه في
العاقبة من النصرة عليهم

هذا العذاب قال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) أي بحضرتهم وقيل
بفنائهم (فساء صباح المنذر ين) أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فمادخل القرية قل الله أكبر خربت خيبر انا انزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذر ين قاله ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيذا للوعيد العذاب فقال تعالى (وتول
عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى
هذا القول يزول التكرار (وأبصر) أي العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى
(سبحان ربك رب العزة) أي الغلبة والقدر وفيه إشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث
(عما يصفون) أي عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) أي الذين بلغوا عن الله عز وجل
التوحيد والشرائع لان أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا في نفسه مكمل لا غيره وهم الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) أي على هلاك
الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روى
عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتب بالملك الالوف من الاجر يوم القيامة فليكن
آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة ص﴾ ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل
ثمان وثمانون آية وسبع مائة واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (ص)﴾ قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور
وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذي الذكر) قال ابن عباس
أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحانه
وتعالى بالقرآن ان محمد صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر
ما الامر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع

نختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قبض لهم من حسن
العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله
عنه ومن أحب أن يكتب بالملك الالوف من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين (سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصرية وست مدني) (بسم الله الرحمن الرحيم)
(ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبية على الاعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه
قال (والقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف انه كلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كانه قال هذه ص
أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله ترى هذا هو المشهور بالسجاء والله وكذلك اذا أقسم
بها كانه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا)

في عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ورسوله والتسكير في عزة وشقاق للدلالة على شدةهما وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لدوى العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الاعلى الاحيان ولم يبرز الا لأحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وقوله (حين مناص) منجما منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم (منذر منهم) رسول (٣٣) من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا أن يكون النبي من البشر (وقال الكافرون هذا

ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا شيء عجاب) ولم يقل وقالواظهار الغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المهيمون في النفي اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل للجلج وروى ان عمر رضي الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك

القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (في عزة وشقاق) والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا الرزقنا وقيل ان ذلك الحق نخاصم أهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية ان الله تعالى أقسم بصاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني من الامم الخالية (فنادوا) أي استغاثوا وعند نزول العذاب وحلول النعمة (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين قرار وتآخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا وحذركم فلما نزل بهم العذاب بيد رقالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص أي ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعني كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) قوله عز وجل (أجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة لأملا من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا كبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى أبي طالب فأتوا الى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فارسل اليه أبو طالب فدعاه فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألوني قالوا ارفض آلهتنا وندهك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لکم بها الجحيم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطيكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنغروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا شيء عجاب) أي عجب (وانطلق الملا منهم) أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب (أن امشوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبر واعلى آلهتكم) أي اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا شيء يراد) أي لا مريدنا بذلك ان عمر رضي الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم شيء يراد بنا وقيل يراد بماهله الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا

(ما سمعنا

لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي

هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألوني فقالوا ارفضنا وارفض ذكرا آلهتنا وندهك والهك فقال عليه السلام أعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لکم بها الجحيم قالوا نعم وعشرا أي نعطيكمها وعشرا كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا أي أصبر ان هذا شيء عجاب أي بليغ في العجب وقيل العجب ما له مثل والعجاب ما لا مثله (وانطلق الملا منهم أن امشوا) وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان بمعنى أي لان المنطلقين عن مجلس التناول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفادوا فيما جرى لهم فكان انطلقهم متضمنا معنى القول (واصبر واعلى عبادة) (آلهتكم ان هذا) الامر (شيء يراد) أي يريد الله تعالى ويحكم بامضاته فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وأن هذا الامر شيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا تفكاك لنا منه

ماسمعنا بهذا) بالتوحيد (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أو في ملة قر يش التي أدركنا عليها آباءنا (ان هذا) ما هذا (الاختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرفهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم في شك من ذكرى) من القرآن بل لما يذوقوا عذاب بل هم لم يذوقوا عذابا بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أي انهم لا يصدقون به الا ان يسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزانة رحمة ربك العزيز الوهاب) يعني ما هم بمالك خزانة الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا يصرفوها عن شاءوا يتخير والنبوة بعض صناديدهم ويرفعوا بها عن محمد وإنما الذي يملك الرحمة وخزانة العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها ما واقعها الذي الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) حتى يتكاملوا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بهارب العزة والكبرياء ثم نهكم بهم غاية التهمك (٣٣) فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق

والتصرف في قسمة الرحمة

(فليرتقوا في الاسباب)

فليصعدوا في المعارج

والطرق التي يتوصل بها

الى السماء حتى يدبروا امر

العالم وملكوت الله

وينزلوا الوحي الى من

يختارون ثم وعد نبيه عليه

السلام النصر عليهم

بقوله (جند) مبتدأ (ما)

صلة مقوية للنكرة

المبتدأة (هنالك) اشارة

الى بدرو مصارعهم أو الى

حيث وضعوا فيه أنفسهم

من الانتداب لمثل ذلك

القول العظيم من قولهم

لمن ينتدب لامر ليس من

أهله لست هنالك خبر

المبتدأ (مهزوم) مكسور

(من الاحزاب) متعلق

بجند أو مهزوم يريد

(ماسمعنا بهذا) أي بالذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحّدون الله بل يقولون ثلاث ثلاثة وقيل يعنون ملة قر يش وهي دينهم الذي هم عليه (ان هذا الاختلاق) أي كذب وافتعال (أنزل عليه الذكر) أي القرآن (من بيننا) أي يقول أهل مكة ليس هو بأكثرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى (بل هم في شك من ذكرى) أي وحي وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم خزانة رحمة ربك) يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاءوا (العزيز) أي في ملكه (الوهاب) الذي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أي ليس لهم ذلك (فليرتقوا في الاسباب) يعني ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء ليأتوا منها بالوحي الى من يختاروا وقيل أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر نوح وبهجهز (جند ما هنالك) أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك (مهزوم) أي مغلوب (من الاحزاب) يعني ان قر يشا من جلة الاجناد الذين نجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالكذب فقهر واواهل كوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدرو هنالك اشارة الى مصارعهم بيدرو ثم قال عز وجل معز بالنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) قال ابن عباس ذوالبناء المحكم وقيل ذوالملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ذوالجنود والجوع الكثيرة يعني انهم يقولون أمره ويشدون ملكه كما يقوى الوند الشئ وسميت الاجناد اوتاد الكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوند وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مدته مستلقيا بين أربعة اوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب) أي الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركي قر يش حزب من أولئك الاحزاب (ان كل الا كذب الرسل

ما هم الاجند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب (٥ - (خازن) - رابع)

فلان بال بما يقولون ولا تكثرت لما به يهدون (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذوالاوتاد) قيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة اوتاد في يديه ورجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) أراد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم الكذب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام حيث لم يبين الكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفي تكرير التكذيب وايضا بهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق

أشد العقاب وابلغه ثم قال (حق عقاب) أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حتى عقابهم عذابي وعقابي في الحالين يعقوب (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب (الاصيحة واحدة) أي النفخة الأولى وهي الفزع الأكبر (ما لها من فواق) وبالضم جزءة على أي ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلتى الحالب أي إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة حسب لاثني ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا قطننا) حظنا من الجنة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب وأصل القطا القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة (٣٤) الجائزة قطا لأنها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) فيك

ومن نفسك أن نزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذ كر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة البسيرة فلقى من عتاب الله مالتى (ذا الأيد) ذا القوة في الدين وما يدل على أن الأيد القوة في الدين قوله (انه أو اب) أي رجع إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل ولدي لا يدري أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (اناسخرنا) ذلنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد (يسبحن) في معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وعالا

(حق عقاب) يعني أن أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أي ينتظر (هؤلاء) يعني كدار مكة (الاصيحة واحدة ما لها من فواق) أي رجوع والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطننا) أي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجلا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابا والقطا الصحيفة التي حصرت كل شيء قيل لما نزلت في الحاقة فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطننا أي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجواز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) أي على ما يقول الكفار من التكذيب (واذ كر عبدنا داود ذا الأيد) قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة في الملك (انه أو اب) أي رجع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح باغة الحبشة (اناسخرنا الجبال معه يسبحن) أي بتسبيحه إذا سبح (بالعشي والاشراق) أي غدوة وعشية والاشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهي ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي بأسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت أمربهم هذه الآية لأدري ما هي حتى حدثني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فداها بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ إن هذه صلاة الاشراق قلت والذي أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستر به شوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا يا أم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتخفا بشوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ولها عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما حدثنا أحدنا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ فأنها قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيته يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود ﴿قوله تعالى والطير﴾ أي وسخرنا له الطير (محشورة) أي مجموعة إليه تسبح معه (كل له أو اب) أي رجع

بعد حال (بالعشي والاشراق) أي في طرفي النهار والعشي وقت العصر إلى الليل والاشراق إلى وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء وهو وقت الضحى وأما شروقها لمطلوعها تقول شرفت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح جأوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أو اب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أي لأجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عاداته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أي كل من داود والجبال والطير لله أو اب أي مسبح مرجع للتسبيح

(وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق (٣٥) والباطل والفصل هو التمييز بين

الشيئين وقيل للكلام
البيان فصل بمعنى المفضل
كضرب الأمير وفصل
الخطاب البيان من الكلام
الملخص الذي يتبينه من
يخطب به لا يلتبس عليه
وجاز أن يكون الفصل بمعنى
الفصل كالصوم والزور
والمراد بفصل الخطاب
الفصل من الخطاب الذي
يفصل بين الصحيح والفساد
والحق والباطل وهو كلامه
في القضايا والحكومات
وتدبير الملك والمشورات
وعن علي رضي الله عنه هو
الحكم بالبينه على المدعي
واليمين على المدعي عليه
وهو من الفصل بين الحق
والباطل وعن الشعبي هو
قوله أما بعد وهو أول من
قال أما بعد فان من تكلم في
الامر الذي له شأن يفتح
بذكر الله وتحميده فاذا
أراد أن يخرج الى الغرض
المسوق له فصل بينه وبين
ذكر الله بقوله أما بعد
(وهل أتاك نبا الخصم)
ظاهرة الاستفهام ومعناه
الدلالة على أنه من الانبياء
العجيبين والخصم الخصماء
وهو يقع على الواحد
والجمع لانه مصدر في الاصل
تقول خصمه خصما
واتصاب (اذ) بمحذوف

الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد
ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس أن رجلا من
بنى اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبني بقرة فسأله
داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوم احثي أنظر في أمر كما فأوحى الله الى داود في
منامه أن يقتل المدعي عليه فقال هذه رؤيا وليست أعجل عليه حتى أثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل
فأوحى اليه الثالثة أن يقتله وأتته العقوبة فأرسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الى أن أقتلك
فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لا تفذن أمر الله فيك فاما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل حتى
أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والذهبا فقتلته فبذلك أخذت فأمر به داود
فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه
الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعني بيان الكلام وقال ابن
مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر
لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايان وقيل ان فصل
الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من
قاله داود عليه الصلاة والسلام ﴿قوله عز وجل (وهل أتاك) أي وقد أتاك يا محمد (نبا الخصم) أي
خبر الخصم فاستمع له نقصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار العجيبة
والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذ تسوروا المحراب) أي صعدوا
وعلاوا المحراب أي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب
من سوره وهو أعلاه وفي الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام * واختلف العلماء باخبار الانبياء
في سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق
بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها وأما
ما قاله المفسرون فهو ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آتاه ابراهيم واسحق ويعقوب
وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلف فيه لعبادة به عز وجل ويوم
لذائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله
قد ذهب به آباءى الذين كانوا قبلى فأوحى الله اليه أنهم ابتلوا بالايمان بتبليها فبطل بها فصرها وعلوها بتلى ابراهيم عليه
الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف
فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل اليه انك
مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه
وجعل يصلى ويقرأ الزبور فيبينها هو كذلك اذ جاء الشيطان وقد تمثل له في صورة جامدة من ذهب
فيها من كل لون حسن وجناحها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجله فاعجبه حسن ما فديده لياخذها
ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه
من نفسها فامتد اليها لياخذها ففتحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب لياخذها فطارت من
الكوة فنظر داود ابن تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل
رآها تغتسل على سطح لحاف رآها من أجل النساء خلقا فحبب داود من حسن ما وحانت منها التفاتة فابصرت

تقديره وهل أتاك نبا تخاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا وسوره ونزلوا اليه والسور الحائط
المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد

(اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففرع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففرع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب في غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدا محذوف أي نحن خصمان (بني بعضنا على بعض) تعدي وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وارشدنا الى وسط (٣٦) الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان اهل زمان داود عليه السلام

كان يسأل بعضهم بعضا ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبه وكان لهم عادة في المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتنحت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلتة ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكي انه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفعاء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وقال على رضي الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصص جلدته مائة وستين

ظله فنفضت شعرها فغطى بدنهما فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقبل هي تشابع بنت تشايح امرأة أوريا ابن حنانيا وزوجها في غزاة بالبقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعت أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعته الى عدوك كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعته الى عدوك كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه قال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله عز وجل لم يرز داود ذلك لانه رغبة في الدنيا وازدياد من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر أجزاء يوم للنساء ويوم للعبادة ويوم للمحكمة بين بني اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويكبهم ويكبونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا اهل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الابواب وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت حامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام مازال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال خبروني بآي شيء أتمموا كونه قالوا انك كتب صالح أعمالك ونوافقتك ونصرفت عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري كيف أكون لو خلوني ونفسي وتمني ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله تعالى الى الملكين أن يعتزلاه ليعلم أنه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جدا اجتهد في العبادة الى أن ظن أنه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبني اسرائيل لا عدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته فطلبان يدخلا عليه فنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فاشعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلي يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسورا المحراب (اذ دخلوا على داود ففرع منهم) أي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال لهما من أذكما علي (قالوا لا تخف خصمان) أي نحن خصمان (بني بعضنا على بعض) أي تعدي وخرج عن الحد جئتكم لتقضي بيننا فان قلت اذا جعلنا ملكين فكيف يتصور البغي منهما والملائكة لا يبغين بعضهم على بعض قلت هذا من معاريف الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بني أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر في حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) أي أرشدنا الى طريق الحق والصواب فقال

الانبياء وقال على رضي الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستر على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر اسماعي هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضرب به الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها حسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل

أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمسكاً من قلبه وأعظم أثر فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة (إن هذا أخى) هو بدل من هذا وأخبر لأن والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والالفة أو أخوة الشركة والخطاة لقوله وإن كثيراً من الخطاة (له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة) ولى حفص والنجمة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويراً للمسئلة وفرضاً لا يمتنع أن يفرض الملائكة في أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون نخطناها وما لك من الأربعين الأربعة ولا ربها (فقال أ كفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ماتحت يدي وعن ابن عباس رضى الله عنهما (٣٧) اجعلها كفى لى أى نصيبى (وعزنى) وغلبني

يقال عزه ويعزه (فى الخطاب) فى الخصومة أى أنه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطمها هو نخطبني خطاباً أى غالبني فى الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني ووجه التمثيل أن مثلت قصة أور يامع داود بقصة رجل له نجمة واحدة وخطيطة تسع وتسعون فأراد صاحبه تمة المائة فطمع فى نجمة خطيطة وأراد على الخروج من ملكها إليه وحاجه فى ذلك محاجة حر يص على بلوغ مراده وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نجمتك إلى تعاجه) حتى يكون محجوجاً بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خطيطة والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول وقد ضمن معنى الإضافة فعدي تعديتها كانه قيل بإضافة نجمتك إلى

لما داود تسكاً ما فقال أحدهما (إن هذا أخى) أى على ديني وطريقتي لأن جهة النسب (له تسع وتسعون نجمة) يعنى امرأة (ولى نجمة واحدة) أى امرأة واحدة والعرب تسمى بالنجمة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك تعاج ولا بغى (فقال أ كفلنيها) قال ابن عباس أى أعطينها أو قيل معناه أنزل لى عنها وضمها إلى واجعلني كفلها والمعنى طلقها لا تزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبني وقهرني فى القول لأنه أفصح منى فى الكلام وإن حارب كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى إن الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وإن كان الحق معى وهذا كانه تمثيل لامر داود مع أور يامع المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأور يامع امرأة واحدة فضمها داود إلى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نجمتك إلى تعاجه) أى بضمها إلى تعاجه فإن قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك وقيل إنما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وإن كثيراً من الخطاة) أى الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) أى يظلم بعضهم بعضاً (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم لا يظلمون أحداً (وقليل ما هم) أى هم قليل وما صلة والمعنى إن الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وضعك وصعد إلى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أى أيقن وعلم (أنما فتناه) أى ابتليناه وامتنحناه وقال ابن عباس إن داود لما دخل عليه الملك ف قضى على نفسه تحولا فى صورتها وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود أنه إنما عنى به وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن أنس ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر إلى المرأة فهم ففطع على بنى إسرائيل أوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فاقرب فلان بين يدي التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملك بقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فكثرت أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكات الأرض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة بعدما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً فى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله تعالى قد غفر لك اللهم الذى هممت به فقال داود إن الرب قادر على أن يغفر لى اللهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال رب دى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم فخرج جبريل وسجد داود لما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود إن الله تعالى يحكمكم اليوم القيامة فيقول له بلى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فإن لك فى الجنة ما شئت وما شئت عو ضاعن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود

تعاجه على وجه السؤال والطلب وإنما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لأنه معلوم و يروى أنه قال أنا أرى يدان أخذها منه وأكمل تعاجي مائة فقال داود إن رمت ذلك ضرر بئامنك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحداً فاعرف ما وقع فيه (وإن كثيراً من الخطاة) الشركاء والأصحاب (ليبغى بعضهم على بعض) الذين آمنوا وعملوا الصالحات المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ما هم) مالا لبهم وهم مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) أى علم وأيقن وإنما استعير له لأن الظن الغالب يدانى العلم (أنما فتناه) ابتليناه

﴿فصل﴾ في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالاته وشرفه على كثير من خلقه وأثمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضي عياض لا يجوز أن يلتفت الى ماسطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود وظن داود انما افتناه وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود قال الامام غفر الدين حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى أثني على داود قبل هذه القصة وبعد ها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولوجي ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء واثقوا أنت في مدح شخص كيف تجري ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزعه عن مثل هذا في كلامه القديم فان قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما افتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الالفاظ شيء مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاصناف وأسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفر لهم كما قيل حسنات الابراشيات المقر بين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فامعنى الامتحان في الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة والسلام ما زاد على ان قال للرجل أنزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونهيه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود غنى أن تكون امرأة أوريا له فاتفق أن أوريا هلك في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاه خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخطابها وعنده تسع وتسعون امرأة وبذل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثاني اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصبين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (فاستغفر ربه) أي سأل ربه الغفران (وخرا كها) أي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

(فاستغفر ربه) لزلته
(وخرا كها) أي سقط
على وجهه ساجدا لله وفيه
دليل على ان الركوع يقوم
مقام السجود في الصلاة
اذا نوى لان المراد بمجرد
ما يصلح تواضعا عند هذه
التلاوة والركوع في الصلاة
يعمل هذا العمل بخلاف
الركوع في غير الصلاة

﴿فصل﴾ اختلف العلماء في سجدة هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي رحمه الله تعالى الى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هي من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة وعن أحمد في

سجدة ص رويتان وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن
عباس أسجد في ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فيه دأهم اقتده فقال نبيكم ممن أمر أن يقتدى
بهم فسجد داود فسجد هار رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنساء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه
وسلم سجد في ص وقال سجدة داود توبة فمسجد هاشكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما
كان في يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي
توبة نبي ولكني رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعني تهيؤوا
وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
رأيتني الليلة وأنا نائم كافي أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم
اكتب لي بها أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه
الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ص فسجد فقال مثل ما أخبره
الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا الحاجة أو
لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول
رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يتلى
الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خليت بيني وبين
عدوى ابليس فلم أقم لغفنته اذ نزلت بي سبحان خالق النور الهى أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا اليه
صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء سبحان خالق
النور الهى باى عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهى باى
قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم نزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة
الا من عند سيده سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور
الهى أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب
العظيم الذى اصابه سبحان خالق النور الهى كيف نستتر الخطاؤون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث
كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلايتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور الهى اغفر لى ذنوبى
ولا تباعدنى من رحمتك هوانى سبحان خالق النور الهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أو بقتنى
سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتي فلا تجعلنى من القانطين ولا تحزننى يوم الدين
سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى
رأسه فنودي يا داود أجايع أنت فتطمع أظما أن أنت فتسقى أم ظلوم أنت فتنصر فاجيب فى غير ما طاب ولم
يجب فى ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له
التوبة والمغفرة قال وهب ان داود أتاه نداء انى قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب
الى قبر أور يافاده وأنا سمعته نداءك فتدخل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم
نادى يا أور يافقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يا بنى الله قال أسألك أن
تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال بل عرضتني للجنة فانت
فى حل فادحى الله تعالى اليه يا داود ألم تعلم أنى حكم عدل لا أقضى بالتعنت ألا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته
قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يا بنى الله أليس

قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لما كان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعا
مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل
لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على
وجهه مع الخاطئين الى النار سببحان خالق النور فاناه نداء من السماء ياد داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت
بكاءك واستجبت دعائك واقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عني قال ياد داود اعطيه يوم القيامة
من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه فاقول له رضيت عبدى فيقول يارب من أين لى هذا ولم يبلغه عملى
فاقول هذا عوض من عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى قال يارب الآن قد عرفت انك غفرت لى فذلك
قوله فاستغفر ربه وخزرا كعا (وأنا ب) أى رجع (فغفرنا له ذلك) أى الذنب (وان له عندنا) أى يوم القيامة
بعد المغفرة (لزافى) أى لقربة ومكانة (وحسن ما ب) أى حسن مرجع ومنقاب قال وهب بن منبه ان
داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمه ليلا ولا نهارا وكان أصاب
الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بنى اسرائيل ويوم
لنساءه ويوم يسبح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه
الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع
صوته بالازامير فيبكي ويبكى الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجىء
الى الجبال ويرفع صوته ويبكى ويبكى معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم
يجىء الى الساحل فيرفع صوته ويبكى فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان
يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار
التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجىء اربعة آلاف
راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته
بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تفرق الفرش من دموعه ويقع
داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها
وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عاد لك بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الازاعي مرفوعا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في
وجهه فكف يد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى أن لا أنسى
خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فزارفع فيها طعاما
ولا شربا بالابكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته
وكان يبدأ اذا دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد
الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالى الى داود الخاطيء ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان
يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد
فياكل ويقول هذا كل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل
ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر
عقاب الله انخلت أو صاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رجاء الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت
تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصنى الى قراءته وقيل انها قالت ياد داود ذهبت خطيئتك بحلاوة
صوتك **﴿** قوله عز وجل **﴿** ياد داود انا جعلناك خليفة في الارض **﴾** أى لتدبر أمر الناس بأمرنا فذا الحكم
فيهم **﴿** فاحكم بين الناس بالحق **﴾** أى بالعدل **﴿** ولا تتبع الهوى **﴾** أى لا تمل مع ما تشتهى اذا خالف أمر الله تعالى

(وأنا ب) ورجع الى الله
بالتوبة وقيل انه بقى ساجدا
أربعين يوما وليلة لا يرفع
رأسه الا لصلاة مكتوبة
أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمه
حتى نبت العشب من دمه
ولم يشرب ماء الا ولثاء
دمع (فغفرنا له ذلك) أى
زلته (وان له عندنا) أى
لقربي (وحسن ما ب)
مرجع وهو الجنة (ياد داود
انا جعلناك خليفة في
الارض) أى استخلفناك
على الملك في الارض
أوجعلناك خليفة ممن
كان قبلك من الانبياء
القائمين بالحق وفيه دليل
على ان حاله بعد التوبة
بقيت على ما كانت عليه
لم تتغير (فاحكم بين الناس
بالحق) أى بحكم الله ان
كنت خليفة أو بالعدل
(ولا تتبع الهوى) أى
هوى النفس في قضائك

(فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بنسيانهم يوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللاعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا ودعناها العقل ومنحنها التمكن وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتحكيم وأعدنا لها عاقبة جزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وإنما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما بالقوله وأن سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خالقها لعبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيق الى الحكمة فى خلق العالم فمن بحمد فقد بحمد الحكمة فى خلق (العالم) فويل للذين كفروا

(٤١)

من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وخبر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكما (كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعنى القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبروا آياته ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن فقرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه

(فيضلك عن سبيل الله) أى عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقناهما عبثا لا لشيء (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شيء وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما نعطي فى الآخرة من الخير ما تعطون فى دنياكم هذه الآية (أم نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفرق بين سواهم فى الآخرة (كتاب أنزلناه اليك) أى هذا كتاب يعنى القرآن أنزلناه اليك (مبارك) أى كثير خيره ونفسه (ليدبروا آياته) أى ليتدبروا ويتفكروا فى أسرار العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى أوامره ونواهيه (وليتدبروا) أى وليتدبروا (أولوا الالباب) أى ذوو العقول والبصائر قوله تعالى (وهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب) اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فاقبل فضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقر بالى الله تعالى وطلبها لمرضاة حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها تسعة فرس فالذى فى أيدي الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى أبدله الله تعالى خيرا منها وأسرع وهى الرمح تجرى بأمره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قيل هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائمة وجاء فى الحديث من سره أن يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من

(٦ - (خازن) - رابع) وضيعة واحد رده لتدبروا على الخطاب بحذف إحدى التاءين يز يد (وليتدبروا) أولوا الالباب) وليتدبروا بالقرآن أولوا العقول (وهبنا لداود سليمان نعم العبد) أى سليمان وقيل داود وإس بالوجه فالخصوص بالمدح محذوف (انه أواب) وعلل كونه بمدحها بكونه أوابا أى كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون فى الهجان وإنما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين وافقة وحارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعاً خفافا فى جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروى ان سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعديوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرسا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقر بالله فبقي مائة فى أيدي الناس من الجياد فنسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الرمح تجرى باسمه

بمعنى أثرت كقوله تعالى
 فاستحبوا العمى على
 الهدى وعن بمعنى على
 وسمى الخيل خيرا لأنها
 نفس الخير لتعلق الخير
 بها كما قال عليه السلام
 الخيل معقود بنواصبها
 الخير إلى يوم القيامة وقال
 أبو علي أحببت بمعنى جلست
 من احباب البعير وهو بروكه
 حب الخير أي المال مفعول
 له مضاف إلى المفعول
 (حتى توارت) الشمس
 (بالحجاب) والذي دل على
 ان الضمير للشمس مرور
 ذكر العشي ولا بد للضمير
 من جرى ذكر أو دليل
 ذكر أو الضمير للشافات
 أي حتى توارت بحجاب
 الليل يعني الظلام (ردوها
 على) أي قال للملائكة ردوا
 الشمس على لاصلي العصر
 فردت الشمس له وصلي
 العصر أو ردوا الصافات
 (فطلق مسحا بالسوق
 والاعناق) فجعل مسح
 مسحا أي مسح السيف
 بسوقها وهي جمع ساق
 كدارودور وأعناقها يعني
 يقطعها لأنها منعتة عن الصلاة
 تقول مسح علاوته اذا
 ضرب عنقه ومسح المسفر
 الكتاب اذا قطع أطرافه
 بسيفه وقيل انما فعل ذلك
 كفارة لها أو شكر الرد
 الشمس وكانت الخيل

النار أي قياما الجياد أي الخيل السراع في الجري واحد جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال
 اني احببت حب الخير) أي أثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لأنه معقود في نواصبها الخير
 الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه (عن ذكر ربي) يعني صلاة
 العصر (حتى توارت) أي استترت الشمس (بالحجاب) أي ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل
 دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورأه (ردوها على) أي ردوا الخيل على (فطلق مسحا بالسوق)
 جمع ساق (والاعناق) أي جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثرا المفسرين
 وكان ذلك مباحا له لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدّم على محرم ولم يكن ليمتنع عن ذنب وهو ترك الصلاة
 بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على
 ما فاته من فريضة به عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله تعالى
 وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة وحكى عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بأمر الله
 تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام غفر الدين بل
 التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في
 ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو وفسل وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكروا
 أني لأحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر
 ربي ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل
 اليه وهو قوله ردوها على فلم أعادت اليه طفق بمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول
 تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه أراد أن يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة
 يبلغ الى الله مباشرة الأمور بنفسه الثالث انه كان أعلم باحوال الخيل وأمر اضها وغيوبها من غيره فكان
 بمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ
 القرآن ولا يلزم من شيء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة
 فان قيل فالجهل وقد فسروا الآية بتلك الوجوه فاقولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان الاول أن يدعى
 ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا
 لا برتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل
 الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولقد فتنا
 سليمان) أي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان
 بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في
 البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج
 الى تلك المدينة فحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبي ما فيها
 وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجالا فاصطفاه لنفسه ودعاها الى
 الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلعة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيأ من نساءه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب
 خزنها ولا يبرقأدمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي
 لا يبرقأ قالت اني أذكر أبي وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه في حزنني ذلك فقال سليمان فقد أبدلك
 الله به ملكا هو أعظم من ملكه وساطانا أعظم من سلطانك وهذا الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان
 ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما تراه من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا الى صورته في
 داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسلي عني بعض ما أجدي نفسي فامر

سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فتأكلوه لها حتى نظرت الى أبيها
 بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فلبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج
 سليمان من دارها تغدو اليه في ولائها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع في ملكه وتروح في كل
 عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أر بعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقه وكان
 لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل حاضر سليمان أو غائبا فأنابه فقال يا بني
 الله كبرسني ورق عظمي ونفذ عمري وقد حان مني الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكرك فيه
 من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجوهلون من كثير أمرهم
 فقال أفعلم بجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل
 نبي بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان أحكمك في صغرك وأورعك
 في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى في صغرك ثم
 انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملئ غصبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت
 من مضى من أنبياء الله تعالى فأنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكررتني
 جعلت تثنى على خيرا في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فإلذي أحدثت في آخر عمري
 فقال آصف ان غير الله يعبد في دارك منذ أر بعين صباحا في هي امرأة فقال سليمان في داري قال في دارك
 قال فإنا لله وأما اليه راجعون قد عرفت أنك ما قلت الذي قلت إلا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره
 فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة ولائها ثم أمر بذياب الظهيرة فأتى بها وهي ثياب لا يغزها الا البكار
 ولا ينسجها الا البكار ولا يغسلها الا البكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض
 وحده وأمر برماذ ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماذ وتعمك به في ثيابه تذلل الى
 الله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره
 وكانت له أم ولديقال لها أمينة كان اذا دخل الخلاء أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى
 يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبها فإناها شيطان
 اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمي أمينة فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى
 جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى أمينة وقد تغيرت
 حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء
 سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على
 الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحتمون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا
 المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمدا الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق
 ويعطونه كل يوم سمكة من فاذا أمسى باع احدي سمكته بارغفة ويشوي الاخرى فيأكلها فكث على ذلك
 أر بعين صباحا عدا ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل أنكر واحكم عدو الله
 الشيطان في تلك المدة فقال آصف يامعشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم
 فقال امهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن من خاصة أمره ما أنكرنا في عامة الناس وعلايتهم
 فدخل على نسائه فقال ويحك هل أنكرن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشد ما يدع امرأة منا في دمه ولا
 يغتسل من الجنابة فقال أنا لله وأنا لله راجعون قال الحسن ما كان لله سبحانه وتعالى ليلسط الشيطان على
 نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أشد مما في العامة
 فلما مضى أر بعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض

الفتنة عشر بن سنة وكان
من فتنه أنه ولد له ابن
فقال الشياطين ان عاش
لم تنفك من السخرة
فسبيلنا ان نقتله أو نجبله
فعلم ذلك سليمان عليه السلام
فكان يغذوه في السحابة
خوفا من مضرة الشياطين
فالقي ولده ميتا على كرسيه
فتنبه على زلته في ان لم
يتوكل فيه على ربه وروى
عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال سليمان لا طوفن
الليلة على سبعين امرأة
كل واحدة منهن تأتي
بفارس يجاهد في سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله فطاف
عليهن فلم تحمل الا امرأة
واحدة جاءت بشق رجل
فجاء به على كرسيه فوضع
في حجره فوالذي نفس محمد
بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله فرسانا
أجمعون وأما ما يروى من
حديث الخاتم والشیطان
وعبادة الوثن في بيت سليمان
عليه السلام فمن أباطيل
اليهود (قال رب اغفر لي
وهب لي ملكا) قدم
الاستغفار على استيهاب
الملك جريا على عادة الانبياء
عليهم السلام في تقديم
الاستغفار على السؤال
(لا ينبغي) لا يتسهل ولا
يكون (لاحد من بعدى)

الصيدان وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احدهما بارغفة و بقر بطن
الآخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن
وأقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من
ذنبه وأمر الشياطين ان يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى
ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فدفنوه في البحر وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام
أن جرادة كانت أبر نساءه عنده وكان يأتئنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخى بينه وبين فلان خصومة فاحب
ان نقضى له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله نعم وذكر وانحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم
من يده فاعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم
لا يماسك في يدك فصر الى الله تائبا فأتى أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان
الى الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فاقام آصف في ملك سليمان بسيرته أربعة
عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم
في يده فثبت فهو الجسد الذي ألقى على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس
ثلاثة أيام فوحي الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر
نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان آية قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله
الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب
فتنته ما أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سليمان لا طوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه
قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وإيم
الله الذي نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وفي رواية لا طوفن بمائة امرأة
فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسيه وهي عقوبته
ومحنته لانه لم يستثن لما استغفره من الحرص وغلب عليه من التمتي وقيل نسي ان يستثنى كما صح في الحديث
لينفذ أمر الله وممراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي ألقى على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين
وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم تنفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده أو نجبله فعلم بذلك سليمان فامر
السحاب فحملوه فكان يرثيه في السحاب خوفا من الشياطين فينما هو مشغول في بعض مهماته اذ ألقى ذلك
الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه
وذلك قوله عز وجل (والقينا على كرسيه جسد اثم اناب) أي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل اناب
الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لي) أي سأله ربه المغفرة (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى) أي
لا يكون لاحد من بعدى وقيل لا تسلبني في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري (انك
أنت الوهاب) فان قلت قول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل
ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسا بها ولكن كان قصده في ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا
على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على
رسالته ودالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا
ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالالة الحديد وعيسى باحياء الموتى وإبراهيم بالبرص

فسخرنا له الريح) الريح أبو جعفر (تجري) حال من الريح (بامر) بامر سليمان (رخاء) لينية طيبة لا تزعزع وهو حال من صمير تجري (حيث) ظرف تجري (أصاب) قصد وأراد والعرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أي سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الابنية (وغواص) أي ويغوصون له في البحر لخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل في حكم البديل (مقرنين في الاصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنع عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامتن) فاعط منه ما شئت من المنة وهي العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان إذا أعطى أجر وان منع لم يأنم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أي هذا عطاؤنا جاك كثير لا يكاد (٤٥) يقدر على حصره أو هذا التسخير

عطاؤنا فامتن عـ على من شئت من الشياطين بالاطلاق أو أمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (وان له عندنا لزي وحسن ما تب) لزي اسم ان والخبر له والعامل في عند الخبر (واذ كر عبدنا أيوب) هو بدل من عبدنا وعطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أني مسني) باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولم يحك لقال بانه مسه لانه غائب (الشیطان بنصب) قراءة العامة بنصب يز يد تشقيل نصب ينصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل

فسأل شيئاً يختص به كما روى في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتاً من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظر واليه كلم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدى فرددته خاسئاً ﴿قوله تعالى﴾ (فسخرنا له الريح تجري بامر رخصاء) أي لينية ليست بعاصفة (حيث أصاب) أي حيث أراد (والشياطين) أي وسخرنا له الشياطين (كل بناء) أي يبنون له ما يشاء (وغواص) يعني يستخرجون له اللؤلؤ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) أي وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين في الاصفاد) أي مشدودين في القيود سخرنا له حتى قرنهم في الاصفاد (هذا عطاؤنا) أي قلنا له هذا عطاؤنا (فامتن) أي أحسن الى من شئت (أو أمسك) أي عمن شئت (بغير حساب) أي لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة لا عليه تبعه الاسمايان فانه ان أعطى أجروا ان لم يعط لم تكن عليه تبعه وقيل هذا في أمر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامتن على من شئت منهم فخل عنه أو أمسك أي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعه عايك فيما تعطاه (وان له عندنا لزي وحسن ما تب) لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه في الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه في الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ (واذ كر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب) أي بمشقة (وعذاب) أي ضر وذل في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب (اركض) يعني أنه لما انقضت مدة ابتلاءه قيل له اركض أي اضرب (برجلك) يعني الارض ففعل فنبعث عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهرة ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعث عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه وذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أي انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على الزوم (وذكرى لاولى الالباب) يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر

المصدر هيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراة والجزع فالتجأ الى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه وردة بالصبر الجليل وروى أنه كان يعود ثلاثه من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان أن الله لا يبتلى الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه أنه ذبح شاة فاكلها وجاره جائع أو رأى منكراً فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلالة سبقت منه (أركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الارض وهي أرض الجابية فضر بها فنبعث عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي هذا ما تغتسل به وتغرب منه فيبرأ باطنك وظاهره وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى (وهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى باعيانهم وزاد مثلهم (رحمة منا) ذكرى لاولى الالباب) مفعول لهما أي الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه من الصبر رغبتهم في الصبر على البلاء

(وخذ) معطوف على أركض (بيدك ضعفا) خزمة صـ غير من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحث) وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ لخل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها الحسن خدمتها إياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة والسبب في يمينه أنها بطأت عليه ذاهبة في حاجة فخرج صدره وقيل باعت ذؤابتها برغيغين وكانت متعلقاً بأوب عليه السلام إذا قام (أنا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكنا إلى الله ما به واسترجعنا لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزاء فقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بني وخزني إلى الله على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وإرادة لقوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان (نعم العبد) أيوب (أنا وأبواذ كرعادنا) عبدنا مكي (إبراهيم واسحق ويعقوب) فمن جمع فإبراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فإبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكترا لأعمال تبشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت (٤٦) أيديهم وإن كان عملا لا تأتي فيه المباشرة بالأيدي أو كان العمال جذماء لا أيدي لهم

وعلى هذا ورد قوله (أولى الأيدي والأبصار) أي أولى الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات في حكم الزماني الذين لا يقدر على أعمال جوارحهم والمسألون العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتو بيبخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (أنا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخالصة خاصة

فهو موءة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضعفا) أي ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان (فاضرب به ولا تحث) وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتناه في ضربها وسهل له الأمر وأمره بأن يأخذ ضعفا يشتمل على مائة عود صغير فيضرب بها به ضربة واحدة ففعل ولم يحث في يمينه وهذا لا يوجب خاصة أم لا فيه قولان أحدهما أنه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والثاني أنه خاص بإيوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعي إذا ضرب به ضربة واحدة فصابه كل سوط على حدة فقدير واحتجوا بعموم هذه الآية (أنا وجدناه صابرا) أي على البلاء الذي ابتليناه به (نعم العبد أنا وأب) قوله تعالى (واذ كرعادنا إبراهيم واسحق ويعقوب) أي إذ كرعبرهم فإبراهيم ألقى في النار فصبر واسحق أعجم للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلى بفتنة ولده وذهب بصبره فصبر (أولى الأيدي) قال ابن عباس أولى القوة في طاعة الله تعالى (والأبصار) أي في المعرفة لله تعالى وقيل المراد باليد أكترا الأعمال وبالبصر أقوى الإدراكات فعبّر بهما عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر وللإنسان قوتان عالمة وعاملية وأشرف ما يصدر عن القوة العالمة معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوة العاملة طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالأيدي والأبصار (أنا أخلصناهم) أي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة (وانهم عندنا من المصطفين الأخيار) يعني لمن الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الأدناس والأكدار (واذ كراسمعيل واليسع وذا الكفل) أي إذ كرههم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الأخيار) قوله عز وجل (هذا الذي يتلى عليكم

لاشوب فيها) (ذكرى الدار) ذكرى في محل النصب أو الرفع باضمار أعني أوهى أو أجز على البدل ذكر من خاصة والمعنى أنا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعني جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم بذكرى الناس الدار الآخرة ويزهونهم في الدنيا كما هو دين الأنبياء عليهم السلام أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكرى الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الإضافة مدني ونافع وهي من إضافة الشيء إلى ما يبينه لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى مصدر مضاف إلى المفعول أي بإخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهي مضافة إلى الفاعل أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم أحراهمهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شيء قد أخلصهم به فليس بذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلناهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا من المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الأخيار) جمع خيرا وخير على التخفيف كما موات في جمع ميت أو ميت (واذ كراسمعيل واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل) التنوين عوض عن المضاف إليه أي وكلهم (من الأخيار هذا ذكر

وان للمتقين لحسن مآب) أى هذا شرف وذ كرجيل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل و يرجعون فى الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها فى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الابواب منها حذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى أى لهم أبوابها الا ان الاول أجود وأهى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بكهة كثيرة وشراب) أى وشراب كثير حذف ا كتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) أى قصرن طرفهن على أزواجهن (أتراب) لدات أسنانهم كاسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت كان اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد (هذا ما توعدون) وبالياء مكى وأبو عمرو (ليوم الحساب) أى ليوم نحزى كل نفس بما عملت (ان هذا الرزقنا ماله من نفاذ) من انقطاع والجملة جال من الرزق والعامل الاشارة (هذا) خبر والمبتدأ محذوف أى الامر هذا (٤٧) أو هذا كما ذكر (وان للطاغين

لشر ماآب) مرجع (جهنم) بدل منه (يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفرشه النائم (هذا) فليذوقوه حيم وغساق (أى هذا حيم وغساق) فليذوقوه فهذا مبتدأ وحيم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتداء فعلا هو حيم وغساق بالتشديد جزء وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دفعها وقيل الحيم يحرق بحره والغساق

ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها يبدل بالامر يقال لها انفتح حتى انغلق (متكئين فيها يدعون فيها بكهة كثيرة وشراب) وعندهم قاصرات الطرف (أتراب) أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعده المتقون (ان هذا الرزقنا ماله من نفاذ) أى دائم ماله من نفاذ وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه قوله تعالى (هذا) أى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين) يعنى الكافرين (لشر ماآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى الفراش (هذا فليذوقوه حيم وغساق) معناه هذا حيم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم بيرده كما تحرقهم النار بحر ها وقيل هو ما سيل من القبح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنين والمعنى هذا حيم وغساق فليذوقوه (وأخر من شكاه) أى مثل الحيم والغساق (أزواج) أى أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتموها ثم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لامر حبابهم) أى الاتباع (انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) أى قال الاتباع للقادة (بل أتم لامر حبابكم) أى لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مر حبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أتم قدمتموه لنا) يعنى ونقول الاتباع للقادة أتم بدم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا)

يحرق بيرده (وأخر) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكاه) من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى أى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضربا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والافتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لامر حبابهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعوه مر حبا أى أتيت رحبا من البلاد لاضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لافى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولامر حبابهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أتم لامر حبابكم) أى الدعاء الذى دعوتهم به علينا أتم أحق به وعللوا ذلك بقوله (أتم قدمتموه لنا) والضمير لهذاب ولصلبهم أى انكم دعوتونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا)

فزده عذاباً ضعفاً (أي مضاعفاً) (في النار) ومعناه أضعف ونحوه قوله بناهؤلاء أضلونا فأتتهم عذاباً ضعفاً وهو أن يزيد على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالنا لا نرى رجالاً) يعنون فقراء المسلمين (كننا نعدهم) في الدنيا (من الاشرار) من الارذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخرى) بلفظ الاخبار عراقي غير عاصم على انه صفة لرجالاً مثل كننا نعدهم من الاشرار وبهمرة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم في الاستسخرار منهم سخر يامدني وحجرة وعلى وخلف والمفضل (أم زأغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أي مالنا لا نراهم في (٤٨) النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم

أي شرعه وسنه لنا (فزده عذاباً ضعفاً في النار) أي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن عباس حيات وأفاعي (وقالوا) يعني كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم في النار (مالنا لا نرى رجالاً) كننا نعدهم (أي في الدنيا) (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وأنما سموهم أشراراً لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخرى) أم زأغت عنهم الابصار) يعني ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرى يالم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزأغت عنهم الابصار أي أبصارنا فلم نراهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم في النار ولكن احجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا اخيراً منا ونحن لانعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً (ان ذلك) أي الذي ذكر (الحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أي في النار وأنما سماه تخاصماً لان قول القادة لا اتباع لامر حبابهم وقول الاتباع للقادة بل أتم لامر حبابكم من باب الخصومة قوله عز وجل (قل) أي يا محمد لم شركتي مكة (انما أنا منذر) أي مخوف (وما من اله الا الله الواحد) يعني الذي لا شريك له في ملكه (القهار) أي الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه رباً يشعر بالترية والاحسان والكرم والجود وكونه غفاراً يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة (أنتم عنه معرضون) أي لا تنفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وان حاجت به لم أعلمه الا بوحى من الله تعالى (ما كان لى من علم بالملاء الاعلى) يعني الملائكة (اذ يختصمون) يعني في شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن قلت لاشك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى الى) أي انما عامت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى (الا انما أنا نذير مبين) يعني الا انما أنا نذير مبين أنذركم وأبين لكم ما تاتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا نذير ربى في أحسن صورة قال أحسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين يدي وأقال في نحرى فعلمت ما في السموات وما في الارض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس

بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم (ان ذلك) الذي حكينا عنهم (الحق) لصدق كائن لا محالة لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاؤهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصماً ولان قول الرؤساء لامر حبابهم وقول اتباعهم بل أتم لامر حبابكم من باب الخصومة فسمى التقاؤل كله تخاصماً لاشتماله على ذلك (قل) يا محمد لم شركتي مكة (انما أنا منذر) ما أنا الا رسول منذراً نذركم عذاب الله تعالى (وما من اله الا الله) وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا اله الا الله (الواحد) بل لا شريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما

ينهما)

له الملك والربوبية في العالم كله (العزيز) الذي لا يغلب اذا عاقب

(الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أي هذا الذي أنبأتكم به من كونى رسولاً منذراً وان الله واحد لا شريك له (نبأ عظيم) لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون (ما كان لى) حفص (من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون) احتج اصحة نبوته بان ما ينبي به عن الملاء الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله تعالى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أي لا انما

نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

﴿فصل في الكلام على معنى هذا الحديث﴾ وللعلماء في هذا الحديث وفي أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان * أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل والایمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * المذهب الثاني هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث تتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خاف العمي عن يحيى عن زيد عن جده مطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أبو أيوب عن قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال في المنام ورواه قتادة عن أني قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد إلا أنهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من طرق كلها ضعاف وفي ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على أن ذلك كان في المنام فاماناً وأوله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون الباري تبارك وتعالى مصوراً ولا أن يكون له صورة لان الصورة مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز إضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصوراً وهو الخالق الباري المصور فقوله أنا في ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين * أحدهما وأنا في أحسن صورة كانه زاده جلالاً وكمالاً وحسناً عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته له وإنما التغيير وقع بعد ذلك لشدة الوحي وثقله * الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه في أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالأكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جليل ومعناه انه مجل في أفعاله وذلك نوع من الاحسان والأكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضاً يرجع الى صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا ينتهي ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفاً ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤيته به عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يديه بين كتفي وجدت بردها بين ثديي فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برده النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالى اياه وانما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دال على البشارة والخير والرحمة للرأي وسبب اختصاص الملا الأعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وانما سماها مخاصمة لانه ورد مورد

أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى الى اللائحة نذارة خذف اللام واتصّب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الى الالهة وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أؤمر الالهة الامر وحده وليس لي غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية أي الا هذا القول وهو ان أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئاً آخر وقيل النبا العظيم قصص آدم والانبياء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضي الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملا الأعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابلis لانهم كانوا في السماء وكان التقاؤل بينهم واذ يتختمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الأعلى وقت اختصاصهم

(اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة انى خالق بشر من طين) وقال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا انجعل فيهم من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا اتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحي) الذى خلقته وأضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحبيته وجعلته حساسا متفهما (فقعوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له) ساجدين (قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فافاد انهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات) (الابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباء الامر (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدي) أى بلا واسطة امتثالا لامرى واعظا لما لخطابى وقد مر ان ذا اليمين يباشراً كثيراً عمله بيده فغلب العمل باليدى على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو (٥٠) ما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين الله يداك او كتافوك نفخ وحنى لم يبق فرق

سؤال وجواب وذلك يشبهه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم قوله عز وجل (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشر من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) أى اتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) أضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سرى ان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) أى تعظم (وكان من الكافرين) قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى توليت خلقه (استكبرت) أى تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنتم من العالين) أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجده فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه واخطأ ابليس فى القياس لان مال النار الى الرماد الذى لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسب لكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) أى مطرود (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجئ يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه (قال رب فأناظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الاولى (قال فبعزتك لا غوينهم أجمعين الاعبادك منهم

بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدي (استكبرت) استفهام انكار (أم كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات

أو من الخلقة التى أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا المخلصين وأظلم بعدما كان نورانيا (فانك رجيم) مرجوم أى مطرود تكبرا بليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتى) بفتح الياء مدنى أى ابعادى من كل الخير (الى يوم الدين) أى يوم الجزاء ولا يظن ان لعنته غايته يوم الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد ولما كان عليه اللعنة فى أو ان الرحمة فاولى أن تكون عليه فى غير أو انها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأناظرنى) فامهلنى (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الذى تقع فيه النفخة الاولى ويوم يوم الذى هو وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لا غوينهم أجمعين) أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (الاعبادك منهم

المخلصين) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى (قال فالحق) بالرفع كوفى غير على على الابتداء أى الحق منى أو على الخبر أى أنا الحق وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقوله الله لا فعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فاتصّب وجوابه لا ملأ ن (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق ما اسمه عز وجل الذى فى قوله ان الله هو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لا ملأ ن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (ومن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أى لا ملأ ن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا ترك منهم أحدا (قل ما أسئلكم عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحى (وما أنا من المتكافين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهلهم وما عرفتمونى قط متصنعوا ولا مدعياء بما ليس عندى حتى اتحل النبوة واتقول القرآن (ان هو) ما القرآن (الاذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحى الى (٥١) فانا بلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكاف

الله عليه وسلم للمتكاف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن نبأه) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بعد حين) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب) أى

القرآن مبتدأ خبره (من

الله) أى نزل من عند الله

أو خبر مبتدأ محذوف

والجار صلة التنزيل أو غير

صلة بل هو خبر بعد خبر أو

خبر مبتدأ محذوف تقديره

هذا تنزيل الكتاب هذا

من الله (العزیز) فى سلطانه

(الحكيم) فى تديره (انا

المخلصين قال فالحق وأقول) أى أنا أقول الحق وقيل الاول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه (لا ملأ ن جهنم منك) أى بنفسك وذريتك (ومن تبعك منهم أجمعين) يعنى من بنى آدم (قل ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (وما أنا من المتكافين) أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلفه (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى انبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين لفظ البخارى (ان هو) يعنى القرآن (الاذكر) أى موعظه (للعالمين) أى للخلق أجمعين (ولتعلمن) يعنى أتم يا أهل مكة (نبأه) أى خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الزمر

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وقيل قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدينيات من قوله قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله لا تشعرون وهي اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أى لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى لم نزل به باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) أى الطاعة (ألا الله الدين الخالص) أى شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (الليقر بونا الى الله زلفى) يعنى قربا وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقل لهم فامعنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقر بونا الى الله زلفى ونشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) أى من أمر الدين (ان الله لا يهدي) أى يرشد

أنزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب (فاعبد الله مخلصا) حال (له الدين) أى محضه الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السرفا لدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا (ألا الله الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدرا لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن فتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (ما نعبدهم الا ليقر بونا الى الله زلفى) مصدر رأى تقرىبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فما هم فيه مختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فاسلمكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقر بونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لا يهدي

من هو كاذب كفار) أي لا يهدي من هو في عامه أنه يختار الكفر يعني لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه مخذله وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذا عقبه محتجاً عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولد الاصطفي) مما يخلق ما يشاء) أي لو جاز اتخذ الولد على ما تظنون لا يختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتساؤن (سبحانه) نزه ذاته عن أن يكون له أخدماء نسبوا إليه من الأولياء والأولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعني أنه واحد متبرئ عن انضمام الأعداد متعال عن التجزؤ والأولاد قهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوين كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل (٥٢) مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد

لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللى يقال كالعمامة على رأسه وكورها والمعنى أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبّه في تغيبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار وأن هذا يكر على هذا كروا متتابعاً فشبّه ذلك بتتابع كوار العمامة بعضها على أثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أي يوم القيامة (ألهو العزيز الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما) (الفقار) لمن فكر واعتبر فأمن بمسخرهما (خلقكم من نفس واحدة)

لدينه (من هو كاذب) أي من قال إن الآلهة تشفع له (كفار) أي بانخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولد الاصطفي) أي لا يختار (مما يخلق ما يشاء) يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) أي تنزيهاً له عن ذلك وعملاً لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) أي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد (القهار) أي الغالب الكامل القدرة ﴿قوله تعالى﴾ (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعني يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر فانقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهرهما (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) يعني إلى يوم القيامة (ألهو العزيز الغفار) معناه أن خلق هذه الأشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عز يزاً كامل القدرة مع أنه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته في خلق السموات والأرض وتكوين الليل على النهار ثم أتبعه بذكر خلق الإنسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وأَنْزَلْكُمْ مِنَ الْإِنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) يعني الأبل والبقر والغنم والمعز والمراد بالأزواج الذكور والأنثى من هذه الأصناف وفي تفسير الانزال وجوه قيل أنه هنا بمعنى الأحداث والانشاء وقيل إن الحيوان لا يعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذي تعيش به الأنعام وقيل إن أصول هذه الأصناف خلقت في الجنة ثم أنزلت إلى الأرض (بخلقكم في بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الإنسان ثم أتبعه بذكر الأنعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون الأمهات وإنما قال في بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الإنسان على سائر الخلق (خلقاً من بعد خلق) يعني نطفة ثم علقه ثم مضغة (في ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) أي الذي خلق هذه الأشياء بكم (له الملك) أي لا غيره (لا اله الا هو) أي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فأنى تصرفون) أي عن طريق الحق بعد هذا البيان ﴿قوله عز وجل﴾ (ان تكفروا فإن الله غنى عنكم) يعني أنه تعالى ما كلف المكلفين ليحرجوا إلى نفسه نفعاً أو ليدفع عن نفسه ضرراً وذلك لأنه تعالى غنى عن الخلق على الإطلاق فيمتنع في حقه جبر المنفعة ودفع المضرة ولا نه لو كان محتاجاً لكان ذلك نقصاً ناو الله تعالى منزّه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أنه غنى عن جميع

أي آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أي حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق العالمين

بعد ذلك حواء (وأَنْزَلْكُمْ مِنَ الْإِنْعَامِ) أي جعل عن الحسن أو خلقها في الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها وألّاها لتعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكانه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكر وأنثى من الأبل والبقر والضأن والمعز كما بين في سورة الأنعام والزواج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (بخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق) نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم إلى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة وظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذي هذه مفعولاً له هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ثم بين أنه غنى عنهم بقوله (ان تكفروا فإن الله غنى عنكم) عن إيمانكم وأنتم محتاجون إليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمان

(ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس يرضاه الله تعالى وان كان بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (برضه لكم) أى يرضى الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحاد وغيرهم يرضه (ولانزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤخذ أحد بدين آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها (انه علم بذات الصدور) (٥٣) بخصيات القلوب (واذا مس

الانسان) هو أبو جهل
 أول كافر (ضر) بلاء وشدة
 والمس في الاعراض مجاز
 (دعاه به منيبا اليه) راجعا
 الى الله بالدعاء لا يدع غيره
 (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة
 منه) من الله عز وجل
 (نسي ما كان يدعو اليه
 من قبل) أى نسي ربه الذى
 كان يتضرع اليه وما معنى
 من كقوله وما خلق الذ كر
 والانتى أونسى الضر الذى
 كان يدع الله الى كشفه
 (وجعل لله أندادا) أمثالا
 (ليضل) ليضل مكى وأبو
 عمرو ويعقوب (عن
 سبيله) أى الاسلام (قل)
 يا محمد (تمتع) أمر تهديد
 (بكفرك قليلا) أى فى
 الدنيا (انك من أصحاب
 النار) من أهلها (أمن)
 قرئ بالتخفيف مكى ونافع
 وحزة على ادخال همزة
 الاستفهام على من
 وبالتشديد غيرهم على
 ادخال أم عليه ومن مبتدأ
 خبره محذوف تقديره أمن
 (هوقات) كغيره أى أمن
 هو مطيع مكن هو عاص

العالمين فلو كفر واواصر واعليه فان الله تعالى غنى عنهم ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى أنه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا أنه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله ير يد بعض عباد الله وأجره قوم على العموم وقال لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه الا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا (وان تشكروا) أى تؤمنوا ربكم وتطيعوه (برضه لكم) فيثيبكم عليه (ولانزر وازرة وزر أخرى) تقدم بيانه (ثم الى ربكم مرجعكم) أى فى الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا (انه علم بذات الصدور) أى بما فى القلوب قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر) أى بلاء وشدة (دعاه به منيبا) أى راجعا (اليه) مستغيثا به (ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسي) أى ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى نسي الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) يعنى الاصنام (ليضل عن سبيله) أى ليرد عن دين الله تعالى (قل) أى لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) أى فى الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى أبى حذيفة الخزرمي وقيل هو عام فى كل كافر (أمن هوقات) قيل فيه حذف مجازه مكن هو غير قات وقيل مجاز الذى جعل لله أندادا خيرا أمن هوقات وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من أصحاب النار ويامن هوقات أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى أبى بكر وعمر وعن بن عمر أنها نزلت فى عثمان وقيل نزلت فى ابن مسعود وعمر وسلمان وقيل الآية عامة فى كل قات وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القات القائم بما يجب عليه (آناء الليل) أى ساعات الليل أوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) أى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل منه وذلك لان الليل أسترفىكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر (يحذر) أى يخاف (الآخرة ويرجو رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يصف الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجددك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع معان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذى (قل هل يستوى الذين

والقات المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكرى الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير فى قات (يحذر الآخرة) أى عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أى الجنة ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمة لاعملة ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون أمنا والخوف اذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ويجب أن لا يجاوز أحد هما حده (قل هل يستوى الذين

يعلمون والذين لا يعلمون) أي يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لا يعمل غير عامل وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدينا فهم عند الله جهالة حيث جعل القاتنين هم العلماء وأريد به التشبيه أي كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصي (انما يتذكر أولو الالباب) جمع أب أي انما يتعظ بوعظ الله وأولو العقول (قل يا عباد الذين آمنوا) بلاياء عند الأكثر (اتقوا ربكم) بامتنال أو امره واجتناب نواهيه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي أطاعوا الله في الدنيا وفي يتعلق بأحسنوا إلا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة لا توصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (٥٤) ومعنى (وأرض الله واسعة) أي لا عذر للمفرتين في الاحسان البتة حتى ان

اعتلوا بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتجسروا إلى بلاد أخرى واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا احسانا إلى احسانهم وطاعة إلى طاعتهم (انما يوفي الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرهم من تجرع القصاص واحتمال البلاء في طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أي موفرا (قل اني أمرت أن أعبد الله) بأن أعبد الله (مخلصه الدين) أي أمرت باخلاص الدين (وأمرت أن أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك

يعلمون) أي ما عند الله من الثواب والعقاب (والذين لا يعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصل للناس دل ذلك على كماله وفضله (انما يتذكر أولو الالباب) قوله تعالى (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) أي بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في هذه الدنيا (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجر الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فإنه يحسب لهم حثيا وروى أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل ﴿ قوله عز وجل (قل) يا محمد (اني أمرت أن أعبد الله مخلصه الدين) أي مخلصه التوحيد أي لا أشرك به شيئا (وأمرت أن أكون أول المسلمين) أي من هذه الامة قيل أمره أولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر ليفيه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما جالك على هذا الذي اتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأمر الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصي فغيره أولى بذلك (قل الله أعبد مخلصه ديني) فان قلت ما معنى التكرار في قوله قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصه الدين وفي قوله قل الله أعبد مخلصه ديني قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بانه مأمور من جهة الله تعالى بالانبات بالعبادة والاخلاص والثاني انه اخبار بانه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحد غيره مخلصه دينه لان قوله أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحد غيره ثم اتبعه بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمر ابل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم

لأجل ان أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقتهم في الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبق في أهلهم الدين فمن أخلص كان سابقا فالاول أمر بالعبادة مع الاخلاص والثاني بالسبق فلا خلاف جهتهم منزلة المختلفين فصيح عطف أحدهما على الآخر (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام ألا تنظر الى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت رداعليهم (قل الله أعبد مخلصه ديني) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصه دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام أولا واقع في نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أي الكاملين في الخسران الجامعين لوجوه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلا كهافي النار

(وأهلهم) أي وخسر وأهلهم (يوم القيامة) لانهم أضلوه فصاروا إلى النار ولقد وصف خسراهم بغاية الفظاعة في قوله (الاذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجلة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا الجنة نارا وبالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهي ظلل الآخرين أي النار محيطتهم (ذلك) الذي وصف من العذاب أي وذلك الظلل (بحرف الله به عباده) ليؤمنوا به ويحتذوا بمناهيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلمت من الطغيان كالمكوت والرحوت الآن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت

(٥٥)

مصدر أو فيها مبالغات وهي

التسمية بالمصدر كان عين

الشیطان طغيان وأن

البناء بناء مبالغة فان

الرحوت الرحمة الواسعة

والمكوت الملك المبسوط

والقلب وهو للاختصاص

اذ لا تطلق على غير الشيطان

والمراد بها ههنا الجمع وقرئ

الطواغيت (أن يعبدوها)

بدل الاشتغال من الطاغوت

أي عبادتها (وأنا بوا)

رجعوا (إلى الله لهم

البشرى) هي البشارة

بالثواب تملقاهم الملائكة

عند حضور الموت مبشرين

وحين يحشرون (فبشر

عبادى الذين يستمعون

القول فيتعلمون أحسنه)

هم الذين اجتنبوا وأنا بوا

وإنما أراد بهم أن يكونوا مع

الاجتناب والانابة على

هذه الصفة فوضع الظاهر

موضع الضمير أراد أن

يكونوا نقادا في الدين

وأهلهم) يعني أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره فمن عمل بطاعة الله تعالى خسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل يان يفرق بينه وبين أهله (الاذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) أي أطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أي فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ماتحتة بالظلة قلت فيه وجوه الاول أنه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثاني أن الذي تحتته من النار يكون ظلة لآخر تحتته في النار لانها دركات الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايداء والحرارة سميت باسمها الاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أي المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار في الآخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (يا عباد فاتقون) أي خافون ﴿ قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعني الاوثان (أن يعبدوها وأنا بوا إلى الله) أي رجعوا إلى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) أي في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصلاح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر وأما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة في كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) يعني القرآن (فيتعلمون أحسنه) أي أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالمين وذكر العفو عنه والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتعلمون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتعلمون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهم لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فاخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتعلمون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسي (أولئك الذين هداهم الله) أي إلى عبادته وتوحيده (وأولئك هم أولو الاباب أفن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق في علم الله تعالى انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله لا ملأن جهنم وقيل هؤلاء في النار ولا أبالي (أفانت تنقذ من في النار) أي لا تقدر عليه قال ابن

يعززون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حر صاعلى ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتعلمون القرآن أو يستمعون أو امر الله فيتعلمون أحسنها نحو القصص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساويف يحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الاباب) أي المنتفعون بعقولهم (أفن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من في النار) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أي وجب أفانت تنقذه جلة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والنقاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف تقديره أنت مالك أمرهم فن حق عليه كلمة العذاب ووضع من في النار موضع الضمير أي تنقذه فالآية على هذا جلة واحدة ومعناه أفن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه فانت تنقذه أي لا يقدر أحد ان ينقذ من أضله الله وسبق في علمه انه من أهل النار

(لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلم من النار وللمتقين غرف (مبنية تجري من تحتها الأنهار) أى من تحت منازلها (وعند الله لا يخلف الله الميعاد) وعند الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) (٥٦) فادخله (ينابيع فى الارض) عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق فى الاجساد وينابيع

نصب على الحال أو على الظرف وفى الارض صفة ليناابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعاً مختلفاً ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وأصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثم يهيج) يحف (فتراه مصفراً) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاماً) فتاتاً متكسراً فالخطام ماتفتت وتكسر من النبت وغيره (ان فى ذلك) فى انزال الماء واخراج الزرع (لذكرى لاولى الالباب) لذكرى وتنبها على انه لابد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدير لا عن اهمال وتعطيل (أفمن شرح الله صدره) أى وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على

عباس رضى الله عنهما يريد بأبواب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هي أرفع منها (تجري من تحتها الأنهار وعند الله لا يخلف الله الميعاد) أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعد لا يخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكواكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أى الباقي فى الافق أى فى ناحية المشرق والمغرب ﴿قوله تعالى﴾ (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) أى عيوناً وركاباً ومسالك ومجاري فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبي وكل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بالماء (زرعاً مختلفاً ألوانه) أى مثل أصفر وأخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه) أى بعد خضرته ونضارته (مصفراً ثم يجعله حطاماً) أى فتاتاً متكسراً (ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب) ﴿قوله عز وجل﴾ (أفمن شرح الله صدره) أى وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) أى على يقين وبيان وهداية روى البغوى باسناد التعلبى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشرح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فاعلامه ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جود وصلابة تحصل فى القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انهم كما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيد بها الا قسوة وكدورة كحر الشمس بلبين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلبس قلوب المؤمنين عند سماعه الا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (أولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى أبى بن خلف وقيل فى على وحزرة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل ﴿قوله عز وجل﴾ (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى أسلوبه واما الوجه الثانى وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزله عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتاباً

متشابهاً

نور من ربه) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه

خذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فرادتهم رجس الى رجسهم (أولئك فى ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) فى ايقاع اسم الله مبتدأ و بناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث (كتاباً) يدل من أحسن الحديث أو حال منه

(متشابهاً) يشبه بعضه بعضاً في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك (مثنى) نعت كتاباً جامع مثنى بمعنى مراد ومكرر لما نعت من قصصه وأنبأته وأحكامه وأوامره ونواهيته ووعدته ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابهاً لأن القصص المكررة وغيرها لا تكون الامتثالية وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جلته الأثر الذي تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام (٥٧) ومواعظ مكررات أو منصوب

على التمييز من متشابهها كما تقول رأيت رجلاً حسناً شمائل والمعنى متشابهة متنازية (تقشع) تضطرب وتتحرك (منه) جلود الذين يخشون (هم) يقال اقشع الجلد اذا تقبض تقبضاً شديداً والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابهم خشية تقشع منها جلودهم وفي الحديث اذا اقشع جلد المؤمن من خشية الله تحانت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين) جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (أي اذا ذكرت آيات الرحمة) لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بهما من الخشية والقشعريرة وعدي بالي لتضمنه معنى فعل متعد بالي كأنه قيل اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن رحمة سبقت غضبه فلا صلة رجته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفاً رحماً وذكورت

(متشابهاً) أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن ويصدق بعضه بعضاً (مثنى) أي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والأحكام (تقشع) أي تضطرب وتشمز (منه) جلود الذين يخشون (هم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعد والوعيد والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون (هم) ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (أي لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت آيات الوعد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشع عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشع جلد العبد من خشية الله تعالى تحانت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون في بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجلال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذي نعتهم الله به ان تقشع جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعمهم بذهب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدي اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشع جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خروا حدهم مغشياً عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أسمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر اننا نخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف أحدكم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكروا عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال يمتناو بينهم ان يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها ولا في جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانياً في الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبني أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعرت منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأنت اليه القلب ولان الجلد (ذلك) أي القرآن الذي هو أحسن الحديث (هدى الله يهدي به من يشاء) أي هو الذي يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضل الله) أي يجعل قلبه قاسياً مانعاً من قبول الهداية (فاله من هاد) أي يهديه قوله عز وجل (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أي شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوساً فاول شيء تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوساً في النار مغلولاً يده الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فخرها ووهجها على

(٨ - (خازن) - رابع) الجلود وحدها ولا ثم قرنت بها القلوب ثانياً لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) إشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدي به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الهداء (ومن يضل الله) يخلق الضلالة فيه (فاله من هاد) الى الحق (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن أمن من العذاب خذف الخبر كما خذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا اتقى مخوفاً من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولاً يده الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذي كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه

(وقيل للظالمين) أى تقول له خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش
(فأناهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتهم منها ينهضون آمنون إذ فوجؤا من ما منهم
(فأذاهم الله الخزي) الذل والصغار كالسبخ والحسنة والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر)
من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون) ليتعظوا (قرأنا عرييا)
حال مؤكدة كما تقول جاءني (٥٨) زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا فتذكر رجلا أو إنسانا توكلدا أو نصب على المدح

وجهه لا يطبق دفعها عنه للأغلال التي في يديه وعنقه ومعنى الآية أن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن
من العذاب (وقيل للظالمين) أى تقول لهم الخزنة (ذوقوا) أى وبال ما (كنتم تكسبون) أى في الدنيا
من المعاصي (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأناهم العذاب من حيث
لا يشعرون) يعني وهم غافلون آمنون من العذاب (فأذاهم الله الخزي) أى العذاب والهوان (في الحياة
الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل لعلمهم يتذكرون) أى يتعظون (قرأنا عرييا) أى فصيحاً عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته
(غير ذى عوج) أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق
ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق
ولا مخلوق (لعلمهم يتقون) أى الكفر والكذب فإن قلت ما الحكمة في تقديم التذكرة في الآية الأولى
على التقوى في هذه الآية قلت سبب تقديم التذكرة أن الإنسان إذا تذكر وعرف ووقف على خوى الشئ
واختلط بعنايه اتقاء واحترامه (قوله تعالى) (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى
متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا مسلماً
لرجل) أى خالصه لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلاً وقل لهم ما تقولون في رجل
مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى أنه عبده وهم يتجادبون في مهن شتى
فأذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متخير في أمره لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي
رجل آخر مملوك قد سلم للمالك واحد يخدمه على سبيل الإخلاص وذلك السيد يعين خادمه في حاجاته فأي
هذين العبدین أحسن حالا وأجداً وهذا مثل ضرب به الله تعالى للكافر الذي يعبد آلهة شتى والمؤمن الذي
يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذي يعبد الله واحداً أحسن وأصلح من حال الكافر الذي يعبد
آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلاً) وهذا استفهام إنكارى لا يستويان في الحال والصفة قال
تعالى (الجدلة) أى الله الجدلة وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد
ألحق بالدلائل الظاهرة والأمثال الباهرة قال الجدلة على حصول هذه البيّنات وظهور هذه الدلالات (بل
أكثرهم لا يعلمون) أى أن المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له (قوله تعالى) (انك ميت) أى
سقموت (وانهم ميتون) أى سيموتون وذلك أنهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر
الله تعالى أن الموت يعمهم جميعاً فلامعنى للتر بص وشهادة الفانى بالفانى وقيل نعى إلى نبه نفسه واليكم أنفسكم
والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم في عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تحتصمون) قال ابن عباس يعنى الحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم

(غير ذى عوج) مستقيماً
بريتاً من التناقض
والاختلاف ولم يقل مستقيماً
للاشعار بان لا يكون فيه
عوج فطوقيل المراد بالعوج
الشك (لعلمهم يتقون)
الكفر (ضرب الله مثلا
رجلا) بدل (فيه شركاء
متشاكسون) متنازعون
ومختلفون (ورجلا مسلماً)
مصدر سلم والمعنى ذا سلامة
(لرجل) أى ذا خلوص له
من الشركة سالماً مكي وأبو
عمرو أى خالصه (هل
يستويان مثلاً) صفة وهو
تمييز والمعنى هل تستوى
صفتهما وحالهما وإنما
اقتصر في التمييز على
الواحد لبيان الجنس وقرئ
مثالين (الجدلة) الذى
لا إله الا هو (بل أكثرهم
لا يعلمون) فيشركون به
غيره مثل الكافر ومعبود
به يعبد اشترك فيه شركاء
بينهم تنازع واختلاف وكل
واحد منهم يدعى أنه
عبده فهم يتجادبون

القيامة

ويتعاورونه في مهن شتى وهو متخير لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته

ومن يطلب رزقه ومن يلمس رفقته فهم شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن يعبد له سيد واحد فهم واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى ستموت
(وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو وتساءلى تفسير ميت وميت فدونك قد فسرت ان كنت تعقل
فن كان ذا روح فذلك ميت * ومالميت الا من الى القبر يحمل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت
يعمهم فلامعنى للتر بص وشهادة الفانى بالفانى وعن قتادة نعى إلى نبه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أى انك وإياهم في عداد الموتى لان ما هو كائن
فكأن قد كان (ثم انكم) أى انك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم

مختصمون) فتحتج أنت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلهجوا في العنادو يعتذرون بما لا طائل منحه تقول الاتباع أظننا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا لا قدمون قال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة وذلك في الدماء والمظالم التي بينهم والوجه هو الاول ألا ترى الى قوله (فن أظلم من كذب على الله) وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذي هو الصدق (٥٩) بعينه وهو ما جاء به محمد صلى

الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجاه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لا عمال روية أو اهتمام تمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي هؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم بهتدون فلذا قال تعالى (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن علي رضي الله عنه انه قال والذي جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر الصديق رضي الله عنه وروى ان الذي جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله

القيامة عندكم بكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أن تكون علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديداً أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عندكم بكم تختصمون قلنا كيف تختصم وديننا واحد وكتابتنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بانها فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فها هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عندكم بكم تختصمون قالوا كيف تختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاختيه من عرض أو مال فليتحال له اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ﴿ قوله تعالى ﴾ (فن أظلم من كذب على الله) فزعم ان له ولداً أو شريكاً (وكذب بالصدق اذ جاءه) أي بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (أليس في جهنم مثوى) أي منزلة ومقام (للكافرين) ﴿ قوله تعالى ﴾ (والذي جاء بالصدق وصدق به) أي والذي صدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلالة الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بلغة الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يحيون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) أي الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أي من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) أي في أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) أي يسره عليهم بالمغفرة (ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) أي يجزئهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزئهم بمساوئها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أليس الله بكاف عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك

عليه وسلم والذي صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا الوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغير يستدعي اضممار الذي وذا غير جائز أو اضممار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم ما يشاؤون عند ربهم) ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفصيل كقولك الاشج أعدل بني مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النبي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها (عبده) أي محمد صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أي الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) أي بالاولئان التي اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قریشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخيلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتنا

لعيبك اياها (ومن يضل الله فإله من هادومن يهد الله فإله من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذئ انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لتقر يش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله تعالى خلق السموات والارض بقوله (وائن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم مائدعون من دون الله ان أرادنى الله) بفتح الياء سوى حزة (بضر) مرض أو فقرأ وغير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عنى (أو أرادنى برجة) صحة أو غنى أو نحوهما (هل هن ممسكات رحته) كاشفات ضره وممسكات رحته بالتنوين على الاصل بصرى وفرض المسئلة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه معرفة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم أولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرر فان أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضرأو برجة هل يقدر ون على خلاف ذلك فلما أغمهم قال الله تعالى (قل حسبي الله) كافيا لمعرفة اوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سأله فسكتوا فنزل قل حسبي (٦٠) الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من

انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا وأيصيبنا منهم خبل أوجنون (ومن يضل الله فإله من هادومن يهد الله فإله من مضل أليس الله بعزيز) أى منيع فى ملكه (ذئ انتقام) أى منتقم من أعدائه (وائن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلاق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيها من أنواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداء قادر حكيم ثم أمره الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خيرا أو دفع ضرر وهو قوله تعالى (قل أفرأيتم مائدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان أرادنى الله بضر) أى بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برجة) أى بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحته) فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبي الله) أى هو ثقى وعليه اعمادى (عليه يتوكل المتوكلون) أى عليه يثق الواثقون (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أى اجتهدوا فى أنواع مكركم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقر يع (انى عامل) أى فيما أمرت به من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى أنا وأتم (ويحل عليه عذاب مقيم) أى دائم وهو تهديد وتخويف (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى ليهتدى به كافة الخلق (فن اهتدى فلنفسه) أى ترجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فأنما يضل عليها) أى يرجع وبالضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال ﴿ قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) أى الارواح (حين موتها) أى فيقبضها عند فناء أكليها وانقضاء أجلها وهو موت الاجساد (والتي لم تمت فى منامها) والنفس التي يتوفاها عند النوم وهي التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقة عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها النفس (فيمسك التي قضى عليها الموت) أى فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) أى يردها الى جسدها (الى

دونه لانهم اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبعبوديتهم) قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي اتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنت منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (انى عامل) أى على مكاتى وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والابذان بان حاله تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى ناصره ومعينه ألا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا

والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز يزمن أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه بصفه للعذاب كقيم أى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم أبو بكر وحاد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجل حاجتهم اليه لينشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فن اهتدى فلنفسه) فن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فأنما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجمل كما هي وتوفىها ما تها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دركة (والتي لم تمت فى منامها) ويتوفى الانفس التي لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبها للنامين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التي قضى حزة وعلى (عليها الموت) الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى

اجل

أجل مسمى) الى وقت ضربه لموت وقيل بتوفى الانفس أى يستوفىها ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحياة والحركة ويتوفى
الانفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التمييز لانفس الحياة اذ لو زالت زال معها النفس والنائم
يقبض نفس ولكل انسان نفسان احدهما نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت والاخرى نفس التمييز وهى التى تفارق اذا نام وروى عن ابن
عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس
والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن على رضى الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك
يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد
الارسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة وعن سعيد بن جبير ان ارواح الاحياء واوراح الاموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن
يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها الى انقضاء

(٦١)

مدة حياتها وروى أن ارواح

المؤمنين تخرج عند النوم

فى السماء فمن كان منهم

طاهرا أذن له فى السجود

ومن لم يكن منهم طاهرا لم

يؤذن له فيه (ان فى ذلك)

ان فى توفى الانفس مائة

ونائمة وامساكها وارسلها

الى أجل (آيات) على

قدرة الله وعلمه (لقوم

يتفكرون) يحيلون فيه

أفكارهم ويعتبرون (أم

اتخذوا) بل اتخذ قريش

والهمزة للانكار (من

دون الله) من دون اذنه

(شفعاء) حين قالوا هؤلاء

شفعاء عند الله ولا

يشفع عنده أحد الا باذنه

(قل أولو كانوا لا يعلمون

شيئا ولا يعقلون) معناه

أيشفعون ولو كانوا لا يعلمون

شيئا قط ولا عقل لهم

(قل لله الشفاعة جميعا)

أجل مسمى) أى الى أن يأتى وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى
الروح وقال على بن أبى طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه
من النوم عادت الروح الى الجسد بأسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف
ما شاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله تعالى ارواح الاموات عنده وأرسل ارواح
الاحياء الى أجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفذ فراشه بداخله ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول
باسمك ربى وضعت جنبى وبك ارفعها ان أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
الصالحين فان قلب كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت
وبين قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو
القابض للروح باذن الله تعالى وملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فاذا
بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان فى ذلك آيات لقوم يتفكرون) أى فى البعث وذلك أن توفى نفس النائم
وارسلها بعد التوفى دليل على البعث وقيل ان فى ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم تغلظ فى امساك ما نمسك
من الارواح وارسل ما نرسل منها ﴿ قوله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) يعنى الاصنام (قل) يا محمد
(أولو كانوا) يعنى الآلهة (لا يعلمون شيئا) أى من الشفاعة (ولا يعقلون) أى انكم تعبدونهم وان كانوا
بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) أى لا يشفع أحد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لانه هو
الشفيع فى الحقيقة وهو يأذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والارض) أى لا ملك لاحد
فيهما سواه (ثم اليه ترجعون) أى فى الآخرة ﴿ قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمازت) أى نفرت وقال
ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قيل اذا اشماز القلب
من عظيم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (واذا ذكر الذين
من دونه) يعنى الاصنام (اذا هم يستبشرون) أى بفرحون والاستبشار أن يمتلىء القلب سرورا حتى يظهر
على الوجه فيتهلل ﴿ قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه

أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعته الا باذنه واتصّب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا
كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون
يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده أى اذا أفراد الله بالذكر
ولم تذكر معه آلهتهم (اشمازت) أى نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذكر الله
معهم أو لم يذكر (اذا هم يستبشرون) لافتنانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفرا والان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار
والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابها فلا استبشار ان يمتلىء قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلىء غما
وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه والعامل فى اذنا ذكره هو العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت
الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) أى يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية

(أنت تحكم) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين إلى الله وعن ابن المسيب لأعراف آية قرأت فدعى عندها الأجيب سواها وعن الربيع ابن خيثم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فازاد ان قال آه وقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه) الهاء تعود إلى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامة وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدولى من الله ما لم أحسبه (وبداهم سيئات ما كسبوا) أي سيئات أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) وزول بهم وأحاط (ما كانوا يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الإنسان ضرر دعانا ثم اذا خولناه) أي أعطيناه تفضلا يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) مني أني سأعطاها لما في من فضل واستحقاق أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي وانما (٦٢) ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة نظرا إلى المعنى لان قوله نعمة مناشيا من النعمة

بكمال القدرة وكال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أي من أمر الدين (م) عن أبي سامة ابن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون إلى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بداهم من الله ما لم يحتسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدولى ما لم أكن أحسب (وبداهم سيئات ما كسبوا) أي مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى (وحاق) أي نزل (بهم ما كانوا يستهزؤن فاذا مس الإنسان ضرر) أي شدة (دعانا ثم اذا خولناه) أي أعطيناه (نعمة منا قال انما أوتيته على علم) أي من الله تعالى علم اني له أهل وقيل على خير علمه الله عنده (بل هي فتنة) يعني تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعني قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندي (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

وقد ما فيها وقيل ما في انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها أي ان الذي أوتيته على علم (بل هي فتنة) انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أن شكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤثرا أعني فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها فتنة والسبب في عطف

جميعا

هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو وان هذه وقعت مسببة عن قوله

واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمرون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدكم ضرر دعاهم اشماز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم به بامر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدايد دون آلهتهم كانه قيل قل يارب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب وما هي الا الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يوم من بالله فاذا مسه ضرر التجأ إليه فهاذا تسبب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضرر التجأ إليه فتجئ بالفاء بحيثك بهيمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجأ المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان في جعله سببا في التجأ (قد قالها) هذه المقالة وهي قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أي قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوا هو يجوز أن يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها

أي فما أغنى الكفر من العذاب شيئا (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاؤها وهو العذاب ثم أوعده كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمجزين) أي بفائتين لأن مرجعهم إلى الله تعالى (أولم يعلموا أن الله يسط الرزق لمن يشاء) أي يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أي يقترو يفيض على من يشاء (أن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون ﴿قوله تعالى﴾ (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية أن أناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا واتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذي تقول وتدعو إليه حسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر إلى قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل شركهم إيماننا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشى يدعو إلى الإسلام فإرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقى أثاما أيضا عفا له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقدال وحشى هذا شرط شديد على لا أقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشى أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا الجاء فاسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما ما قال نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أساموا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا لقوم أساموا ثم تركوا ديارهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك نفر فأساموا جميعا وهاجروا * وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو تقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا هلك فانزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا أرجونا له وقوله أسرفوا على أنفسهم أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله أي لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر (ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون اغراء بالمعاصي واطلاقا في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منها التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فعني قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أي اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفاه عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضلته ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعن الله تعالى يغفر مطلقا وعلله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم

﴿فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية﴾ روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكو النار والاعلال فقام على رأسه فقال لم تقط الناس ثم قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا * عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب

مثلا (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أي من مشركي قومك سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم بيدرو وحبس عنهم الرزق ففقدوا سبع سنين (وما هم بمجزين) يفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فطروا سبع سنين فقل لهم (أولم يعلموا أن الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بانه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل (قل يا عبادي الذين) وبسكون الياء بصرى وجزرة وعلى (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها (لا تقنطوا) لا تيأسوا وبكسر النون على وبصرى (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك وفي قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظيرني المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت في وحشى قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) بستر عظام الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب

جميعاً ولا يبالى أخرجه الترمذى قال حديث حسن غريب (ق) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انساناً ثم خرج يسأل هل له توبة فأتى
راهباً فسأله فقال هل لي من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل أنت قرية كذا وكذا فادركه الموت
فضرب صدره تخوفاً فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تقر بي
وأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب إلى هذه بشبر فغفر له لفظ البخارى ولمسلم
قال فدل على راهب فأنه فقال له ان رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا فقتله فأكمل به مائة
ثم سأل عن أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول
بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها انساناً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى
أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقر بي وإلى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فأنه ما فأنه ملك في صورة
آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فألقى أيهما كان أدنى فهو له فقاوسا فوجدوه أدنى إلى الأرض
الذى أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيراً قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت
قال لبيته اذا أتت فاحرقوني ثم اطمحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر على ربى لعذبني عذاباً ما عذبه
أحداً فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الأرض فقال اجعى ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما جلك
على ما صنعت قال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كان في بني إسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى
الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوماً على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربى أبعثت على رقيباً فقال
والله لا يغفر لك الله أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك
وتعالى للمجتهد أكنت على ما في يدي قادر أو قال للذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به
إلى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أو بقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود عن أنس قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان
منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أنك أتيتني
بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى قوله عنان السماء
العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقرب الأرض بضم القاف هو ما يقارب ملائها ﴿ قوله عز وجل ﴾
(وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ) أى ارجعوا إليه بالتوبة والطاعة (وَأَسَامُوا) أى أخلصوا له التوحيد (مَنْ قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ) أى لا تمنعون منه (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يعنى القرآن لانه
كله حسن ومعنى الآية على ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل في القرآن ذكر القبيح
ليجنب وذ كر الادون لئلا يرغب فيه وذ كر الحسن لتأثره وتأخذه وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك
العمل بالمنسوخ (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) يعنى غافلين عنه (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ) أى
لثلاث قول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف أن تصيروا إلى حال ان تقول نفس (يا حسرتنا)
أى ياندى ويا حزنى والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات (على ما فرطت في جنب الله) أى على ما قصرت
في طاعة الله وقيل في أمر الله وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما قصرت في
الجانب الذى يؤدى إلى رضا الله تعالى (وَأَنْ كُنْتَ مِنَ السَّاخِرِينَ) أى المستهزئين بدين الله وبكتابه

تتوبوا قبل نزول العقاب
(وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) مثل قوله
الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه وقوله من
قبل أن يأتيكم العذاب
بغته وأنتم لا تشعرون أى
يفجؤكم وأنتم غافلون
كانكم لا تحشون شيئاً
لفرط غفلةكم (أَنْ تَقُولَ)
لثلاث قول (نفس) انما
نكرت لان المراد بها بعض
الانفس وهى نفس الكافر
ويجب وزان يراد نفس
متميزة من الانفس اما
بلجاجة في الفكر شديد أو
بعذاب عظيم ويجوز ان
يراد التكثير (يا حسرتنا)
الالف بدل من ياء المتكلم
وقرى يا حسرتى على
الاصل ويا حسرتاى على
الجمع بين العوض والمعوذ
منه (على ما فرطت)
قصرت وما مصدريه
مثلها في بمار بحت (في
جنب الله) أمر الله أو في
طاعة الله أو في ذاته وفي
حرف عبد الله في ذكر الله
والجنب الجانب يقال
أنا في جنب فلان وجانبه
وناحيته وفلان بين الجانب
والجنب ثم قالوا فرط في
جنبه وفي جانبه يريدون في
حقه وهذا من باب الكناية
لانك اذا أثبت الامر في

مكان الرجل وحيزه فقد أثبت فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل أى لاجله
وقال الزجاج معناه فرط في طريق الله وهو توحيد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وَأَنْ كُنْتَ مِنَ السَّاخِرِينَ) المستهزئين قال قتادة لم

يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخرتي (أو تقول لو أن الله هداني) أي أعطاني الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لا تباعهم لو هدا الله هدينا كم يقولون لو وفقنا الله لله هداية وأعطانا الهدى لدعونا كم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطف من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استجابته العذاب وتضييعه الحق بعدم ما يمكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة) رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه فانه يقول بلى قد جاءتك آياتي وبيئت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وتضييعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فاعجابا

(٦٥)

جواب لنفي تقديرى لان المعنى لو أن الله هداني ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفي الصفات عنه (وجوهمهم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة في محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصروا ان كان من رؤية القلب ففعل ثان (أليس في جهنم مثوى) منزل

وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أو تقول لو أن الله هداني) أي أرشدني الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) أي الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أي عيانا (لو أن لي كرة) أي رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) أي الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتي) يعني القرآن (فكذبت بها) أي قلت ليست من الله (واستكبرت) أي تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين) ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أي زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء اليانان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوهمهم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) أي عن الايمان قوله تعالى (وينجي الله الذين اتقوا) أي الشرك (بمفازتهم) أي الطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسه) (السوء) أي لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون) الله خالق كل شيء) أي مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة (وهو على كل شيء وكيل) أي ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) أي مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلا دمثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الرازي

لم يؤذها ليدك بصوت تغريد * ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكتابة لان حافظ الخزان ومدير أمرها هو الله الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أي جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة (أو لك هم الخاسرون) قوله عز وجل

(٩ - خازن - رابع) (للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجي الله) وينجي روح (الذين

اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسه) (السوء) النار (ولا هم يحزنون) كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسه سوء أي ينجيهم بنفي سوء والحزن عنهم أي لا يمسه أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهم ما للمفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للايمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص (الله خالق كل شيء) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شيء وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أي هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكتابة لان حافظ الخزان ومدير أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها أو الكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله) أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهم بانه خالق كل شيء فهو مهيمن عليه فلا

ينحني عليه شيء من أعمال المكافين فيها وما يجوزون عليها أو بما يليه على أن كل شيء في السموات والأرض فآلة خالقه وفاق به والذين كفروا
 ويخمدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات
 والأرض فقال يا عثمان ما سألتني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله
 وهو الاقل والآخرة والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا ان الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد
 وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون
 (قل) لمن دعاك الى دين آباءك (أفغير الله تأمروني أعبد) تأمروني مكي تأمروني على الأصل شامي تأمروني مدني واتصب أفغير الله بأعبد
 وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بامركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك)
 من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذي عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على
 التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم
 المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان
 رساله لا يشركون لان الخطاب للنبي (٦٦) عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها

(قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آباءه فوصفهم
 بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبده غيره فهو جاهل (ولقد أوحى اليك
 والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه
 تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أي لانعامه عليك قوله
 تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته
 فقال (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)
 (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
 ان الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع
 وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق
 قدره وفي رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقاله ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية (ق) عن
 ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن
 بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين

وقيل لئن طالعت غيري
 في السر ليحبطن ما بيني
 وبينك من السر (بل الله
 فاعبد) رد لما أمر به من
 عبادة آلهتهم كانه قال لا تعبد
 ماأمروك بعبادته بل ان
 عبادي فاعبد الله فحذف
 الشرط وجعل تقديم
 المفعول عوضا عنه
 (وكن من الشاكرين)
 على ما أنعم به عليك من
 ان جعلك سيد ولد آدم
 (وما قدروا الله حق قدره)
 وما عظموه حق عظمته

الجبارون

اذدعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في

نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والأرض
 جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو يحمله ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على
 كنهه جلالة لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالأرض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله
 والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجيعا منصوب على الحال أي والارض اذا
 كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطني قبضة من كذا تريد معنى
 القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع
 عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضانه كانه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزورا كلة لقمان أي لا تني الا با كلة فذة
 من أكلاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بمجمولتهما مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطي الذي هو ضد
 النشر كما قال يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوى السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه
 بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفضيات بقسمه لانه أقسم أن يقبضها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما
 أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

(ونفخ في الصور فصعق) مات (من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) أي جبريل وميكائيل واسرافيل ومالك الموت وقيل هم حملة العرش أو رضوان والخور العين ومالك والزابانية (ثم نفخ فيه أخرى) هي في محل الرفع لان المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولو كونها معلومة بذكرها في غير مكان (فاذا هم قيام ينظرون) يقبلون أبصارهم في الجهات نظر المبهوتين اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودات الآية على أن النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على أنها ثلاث الاولى للفرع كما قال ونفخ في الصور ففرزع والثانية للموت والثالثة لإعادة (٦٧) (وأشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) أي بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة وازافة اسمه الى الارض لانه يزنها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا اعمرها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز ان يخاف الله نورافينوربه ارض الموقف وازافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (ووضع الكتاب) أي صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجي بالنبين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل

الجبارون أي المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويسطها ثم يقول أنا الملك أي الجبارون أي المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى اني أقول أساقط هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم والبخاري ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات يمينه وبقول أنا الملك (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا الملك أي ملوك الارض قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقدرى كذا يمينه وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولان كيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الماثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا من الفرع وهي النفخة الاولى (الا من شاء الله) تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) مرة أخرى وهي النفخة الثانية (فاذا هم قيام) أي من قبورهم (ينظرون) أي ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أربعون قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ﴿قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فياضارون في نوره كما لا ياضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل يعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبتدأ الى المنتهى (وجي بالنبين) يعني ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة (وقضى بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أي ثواب ما عملت (وهو أعلم بما يفعلون) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد ﴿قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعني سوقا عنيفا (زمرا) أفواج بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدة زمرة (حتى اذا جاؤا ففتحت أبوابها) يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعني تو بيحاوتنقر يعا (ألم ياتكم رسل منكم) أي من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات

هم الا برار في كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنبي الظلم كما افتتحها بابيات العدل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون أي ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزداد في شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال أي أفواج متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى اذا جاؤا ففتحت) بالتخفيف فيهما كوفي (أبوابها) وهي سبعة (وقال لهم خزنتها) أي حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (ألم ياتكم رسل منكم) من بني آدم (يتلون عليكم آيات

ربكم وينذروكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أي ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأ ن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أي مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لأن مثوى المتكبرين فاعل بشس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إليه مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره (٦٨) فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) المراد

سوق مرا كبهم لانه لا يذهب بهم الا را كبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها) وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها حذف دخولها لان في الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب

ربكم وينذروكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أي وجبت (على الكافرين) وهي قوله تعالى لأملأ ن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير اذا سيق إلى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مرا كبهم لانهم يذهبون اليها را كبين أو المراد بذلك السوق اسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان فستان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) فان قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو وهناراذ حرف الواو فالفرق قلت فيه وجوه أحدها انها زائدة الثاني أنها واو الحال مجازة وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الآية الأولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان أهل الجنة اذا جاؤها وجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زبدت الواو هنا لبيان ان أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه أحدها انه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على انه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها حذف دخولها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أي أبشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا سيقوا إلى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من أحدهما فيطهر ظاهره ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) أي بالجنة (وأورثنا الأرض) أي أرض الجنة تتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (ننبأ) أي تنزل (من الجنة) أي في الجنة (حيث نشاء) فان قلت فامعنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف بسعة وحسن أو زيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى غيره وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤهم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل

الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جىء بالواو وكأنه قال

حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أي كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا خبيثين أي لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قدر فلا يدخلها الا مناسبا لها موصوف بصفاتها (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) أنجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم العقبى (وأورثنا الأرض) أرض الجنة وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه (ننبأ) حال (من الجنة حيث نشاء) أي يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف

فتم

سعة وزيادة على الحاجة فينبوا أي فيتعخدمتمبوا ومقر من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) في الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) أي محققين من حوله ومن لا ابتداء الغاية أي ابتداء خوفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير في حافين (بحمد ربهم) أي يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وأوسبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك لتلذذون التعبد لزال التكليف (وقضى بينهم) بين الأنبياء والأمم أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقول أهل الجنة شكرًا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وأخرو دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر والحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضي الله عنهما (سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) وما بعده بالأمانة جزء وعلى وخلف ويحي وحادو بين الفتح والكسر مدني وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم (تنزيل الكتاب) أي هذا (٦٩) تنزيل الكتاب (من الله العزيز)

أي المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أي سائر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة (الراجعين) شديد العقاب (على المخالفين) ذي الطول (ذو الفضل على العارفين أو ذي الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله والتوب والتوب والاثوب والاثوب أخوات في معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيراً والموصوف معرفة قلت أما غافر الذنب وقابل التوب

(فنعم أجر العاملين) أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محققين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تليذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) أي بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقوله أهل الجنة شكرًا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتداء الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وختم بالحمد في آخر الأمر وهو استقرار الفرقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر﴾

وهي مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرثي أهله منزلاً فرثها رغيثاً فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمنات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هذه الروضات الدمنات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال لكل شيء لباب وللباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أثنان فيهن وقال سعد بن إبراهيم كن آل حم تسمى العرائس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (حم)﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما حم اسم الله الأعظم وعنه قال الرحمن وحروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حلیم وحيد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أي قضى ما هو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أي الغالب القادر وقيل الذي لا مثل له (العليم) أي بكل المعلومات (غافر الذنب) أي سائر الذنب (وقابل التوب) أي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب عن قال لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لم يقل لا إله إلا الله (ذو الطول) أي السعة والغنى وقيل ذو الفضل والنعم وأصل

فعر فتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون في تقدير الانفصال فتكون اضافتها غير حقيقية وانما أريد بثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو في تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف وادخال الواو في وقابل التوب لنسكتة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاة للذنوب كان لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلاً اباس شديد من أهل الشام فقيل له تابع في هذا الشراب فقال عمر لكتابه كتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أجد اليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الرحمن الرحيم حم إلى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى نجده صاحباً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتمته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يردد ها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أحداً كثر زلة فسد دونه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه

(لا اله الا هو) صفة أيضا لذي الطول ويجوز أن يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) ما يخصهم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فالجدال فيها لا يوضح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيف (٧٠) بها فاعظم جهاد في سبيل الله (فلا يغركم تقلبهم في البلاد) بالتجارات النافقة

والمكاسب المربحة سالمين غامرين فان عاقبة أمرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) (نوح) (والاحزاب) أي الذين تحزبوا على الرسل وناصروهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهت كل أمة) من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطالوا به الايمان (فاخذتهم) مظهره كي وحقق يعني انهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذه الرسل ان أخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب أي فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا) كلمت ربك مدني وشامي

الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه (لا اله الا هو) أي هو الموصوف بصفات الوحدة التي لا يوصف بها غيره (اليه المصير) أي مصير العباد اليه في الآخرة قوله تعالى (ما يجادل) أي ما يخصهم ويحاججهم (في آيات الله) أي في دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القرآن كفر آخرجه أبو داود وقال المراء في القرآن كفروا وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فاعلمتم منه فقوله وما جهلتم منه فلكوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب (فلا يغركم تقلبهم) أي تصرفهم (في البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أي الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) أي خاصموا (بالباطل ليدحضوا) أي ليبطالوا (به الحق) الذي جاءت به الرسل (فاخذتهم فكيف كان عقاب) أي أنزلت بهم من الهلاك ما هموا به بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أي وجبت (كلمت ربك) أي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) أي من قومك (انهم) أي بانهم (أصحاب النار) قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حلة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أوردتهم الله تعالى باربعة آخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقرهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه نور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفون بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتعجيد ما بين اظلالهم الى ربهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حلة العرش ما بين كعب أحداهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروى ان أقدامهم في تخوم الارض والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حلة العرش أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة

(انهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بخذف لام التعليل وإيصال الفعل والذين كفروا قرش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علا واحدة تجمعهم انهم من أصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش

(ومن حوله) يعني حاملين العرش والخافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر وروى ان حلة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرفت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويرحوا بالسلام على حلة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهالين مكبرين ومن ورأهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم مهالون ويكبرون

(٧١)

ومن ورأهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمايل امامهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يسبحون) خير المتدا وهو الذين (بحمد ربهم) أي مع حمد اذ الباء تدل على أن تسبيحهم بالحمد (ويؤمنون به) وفائدة مع علمنا بان حلة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهروا شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان ذلك فضل الايمان وقدر وعي التناسب في قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه دليل على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس

من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض قوله (ومن حوله) يعني الطائفتين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويكبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلّل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورأهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الاخر ما بين جناحي أحدهم مسير ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربع مائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجاباً من نار وسبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور وسبعين حجاباً من درأبيض وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر وسبعين حجاباً من نيلج وسبعين حجاباً من ماء وسبعين حجاباً من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) أي يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فافائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدة التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجباً عنهم بحجب جلاله وجماله وكاله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حلة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حملك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أن يجعل فيهما من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولاً تداركوه بالاستغفار لهم ثانياً وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في أحد بشئ يكرهه أن يستغفر له (ربنا) أي ويقولون ربنا (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلماك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أي دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي وأين أمي وأين ولدي وأين زوجتي

والاما كن (ربنا) أي يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى اذ الاصل وسع كل شيء رحمتك وعلماك ولكن أزيل الكلام عن أصله بان أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجاً منصوصاً بين على التمييز مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) أي الذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) أي طريق الهدى الذي دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم) ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم (من في موضع نصب عطف على هم في وأدخلهم أوفى وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم) (وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم)

أى الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تغلب شيئا خالبا عن الحكمة وموجب حكمتك أن تنفى بوعدك (وقهـم السيآت) أى جزاء السيآت وهو عذاب النار (ومن تنى السيآت يومئذ فقد رحتـه وذلك) أى رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت أشد البغض واتصـاب (اذ تدعون الى الايمان) بالملت الاول عند الزمخشري والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون لتعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمردل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالملت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم فلا (٧٢) يعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان

الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن به بنقصانه ولا بالثاني لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا الى الايمان فى الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى امائتين وأحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتها عند انقضاء آجالهم وصح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح أن يقال سبحانه من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب

فيقال انهم لم يعملوا عملا فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهلها فى الجنة كان أكمل سروره ولذته (وقهـم السيآت) أى عقوبات السيآت بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التى توجب العقاب (ومن تنى السيآت يومئذ) أى من تنهى فى الدنيا (فقد رحتـه) أى فى القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) أى النعيم الذى لا ينقطع فى جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمتـه وبجلاله ﴿ قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعابنوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) أى اياكم فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أى اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى القبر للسؤال ثم أميتوا فى قبورهم ثم أحيوا للبعث فى الآخرة وذلك أنهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهى أربعة الموتة الاولى ثم الحياة فى القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التى هى من الدنيا فلم يعدوها لاهلها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهى الموتة الاولى فى الدنيا ثم الموتة الثانية فى القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعنى انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) أى من النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعلا وتخييرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم) معناه فاجيبوا أن لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود فى النار بانكم اذا دعى الله وحده كفرتم يعنى اذا قيل لا اله الا الله أنكرتم ذلك (وان يشرك به) أى غيره (تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى)

اي فيه أن الصغر والكبر جازان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع أحدا الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالا حياءتين الاحياء الاولى فى الدنيا والاحياء الثانية البعث ويدل عليه قوله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاولى احياءه فى القبر بعد موته للسؤال والثانى للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الامانة والاحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وماتبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار أى الى نوع من الخروج سريع أو بطيء لتخلص (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تخييرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أى ذلكم الذى أنتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالشرك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالاداب السرمد (العالى) شأنه فلا يرد قضائه

(الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قوله لاحكم الله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حرورية قال على رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أى يقولون لاحكم الله فقال على رضى الله عنه كلمة حق أريد بها باطل (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكى وبصرى (رزقا) مطرا لأنه سبب الرزق (وما يتذكر الأمن يذنب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الامن يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم وأخبار (٧٣) مبتدأ محذوف ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عبادته فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهارا لعظمته مع استغنائها فى ملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحي الذى تحياه به القلوب (من أمره) من أجل أمره أو بأمره (على من يشاء من عباده) لينذر (يوم التلاق) أى الذى يلقى الروح) أى ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعنى الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقى الخلق والخلق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شئ (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى سائر الايام فوجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا (لمن الملك اليوم) أى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرين فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا والوايه المنزلة الرفيعة فى العقبي والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعنى تجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم) أى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظالم للعبيد (ان الله سريع الحساب) أى انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كله فى وقت واحد (قوله تعالى) (وأندرهم يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف

رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عبادته فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهارا لعظمته مع استغنائها فى ملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحي الذى تحياه به القلوب (من أمره) من أجل أمره أو بأمره (على من يشاء من عباده) لينذر (يوم التلاق) أى الذى يلقى الروح) أى ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعنى الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقى الخلق والخلق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شئ (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى سائر الايام فوجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا (لمن الملك اليوم) أى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرين فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا والوايه المنزلة الرفيعة فى العقبي والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعنى تجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم) أى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظالم للعبيد (ان الله سريع الحساب) أى انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كله فى وقت واحد (قوله تعالى) (وأندرهم يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف

أى الذى لا أعلى منه (الكبير) أى الذى لا أكبر منه (قوله عز وجل) (هو الذى يريكم آياته) أى عجائب مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق (وما يتذكر) أى يتعظ بهذه الآيات (الامن يذنب) أى يرجع الى الله تعالى فى جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) قوله تعالى (رفيع الدرجات) أى رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء فى الجنة وقيل معناه المرتفع أى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدايته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذو العرش) أى خالق ومالكه والفائدة فى تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالاته على كمال القدرة أقوى (يلقى الروح) يعنى ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعنى الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقى الخلق والخلق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شئ (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى سائر الايام فوجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا (لمن الملك اليوم) أى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرين فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا والوايه المنزلة الرفيعة فى العقبي والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعنى تجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم) أى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظالم للعبيد (ان الله سريع الحساب) أى انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كله فى وقت واحد (قوله تعالى) (وأندرهم يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف

(١٠ - (خازن) - رابع) أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم وقيل ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) لما قرر ان الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون منه لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطى لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وأندرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لازوفها أى اقربها وبديل من يوم الآزفة (اذ القلوب لدى الحناجر) أى التراقي يعنى ترفع قلوبهم عن مقارها فتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى موضعها فيتنفسوا ويتروحو

(كاظمين) ممسكين بخناجرهم من كظم القرية سدر أسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء (ماللظالمين) الكافرين (من حيم) محب مشفق (ولاشفيع يطاع) أي يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لا تكون الا لمن فوقك والمراد نبي الشفاعة والطاعة كما في قوله * ولا ترى الضب بها ينحجر يريد به نبي الضب وانحجاره وان احتمل اللفظ اتقاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة (يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل (وما تخفى الصدور) وما تسر من أمانة وخيانة وقيل هو أن ينظر الى أجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه في جملها ولا يعلم بنظرته وفكرته من محضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من أخباره وفي قوله هو الذي يريكم آياته مثل يلقي الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرذ ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد ذلك عن أخواته (والله يقضي بالحق) أي والذي هذه صفاته لا يحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) وألهمهم لا يقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال (٧٤) فيه يقضى أولا يقضى تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم

خائنة الاعين وما تخفى الصدور ووعد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعرض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجرى مجراه منكم شامى (وآثارا في الارض) أي حصونا وقصورا (فاخذهم الله

حتى تصير الى الخناجر فلا هي تعود الى أما كنهها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا) (كاظمين) أي مكرويين ممتلئين خوفا وخزنا حتى يضيق القلب عنه (ماللظالمين من حيم) أي من قريب انفعهم (ولاشفيع) أي يشفع لهم (يطاع) أي فيهم (يعلم خائنة الاعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين لما نهى الله عنه (وما تخفى الصدور) أي يعلم مضمرات القلوب (والله يقضى بالحق) أي يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعني الاصنام (لا يقضون بشئ) لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شئ (ان الله هو السميع) أي لا قوال الخلق (البصير) بافعالهم (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض) أي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) أي يدفع عنهم العذاب (ذلك) أي ذلك العذاب الذي نزل بهم (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعني فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) أي استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرتهم (وما كيد الكافر بن) أي وما مكر فرعون وقومه واحتياهم (الافى ضلال) أي يذهب كيدهم باطلا ويحقيق بهم ما يريد الله تعالى (وقال فرعون) أي لملئه (ذروني أقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف فلا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجز واعن

بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شيء يقيهم من عذاب الله (ذلك بانهم) أي الاخذ بسبب اسهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي) قادر على كل شيء (شديد العقاب) اذا عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التمع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أي أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافر بن الافي ضلال) ضياع يعني انهم باثمروا قتلهم أولا فغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهارهم من خافود فافغنى عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحسن بانه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنما منه أنه يصددهم بذلك عن مظاهره موسى عليه السلام وما علم ان كيدهم ضائع في الكرتين جميعا (وقال فرعون) لملئه (ذروني أقتل موسى) كان اذا هم يقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته دخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت من معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتلا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحسن بانه هو الذي يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم يقتله ان يعاجل بالهلاك

جوابه

وقوله (وليدعربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعونه به وكان قوله ذروني أقتل موسى ثم يها على قومه وإيهاماً بهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفرع (اني أخاف) ان لم أقتله (ان يبدل دينكم) أن يغير ما أتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام (أو أن يظهر) موسى (في الأرض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدني وبصري وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل والفساد في الأرض التقاتل والتهايح الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعاش ويهلك الناس قتلاً وضياءاً كأنه قال اني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وأن ومعناه اني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (اني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفي قوله وربكم بثم لم على أن يقتدوا به فيعودوا بالله عبادته ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وإياكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأذل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة

(٧٥)

عظيمة الأارتكها وعدت ولدت اخوان وعت بالادغام أبو عمرو وحزرة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) قيهـل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرايليا ومن آل فرعون صلة ليكنم أي يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب أو خرييل أو خرييل والظاهر الاول (أقتلون رجلا ان يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كانه قيل

جوابه فقتلوه (وايدعربه) أي وليدع موسى به الذي يزعم انه أرسله اليه فيمنعه منا (اني أخاف أن يبدل دينكم) يعني يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذي أتم عليه (أو أن يظهر في الأرض الفساد) يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعني لما توعد فرعون بالقتل (اني عدت بربي وربكم) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت في دفع الشدة إلا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أي متعظم عن الإيمان (لا يؤمن بيوم الحساب) قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن خزيميل ٣ عند ابن عباس وأكثرا العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أقتلون رجلا ان يقول) أي لان يقول (ربي الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه (وان يك صادقا) أي فكذبتموه (يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلاها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب لكل (ان الله لا يهدي) أي الى دينه (من هو مسرف كذاب) أي على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذا قبل عقبة بن أبي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله

أرتكبون الفعل الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهي قوله (ربي الله) وهو ربكم أيضا لاربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعني أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذي يعدكم مع انه وعد من نبي صادق القول مدارة لهم وسلوك الطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفي اصابة الكل فكانه قال لهم أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذب العاجل وفي ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله لا يهدي من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) في ادعائه وهذا أيضا من باب المجاهلة والمعنى انه ان كان مسرفا كذا باخذله الله وأهلكه فتخلصون منه اذ لو كان مسرفا كذا بالاهداء الله بالنبوة فلما عضده بالبينات وقيل أوهم انه غنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون

٣ قوله خزيميل كذا بالاصل الطبع وفي نسخة خط بايدينا خزيميل وفي النسخ ما ترى مصحح

(يا قوم لكم الملك اليوم ظاهر بين) عاين وهو حال من كم في لكم (في الارض) في أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا بأس الله أي عذابه فإنه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحبهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أرى لكم أي ما أشير عليكم برأي الأيماء أرى من قتله يعني لا أستصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهدىكم) بهذا الرأي (الاسبيل الرشاد) طريق الصواب والصالح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئاً ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعر بالخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجملد ولولا استشهاده لم يستشر أحد ولم يقف الأمر على الإشارة (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أي مثل أيامهم لأنه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمارا اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء عدوهم في عملهم من (٧٦) الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائباً دائماً منهم ولا يفترون عنه ولا بد

من حذف مضاف أي مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثاني بأنه عطف بيان لمثل الاول (وما الله بريد ظالم للعباد) أي وما ير يد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعني ان تدميرهم كان عدلاً لانهم استحقوه باعمالهم وهو أبلغ من قوله ومار بك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة ظلم منكرو من بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا بعيداً لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل

عليه وسلم وقال اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قوله عز وجل (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهر بين في الارض) أي غالبين في الارض أي أرض مصر (فمن ينصرنا) أي يمنعنا (من بأس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا للعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم (قال فرعون ما أرى لكم) أي من الرأي والنصيحة (الما أرى) أي لنفسى (وما أهدىكم) الاسبيل الرشاد) أي ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه أن يحل به ما حل بالأمم قبله بقوله (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله ير يد ظالم للعباد) أي لا يهدى لهم الا بعد إقامة الحجّة عليهم (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) يعني يوم القيامة سمي يوم القيامة يوم التناد لأنه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادى بعضهم بعضاً فينادى أصحاب الجنة النار وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلاموت ويا أهل النار خلود بلاموت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنافر من نداء البعير اذا نفرو هرب ذلك انهم اذا سمعوا زفير النار نداء هارباً فلا يتأتون قطاراً من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفاً عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) أي منصرفين عن موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) أي يعصمكم من عذابه (ومن يضل الله فإله من هاد) أي يهديه (والقد جاءكم يوسف) يعني يوسف بن يعقوب (من قبل) أي من قبل موسى (البينات) يعني قوله أُرَ باب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فما زلت في شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين في

لا آخر لا أريد ظالمك معناه لا أريد أن أظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) أي يوم القيامة التنادى مكى ويعقوب في الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل ينادى مناداً ألا ان فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ألا ان فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن مواقف الحساب الى النار (مالكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضل الله فإله من هاد) مرشد (والقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن أفرانيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر وبخهم بان يوسف أناكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلت في شك مما جاءكم به) فشككم فيها ولم تنزلوا شاكين

(حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أى أقم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجّة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجازا بداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (في آيات الله) في دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أناهم كبر مقتا) أى عظم بغضا وفعال كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا حمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعضهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويه على قومه وأوجهلا منه (ياها مان ابن لى صرحا) أى قصر او قيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى (٧٧) على الناظر وان بعد ومنه يقال

صرح الشئ اذا ظهر (على)

وبفتح الياء حجازى وشامى وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وابانة انه يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها وما يؤدى اليها وكل ما أدرك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فاطلع) بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى وغيره بالرفع عطفًا على أبلغ (الى اله موسى) والمعنى فانظر اليه (وانى لاظنه) أى موسى (كاذبا) فى قوله له اله غيرى (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله) وصد عن

نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعنى مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أى أقم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجّة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهى والتمنى من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم ان يبعث الله من بعده رسولا تصديق الرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) أى فى شركه وعصيانه (مرتاب) أى فى دينه (الذين يجادلون فى آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أى بغير حجة وبرهان (أناهم) من الله (كبر) أى ذلك الجدال (مقتا عند الله) وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (قوله عز وجل) (وقال فرعون) يعنى لوزيره (ياها مان ابن لى صرحا) أى بناء ظاهر لا يخفى على الناظر ين وان بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص (لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه) يعنى موسى (كاذبا) أى فيما يدعى ويقول ان له ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أى وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى وما كيده فى ابطال آيات موسى الا فى خسارة وهلاك قوله تعالى (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) أى طريق الهدى (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى متعة ينتفعون بهامدة ثم تنقطع (وان الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفانى قال بعض العارفين ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهابا فانيا والآخرة خرفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خرف فان والآخرة ذهب باقى (من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها) قيل معناه من عمل الشرك جزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى جزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أى لا تبعه عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير

السبيل) المستقيم وفتح الصاد كوفى ويعقوب أى غيره صدا أو هو بنفسه صدودا والمزى الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زيناهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسران وهلاك (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون) اتبعونى فى الحالىن مكى ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو تقيض الفى وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الفى أجل أو لآثم فسرهما فافتتح بدم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير فالأخلاق اليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين انها هى الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هى دار القرار) ثم ذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما يثبت عمما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها ومن عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكى وبصرى ويزيد وأبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمره الجنة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار بقوله

(وياقوم مالي) و بفتح الياء نخازي وأبو عمرو (أدعوكم إلى النجاة) أي الجنة (وتدعونني إلى النار تدعونني لا كفر بالله) هو بدل من تدعونني الأول يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له (وأشرك به ما ليس لي به علم) أي بر بويته والمراد بنبي العلم نبي المعلوم كأنه قال واشرك به ما ليس به وما ليس به كيف يصح أن يعلم لها (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرر النداء لزيادة التنبيه لهم ولا يقاطعون سنة الغفلة وفيه أنهم قومهم وأنه من آل فرعون وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني لأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لاجرم) عند البصريين لا رد لما دعاه إليه قومهم وجرم فعل بمعنى حق وإن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته (أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) معناه أن ما يدعونني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أي من حق المعبود بالحق (٧٨) أن يدعوا العباد إلى طاعته وما تدعون إليه وإلى عبادته لا يدعوه هو إلى

ذلك ولا يدعي الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كالادعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازي عليه بالجزاء في قوله كما تدن تدان (وأن مردنا إلى الله) وأن رجوعنا إليه (وأن المسرفين) وأن المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض) وأسلم (أمرى) و بفتح الياء مدني وأبو عمرو (إلى الله) لأنهم بوعده (أن الله بصير بالعباد) بأعمالهم وما لهم (فوقاه) الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الخلق أنواع العذاب

تقتير (وياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار) معناه أنا أدعوكم إلى الإيمان الذي يوجب النجاة من النار وأنتم تدعونني إلى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم) أي لا أعلم أن الذي تدعونني إليه اله وما ليس به كيف يعقل جعله شركا لاله الحق ولما بين أنهم يدعونهم إلى الكفر والشرك بين أنه يدعوهم إلى الإيمان بقوله (وأنا أدعوكم إلى العزيز) أي في انتقامه ممن كفر (الغفار) أي لذنوب أهل التوحيد (لاجرم) يعني حقا (أن ما تدعونني إليه) يعني الصنم (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) يعني ليست له استجابة دعوة لاحد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا ولا في الآخرة لأن الأصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا إلى الله) أي مرجعنا إلى الله فيجازي ككلام ما يستحقه (وأن المسرفين) يعني المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمرى إلى الله) أي أرد أمرى إلى الله وذلك أنهم توعدوه لمخالفتهم دينهم (أن الله بصير بالعباد) يعني يعلم الحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أي ما أرادوا به من الشر قيل أنه نجامع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) أي نزل (بالفرعون سوء العذاب) يعني الغرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا ويستبدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون) أي يقال لهم ادخلوا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذي كانوا يعذبون بهما هذا غرقوا قوله تعالى (واذيتحاجون) أي واذكروا يا محمد لقومك اذيتخصمون يعني أهل النار (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم

بمن خالفهم وقيل أنه خرج من عندهم هربا إلى جبل فبعث قريبا من ألف في طلبه فمهم من أكاثة السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بالفرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها أحرقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أي في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك إما أن يعذبوا بجنس آخر أو بنفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا في الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدني وحزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أي يقال لهم ادخلوا آل فرعون (أشد العذاب) أي عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذيتحاجون) واذكروا يا محمد تخاصمهم (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعني الرؤساء (انا كنا لكم

تبعاً) أتباعاً تخدم في جمع خادم (فهل أتم مغنون) دافعون (عنا نصيباً) جزاً (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه أي انا كلنا فيها لا يغني أحد عن أحد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وقال الذين في النار خزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وانما يقل خزناتها لان في ذكر جهنم تهويل وتفظيعاً ويحتمل ان جهنم هي أبعاد النار فمرأ من قولهم بترجهم ببعيدة القعر وفيها عتى الكفار وأطغاهم فعمل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمد لهم أهل النار يطلب الدعوة منهم (أدعوا بكم يخفف عنا يوماً) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) أي الخزنة توبس خالهم بعدمدة طويلة (أولم تك) أي أولم تك قصة وقوله (تأنيكم) تفسير للقصة (رسلكم بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أي الكفار (بلى قالوا) أي الخزنة تهكم بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (ومادعاء الكافرين الا (٧٩) في ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون

من كلام الخزنة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا يوم يقوم الاشهاد) أي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعاً بالحجة والظفر على مخالفهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحيان امتحاناً من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك أمس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة والانبياء فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالكذب والحفظة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الاعمال

تبعاً) أي في الدنيا (فهل أتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا) يعني الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعني نحن وأتم (ان الله قد حكم بين العباد) أي قضى علينا وعليكم (وقال الذين في النار) يعني حين اشتد عليهم العذاب (خزنة جهنم ادعوا بكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا) يعني الخزنة (أولم تك تأنيكم رسلكم بالبينات) يعني لا عذر لكم بعد مجيء الرسل (قالوا بلى) أي اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعني أتم انا ندعوا لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (ومادعاء الكافرين الا في ضلال) يعني يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفاً (ويوم يقوم الاشهاد) يعني وتنصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالكذب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أي ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أي البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعني جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعني النبوة وقيل التوراة (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) يعني التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم (هدى وذكرى لاولى الالباب) قوله تعالى (فاصبر) أي يا محمد على أذاهم (ان وعد الله حق) أي في اظهار دينك واهلاك أعدائك قال الكلبي نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) يعني الصغار وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعنده من لا يجوز الصغار على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ابرز به درجة وتصير سنة غيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عملاً لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمدي بك) أي نزه بك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكر ال بك (بالعشي والابكار) يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اناهم) يعني كفار قريش (ان في صدورهم) أي ما في قلوبهم (الا كبر)

قوم بالتاء الرازي عن هشام (يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم أي لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفي ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أي سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى به في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) أي التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس أي تركنا الكتاب من بعد هذا الى هذا (هدى وذكرى) ارشاداً وتذكراً وانتصاهما على المفعول له أو على الحال (لاولى الالباب) لذوى العقول (فاصبر) على ما يجرك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعني ان ما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق (واستغفر لذنبك) أي لذنب أمك (وسبح بحمدي بك بالعشي والابكار) أي دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هم صلوات الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اناهم) لا وقف عليه لان خبر ان (ان في صدورهم الا كبر) تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحنها كل

قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الاماني صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغية) يعني ببالي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم الاكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وماهم ببالي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) أي من فتنة الدجال (انه هو السميع) أي لا قوا لهم (البصير) أي بأفعالهم ﴿قوله عز وجل﴾ (خلق السموات والارض) أي مع عظمها (أكبر من خلق الناس) أي من اعادتهم بعد الموت والمعنى أنهم مقرون ان الله تعالى خلق السموات والارض وذلك أعظم في صدورهم من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس أي أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال

﴿فصل في ذكر الدجال﴾ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور العين اليمنى كأنها عنية طافئة ولا يبي داود والترمذي عنه وقال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فأنشأ على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني أنذركم به وما من نبي الا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قول لم يقله نبي لقومه تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد أنذر أمته الا عور الكذاب الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن أسماء بنت زيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرر من البهائم الا هلكت ومن أشد فتنته انه يأتي الاعراب فيقول أرايت ان أحييت لك اهلك ألتعلم اني ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كأحسن ما تكون ضرورا وأعظمه أسنمة وياتي الرجل قدمات أخوه ومات أبوه فيقول أرايت ان أحييت لك أخاك وأباك ألتعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت وأخذ بلحمني الباب فقال مهيم أسماء فقلت يا رسول الله لقد خلعت أفنديا تباذ كذا الدجال قال ان يخرج وأنا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله والله اني لنجمن عجيبا فانا نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كالיום واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث أخرجه البغوي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبث في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم هذه قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنة تكفي ناله صلاة يوم قال لا أقدر والله قدره قلنا يا رسول الله وما اسرعه في الارض قال كالغيث استذرت الریح وفي رواية أبي داود عنه فن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما

ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغية) ببالي موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بنحاق السموات والارض لانهم كانوا مقربين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهاتته أقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا يتأملون

الذي يرى الناس انه نار فماء بارد والذي يرى الناس انه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه أعور وانه يحيى بمثل الجنة والنار قالوا نعم يا رسول الله الجنة هي النار واني أنذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ما سألت أحدا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ما سأله وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فليؤمن منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشهوات أو قال لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطره الدجال الامكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصهان سبعون ألفا عليهم الطيالة عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة للمذهب الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتتمطر والارض أن تنبت فتنب وتقع كل ذلك بقدرته الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام وينبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلاف الجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لاحقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لضاقت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون مامعه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجوده لا لائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذي في عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذا الدلائل لا يغتر به الاعوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمي أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تهش العقول وتحير الالباب ولهذا احدثت الانبياء من فتنته فاما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخذعون بمامعه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما زددت فيك الابصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله ليزداد الذين آمنوا إيمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه ماء ونار افاؤه نار ونار ماء بارد والله تعالى أعلم ﴿ قوله عز وجل (وما يستوى الاعمى والبصير) أي الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) أي

اغلبة الغفلة عليهم (وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) لا زائدة

(قليلًا ما تذكرون) تتعظون بتاءين كوفي و بياء وتاء غيرهم وقليلًا صفة مصدر محذوف أي تذكروا قليلًا يتذكرون وماصمة زائدة (ان الساعة آتية لا ريب فيها) لا بد من مجيئها وليس بمرتأب فيها لانه لا بد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها (وقال ربكم ادعوني) استجب لكم (أثبكم بالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحديثي أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلوني أعطكمكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكي وأبو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذي) (٨٢) جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا) هو من الاسناد المجازي أي مبصر فيه

لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان يعني لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصر وافية فانت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكننا لم تميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قوله ليل ساج أي ساكن لا يرج فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمفضل لان المراد تكبير الفضل وأن يجعل فضلا لا يواز به فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان

لا يستون (قليلًا ما تذكرون ان الساعة) يعني القيامة (آتية لا ريب فيها) أي لا شك في قيامها ومجيئها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت ﴿قوله تعالى﴾ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) أي اعبدوني دون غيري أثبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الالابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعوني استجب لكم وقيد عوا الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص في الدعاء وأن لا يدعوه وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما أن يجعلها له واما أن يؤخرها له يدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يجعل له به في الدنيا واما أن يدخر له في الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا لم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستجمل قالوا يا رسول الله وكيف يستجمل قال يقول دعوت ربّي فما استجاب لي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) أي عن توحيدى وقيل عن دعائى (سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين ذليلين ﴿قوله عز وجل﴾ (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرًا) أي لتحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم) أي ذلك المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شيء لا اله الا هو) أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وأنه لا شريك له في ذلك (فاني تؤفكون) أي فاني تصرفون عن الحق (كذلك) أي كما أفكنكم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (تؤفك الذين كانوا بآيات الله يحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا) أي فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت (والسما بناء) أي سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فاحسن صوركم) أي خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات)

في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لَكفور وقوله ان الانسان لظالم كفار (ذلكم) الذي خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو) أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شيء والوحدانية (فاني تؤفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يحدون) أي كل من حجب بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (الله الذي جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسما بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فاحسن صوركم) قيل لم يخلق جونا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذبات

(ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيّنات من ربي) هي القرآن وقيل العقل والوحي (وأمرت أن أسلم) أستقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذي خلقكم) أي أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يقيمكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكنوا شيوعاً) وبكسر الشين مكى وجزرة وعلى وحاد ويحي والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أي (٨٣) من قبل بلوغ الاشداً ومن قبل

الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه وفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعالمكم تعقلون) مافي ذلك من العبر والحجج (هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) أي فأنما يكونه سرّياً من غير كلفة (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله اني يصرفون) ذكر الجدل في هذه السورة في ثلاثة مواضع فجاز أن يكون في ثلاثة أقسام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسالنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذا اغلغل في أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لان الامور المستقبل لما كانت

قبل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكول والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي) وهذا يفيد الحصر أي لا حي الا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذي يمتنع أن يموت امتناعاً تاماً ثابتاً وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي هو المدرك للفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوجدانية بقوله (لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أي فادعوه واحده قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيّنات من ربي) وأمرت أن أسلم (لرب العالمين) وذلك حين دعي الى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك ﴿ قوله (هو الذي خلقكم من تراب) يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكنوا شيوعاً) يعني أن مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشده من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل أن يصير شيخاً (ولتبلغوا) أي جميعاً (أجلا مسمى) أي وقتاً محدوداً لا يتجاوزونه يعني أجل الحياة الى الموت (ولعالمكم تعقلون) أي مافي هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) أي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والامانة وسائر ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته كانه قال من الاقتدار اذ قضى أمراً كان أهون شيء وأسرع ﴿ قوله تعالى (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله) يعني القرآن (انني يصرفون) أي عن دين الحق وقيل نزات في القدرة (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسالنا) رسالنا فسوف يعلمون (فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (اذا اغلغل في أعناقهم والسلاسل يسحبون) أي يجرون بتلك السلاسل (في الجحيم ثم في النار يسجرون) أي توقدهم النار (ثم قيل لهم أينما كنتم أشركون من دون الله) يعني الاصنام (قالوا ضلوا عننا) أي فقدناهم فلم نرهم (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً) قيل انهم أنكروا عبادتها وقيل لم تكن ندعوا شيئاً ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنما لم تكن ندعوا من قبل شيئاً (كذلك يضل الله الكافرين) أي كما أضل هؤلاء (ذلكم) أي العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون) أي تبطرون وتناشرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم

في أخبار الله تعالى مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر في أعناقهم والمعنى اذا اغلغل والسلاسل في أعناقهم (يسحبون في الجحيم) يجرون في الماء الحار (ثم في النار يسجرون) من سجر التنوير اذا ملاء بالوقود ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار علواً بها أجوافهم (ثم قيل لهم) أي تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعني الاصنام التي تعبدونها (قالوا ضلوا عننا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نتفجع بهم (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً) أي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئاً وما كنا نعبد بعبادتهم شيئاً كما تقول حسبت ان فلان شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيراً (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة وطلبتهم الآلهة لم يتصادفوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) أي العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم

نمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا ابواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالد بن فيها) مقدر بن الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فاما نرينك) اصله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول ان تكبره نى أكرمك ولكن اما تكبر منى أكرمك (بعض الذى نعدهم أو تتوفينك فالىنا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نريك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان تتوفينك قبل يوم بدر فالىنا يرجعون يوم القيامة فندقم منهم أشد الاتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن على رضى الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم تذكر قصته فى القرآن (وما كان لرسول أن يأتى بأية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادايعى (٨٤) اناد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتى بأية الا باذن الله فمن أين لى بان

أتى بأية مما تفرحونه
الا أن يشاء الله ولياذن فى
الآيات بها (فاذا جاء أمر
الله) أى يوم القيامة وهو
وعيد ورد عقيب
اقتراحهم الآيات (قضى
بالحق وخسر هنالك
المبطلون) المعاندون
الذين افترحوا الآيات
عنادا (الله الذى جعل
خلق (لكم الانعام)
الابل (لتركبو امنها ومنها
تأكلون) أى لتركبوا
بعضها وتأكلوا بعضها
(ولكم فيها منافع) أى
الالبان والادبار (ولتبلغوا
عليها حاجة فى صدوركم)

نمرحون) أى تحتالون وتفرحون به (ادخلوا ابواب جهنم) يعنى السبعة (خالد بن فيها فبئس مثوى المتكبرين) أى عن الايمان ﴿قوله تعالى﴾ (فاصبر ان وعد الله حق) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى بنصرك على الاعداء (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) أى من العذاب فى حياتك (أو تتوفينك) أى قبل أن يحل ذلك بهم (فالىنا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) أى خبره وحاله فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد الا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبر واهدأ تسلياً لنبىه صلى الله عليه وسلم (وما كان لرسول أن يأتى بأية الا باذن الله) أى بأمره وارا دته (فاذا جاء أمر الله) أى قضاؤه بين الانبياء والامم (قضى بالحق) أى بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم ﴿قوله تعالى﴾ (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبو امنها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) أى فى أصوافها وأوبارها وأشعارها والبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى نحمل أثقالكم من بلد الى بلد فى أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر (ويرىكم آياته) أى دلائل قدرته (فأى آيات الله تنكرون) يعنى ان هذه الآيات التى ذكرها ظاهرة باهرة فليس شئ منها يمكن انكاره ﴿قوله تعالى﴾ (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أ كثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض) يعنى مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء فى أطراف الارض لعرفوا أن عاقبة هؤلاء المذكورين المتمردين اهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عدداً وأموالاً من هؤلاء (فما أغنى عنهم) أى لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) أى شئ أغنى عنهم كسبهم (فما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) أى رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قولهم لن نبعث

أى لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى الفلك تحملون) ولن
أى على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (ويرىكم آياته فأى آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله وأى نصب بتكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكور والمؤث في الاسماء غير الصفات نحو حار وحارة غريب وهي فى أى أغرب لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أ كثر منهم) عدداً (وأشد قوة) بدناً (وآثارا فى الارض) قصوراً ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافع (ما كانوا يكسبون) فاما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فاما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والهدر بين فاتهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصعروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع موسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا والمراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح فحك منه واستهزأ به كأنه قال استهزأ بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين به مرحين

وبدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن) أو الفرح للرسول أي الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرت بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) أي فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التي قد خلت في عباده) أن الإيمان عند نزول العذاب لا ينفع وأن العذاب نازل بمكذبي الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون في كل أوان ولكن يتبين خسرانهم إذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاآت في هذه الآيات أن فاعل غنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فاعل غنى عنهم كقولك رزق زيد المال ففزع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم (سورة فصلت مكية وهي ثلاث وخمسون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) ان جعلته اسم للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبر وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (من) (الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواظ ووعود وعيد وغير ذلك (قرأنا عريبا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد به هذا الكتاب المفصل قرأنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرأنا عريبا (لقوم يعلمون) أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة لمسانهم العربي ولقوم يتعلق بتنزيل أو فصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والظاهر

وان نغضب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمي ذلك علما على ما يدعو به ويوعظونه وهو في الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن فلما رأوا بأسنا) أي عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرت بما كنا به مشركين) أي تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده) يعني ان سنة الله قد جرت في الأمم الخالية بعدم قبول الإيمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعني تلك السنة أنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) أي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه إذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بما راده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصايح وهي مكية وهي أربع وخمسون آية وسبع مائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أي بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من أحكام وأمثال ومواظ ووعود وعيد (قرأنا عريبا) أي باللسان العربي (لقوم يعلمون) أي أنما أنزلناه على العرب ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه (بشيرا ونذيرا) نعمتان للقرآن أي بشيرا والاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب (فاعرض أكرمهم) أي عنه (فهم لا يسمعون) أي لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعني مشركي مكة (قلو بنا في أكنة) أي أغطية (مما ندعونا اليه) أي فلا نفقه ما تقول (وفي آذاننا وقر) أي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى أنا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أي خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول (فاعمل) أي أنت على دينك (اننا عاملون) أي على ديننا (قل يا محمد) (انما أنا بشر مثلكم) أي كواحد منكم (يوحى إلى) أي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن عامه الله تعالى التواضع (انما الحكم اله واحد فاستقيموا اليه) أي

أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرأنا عريبا كأنما لقوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا (فاعرض أكرمهم فهم لا يسمعون) أي لا يقبلون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعوا ولكنه لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه (وقالوا قلو بنا في أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما ندعونا اليه) من التوحيد (وفي آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنسوق قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كما هي في غلف وأغطية تمنع من نفوذ فيها وروح أسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباع المذاهب والدينيين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه بخاسر من جيل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا وفاعمل في ابطال أمرنا اننا عاملون في ابطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما الحكم اله واحد) هذا جواب لقولهم قلونا بنا في أكنة ووجهه أنه قال لهم اني لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت نبوتي بالوحي إلى وأنا نبشروا إذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى إلى أن الحكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلص العبادة غير ذاهبين بيننا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى ما يسول لكم

الشیطان من اتخاذ الاولیاء والشفعاء (واستغفروه) من الشریک (وویل للمشرکین الذین لا یؤمنون بالزکاة) لا یؤمنون بوجوب الزکاة ولا یطهرونها ولا ینفعلون ما ینفعلون بهما زکیاء وهو الایمان (وهم بالآخرة) بالبعث والنواب والعقاب (هم کافرون) وانما جعل منع الزکاة مقروناً بالكفر بالآخرة لان أحب الشئ الی الانسان ماله وهو شقیق روحه فاذا بذله فی سبیل الله فذلک أقوى دلیل علی استقامته وصدق نبته ونصوع طویته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بالمظنة من الدنیا فقرت عصبیتهم ولا ت شکیمتهم وما ارتدت بنو حنیفة الا بمنع الزکاة وفیه بعث للمؤمنین علی أداء الزکاة ونحو یشهد من منعها (ان الذین آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غیر ممنون) مقطوع قیل نزلت فی المرضی والزمنی والهرمی اذا عجزوا عن الطاعة کتب لهم الاجر كأصح ما کانوا یعملون (قل أنکم لتکفرون بالذی خلق الارض فی یومین) الاحد والاثنین تعلیم اللاناة ولو (٨٦) أراد ان یخلقها فی لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) شرکاء وأشباهها (ذلک) الذی

خلق ماسبق (رب العالمین) خالق جمیع الموجودات وسیدها ومریئها (وجعل فیها) فی الارض (رواسی) جبالاً ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض لتکون منافع الجبال ظاهرة لطالبها ولیبصر ان الارض والجبال أثقال علی أنقال کلها مفتقرة الی تمسک وهو الله عزوجل (وبارک) بالماء والزرع والشجر والثمر (فیها) فی الارض وقیل وبارک فیها وأکثر خیرها (وقدر فیها أقواتها) أرزاق أهلها ومعاشهم وما یصلحهم وقرأ ابن مسعود رضی الله عنه وقسم فیها أقواتها (فی أربعة أيام) فی تمه أربعة أيام یرید بالتتمه الیومین نقول سرت من البصرة الی بغداد فی

توجهوا الیه بطاعته ولا تمیلوا عن سبیله (واستغفروه) أى من ذنوبکم وشریککم (وویل للمشرکین الذین لا یؤمنون بالزکاة) قال ابن عباس لا یقولون لا اله الا الله لا اله الا الله لا یطهرون أنفسهم من الشریک بالتوحید وقیل لا یقرون بالزکاة المفروضة ولا یرون ایتانها واجبا یقال الزکاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجح ومن تخلف عنها هلك وقیل معناه لا ینفقون فی طاعة الله ولا یتصدقون وقیل لا یزکون أعمالهم (وهم بالآخرة هم کافرون) أى جاحدون بالبعث بعد الموت (ان الذین آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غیر ممنون) قال ابن عباس غیر مقطوع وقیل غیر منقوص وقیل غیر ممنون علیهم به وقیل غیر محسوب قیل نزلت هذه الآية فی المرضی والزمنی والهرمی اذا عجزوا عن العمل والطاعة یکتب لهم الاجر كأصح ما کانوا یعملون فیه (خ) عن أبی موسی الاشعری قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم غیر مرة ولا مرتین یقول اذا کان العبد یعمل عملاً صالحاً فشفعه عنه مرض أو سفر کتب الله تعالی له کساح ما کان یعمل وهو صحیح مقیم ۞ قوله عزوجل (قل أنکم) استفهام بمعنی الانکاز و ذکر عنهم شئین منکرین أحدهما الکفر بالله تعالی وهو قوله تعالی (لتکفرون بالذی خلق الارض فی یومین) وثانیهما (وتجعلون له أندادا) اثبات الشرکاء والانداد له والمعنی کیف یجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة أنداد الله تعالی مع انه تعالی هو الذی خلق الارض فی یومین یعنی الاحد والاثنین (ذلک رب العالمین) أى هو رب العالمین وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فیها رواسی) أى جبالاً ثوابت (من فوقها) أى من فوق الارض (وبارک فیها) أى فی الارض بکثرة الخیرات الحاصلة فیها وهو ما خلق فیها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق أصناف الحیوانات وکل ما یحتاج الیه (وقدر فیها أقواتها) أى قسم فی الارض أرزاق العباد والبهاائم وقیل قدر فی کل بلدة مالم یجعله فی الاخری لیبیش بعضهم من بعض بالتجارة وقیل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمک لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقیل ان الزراعة کثیر الحرف بركة لان الله تعالی وضع الاقوات فی الارض قال الله تعالی وقدر فیها أقواتها (فی أربعة أيام) أى مع الیومین الاولین خلق الارض فی یومین وقدر الاقوات فی یومین وهما یوم الثلاثاء و یوم الاربعاء فصارت أربعة أيام رداً لآخر علی الاول فی الذکر (سواء لسانین) معناه سواء علی من سأل عن ذلک أى فهكذا الامر سواء لازیادة فیه ولا نقصان جواب لمن سأل فی کم خلقت الارض والاقوات

عشرة والی الکوفة فی خمسة عشرة أى تمه خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لانه لو أجرى

ثم علی الظاهر لکان ثمانية أيام لانه قال خلق الارض فی یومین ثم قال وقدر فیها أقواتها فی أربعة أيام ثم قال فقضاءهن سبع سموات فی یومین فیکون خلاف قوله فی ستة أيام فی موضع آخر وفى الحدیث ان الله تعالی خلق الارض یوم الاحد والاثنین وخلق الجبال یوم الثلاثاء وخلق یوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فذلک أربعة أيام وخلق یوم الخیس السماء وخلق یوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم علیه السلام فی آخر ساعة من یوم الجمعة قیل هی الساعة الی تقوم فیها القيامة (سواء) یعقوب صفة للایام أى فی أربعة أيام مستویات تامات سواء بالرفع یرید أى هی سواء غیرهما سواء علی المصدر أى استوت سواء أى استواء أو علی الحال (لسانین) متعلق بقدر أى قدر فیها الاقوات لاجل الطالبین لها والمحتاجین الیه لان کلای طلب القوت ویسأله او یسأل عن یسأل فیه الخصر لاجل من سأل فی کم خلقت الارض وما فیها

(ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض انقياطوعا وكرها قالتا اتينا طائعين) هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما اراد
تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون أنه اكمل الاول وابتدأ الثاني ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق
الارض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه أنه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طوطا وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة
آلاف سنة فنظر اليها بالهيئة فذا بت واضطربت ثم نار منها دخان بتسايط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد
أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والارض بالانقياطوع والكرها ما لم يمتنع عليهما ووجدتا كما أرادهما وكاتفا ذلك
كلأمر المطيع اذا ورد عليه فعل الأمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء في الأمر بالانقياطوع والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق
جزم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك

(٨٧)

عليه أن تأتيا من الشكل
والوصف اننى يا أرض
مدحوة قسرا و مهادا
لأهلك و اننى يا سماء مقببة
سقفاهم ومعنى الانقياطوع
الحصول والوقوع كما
تقول اننى عملته مرضيا
وقوله طوعا وكرها لبيان
تأثير قدرته فيهما وان
امتناعهما من تأثير قدرته
محال كما تقول لمن تحت
يدك لتفعلن هذا شئت
أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو
كرها وانتصاهما على الحال
بمعنى طائعتين أو مكرهتين
وانما لم يقل طائعتين على
اللفظ أو طائعات على
المعنى لانهما سموات
وأرضون لانهن لما جعلن
مخاطبات ومحبيات ووصفهن
بالطوع المكره قيل
طائعتين في موضع طائعات
كقوله ساجدين (فقضاهن)
فأحكم خلقهن قال

(ثم استوى الى السماء) أى عمد الى خلق السماء (وهي دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش
قبل خلق السموات والارض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والارض أمر الريح ففصربت
الماء فارتفع منه بخار كالدهان خلق منه السماء ثم أيس الماء فخلقته أرضا واحدة ثم فتنها فجعلها سبع سماوات
قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعرا بان خلق
الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء
بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدحا وجواب آخر وهو أن يقال ان خلق السماء مقدم على خلق
الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط
بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الارض في يومين بعد أحداث السماء فعلى هذا
يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض انقياطوعا وكرها) أى انقياطعا أمرتكما به أو افعله
وقيل افعلما أمرتكما طوعا والأجأتكما الى ذلك حتى تفعله كرها فاجابتا بالطوع (قالتا اتينا طائعين) معناه
اتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما أخرجا
ما خلقت فيكما من المنافع لصالح العباد ما أنت يا سماء فاطمعي شمسك وقرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي
أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك ﴿ وقوله تعالى ﴾ (فقضاهن سبع سموات) أى أتمهن وفرغ من خلقهن
(في يومين) وهما الخبيس والجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها) قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقا من
الملائكة وقال وخلق ما فيهما من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل أوحى الى كل سماء ما أراد من
الأمر والنهي (وزينا السماء الدنيا) أى التلى الارض (بمصاييح) أى بكواكب تشرق كالمصاييح
(وحفظا) أى وجعلناها بمعنى الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أى
الذى ذكر من صنعه وخلقته (تقدير العزيز) أى فى ملكه (العليم) أى بخلقته وفيه إشارة الى كمال القدرة والعلم
﴿ قوله تعالى ﴾ (فان أعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) أى
خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أى هلا كما مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ (اذ جاءتهم
الرسل) يعنى الى عاد وثمود (من بين أيديهم) يعنى الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعنى ومن بعد
الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا اليهم وحمهاود وصالح واما خص هاتين القبيلتين

وعليهما مسرودتان قضاهما والضمير يرجع الى السماء لان السماء لا جنس ويجوز أن يكون ضمير أمهما مفسرا بقوله (سبع سموات)
والفرق بين النصيبين في سبع سموات ان الاول على الحال والثاني على التمييز (في يومين) في يوم الخميس والجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها)
ما أمر به فيها ودره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الارض (بمصاييح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها
من المسترقة بالكواكب حفظا (ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الإيمان بعد هذا
البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذابا شديدا يقع كأنه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود) اذ جاءتهم الرسل من
بين أيديهم ومن خلفهم (أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن
قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة

(أن) بمعنى أي أو مخففة

من الثقبيلة أصله بانه
(لا تعبدوا الا الله قالوا) أي
القوم (لوشاء ربنا)
ارسال الرسل ففعلول شاء
مخدوف (لانزل ملائكة
فانابما أرسلتم به كافرون)
معناه فاذا أتم بشروا لستم
بملائكة فانال نؤمن بكم
وبما جئتم به وقوله أرسلتم
به ليس باقرار بالارسال
وانما هو على كلام الرسل
وفيه نهكم كما قال فرعون
ان رسولكم الذي أرسل
اليكم لمجنون وقولهم فانابما
أرسلتم به كافرون خطاب
منهم لهود وصالح ولسائر
الانبياء الذين دعوا الى
الايمان بهم روى ان قر يشا
بعثوا عتبة بن ربيعة
وكان أحسنهم حديثا
ليكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينظر ما يريد
فاتاه وهو في الحطيم فلم يسأل
شيأ الا أجابه ثم قرأ عليه
السلام السورة الى قوله
مثل صاعقة عاد وثمود
فناشده بالرحم وأمسك
على فيه ووثب مخافة أن
يصب عليهم العذاب
فاخبرهم به وقال لقد
عرفت السحر والشعر
فوالله ما هو بساحر ولا
بشاعر فقالوا لقد صيبت
أما فهمت منه كلمة فقال لا
ولم أهتد الى جوابه فقال
عثمان بن مظعون ذلك

لان قر يشا كانوا يعمرون على بلادهم (أن لا) أي بان لا (تعبدوا الا الله قالوا) الوشاعر بنال انزل ملائكة
يعني لوشاعر بنادعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانابما أرسلتم به كافرون) روى البغوي
باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملا من قر يش وأبوجهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمس
رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكامه ثم أنا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد
سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه
قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فم أشتم آلهتنا وتضل آباءنا فان
كان ما بك للرياسة عقد نالك ألويتنا فكنتم رئيسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة
تختارهن من أي بنات قر يش وان كان بك المال جعنا لك ما تستغنى به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على
فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قر يش واحتبس عنهم فقال أبوجهل يا معشر قر يش والله
ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه
فقال أبوجهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك صبت الى محمد وأعجبتك طعامه فان كانت بك حاجة جعنا
لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني
من أكثر قر يش ما لا أول كني أتيته وقصصت عليه القصة فاجابني يشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر
وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك بفيه وناشده
الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب خفت أن ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب
القرظي حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا علما قال يوما وهو جالس في نادي قر يش ورسول الله صلى الله
عليه وسلم وحده في المسجد يا معشر قر يش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا
بعضها فنعظمه ويكف عنا وذلك حين أسلم حزة وروا أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون
قالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك
منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم
وسفقت أحلامهم وعييت آلهتهم وكفرت من مضى من آباءهم فاستمع مني أعرض عليك أمورا تنظر
فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي ان كنت إنما تريد بما جئت به ما لا جعنا لك من
أموالنا حتى نكون من أكثرنا ما لا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رثيا تراه
لا نستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فانكم لعمري بنى عبد المطلب
تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه أحد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدر غرت يا أبا
الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى
انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال أسمع يا أبا الوليد فانت وذاك فقام عتبة الى
أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا
ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي اني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر
قر يش أطيعوني يا معشر قر يش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي
سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتهم به غيركم وان يظهر على العرب فلكم ملككم وعزه عزكم وأتم
أسعد الناس به قالوا سحر ك والله محمد يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل

والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال

(فاما)

(فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أو استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية (وقالوا من أشد مناقوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أولم يروا) ألم يعلموا علم ما يقوم مقام العيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لأنه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أي كانوا يعرفون انها حق ولكنهم يجحدونها كما يجحد المودع الوديعة (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة تصرصر أي صوت في هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة بردها تكرر لبناء الصر وهو البرد قيل اسمها الدبور (في أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكى وبصرى ونافع ونحس نحسانقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو وصف بمصدر وكانت من الاربعاء في آخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا في الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على أنه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبغ من وصفهم به فستان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر

(٨٩)

لهم (وأما نود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم أي بينا لهم الرشدا (فاستجبوا العمى على الهدى) فاختراروا الكفر على الايمان (فاخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهلون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا

(فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد مناقوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوى أجسام طوال قال الله تعالى رداعليهم (أولم يروا) أي أولم يعلموا (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) وكانوا بآياتنا يجحدون فإرسالنا عليهم ريحا صرصرا أي عاصفا شديد الصوت وقيل هي الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فاربعة منها عذاب وهي الريح الصرصرة والعاصف والقاصف والعقيم وأربعة منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا (في أيام نحسات) أي نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا في الارض بغير الحق (في الحياة الدنيا) أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى) أي أشد اهانة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب (وأما نود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستجبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الكفر على الايمان (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذى الهوان (بما كانوا يكسبون) أي من الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) أي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه ﴿قوله تعالى﴾ (ويوم نحش أعداء الله الى النار فهم يوزعون) أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذا ما جاؤوها) يعني النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أي بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت اللسان من عملهم (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله

(١٢ - (خازن) - رابع)

ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فإراح عليهم ولم يبق لهم عذر فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وانما محل هذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على الهدى (ويوم نحش أعداء الله الى النار) أي الكفار من الاولين والآخرين نحش أعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم نوالهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كلفته (حتى اذا ما جاؤوها) صاروا يحضرتها وما مزيدة للتأكيده معنى التأكيده ان يكون وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بعلامسة الحرام وقيل هي كناية عن الفروج

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما عاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بحجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشاءكم أول مرة وعلى اعادكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظنكم أن الله

ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد به عز وجل يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لأجيز اليوم على نفسي الا شاهد امني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الكاتبين عليك شهود اقال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطق فتتطرق باعماله ثم يخل بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكم كنت أناضل (وقالوا) يعني الكفار الذين يجررون الى النار (جلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) معناه ان القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذي أنطق كل شيء ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) أي تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدررون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد عليكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحهم بطونهم قليلا فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فإنه يسمع اذا أخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون قيل الثقفى هو عبد الله بن مسعود وصفوان بن أمية قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم برکم) أي ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون (أرداكم) أي أهلكم قال ابن عباس طرحكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار منوى لهم) أي فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفعكوا به من الثواء في النار (وان يستعجبوا) وان يستعجبوا (فأصبحتم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا ففاهم من المرضيين أو ان يسألوا العتي وهو الرجوع جزعائهم فيه لم يعتبوا أي لم يعطوا العتي ولم يجابوا اليها (وقيضناهم) أي قدرنا للمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيطان أى مثان والمقايسة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء)

لا يعلم كثيراً مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلكم ظنكم الذي ظننتم برکم أرداكم) وذلك الظن هو الذي أهلككم وذلك مبتدأ وظنكم خبر والذي ظننتم برکم صفة وأرداكم خبر ثان وظنكم بدل من ذلك وأرداكم الخبر (فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار منوى لهم) أي فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفعكوا به من الثواء في النار (وان يستعجبوا ففاهم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا ففاهم من المرضيين أو ان يسألوا العتي وهو الرجوع جزعائهم فيه لم يعتبوا أي لم يعطوا العتي ولم يجابوا اليها (وقيضناهم) أي قدرنا للمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيطان أى مثان والمقايسة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء)

أخذنا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو قرين (فزينواهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها وما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا يبعث ولا حساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (في أمم) في جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تلعيل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغوا فيه من اللفظ وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رأيتهم محمدًا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكنزوا الكلام حتى يتخلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالملكاء والصغير وقيل صيحوافى وجهه (لعلكم تغلبون) يعني محمد على قراءته (فلندين الذين كفروا عذاباً شديداً) ولنجزينهم

يهوز أن يزبد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والأمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكروا الذين كفروا عامة لينظروا تحت ذكركمهم (ولنجز بينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة (النار) عطف بيان للجزاء وأخبر مبتدأ محذوف (لهم فيها دار الخلد) أي النار في نفسها دار الخلد كما تقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها (جزاء) أي جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في نخذل فندمكي وشامي وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو (الذين أضلانا) أي الشيطانين الذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان (٩١) على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين) في النار جزاء أضلناهم أيانا (ان الذين قالوا ربنا الله) أي نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولاً وعنه انه تلاه ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال جلنم الامر على أشده قالوا فإني قول قال لم يرجعوا إلى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه لم ير وغوا روغان الثعلب أي لم ينافقوا وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه حقيقة الاستقامة القرار

ولنجز بينهم أسوأ (الذي كانوا يعملون) أي في الدنيا وهو الشرك (ذلك) أي الذي ذكر من العذاب (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) أي دار الإقامة لا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يحدون وقال الذين كفروا) أي في النار (ربنا) أي يقولون ياربنا (أرنا) الذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقايل بن آدم الذي قتل أخاه لانهم أساءوا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) أي في النار (ليكونا من الاسفلين) أي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذاباً منا (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته لا لجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الإشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الأعمال الصالحة أن يكون الانسان مستقيماً في الوسط غير مائل إلى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في أمر الدين والتوحيد فتكون في الأعمال الصالحة مثل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئاً وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ وغان الثعلب وقال عثمان رضي الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا في العمل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة (تنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشري تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث (أن لا تخافوا) أي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) أي على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم) أي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشري نحن أولياؤكم أي انصاركم وأحبائكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كننا معكم (في الحياة الدنيا) نحن أولياؤكم (في الآخرة) لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أي في الجنة (ما تشتهى أنفسكم) أي من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) أي تمنونه (نزلاً) أي رزقا والنزل رزق النزول والنزول هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية بحري النزل والكرامات اذا أعطى هذا النزل فما ظنك بما بعد من اللطاف والكرامة (قوله تعالى) (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) أي إلى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى شهادة أن لا اله

بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بانه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن أي لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فالتخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تدفعوه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا وقال محمد بن علي الترمذي تنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الا بدان أن لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخراهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحبائهم في الدار بن (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدعون) تمنون (نزلاً) هو رزق النزول وهو الضيف واتصافه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (من غفور رحيم) نعمته (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله)

الى عبادته هو رسول الله دعاه الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا (وقال اني من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولانستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن) يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها اذا عترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك رجل أساءة فالحسنة أن تغفوعنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان أساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولد الحميم مصافاة لك ثم قال (وما يلقاها) أي وما يلقى هذه الخصلة التي هي (٩٢) مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) الا أهل الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ

عظيم) الارجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل دفع بالتي هي أحسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقال ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة للتأكيد والمعنى لا يستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنة هان عليه الدفع بمادونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والغفوة عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان ابن حرب وكان عدوا ومؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا صافيا (واما

الا الله وقيل هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما أجاب اليه (وعمل صالحا) في اجابته وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعاه الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب * الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالهجرات والحجج والبراهين وبالسيوف وهذه المرتبة لم تتفق غير الانبياء * الرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيوف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاه الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا على ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال في الثالثة لمن شاء * عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يردأخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن (وقال اني من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به ﴿ قوله تعالى (ولانستوى الحسنة ولا السيئة) يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتي هي أحسن) قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والغفوة عند الاساءة (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أي صديق قريب قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حيا بالقرابة (وما يلقاها) أي وما يلقى هذه الخصلة والفعله وهي دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) أي على تحمل المكروه وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت له الجنة (واما ينزعك من الشيطان نزع) النزع شبه النخس والشيطان ينزع الانسان كأنه ينخسه أي يبعثه الى ما لا ينبغي ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) أي من شره (انه هو السميع) أي لاستعاذتك (العليم) باحوالك ﴿ قوله تعالى (ومن آياته) أي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجد والشمس والالقمر) أي انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجد والله الذي خلقهن) أي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون)

ينزعك من الشيطان نزع) النزع شبه النخس والشيطان ينزع الانسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي يعني وجعل النزع نازعا كما قيل جد جده أو أريد وما ينزعك نزع وصف الشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حالك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) ينزع الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) في تعاقبهما على حدم معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدرون ومقرر (لا تسجد والشمس والالقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجد والله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) الضمير في خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى أو الاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن

واعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصائين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود طهما السجود لله تعالى فهو اعن هذه الوساطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبروا فالذين عند ربك) أي الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما أمر به وأبوا الا الوساطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقر بون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن

(٩٣)

الزلفي والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا لا يسأمون وعند الشافعي رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لخال الارض اذا كانت حطاة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) اتفتحت (ان الذي أحياها المحيي الموتي انه على كل شيء قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة (ان الذين يلحدون في آياتنا) يميلون عن الحق في أدلتنا بالطعن يقال الحد الحافر والحد اذا مال عن الاستقامة فخر في شق فاستعير لخال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون

يعني ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فهو اعن السجود لهذه الوسائط وأمروا بالسجود لله الذي خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبروا) أي عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أي لا يفترون ولا يملون

فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لأصحاب الشافعي أحدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن أبي حنيفة وأجلان ذكر السجدة قبله والثاني وهو الاصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرافعي انه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة لان عنده يتم الكلام (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها المحيي الموتي انه على كل شيء قدير) قوله تعالى (ان الذين يلحدون) أي يميلون عن الحق (في آياتنا) أي في أدلتنا قيل بالمكاء والتصديقه واللغو واللغو وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت في أبي جهل (أفمن يلقى في النار) هو أبو جهل (خبرأ من يأتي آمن يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) أمر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) أي انه عالم باعمالكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذکر لما جاءهم) يعني القرآن وفي جواب ان وجهان أحدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذکر يجازون بكفرهم والثاني جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ في وصف الذکر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كرم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجحد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتية التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجحد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتية الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أي في جميع أفعاله (جيد) أي الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل (ما يقال لك) أي من الاذى والتكذيب (الاما قد قيل للرسول من قبلك) يعني انه قد قيل لالانبياء قبلك ساسر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) أي لمن

علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى في النار خيرا من يأتي آمن يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية في التهديد ومبالغة في الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذکر) بالقرآن لانهم لكفروا به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم وخبر ان محذوف أي يعذبون أو هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وانه لكتاب عزيز) أي منيع محمي بحماية الله (لا يأتية الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) أي بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم جيد) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار قومك (الاما قد قيل للرسول من قبلك) الامثل ما قال للرسول كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعنة في الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورجة لانبيائه

(وذو عقاب أليم) لا عداثهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله الامثل ما قال للرسول من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (ولو جعلناه) أي الذكر (قرآنا عجميا) أي بلغة العجم كانوا يتعنتهم بقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقل في جوابهم لو كان كما يقرحون (لقالوا لولا فصلت آياته) أي بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا (أعجمي وعربي) بهمزتين كوفي غير حفص والهمزة للانكار يعني لا نكرهوا وقالوا أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل اليه عربي الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمي منسوب الى أمة العجم فصيحاً كان أو غير فصيح والمعنى ان آيات الله على أي طريقة جاءت فهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبيين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه إشارة على أنه لو أنزل بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لا بي حنيفة رضى الله عنه في (٩٤) جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أي القرآن (للذين آمنوا هدى)

تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) أي لمن أصر على التكذيب قوله عز وجل (ولو جعلناه) أي هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس (قرآنا عجميا) أي بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) أي هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أعجمي وعربي) أي أ كتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيًا والمنزل أعجميًا وقيل في معنى الآية اننا لو أنزلناه هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمي الى القوم العرب واصح قولهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقرآننا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانما أنزلناه هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقرآننا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يعني أبافكيه فقال المشركون انما يعلمه يسار فضر به سيده وقال انك تعلم محمدًا فقال هو والله يعلمني فانزل الله تعالى هذه الآية (قل يا محمد هو) يعني القرآن (للذين آمنوا هدى) أي من الضلالة (وشفاء) أي لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الوجدان والاسقام (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرؤهم عليهم عمى) أي صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أي كما ان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أي فصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضى بينهم) أي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفي شك منه مريب) أي من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) أي يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن أساء فعليها) أي ضرر اساءته أو كفره يعود على نفسه أيضا (ومار بك بظلام للعبيد) يعني فيعذب غير المسيء قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعني اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك (وما نخرج من ثمره من أكمامها) أي من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفري قبل أن ينشق (وما نحمل من أنثى) ولا تضع الا بعلمه أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكرا الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شيء كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولاً فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت أما أصحاب الكشف اذا قالوا قولاً فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه

ارشاد الى الحق (وشفاء) لما في الصدور من الشك اذا الشك مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرؤهم) في موضع الجر لكونه معطوفاً على للذين آمنوا أي هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقرؤهم لا يسمعون في آذانهم وفي رأى صمم الا أن فيه عطفاً على عاملين وهو جازع عند الاخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقرؤهم حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقرؤهم (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعني أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون

بعد المسافة وقيل ينادون في القيامة من مكان بعيد باقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم فكان هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا (وانهم) وأن الكفار (لفي شك منه مريب) موقع في الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضرر (ومار بك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسيء (اليه يرد علم الساعة) أي علم قيامها يرد اليه أي يجب على المسؤول أن يقول الله يعلم ذلك (وما نخرج من ثمرات) مدنى وشامى وحفص وغيرهم غير ألف (من أكمامها) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وما نحمل من أنثى) حملها (ولا تضع الا بعلمه) أي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة

والحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائي) أضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه في قوله أين شركائي الذين زعمتم وفيه تمهيد وتقرير
 (قالوا آذناك) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم بالشيء تحقق بما علم به الا ان
 يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن اننا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه (مامنا من شهيد) أي مامنا
 أحد اليوم يشهد بان لك شر بكاومامنا الا من هو موحد لك أو مامنا من أحد يشاهد هم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في
 ساعة التوب ويخفقيل هو كلام الشركاء أي مامنا من شهيد يشهد بما أضافوا اليه من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل)
 في الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (من دعاء الخير)
 من طاب السعة في المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير خذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير
 (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فاعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر
 أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى

(٩٥)

انه لا يأس من روح الله الا القوم

الكافرون (ولئن أذقناه
 رحمة منا من بعد ضراء
 مسته ليقولن هذا الى
 واذ افرجنا عنه بصحة بعد
 مرض أو سعة بعد ضيق
 قال هذا الى أي هذا حق
 وصل الى لاني استوجبه
 بما عندي من خير وفضل
 وأعمال برأ وهذا الى لا يزول
 عني (وما أظن الساعة قائمة)
 أي ما أظنها تكون قائمة
 (ولئن رجعت الى ربي) أي
 كما يقول المسلمون (ان لي
 عنده) عند الله (للحسنى)
 أي الجنة أو الحالة الحسنى
 من الكرامة والنعمة
 فائسا أمر الآخرة على أمر
 الدنيا (فلنذبئن الذين كفروا
 بما عملوا) فلنخبرهم

فكان من علمه الذي ير داليه وأما السكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايته
 ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو علم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم)
 أي ينادى الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائي) أي الذين تدعون أنها آلهة (قالوا) يعني المشركين
 (آذناك) أي أعلمناك (مامنا من شهيد) أي يشهد أن لك شر يكاوذلك لما رأوا والعذاب تبرؤا من الاصنام
 (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أي يعبدون في الدنيا (وظنوا ما لهم من محيص) أي مهرب ﴿قوله﴾
 تعالى (لا يسأم الانسان) أي لا يمل الكافر (من دعاء الخير) يعني لا يزال يسأل به الخير وهو المال والغنى
 والصحة (وان مسه الشر) أي الشدة والفقر (فيؤس) أي من روجح الله تعالى (قنوط) أي من رحمة (ولئن
 أذقناه رحمة منا) أي آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) أي من بعد شدة وبلاء أصابه (ليقولن
 هذا الى) أي أستحقه بعملى (وما أظن الساعة قائمة) أي ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربي)
 يقول هذا الكافر أي فان كان الامر على ذلك وردت الى ربي (ان لي عنده للحسنى) أي الجنة والمعنى كما
 أعطاني في الدنيا سيغطيني في الآخرة (فلنذبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفهم على مساوى
 أعمالهم (ولنديقنهم من عذاب غليظ) واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أي ذهب بنفسه
 وتكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أي الشدة والفقر (فذودعاء عريض) أي كثير (قل) أي قل يا محمد لكفار
 مكة (أرايتم ان كان من عند الله) يعني هذا القرآن (ثم كفرتم به) أي جحدتموه (من أضل ممن هو في شقاق
 بعيد) أي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا في الآفاق) قال ابن عباس
 يعني منازل الامم الخالية (وفي أنفسهم) أي بالبلاء والامراض وقيل منازلهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو
 ما يفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفي أنفسهم وهو فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه
 الحق) يعني دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمد صلى الله عليه وسلم مؤيد
 من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار

بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنديقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفرغ عنهم (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) هذا
 ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرت النعمة فتنسى النعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعده عن
 ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول
 الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فذودعاء
 عريض) كثيرا أي أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعبر العريض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما
 استعبر الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذودعاء عريض لان الاول في قوم والثاني في قوم أو قنوط في البر وذو
 دعاء عريض في البحر أو قنوط بالقلب ذودعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذودعاء الله تعالى (قل أرايتم) أخبروني (ان كان) القرآن
 (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم أنه من عند الله (من أضل) منكم الا انه وضع قوله (من هو في شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم
 وصفهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفي أنفسهم) فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) أي القرآن والاسلام

(أولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (انه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شيء ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شيء شهيد (ألا انهم فى مريبة) شك (من لقاء ربهم) ألا انه بكل شيء محيط (عالم يحمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومصرتهم فى لقاء ربهم ﴿سورة شورى مكية وهى ثلاث وخسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخوانها ولانه آيتان وكهيعص (٩٦) آية واحدة (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحى اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ والالطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبي صاحب كتاب الا وحي اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكاً (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالباء

الى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ والالطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبي صاحب كتاب الا وحي اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكاً (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالباء

والانهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (أولم يكف بربك) أى على كل شيء شهيد (يعنى يشهد أن القرآن من عند الله تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى أوضعها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شيء (ألا انهم فى مريبة من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شيء محيط) أى عالم بجميع المعلومات التى لانهايه لها حاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا والله أعلم بما راده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة حم عسق﴾

وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور ووحى عن ابن عباس الأربعة آيات نزلت بالمدينة أو طاقلا لأسألكم عليه أجر أو قيل فيها من المدينى ذلك الذى يبدى الله عباده الى قوله تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخسون آية ونمائاته وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة ونمائاته وثمانون حرفا والله تعالى أعلم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سوراً وانها حم فحرت بحرى نظائرهما فكان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت أخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجى واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فاعلا فقال معناها حم الامر أى قضى ربقى عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قر يش يعز فيها الدليل ويدل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقر يش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورد والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين س سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى اليك اخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كانه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم) تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل

نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن بنفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته من يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يبتدىء الانفطار من جهنم الفوقانية وكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كامة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بواغ فى ذلك جعلت مؤثرة فى جهة الفوق كانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطاوحن لها ان تشط ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أورا كع أو ساجد

(والملائكة يسبحون بحمدهم) خضوع المايرون من عظمتهم (ويستغفرون لمن في الارض) أى المؤمنين منهم كقوله ويستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطوانه أو يوحدون الله و ينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من الطاعة متعجبين بما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكافة أو يطلبون الى ربهم أن يعلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب (الا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأن دادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يذونه منها شئ فيجازيهم عليها (وما أنت يا محمد (عليهم بوكيل)

بوكيل عليهم ولا مفوض اليك أمرهم إنما أنت منذر خصب (وكذلك) ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التى قبلها من أن الله رقيب عليهم لأنك أنت رقيب عليهم لأن هذا المعنى كرهه الله فى كتبه وأهو مفعول به لا وحيننا (قرأنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أم القرى) أى مكة لأن الارض دحيت من تحتها وأولها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه (لأريب فيه) اعتراض لا محل له يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى منهم فريق فى

من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمدهم) أى ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم (ويستغفرون لمن في الارض) أى من المؤمنين دون الكفار لأن الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض أما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب وأما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (الآن الله هو الغفور الرحيم) يعنى انه تعالى يعطى المغفرة التى سألوها ويضم اليها بجنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة ﴿قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأن دادا (الله حفيظ عليهم) أى رقيب على أحوالهم وأعمالهم (وما أنت بوكيل) أى لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم إنما أنت نذير (وكذلك) أى ومثل ما ذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعنى مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعنى قرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) أى وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (لأريب فيه) أى لا شك فى الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أنذرون ما هذا ان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال لا الذى فى يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرتهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفافى الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفافى الارحام اذهبهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمالى من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو وفقيم العمل اذا قال عملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة نختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ﴿قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء فى رحته) أى فى دين الاسلام (والظالمون) أى الكافرون (ما لهم من ولى) أى يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) أى بمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) يعنى الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولي) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولى من اتبعك (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) يعنى ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولى (وما اختلفتم فيه من شئ) أى من أمور الدين (فحكمه الى الله) أى يقضى فيه ويحكم

(١٣ - (خازن) - رابع) الجنة ومنهم فريق فى السعير والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة) أى مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء فى رحته) أى يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (ما لهم من ولى) شافع (ولا نصير) دافع (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو الذى يجب أن يتولى وحده لا ولى سواه (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ما اختلفتم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فحكمه) أى حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو انا به المحققين فيه من

المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربى عليه توكلت) في رد كيد أعداء الدين (واليه أُنِيب) أرجع في كفاية شرهم وقبل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم بكمرة الروح وغيره (فاطر السموات والارض) ارتفاعه على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف (جعل لكم من أنفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجاً ومن الانعام أزواجاً) أى وخلق للانعام أيضاً من أنفسها أزواجاً (يذروكم) يكثر كم يقال ذرأ الله الخلق بهم وكثرهم (فيه) في هذا التدبير وهو أن جعل الناس والانعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير في يذروكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل (ليس كمثله شئ) قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد (٩٨) نفي التماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهوشئ كقوله تعالى

فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا الان المراد نفي المثالية واذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان اثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شئ لانهم يقولون مثلك لا يخلل يردون به نفي البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عن سده مسده فقد نفوه عنه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ الا مانع طيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقتان على معنى واحد وهو اني المماثلة عن ذاته ونحوه بل يده مبسوطتان فعناه بل هو جواد من غير تصور بدولا بسط لئلا يظن وقعت عبارة عن الجود حتى أنهم استعملوها فيمن لا يده

يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقبل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثر واحكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) أى الذى يحكم بين المختلفين هو الله (ربى عليه توكلت) أى في جميع أمورى (واليه أُنِيب) أى واليه أرجع في كل المهمات (فاطر السموات والارض) جعل لكم من أنفسكم (أزواجاً) أى حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجاً) أى أصنافا ذكرانا واناثا (يذروكم) أى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) أى في الرحم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر الأزواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذروكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا أنه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل في معنى الباء أى يذروكم به أى يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شئ) المثل صلة أى ليس كهوشئ وقيل الكاف صلة مجازة ليس مثله شئ قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضى اثبات المثل فما الفرق قلت المثل الذى يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شئ معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) أى لسائر المسموعات (البصير) أى لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح الرزق في السموات يعنى المطر وفي الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شئ عليم) أى من البسط والتضييق قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أى بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أى ديننا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ما وصى به نوحا) يعنى انه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد ديننا واحدا (والذى أوحينا اليك) أى من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصيناه ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكور لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رساله بقوله تعالى (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورساله واليوم الآخر وطاعة الله فى أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هي مصالح

فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وهو السميع) لجميع المسموعات بلا إذن (البصير) لجميع الامم المرثيات بلا حذقة وكأنه ذكرهم لئلا يتوهم أنه لا صفة له كما لا مثل له (له مقاليد السموات والارض) صرف الرزق لمن يشاء ويقدر (أى يضيق) (انه بكل شئ عليم شرع) بين وأظهر (لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصيناه ابراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عاينهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رساله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد باقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برساله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحمل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولا تتخلفوا في الدين قال علي رضى

الله عنه لا تنفر قوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبي) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدي اليه من يذنب) يقبل على طاعته (وما تفرقوا) أي أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الامن بعد ما جاءهم العلم) الامن بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا أو طلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهي بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم) لاهلكوا حين افرقوا العظم ما فترقوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لن يشك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان (مريب) مدخل في ريبة وقيل وما تفرق أهل الكتاب الامن بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أنوا (٩٩) الكتاب الامن بعد ما جاءتهم البينة

وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والاتلاف على الملة الحنيفية القوية (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما أمرت) كما أمر الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي أنزل الله تعالى كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لاعدل بينكم) في الحكم

الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الاوصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) أي من التوحيد ورفض الاوثان (الله يجتبي اليه من يشاء) أي يصطفى لدينه من يشاء من عباده (ويهدي اليه من يذنب) أي يقبل على طاعته (وما تفرقوا) يعني أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني أهل الكتاب (الامن بعد ما جاءهم العلم) أي بأن الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) يعني الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أي بين من آمن وكفر يعني لانزل العذاب بالكاذبين في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد أنبيائهم وقيل من الامم الخالية (لن يشك منه) أي من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به (مريب) يعني مرتابين شاكين فيه (فلذلك) أي الى ذلك (فادع) أي الى ما وصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث به من الاختلاف في الدين الكثير فادع أنت الى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به (ولا تتبع أهواءهم) أي المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت ان لا أحيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا انخاصتم وتحاكمتم الى (الله بناور بكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني ان اله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لا حجة) أي لا خصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يحب خصومة (الله يجمع بيننا) أي في المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) قوله عز وجل (والذين يحاجون في الله) أي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) أي من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (تحتهم داحضة) أي خصومتهم باطلة (عند ربهم)

اذا انخاصتم فتحاكمتم الى (الله بناور بكم) أي كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولي دين ويجوز أن يكون معناه اننا لا نؤخذ بأعمالكم وانتم لا تأخذون بأعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرت محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ابراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذه الحجة وهذا (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا ونقم لنا منكم (والذين يحاجون في الله) يخاصمون في دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (تحتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (عند ربهم)

وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبساً به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزل في كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزل في زمن نوح عليه السلام (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري والمراد محيى الساعة والساعة في تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لها (ويعلمون أنها الحق) الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون في الساعة) المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه (لن ضلال) (١٠٠) بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب

وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أي في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب بالحق) أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام (والميزان) أي العدل سمي العدل ميزاناً لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي وقت اتيانها قريب وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى (يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها) أي ظننا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أي خائفون (منها) يعلمون أنها الحق) أي انها آتية لا شك فيها (ألا ان الذين يمارون) أي يخاصمون (في الساعة) وقيل يشكون فيها (لن ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) أي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والقاجر حيث لم يهلكوا جوعاً عما عصيهم يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعني ان الاحسان والبر انعام في حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذو روح فهو من يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقكم من الطيبات والثاني انه لم يدفع اليكم مرة واحدة (وهو القوي) أي القادر على كل ما يشاء (العزيز) أي الذي لا يغالب ولا يدافع (من كان يريد حرث الآخرة) أي كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزدله في حرثه) أي بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى ما يشاء الله تعالى من الزيادة وقيل اننا نريد في توفيقه واعانتة وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعني يريد بعمله الدنيا مؤثراً لها على الآخرة (نؤنه منها) أي ما قدر وقسم له منها (وماله في الآخرة من نصيب) يعني لانه لم يعمل لها * عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنة والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوي باسناده قوله تعالى (أم لهم) يعني كفار مكة (شركاء) يعني الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم ديناً غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعني ان تلك الشرائع بأسرها على خلاف دين الله تعالى الذي أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعني ان الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة

والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لا بد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) في اصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلفظ ادراكه أو هو بربليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حمله أو من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عن يهفو أو يعطي العبد الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولولطف باعدائه ما يجدوه (يرزق من يشاء) أي يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من

لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوي) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيز) المنيع لقضى الذي لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمي ما يعمل العامل مما يبتغي به الفائدة حرثاً مجازاً (نزدله في حرثه) بالتوفيق في عمله أو بالتضعيف في احسانه أو بان يناله الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث الدنيا) أي من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤنه منها) أي شيئاً منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له لا ما يريد ويبتغيه (وماله في الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط في الآخرة وله في الدنيا نصيب ولم يدكر في عالم الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب (أم لهم شركاء) قيل أم هي المنقطعة وتقديره بل لهم شركاء وقيل هي المعادلة لالف الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره أيقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أي لم يصر به (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أي ولولا العدة بان الفصل

يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين أو اجملت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وان آخرهم في دار الدنيا (تري الظالمين) المشركين في الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة شفقوا أو لم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) (١٠١) في روضات الجنات) كأن روضة

جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (لهم ما يشاؤون عند ربهم) عند نصب بالظرف لا يشاؤون (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) أي الكبير (الذي يبشر الله) يبشر مكي وأبو عمرو وحزوه على (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي به عباده الذين آمنوا وحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الرجوع إلى الموصول كقوله أهدا الذي بعث الله رسولا ولما قال المشركون أي ينبغي محمد على تبليغ الرسالة أجزا نزل (قل لأستلكنكم عليه) على التسليغ (أجزا الا المودة في القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا ويجوز أن يكون منقطعا أي لأستلكنكم أجزا قط ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي أو لأستلكنكم عليه أجزا الا هـ ذاهوا أن تودوا أهل قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى أو المودة للقربى لانهم جعلوا

(لقضى بينهم) أي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا (وان الظالمين) يعني المشركين (لهم عذاب أليم) أي في الآخرة (تري الظالمين) يعني يوم القيامة (مشفقين) أي وجلين خائفين (مما كسبوا) أي من الشرك والاعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) أي جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أي من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) أي الذي ذكر من نعيم الجنة (الذي يبشر الله) به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قوله عز وجل (قل لأستلكنكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (أجزا) أي جزاء (الا المودة في القربى) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبيرة في آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا في قوله الا المودة في القربى يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رجلي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال ارقبوا محمد صلى الله عليه وسلم في أهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربهم وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفرقوا في جاهلية ولا في الاسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين من أهل بيته يازيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس فان قلت غاب الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسألكم عليه من أجزا ان أجرى الاعلى رب العالمين قلت لانزاع في أنه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا أطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين أمر واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لأستلكنكم عليه أجزا الا المودة في القربى ليست أجزا في الحقيقة لان قرابته قرابته فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لأجزا البتة والوجه الثاني أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لأستلكنكم عليه أجزا ثم ابتدأ فقال الا المودة في القربى أي لكن أذكركم المودة في قرابتي الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلته رجه فلما هاجر إلى المدينة

مكنا للمودة ومقرأها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى وممكنة فيها والقربى مصدر كالزنى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى ورى أنه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا أن تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني ولا تهيجوا على اذ لم يكن بطن من بطون قريش

الابن رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى الى الله تعالى أى الا أن تحبوا الله ورسوله في تقرر بكم اليه بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقترب حسنة) يكتسب طاعة عن السدى انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزات في أبى بكر رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في أى حسنة كانت الا انها تناول المودة تناولاً اولياً لئلا يكرها عقيب ذكر المودة في القربى (نزله فيها حسناً) أى تضاعفاً كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالشورى والضمير يعود الى الحسنات أو الى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) (١٠٢) لمن أطاع بفضل وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على الثواب (أم يقولون افترى على الله كذباً) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتما يكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو وأعظم الفرى وأخشها (فان يشأ الله ينحتم على قلبك) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذباً لثلاثه مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على ينحتم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الانسان بالشر دعاء بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر

تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على الثواب (أم يقولون افترى على الله كذباً) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتما يكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو وأعظم الفرى وأخشها (فان يشأ الله ينحتم على قلبك) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذباً لثلاثه مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على ينحتم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الانسان بالشر دعاء بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر

وأواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فصارت هذه الآية ناسخاً لقوله قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة فى القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقارب به من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز ما صير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الا أن توادوا الله وتنقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح ﴿وقوله تعالى (ومن يقترب حسنة) أى يكتسب طاعة (نزله فيها حسناً) أى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) أى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها (أم يقولون) أى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذباً) فيه توبيخ لهم معناه أيقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم أن ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذباً وهو أقبح أنواع الكذب (فان يشأ الله ينحتم على قلبك) أى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً بالفعل به ما أخبر به فى هذه الآية (ويمح الله الباطل) أخبره الله تعالى أن ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه (ويحق الحق بكلماته) أى يحق الاسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فحاجب باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد أن يحثنا على أقارب به من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبرهم أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فاننا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهم ما يريد أولياءه وأهل طاعته ﴿فصل فى ذكر التوبة وحكمها﴾ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها ان يقام عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود اليها أبداً فاذا حصلت هذه الشروط صححت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلاً والاقبال على الطاعات نية وفعلاً وقال سهل بن عبد الله تسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن بشار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامة

وشرا به

الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك

فحاجب باطلهم وظهر الاسلام (انه عليم بذات الصدور) أى عليم بما فى صدوركم وصدورهم فيجربى الامر على حسب ذلك (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ويقال قبلته عنه أى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقضى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذا به النفس فى الطاعة كما يبتها فى

المعصية واذا ذاق النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلوة الذنب في القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال الحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله (ويعفو عن) (١٠٣) السيئات وهو ما دون الشرك يعفون

يشاء بلا توبة (ويعلم ما تفعلون) بالتاء كوفي غير أبي بكر أي من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) أي اذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم واستجاب وأجاب بمعنى والسين في مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويحبب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فـذف اللام من عليهم بأن يقبل توبتهم اذا تابوا ويعفو عن سيئاتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ما سألوه وعن ابراهيم بن أدهم انه قيل له ما بالناس دعوه فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه (والكافرون لهم عذاب شديد) في الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) أي لو أغناهم جميعا (لبغوا في الارض) من البغي وهو الظلم أي لبغى هذا على ذاك وذلك على هذا لان الغنى مبطرة مباشرة وكفى بحال

وشرا به فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده لموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرا به فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أكبر من أن يفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أكبر فرحاً بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفlect منه وعليها طعامه وشرا به فليس منها فاني شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فيبناها كذلك اذ هو بها قائم عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح * عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضة مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها الاية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغتر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل (ويعفو عن السيئات) أي يعفوها اذا تابوا (و يعلم ما تفعلون) يعني من خير وشرف يجازيهم عليه (و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني يحبب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويحبب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ دعوه وقال ابن عباس ويثبت الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) أي سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) وقوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى أموال بني قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أي وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) أي لطفوا وعتوا (في الارض) قال ابن عباس بغىهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبساً بعد ملابس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكر وه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البني مع القبض والفقرا قل ومع البسط والغنى أكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر اقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) يعني الارزاق نظر للمصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبايعهم وبواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد ابرزني بالمحاربة واني لا غضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدى المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت له سمعاً وبصراً ويبدأ ومؤيداً ان دعاني أحبته وان سألتني أعطيته وما ترددت في شيء أفاعله ترددي في قبض روح عبدى

قارون وفرعون عبرة آمن البني وهو الكبراي لتكبروا في الارض (ولكن ينزل) بالتخفيف مكى وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير يقال قدره قدره قدره (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكيمته فيفقر ويغنى ويعطي ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعاً لبغوا ولو أفقرهم لملكو اوماترى من البسط على من يبنى ومن يغنى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البني مع الفقرا قل

ومع البسط أكثر وأغلب (وهو الذي ينزل الغيث) وبالتشديد مدني وشامي وعاصم (من بعد ما قنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر رحته) أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا إذا أراد هذه الآية أو أراد رحته في كل شيء (وهو الولي) الذي يتولى بإحسانه (الحمد) المود على ذلك بحمده أهل طاعته (ومن آياته) أي علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما (وما بث) فرق وما يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف والمضاف إليه (فيهما) في السموات والارض (من دابة) الدواب تكون في الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وان كان تناسبا بعضه كما يقال بنو نعيم فيهم شاعر مجيد وانما هو في

(١٠٤)

ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشي الاناس على الارض أو يكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالديب كما وصف به الاناس (وهو على جمعهم) يوم القيامة (إذا شاء قدير) إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل إذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم مكروه (فما كسبت أيديكم) أي بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدني وشامي على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لولم يكن للأطفال حال كانوا عليها قبل هذه الحالة لما

المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك اني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خيرا أخرجه البغوي بإسناده عن قوله عز وجل (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أي يشس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة ثم (وينشر رحته) أي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولي) أي لاهل طاعته (الحمد) أي الممود على ما يوصل الى الخلق من أقسام رحته (ومن آياته خالق السموات والارض وما بث) أي أوجد (فيهما) أي في السموات والارض (من دابة) فإن قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الديب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالديب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خالق في السموات أنواعا من الحيوانات يدبون ديب الانسان (وهو على جمعهم إذا شاء قدير) يعني يوم القيامة قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد به هذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الالوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصي (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وروى البغوي بإسناده الثعلبي عن أبي سحيلة قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا علي ما أصابكم من مصيبة أي من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكبر من أن يشي عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فانه أحلم من أن يعود بعد عفو وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فافوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فافوقها الا رفعه الله بهادرجة وخط عنه بها خطيئة (وما أنتم بمعجزين) أي بفاتتين (في الارض) هر يا يعني لا تعجزونني حيثما كنتم (وما

تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالكافرين والسياق والسياق وهو (ويعفوا عن كثير) أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وقال محمد بن حاتم العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جنايته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يظهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفو ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين في الارض) أي بفاتتين ما قضى عليكم من المصائب (وما

لكم

تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالكافرين والسياق والسياق وهو (ويعفوا عن كثير) أي من

الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وقال محمد بن حاتم العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جنايته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يظهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفو ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين في الارض) أي بفاتتين ما قضى عليكم من المصائب (وما

لكم من دون الله من ولي) متول بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهي السفينة الجوارى في الحالين مكي وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وأبو عمرو في الوصل (في البحر كالأعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدنى (فيظللن رواكد) ثواب لا تجرى (على ظهرة) على ظهر البحر (ان في ذلك آيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لشكره أى لكل مؤمن مخلص فالإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمه (أوبو بقهن) بهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) فلا يجازى عليها وإنما أدخل العفو في حكم الإيقاق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون في آياتنا) أى في ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى عطف على الاستئناف (ما لهم من محيص) مهرب من عذابه (فأأتيتهم من شئ فتاع الحياة الدنيا وما عند الله) (١٠٥) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)

والاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كبائر الاثم) أى الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم على وحزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) أى هم الاخضاء بالغفران في حال الغضب والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ

لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعنى السفن وهي السيارة (في البحر كالأعلام) أى كالقصور وكل شئ مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) أى التي تجرى بها السفن (فيظللن) يعنى السفن الجوارى (رواكد) أى ثواب (على ظهرة) أى على ظهر البحر لا تجرى (ان في ذلك آيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أوبو بقهن) أى يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) أى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) أى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه (فأأتيتهم من شئ) أى من زينة الدنيا (فتاع الحياة الدنيا) أى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) أى من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فاذا صار الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى كل ذنب أعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعنى ما عظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يعنى يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلوة) يعنى المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعنى يتشاورون فيما يبدوهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى مالم يجتمعوا عليه قيل ماتشاور قوم الاهدوا لأرشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي) يعنى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يغفون عمن ظلمهم فبدأ بكسرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يذلو أنفسهم فاذا قدروا عفووا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاءهم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكثهم الله عز وجل في الارض حتى انتصروا من ظالمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمي الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابهها في الصورة وقيل

(١٤ - (خازن) - رابع) واسناد يغفرون اليه هذه الف تدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت

في الانصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أى ذوو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ماتشاور قوم الاهدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا يعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغي) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون من ظالمهم أى ينتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتمدون وكانوا يكرهون أن يذلو أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وإنما جددوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وإنما سميت سيئة لانها مجازاة السوء وأولانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وإنما صارت حسنة لغيرها وفي تسمية الثانية سيئة إشارة الى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة

(فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاعضاء (فاجره على الله) عدة مهمة لا يقاس أمرها في العظم (أنه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث ينادي منادي يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم إلا من عفا (ولن انتصر بعد ظلمه) أي أخذ حقه بعد ما ظلم على إضافة المصدر إلى المفعول (فاولئك) إشارة إلى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولا للمعاقب والمعايب (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدؤونهم بالظلم (ويبغون في الأرض) يتكبرون فيها ويعلمون ويفسدون (بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعية والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (أن ذلك) أي الصبر والغفران منه (لمن عزم الأمور) أي من الأمور التي تدب اليها أو مما ينبغي أن يواجهه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه وحذف الراجع أي منه لانه مفهوم كما حذف من (١٠٦) قوطم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد الصبر على المكاره من علامات

الانتباه فمن صبر على مكرهه يصيبه ولم يجزع أو رثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الأحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضل الله فإله من ولى من بعده) فإله من أحديلى هدايته من بعد اضلال الله إياه ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لمساراً والعذاب حين يرون العذاب واختير لفظ الماضي للتحقيق) يقولون هل إلى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عابها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين عما يلحقهم (من الذل ينظرون) إلى النار (من طرف خفي) ضعيف بمسارقة كما ترى

لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخراك الله فقل له أخراك الله ولا تزدوا اذا شتمك فاشتمه بمثلهما ولا تعدد وقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أي عمن ظلمه (وأصلح) أي بالعفو بينه وبين الظالم (فاجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا ثم قرأ هذه الآية (أنه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولن انتصر بعد ظلمه) أي بعد ظلم الظالم إياه (فاولئك) يعنى المنتصرين (ما عليهم من سبيل) أي بعقوبة ومؤاخذه (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي يبدؤن بالظلم (ويبغون في الأرض بغير الحق) أي يعملون فيها بالمعاصي (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر) أي لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظلمه (أن ذلك) أي الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) يعنى تركه الانتصار لمن عزم الأمور الجيدة التي أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزم (ومن يضل الله فإله من ولى من بعده) يعنى ماله من أحديلى هدايته بعد اضلال الله إياه أو يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لمساراً والعذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل إلى مرد من سبيل) يعنى انهم يسألون الرجعة إلى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) أي خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفي) يعنى يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذهلة في أنفسهم وقيل ينظرون بظرف خفي أي ضعيف من الذل وقيل ينظرون إلى النار بقاوبهم لانهم يحشرون عمية والنظر بالقلب خفي (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعنى بان صاروا إلى النار (وأهلهم يوم القيامة) يعنى وخسروا أهلهم بان صاروا لغيرهم في الجنة (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فإله من سبيل) أي وصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا ربكم) أي أجيبوا داعي الله يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) أي مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من نكير) أي ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعنى لا تقدر ان تنكروا من أعمالكم شيئاً (فان أعرضوا) أي عن الاجابة (فأرسلناك عليهم حفيظاً) أي تحفظ أعمالهم (ان عليك البلاغ) أي ليس عليك إلا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (وانا اذا أذقنا الانسان منارحة) قال ابن عباس يعنى الغنى

المصبور ينظر إلى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة) والصحة

يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع في الدنيا أو يقال أي يقولون يوم القيامة اذ ارأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضل الله فإله من سبيل) إلى النجاة (استجيبوا ربكم) أجيبوه إلى ما دعاكم اليه (من قبل أن يأتي يوم) أي يوم القيامة (لا مرد له من الله) من يتصل بلا مرد أي لا يردده الله بعد ما حكم به أو يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) أي ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدر ان تنكروا شيئاً مما اقترتموه ودون في صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان أعرضوا عن الايمان فأرسلناك عليهم حفيظاً) رقيباً (ان عليك البلاغ) ما عليك إلا التبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (منارحة)

نعمه وسعة وأمن وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصيهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في وان تصيهم باعتبار المعنى (بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان اظلم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذ كر البلاء ويذسى النعم ويغمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل أريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يحاق ما يشاء يهب لمن يشاء انا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أي يقرنهم (ذكرانا وانا) ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكرنا ان الانسان الرحمة واصابته بضررها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالانثيين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التي لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث أولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء ولا ما يشاءه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاءه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذي كانت العرب تعدد بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحق بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان

(١٠٧)

أعطى بعد ذلك كلا الجنسين

حقه من التقديم والتأخير

وعرف أن تقديمهم لم يكن

لتقدمهم ولكن لمقتض

آخر فقال ذكرانا وانا

وقيل نزلت في الانبياء

عليهم السلام حيث وهب

للوط وشعيب انا

ولا ابراهيم ذكوراً ومحمد

صلى الله عليه وسلم ذكورا

وانا وجعل يحيى وعيسى

عليهما السلام عقيمين

(انه عليم) بكل شيء (قدير)

قادر على كل شيء (وما كان

لبشر) وما صح لاحد من

البشر (أن يكلمه الله الا

وحيا) أي الهام كما روى

تفت في روعى أو رؤيا في المنام

كقوله عليه السلام رؤيا

والصحة (فرح بها وان تصيهم سيئة) أي قحط (بما قدمت أيديهم) أي من الاعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض) يعني له التصرف فيهما بما يريد (يحاق ما يشاء) أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وارادته (يهب لمن يشاء انا) أي فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) أي فلا يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا وانا) أي يجمع بينهما فيولد له ذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) أي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء انا يعني لوطا لم يولد له ذكر انا ولده ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا وانا يعني محمد صلى الله عليه وسلم ولده أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالآية عامة في جميع الناس (انه عليم) أي بما يخلق (قدير) أي على ما يريد ان يخلق قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا لا نبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أي يوحى اليه في المنام أو بالالهام كما رأى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحى وكما ألهمت أم موسى أن تقذفه في البحر (أومن وراء حجاب) أي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) يعني من الملائكة اما جبريل أو غيره (فيوحى باذنه ما يشاء) يعني يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا يأتي بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى في سورة النجم (انه على) أي عن صفات المخلوقين (حكيم) أي في جميع أفعاله قوله عز وجل (وكذلك) أي وكما أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآن لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدري) أي قبل الوحي (ما الكتاب) يعني القرآن (ولا الايمان)

الانبياء وحى وهو كما مر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد (أومن وراء حجاب) أي يسمعه كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا (أو يرسل رسولا) أي يرسل ملكا (فيوحى) أي الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل في معنى ارسلنا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بان يوحى أو ان يسمعه من وراء حجاب أو ان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (بأذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحي (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب في أقواله وأفعاله فلا يعارض (وكذلك) أي كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدري) الجملة حال من الكاف في اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان)

أى شرائعه أو ولا الإيمان بالكتاب لأنه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالمًا بذلك الكتاب وقيل الإيمان يتناول أشياء بعضها الطريق الى العقل وبعضها الطريق الى السمع فعنى به ما الطريق الى السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو وقرى به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكاً (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية﴾ (١٠٨) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين

وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جواب القسم وهو من الإيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليهم أو الواضح للتدبرين أو الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما يحتاج اليه الامة فى أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لى تفهموا معانيه (وانه فى أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وسمى أم الكتاب لأنه الاصل الذى أثبت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ أم الكتاب بكسر الالف على وحزة (على) خبران أى فى أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم)

اختلف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على أن الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقليل معناه ما كنت تدري قبل الوحى شرائع الإيمان ومعامله وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الإيمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع إيمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الإيمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة بوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأتى كل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عايه الصلاة والسلام ولم يتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الإيمان وقيل القرآن لأنه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) أى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور) يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزخرف وهى مكية وهى تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون ٧ كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب وهو القرآن الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما يحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) أى صيرناه هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه وأحكامه (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله عز وجل القلم فامر به أن يكتب ما يريد أن يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وأنه فى أم الكتاب (لدينا) أى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (على حكيم) أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فإنه عندنا على أى رفيع شريف وقيل على أى جميع الكتب حكيم أى محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان ﴿قوله تعالى﴾ (أفمن ضرب عنكم الذ كر صفحا) معناه أفترك عنكم الوحى ونسك عن انزال القرآن فلان امركم ولانها كم من أجل أنكم أسرفتم فى كفركم وتركتم الإيمان وهو قوله تعالى (أن كنتم) أى لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لان فعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة هل كواولكن الله عز وجل عاد بعائده وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفمن ضرب عنكم الذ كرنا ياكم صاخين أى معرضين عنكم وقيل معناه أفمن طوى عنكم طيا فلا تدعون ولا تعظون وقيل أفمن ترككم فلا تعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا

ذو حكمه بالغة) أفمن ضرب عنكم الذ كر وتذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب من الغرائب عن الخوض والغاء للعطف على محذوف تقديره أنهم لم يتركوا انكار الان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بما وجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منه نصب على أنه مفعول له على معنى أفمن ترككم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضكم ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أن كنتم) لان كنتم مدنى وحزة وهو من باب الشرط الذى يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفى حقى وهو عالم بذلك (قوما مسرفين) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (وكم أرسلنا

من نبي في الاولين) أي كثير من الرسل أرسلنا إلى من تقدمك (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) هي حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فاهلك أشد منهم بطشا) تمييزا للضمير للمستهزئين لانه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حققها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد لهم (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا) كوفي (١٠٩) وغيره مهدا أي موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا)

طرقا (اعلمكم تهتدون) لكي تهتدوا في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فانشرنا) فاحيينا عدول من المغايبة إلى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يريد ميتا) كذلك تخرجون من قبوركم أحياء تخرجون حرة وعلى ولا وقف على العليم لان الذي صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذي لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم يشكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في انكار البعث (والذي خلق الأزواج) الاصناف (كها) وجعل لكم من الفلك والانعام متركبون) أي تركبونه يقال ركبوا

من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فاهلك أشد منهم بطشا) أي أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) أي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أي ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعني انهم أقروا بان الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعالمه ومع أقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دال على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذي جعل لكم الارض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهدي موضع راحة الصبي فلذلك سمي الارض مهدا الكثرة ما فيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا (اعلمكم تهتدون) يعني إلى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجاتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم (فانشرنا) أي بالمطر (بلدة ميتا) أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) أي من قبوركم أحياء (والذي خلق الأزواج كلها) أي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ماسوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والانعام متركبون) يعني في البر والبحر (لتستووا على ظهوره) أي على ظهور الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمه بكم اذا استويتم عليه) يعني بتسخير المركب في البر والبحر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) أي ذل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين وقيل ضابطين (وانا إلى ربنا المنقلبون) أي لنصرفون في المعاد (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا المنقلبون اللهم اننا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد واذ ارجع قاهن وزاد فيهن آيئون ثابتون عابدون لربنا حامدون قوله وعاء السفر يعني تعب وشدة ومشقة وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف ما يحزنه في أهل أو مال عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا المنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين من ضحكك قال رأيت رسول الله

في الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور متركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمه بكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بالسنتكم (سبحان الذي سخر لنا هذا) ذل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشيء اذا أطافه وحقيقته أقرنه وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف (وانا إلى ربنا المنقلبون) لراجعون في المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله المنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وحكي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخر

لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هز الا فقال اني مقرر لهذه فسقط منها الوثبها واندقت عنقه وينبغي أن لا يكون ركوب العاقل للتزهر والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنفلت الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزءاً) متصل بقوله واثن سئلهم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً أي قالوا الملائكة بنات الله فجعلوا لهم جزءاً له وبعضهم كما يكون الولد جزءاً للوالد جزءاً أبو بكر وجماد (ان الانسان لكفور مبين) لجود النعمة ظاهر بجوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أي بل اتخذ والهمزة لانكار تهميلا لهم وتهميلا من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الأدنى ولهم الأعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرجن مثلاً) بالجنس الذي جعله له مثلاً أي شبهاً لانه اذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضهم منه فقد جعله من جنسه ومما ناله لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) يعني أنهم نسبوا اليه (١١٠) هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه

غيطاً وتأسفاً وهو ملوؤ من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) أي أو يجعل للرجن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجانة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي برهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تكلم المرأة الا وتأتى بالحجة عليها وفيه أنه جعل الذشأة في الزينة من المعايير فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويهتزن بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى أو جعلوا من ينشأ في الحلية يعني البنات لله عز وجل

صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءاً) يعني ولداً وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا أو أثبتوا (ان الانسان لكفور مبين) أي لجود نعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ بك لنفسه البنات (وأصفاكم) أي أخلصكم (بالبنين) واذا بشر أحدهم بما ضرب للرجن مثلاً أي بالجنس الذي جعله للرجن شبهاً لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى أنهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيطاً وتأسفاً وهو قوله تعالى (ظل وجهه) أي صار وجهه (مسوداً وهو كظيم) أي من الحزن والغيط قيل ان بعض العرب ولده انثى فهجر بيت امرأته التي ولدت فيه لانثى فقالت المرأة

مالا بي حزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لاند البينا * ليس لنا من أمرنا ما شينا

وانما نأخذ ما أعطينا * حكمة رب ذي اقتدار فينا

قوله عز وجل (أو من ينشأ) يعني أو من يتربى (في الحلية) يعني الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرجن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله (وهو في الخصام) أي المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجة لانكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) أي وحكموا أو أثبتوا (الملائكة الذين هم عباد) وقرئ عند (الرجن) انانا أشهدوا خلقهم أي حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار أي لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) أي على الملائكة أنهم بنات الله (ويستلون) أي عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم أنها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويستلون عنها في الآخرة (وقالوا الوشاء الرجن ما عبدناهم) يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يجعل عقوبتهم على عبادتنا اياها لرضاهم بما بذل قال

الله

ينشأ حزة وعلى وحفص أي يربي قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا

اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرجن انانا) أي سموهم وقالوا انهم اناث عند الرجن مكى ومدنى وشامى أي عندي منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو الزم في الحاج مع أهل العنادلة ضاد بين العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تكلمهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قلوبهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويستلون) عنها وهذا بعيد (وقالوا الوشاء الرجن ما عبدناهم) أي الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا الوشاء الرجن ما عبدناهم أي لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم

واعتقادهم بقوله (ما لهم بذلك) القول (من علم انهم الايخرون) أي يكذبون ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا
لولم يرض بذلك ليجل عقوبتنا ولننعنا عن عبادتهم فلهذا اضطراروا ولم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله ما لهم بذلك
من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لاجدوا اعتقادا فاكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبر عنهم أنطم
من لو شاء الله أطعمه وهذا حق في الأصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان أنتم الا في ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى
قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم
وظنوا ان الله لا يعاقبهم على شيء فعلوه بشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين في ذلك فرد الله تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل
القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه ان
الملائكة اناث (بل قالوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لان حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على
أمة) على دين فقلدناهم وهي من الام وهو القصد فالأمة الطريقة التي (توم أي تقصد) وانا على آثارهم

(١١١)

مهتدون) الطرف صلة
لمهتدون أو هما خبران
(وكذلك ما أرسلنا من
قبلك في قرية من نذير)
نبي (الا قال مترفوها) أي
متنعموها وهم الذين
أترفهم النعمة أبطرتهم
فلا يحبون الا الشهوات
والملاهي ويعافون مشاق
الدين وتكاليفه (انا وجدنا
آباءنا على أمة وانا على
آثارهم مقتدون) وهذه
تسليية للنبي صلى الله عليه
وسلم وبيان ان تقليد الآباء
داء قديم (قال) شامى
وحفص أي النذير قل غيرهما
أي قيل للنذير قل (أولو
جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه آباءكم) أي أتنبعون

الله تعالى ردا عليهم (ما لهم بذلك من علم) أي فيما يقولون (انهم الايخرون) يعني ما هم الا كاذبون
في قولهم ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله (أم آتيناهم
كتابا من قبله) أي من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أي يأخذون بما فيه (بل قالوا
انا وجدنا آباءنا على أمة) أي على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) يعني انهم جعلوا أنفسهم مهتدين
باتباع آباءهم وتقليد هم من غير حجة ثم أخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من
قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها) أي أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم
مقتدون) أي بهم (قل ألو جئتكم باهدى) أي بدين هو أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فابوا أن يقبلوا
(قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فاتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله تعالى (واذ قال
ابراهيم لأبيه وقومه انني براء) أي براء (مما تعبدون الا الذي فطرنى) معناه انا أبرأ مما تعبدون الا من الله
الذي خلقني (فانه سيهدين) أي يرشدني الى دينه (وجعلها) أي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي
لا اله الا الله (كلمة باقية في عقبه) أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيدده (لعلهم
يرجعون) أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وخدمهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين
ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل تمتعت هؤلاء) يعني كفار مكة
(وآباءهم) في الدنيا بالمدى العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعني
القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أي يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة
وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا
وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعني القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) قوله عز
وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا من نصب النبوة منصب

آباءكم ولوجئتكم بدين أهدي من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا نابتون على دين آباءنا وان جئتكم بما هو أهدي وأهدي
(فاتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوا على اصرارهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه (أي واذ قال
(انني براء) أي براء وهو مصدر يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى
ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذي فطرنى) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرنى (فانه سيهدين) يثبتني على الهداية
(وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرنى (كلمة باقية في عقبه) في
ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيدده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وخدمهم والترجي لابراهيم (بل
تمتعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمدى العمر والنعمة فاغترروا بالمهلة وشغلوا بالنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان
عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أي القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم
الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من
القريتين عظيم) أي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما الاول والثور والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا

عظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي وأرادوا بالعظيم من كان ذامال وذاجاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيماً (أهم يقسمون رحمة ربك) أي النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجھيل والتعجب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (في الحياة الدنيا) أي لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أي جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالي والبعض ضعفاء وفقراء (١١٢) وخدمنا (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم

عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاد من اجدى القرينتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) معناه أبايديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاءوا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلاً فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أي نحن أوقعنا هذه التفاوت بين العباد جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في أحوال الدنيا مع قلة ما فيها فكيف يقدر على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعني لو اننا سويننا بينهم في كل الاحوال لم نخدم أحداً أحداً ولم يصراً أحد منهم مسخراً لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعني الجنة (خير) يعني للمؤمنين (مما يجمعون) أي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبق أبداً لا يدين قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذ رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق لا عطيت الكفارا كثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (جعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسريراً عليها يتكئون وزخرفاً) أي جعلنا لهم زخرفاً أي لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج (وسرراً) أي ولجعلنا لهم سرراً من فضة (عليها يتكئون وزخرفاً) أي ولجعلنا من ذلك زخرفاً وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلاً ثم ينقضي لان الدنيا سريرة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا * عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد جد بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزروا هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هو أنها ألقوها يا رسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذي

ويستخدموهم في مهتهم ويتسخرهم في اشغالهم حتى يتعاشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا باعماله (ورحمت ربك) أي النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب (خير مما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أرذفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (جعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسريراً عليها يتكئون وزخرفاً) أي جعلنا للكفار سقوفاً ومصاعيد وأبواباً وسريراً كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفاً أي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سقفاً من

وقال

فضة وزخرف أي بعضهما من فضة وبعضهما من ذهب فنصب عطفاً على محل من فضة لبيوتهم بدل اشمال من

لمن يكفر سقفاً على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهي المصاعد الى العلى عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أي علونها (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الاى وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وقد قرى به وقرأ لما غير عاصم وحزة على ان اللام هي الفارقة بين ان المحففة والنافية وما صلة أي وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أي ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقى الشرك

(ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشى يعشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعش أو معنى القراءة بالفتح ومن يعش (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن لقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله ومجدوا بها واستيقظت لها انفسهم (نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصي وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقرنه الشيطان (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشون (انهم مهتدون) وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم من جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجوعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عرا في غير أى بكر أى العاشي جا آنا غيرهم أى العاشي وقرينه (قال) لشيطانة ياليت (يبنى وبينك بعد) (المشرقين) يريد المشرق والمغرب

(١٣)

فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق

من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (وان ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صبح ظلمكم أى كفرتم وتبين ولم يبق لكم ولا احد شبهة في انكم كنتم ظالمين واذا بدل من اليوم (انكم في العذاب مشتركون) انكم في محل الرفع على الفاعلية أى وان ينفعكم اشتراككم في العذاب أو كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي ولا يكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسي أما هؤلاء فلا يؤس بهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه وقيل

وقال حديث حسن وعنه قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا جاءه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيم الماء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أنى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى (ومن يعش) أى يعرض (عن ذكر الرحمن) أى فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) أى نسب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعنى لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعنى يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون انهم مهتدون) يعنى ويحسب كفار بنى آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعنى الكافر وحده وقرئ جا آنا على التثنية يعنى الكافرو قرينه وقد جعلنا في سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت يبنى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابى بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح (فبئس القرين) يعنى الشيطان قال أبو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار (وان ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعنى أشركتم (انكم في العذاب مشتركون) يعنى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لان كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل ان ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (أفانت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان في ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون بقوله عز وجل (فأما نذهبن بك) أى بان نمتك قبل أن نعذبهم (فانامنهم منتقمون) أى بالقتل بعدك (أونرينك) أى فى حياتك (الذى وعدناهم) أى من العذاب (فاناعليهم مقتدرون) أى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأراد بهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يقيد التسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عني به ما يكون فى أمته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره فى أمته الا الذى تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ما يصاب أمته بعده فاروى ضاحكا من بسط حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذى أوحى اليك) يعنى القرآن (انك على صراط مستقيم) أى على دين مستقيم لا يعيل عنه الا

(١٥ - (خازن) - رابع) الفاعل مضمرا أى ولا ينفعكم هذا التمنى أو الاعتذار لانكم فى العذاب مشتركون لا اشتراككم في سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفانت تسمع الصم) أى من فقد سمع القبول (أو تهدى العمى) أى من فقد البصر (ومن كان فى ضلال مبين) ومن كان فى علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان تؤكد الشرط وكذا النون الثقيلة فى (نذهبن بك) أى توفينك قبل ان تنصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم (فانامنهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة (أونرينك الذى وعدناهم) قبل ان توفينك يوم بدر (فاناعليهم مقتدرون) قادرون ورفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفانت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين تستمسك (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) أى على الدين الذى لا عوج له

(وانه) وان الذي أوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولامتك (وسوف تستلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن
تعليمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال الرسل
حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن ملهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفصا
نظرة في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة
الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليله الاسراء فامهم وقيل له سلمهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل
الكتابين أي التوراة والانجيل (١١٤) وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال

التقرير لعبدة الاوثان انهم
على الباطل وسل بلاهمز
مكي وعلى رسلنا أبو عمرو
ثم سلى رسوله صلى الله
عليه وسلم بقوله (ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا الى
فرعون وملائته فقال اني
رسول رب العالمين)
ما أجابوه به عند قوله
اني رسول رب العالمين
محذوف دل عليه قوله (فلما
جاءهم بآياتنا) وهو
مطالبهم اياه باحضار البينة
على دعواه وابرار الآية
(اذا هم منها يضحكون)
يسخرون منها ويهزؤون
بها ويسمونها سحرا اذا
للمفاجأة وهو جواب فلما
لان فعل المفاجأة معها
مقدر وهو عامل النصب
في محل اذا كأنه قيل
فلما جاءهم بآياتنا
فاجؤا وقت ضحكهم (وما
نريهم من آية الا هي أكبر

الضال) (وانه) يعني القرآن (لذكر) أي لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تستلون) يعني عن حقه وأداء
شكره وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت
هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال
هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
هذا الامر في قريش لا يعاديهما أحد الا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين وقيل القوم هم العرب
والقرآن لهم شرف اذنزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالأخص من العرب حتى يكون الاكثر
لقريش ولبنى هاشم وقيل ذلك أي ذلك شرف مما أعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعني
المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تستلون عن القرآن وعملا يلزمكم من القيام بحقه ﴿قوله تعالى﴾ (واسئل
من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤولون
فروى عن ابن عباس في رواية عنه لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من
المرسلين فاذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من
أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أسأل قدا كتفيت وهذا قول الزهري
وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليله أسرى به وأمر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول
قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليله أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه
سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد
وهو قول ابن عباس في أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل ومعنى
الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل ﴿قوله تعالى﴾
(واقعد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائته فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها
يضحكون) أي يسخرون (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) أي من قريبتها التي قبلها (وأخذناهم
بالعذاب) أي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات
لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها (لعلهم يرجعون) أي عن
كفرهم (وقالوا) يعني لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا أيها الساجر) أي العالم الكامل
الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة مدروحة وقيل معناه يا أيها
الذي غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمننا كشف عنا

من أختها) قريبتها وصاحبها التي كانت قبلها في نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من العذاب

السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد
منهما أكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم
الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الإيمان (وقالوا يا أيها الساجر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر تعظيمهم اعلم السحر بآية
الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة
ما قبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهد عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهد عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من
كشف العذاب عن اهتدى

(انما يهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) ينقضون العهد بالايمن ولا يفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط أو امرئ مناديا فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه (في قومه) جعلهم محلا لدائه وموقعه (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي) من تحت قصرى وقيل بين يدي في جناي والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها والواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدأ وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدى فولاه الخصب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما اشار فيها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أفلاتبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقرأنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرقة (فلولا) فهلا (ألقى عليه أسورة) حفص ويعقوب وسهل جمع أسوار غيرهم أسورة جمع أسورة وأساور يرجع أسوار وهو السوار (١١٥) حذف الياء من أساور وعوض

منها التاء (من ذهب) أراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا نسويد الرجل سوروه بسوار طوقوه بطوق من ذهب (أوجاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزههم بالقول واستزلمهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الاسراع (فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين) آسف منقول من آسف أسفا اذا اشتد غضبه

العذاب فاسأله أن يكشفه عنا (انما يهتدون) أى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) أى ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي) يعنى أنهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي جناي وبساتينى وقيل تجري بامرى (أفلاتبصرون) أى عظمى وشدة ملكى (أم أنا) أى بل أنا (خير) وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه اضممار مجازة أفلاتبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقل أنا خير (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) أى يفصح بكلامه للغة التى كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجة التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقى عليه) أى ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (أوجاء معه الملائكة مقترنين) أى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره ﴿قال الله تعالى﴾ (فاستخف) يعنى فرعون (قومه) يعنى القبط أى وجدهم جهالا وقيل جملهم على الخفة والجهل (فاطاعوه) أى على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى حيث أطيعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا) أى أغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين) جعلناهم سلفا ومثالا لآخرين (يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يحىء من بعدهم) ﴿قوله تعالى﴾ (ولما ضرب ابن مريم مثالا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبد الله بن الزبيرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبيرى

ومعناه انهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يجعل لهم عذابا وانتقاما وأن لا يحلم عنهم (جعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخادم سلفا عزة وعلى جمع سليف أى فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشأن سائر امير المثل يضرب بهم الامثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون (لآخرين) ان يحىء بعدهم ومعناه جعلناهم قدوة لآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزولهم لانيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب بن مريم مثالا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قریش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبيرى يا محمد أخاصة لنا ولا ألهتأأم لجميع الأم فقال لهم ولا ألهتكم وجميع الأم فقال أأستزعمن ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونها وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضعكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقتم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبيرى عيسى بن مريم مثالا لأنهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه

(إذا قومك) قر يش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من أسكات النبي صلى الله عليه وسلم يجده يصدون مدني وشامي والاعشى وعلى من الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وإنهما الغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا آلهتنا خيرا أم هو) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمرا آلهتنا هينا (ماضربوه) أي ماضربوا هذا المثل (لك الاجدلا) الاجل الجدل والغلبة في القول لا للطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم) (١١٦) قوم خصمون) لشدة ادخال خصومة دأبهم للججاج وذلك أن قوله تعالى انكم وما تعبدون لم

يردبه الا الاصنام لان ما للغير العقل الا أن ابن الزبيري بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لا غير ووجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقع في ذلك فتوفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ما عيسى (الاعبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلالبنى اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبه كالمثل السائر لبني اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض) أي بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلهم ومن بمعنى البدل (يخلفون) يخلفونكم في الارض أو يخلف الملائكة

عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (إذا قومك) يعني قر يشا (منه) أي من المثل (يصدون) أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا أن نعبده وتتخذنا الهة كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا آلهتنا خيرا أم هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبد ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد درضينا ان نكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ماضربوه) يعني هذا المثل (لك الاجدلا) أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) أي بالباطل وعن أبي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) أي ما عيسى (الاعبد أنعمنا عليه) أي بالنبوة (وجعلناه مثلا) أي آية وعبرة (ابنى اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم ولجعلنا بدمكم ملائكة (في الارض يخلفون) أي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعني عيسى (لعلم للساعة) يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحرة والبياض ينزل بين مصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه المال كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفي رواية فأممكم منكم قال ابن أبي ذؤيب فأممكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروي أنه ينزل عيسى ويده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويحرب البيع والكائس ويقتل النصارى الا من آمن وقيل في معنى الآية وانه أي وان القرآن لعلم للساعة أي يعلم قيامها ويخبركم باحوالها وأحوالها (فلا تترن بها) أي لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعوني) أي على التوحيد (هذا) أي الذي أنا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم)

بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقد رتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم ولدا منكم اي يارجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير خل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعلم الساعة) وان عيسى مما يعلم به محي الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة أي وان نزوله لعلم للساعة (فلا تترن بها) فلا تشكن فيها من المريبة وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيها سهل ويعقوب أي واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي أو هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أدعوك اليه

الشيطان) عن الايمان بالساعة وعن الاتباع (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة اذا خرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات أو بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أي بالانجيل والشرائع (ولابن لكم بعض الذي تختلفون فيه) وهو أمر الدين لأمر الدنيا (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فاختلف الأحزاب) الفرق المتعزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصاري (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا في عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) وهو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقوم عيسى أو للكفار (أن تأتيهم) بدل من الساعة أي هل ينظرون الا انيان الساعة (بغثة وهم لا يشعرون) أي وهم غافلون لا اشتغالهم بامر دنياهم كقوله تأخذهم وهم نخصمون (الاخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدوا) (المتقين) أي المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالفين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومعناه الاخلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية (يا عبادي) بالياء في الوصل والوقف مدني وشامي وأبو عمرو وبفتح الياء أبو بكر الباقر بن محمد (لاخوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون) (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أي تسرون وتنعمون (بطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهي القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) أي في الجنة (ما تشتهي النفس وتلد الاعين) * عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تترك فرسا من ياقوته جراء فتطير بك في أي الجنة شئت الافعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل فاني أحب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتيت نفسك ولدت عينك أخرجه الترمذي (وأتم فيها خالدون) وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون

(١١٧)

أي لا يصرفكم (الشيطان) أي عن دين الله الذي أمر به (انه) يعني الشيطان (لكم عدو مبين) ولما جاء عيسى (بالبينات) قال قد جئتكم بالحكمة (ولابن لكم بعض الذي تختلفون فيه) أي من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا في أمر عيسى وقيل الذي جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم عيسى في غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله وأطيعون) أي فيما أمركم به (ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي اختلف الفرق المتعزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) أي ينتظرون (الا الساعة أن تأتيهم بغثة) أي فجأة والمعنى انها تأتيهم لا محالة (وهم لا يشعرون الا محالة) أي على الكفر والمعصية في الدنيا (يومئذ) يعني يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) أي ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (المتقين) أي الا الموحدين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين على طاعته روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الآية قال خليلان مؤمنان و خليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملائكتك يارب فلا تضلني بعدى واحده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني فاذا مات خليلي المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهايني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهايني عن الخير ويخبرني أني غير ملائكتك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بشس الاخ وبشس الخليل وبشس الصاحب * قوله تعالى (يا عبادي لاخوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الا فرغ فينادي مناد يا عبادي لاخوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون فيرجوها الناس كلها فيقبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فيياس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أي تسرون وتنعمون (بطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهي القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) أي في الجنة (ما تشتهي النفس وتلد الاعين) * عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تترك فرسا من ياقوته جراء فتطير بك في أي الجنة شئت الافعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل فاني أحب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتيت نفسك ولدت عينك أخرجه الترمذي (وأتم فيها خالدون) وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون

مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) المؤمنات في الدنيا (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباراه أي أثره على وجوهكم (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب وأكواب) أي من ذهب أيضا والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) وفي الجنة (ما تشتهي النفس) مدني وشامي وحفص بائبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلد الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها ما مشتهيات في القلوب أو مستلذة في العيون (وأتم فيها خالدون) وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والخبر والي التي أورثتموها صفة للجنة التي هو اسم الاشارة والتي أورثتموها صفة الجنة وبما كنتم تعملون الخبر والياء يتعلق بمحذوف أي حاصلة أو كائنة كما في الظرف التي تقع أخبارا وفي الوجه الاول يتعلق

وأعقابها باقية في شجرها فهي منينة بالثمار أبد وفي الحديث لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاًها (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفترونهم) خبر آخر أي لا يخفف ولا ينقص (وهم فيه) في العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحبرون (وما ظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يا مالك) لما آيسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما شغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليمتنان من قضى عليه إذا مات فوكره موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (قال انكم ما كثون) لا بشون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب أن يكون في قال ضمير الله لما سألو مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن أكرهتم للحق كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم أبرموا أمراً) (١١٨) أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا

مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة (أم يحسبون أننا لنسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) أي الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفي عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من أمارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فانا أول العابدين) فانا أول

ورد في الحديث أنه لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاًها (ان المجرمين) يعني المشركين (في عذاب جهنم خالدون لا يفترونهم) أي لا يخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) أي آيسون من رحمة الله تعالى (وما ظلمناهم) أي وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) أي لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يا مالك) يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) أي ليمتنار بك فنستريح والمعنى أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمر وابن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً ثم يرد عليهم (قال انكم ما كثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ما كثون مقيمون في العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكرهتم للحق كارهون أم أبرموا أمراً) أي أحكموا أمراً في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) أي محكمون أمراً في مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله (أم يحسبون أننا لنسمع سرهم ونجواهم) أي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعني الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) معناه ان كان للرحمن ولد في قواكم وعلى زعمكم فانا أول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان ما كان للرحمن ولد فانا أول العابدين أي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فانا أول من عبده بذلك ولكن لا ولده وقيل العابدين بمعنى الأنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح تورده ووجه واضحة تدلون بها فانا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفى الولد والاطناب فيه مع الترجعة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكنيوة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق عليها محالاً مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون)

من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك انه علق العبادة بكنيوة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها ونظيره قول سعيد بن جبيرة لا حجاج حين قال له والله لا بد لك بالدينار ان اناظي لوعرفت أن ذلك اليك ما عبت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا أول الأنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد نفقه فهو عبد وعابد وقرئ العبدین وقيل هي ان النافية أي ما كان للرحمن ولد فانا أول من قال بذلك وعبد ووجد روى أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه صدقني فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولده له ولد حرة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسماً اذ لو كان جسماً لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسماً لا يكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام

(فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي القيامة وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما يقول هو حاتم في طي وحاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الأرض فكانه ضمن معنى المعبود والراجع إلى الموصول محذوف أطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قاتل لك شيئا والتقدير وهو الذي هو في السماء اله واله يرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمروا ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره في السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود إلى الموصول (وهو الحكيم) في أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ما وعنده علم الساعة) أي علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكي وحزة وعلى (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون) يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (الامن شهد

(١١٩)

شفاؤهم عند الله (الامن شهد

بالحق) أي ولكن من شهد بالحق بكامة التوحيد (وهم يعلمون) أن الله ربهم حقوا ويعتقدون ذلك هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (وإن سألهم أي المشركين) من خلقهم ليقولن الله لا الأصنام والملائكة (فإن يؤفكون) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الإقرار (وقيله) بالجر عاصم وحزة أي وعنده علم الساعة وعلم قبله (يارب) والهاء يعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم لتقديم ذكره في قوله قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين

أي عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) أي في باطلهم (ويلعبوا) أي في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة (وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله) أي هو اله الذي يعبد في السماء وفي الأرض لا اله الا هو (وهو الحكيم) أي في تدبير خلقه (العليم) أي بمصالحهم (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها أن النضر بن الحرث ونفر معه قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزير والملائكة بقوله (الامن شهد بالحق) لأنهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فإن الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهي كلمة الإخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهدا بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) أي بقاؤهم ما شهدوا به بالسنة وقيل يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى وعزير والملائكة ويعلمون أنهم عباده (وإن سألهم من خلقهم ليقولن الله) يعني أنهم إذا أقرؤا بأن الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا على عبادة غيره (فإن يؤفكون) أي يصرفون عن عبادته إلى غيره (وقيله يارب) يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكي إلى ربه يارب (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال ابن عباس شكوا إلى الله تعالى تخلف قومهم عن الإيمان وقال قتادة هذا أنبياءكم يشكوا قومهم إلى ربه (فاصفح عنهم) أي أعرض عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) أي عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون أنك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة الدخان وهي مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلاثمائة وست

وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أي المبين ما يحتاج إليه الناس حلال وحرام وغير ذلك من الأحكام (انا أنزلناه في ليلة مباركة) قيل هي ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من الموح المحفوظ إلى سماء

وبالنصب الباقون عطف على محل الساعة ويعلم قبله أي قيل محمد يارب والقييل والقول والقال والمقال واحد ويجوز أن يكون الجر والنصب على ضمائر حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) كأنه قيل وأقسم بقليله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقليله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم ووداعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أي تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتساية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالله التمسك وشامى ﴿سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم والكتاب المبين) أي القرآن الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديد للحروف واسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه في ليلة مباركة) أي ليلة القدر أول ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربع وعشرون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الاقوال في شهر رمضان ثم قالوا أنزل جملة من

اللوحة المحفوظة الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولولم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جلتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا لايه في هذه الليلة خصوصاً لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التي تنجي في السنة المقبلة (حكيم) ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازاً (أمر من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً غمماً بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وغمماً بان قال أعني بهذا الامر أمر احصاه من عندنا كما اقتضاه علمنا وتديرنا (انا كنا مرسلين) (١٢٠) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن لان

الدنيا ثم نزل به جبريل بنجوماء على حسب الوقائع في عشر بن سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لكل من عذبه عن غم كذب أخرجه الترمذي (انا كنا منذرين) أي مخوفين عقابنا (فيها) أي في تلك الليلة المباركة (يفرق) أي يفصل (كل أمر حكيم) أي محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والآجال حتى الحاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يهرم فيها أمر السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينسحق ويولد له وقد خرج اسمه في الوقي وعن ابن عباس أن الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر (أمر) أي أنزلناه أمراً (من عندنا انا كنا مرسلين) يعني محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة مني بخاتي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل أنزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) أي لا قوا لهم (العليم) أي باحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أي ان الله رب السموات والارض وما بينهما (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) قوله تعالى (بل هم في شك) أي من هذا القرآن (يلعبون) أي يهزؤون به لاهون عنه (فارتقب) أي يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصاً عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان نجي فتأخذ بانفاس الكفار وياخذ المؤمنون منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً فليقل به ومن لا يعلم شيئاً فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان رسول الله صلى

من شأننا وعادة لنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم أو لتعليل لقوله أمر من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منافوض الظاهر موضع الضمير انا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لا قوا لهم (العليم) باحوالهم (رب) كوفي بدل من ربك وغيرهم بالرفع أي هو رب (السموات والارض وما بينهما) ما ان كنتم موقنين ومعنى الشرط اهتم كانوا يقرون بان للسموات والارض

الله

ر باوخالفاً قليل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم

الذي أنتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسمع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم) أي هو ربكم (ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وايقان بل قول مخلوط بهزء واعب (فارتقب) فانتظر (يوم تأتي السماء بدخان مبين) يأتي دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الخنزير ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيب أو قد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قر يشالما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضروا جعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرحا فسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر حاله لا شك أحد في أنه دخان

(يغشى الناس) يشملهم ويبلسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا كشف عنا العذاب اننا مؤمنون) أي سنؤمن أن
تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أي قائلين ذلك أني لهم الذكرى كيف
يذكرون ويتعظون ويفنون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أي وقد
جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الأذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبيّنات من
الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عدا ساغلاماً عجيباً بضيق هو (١٢١) الذي علمه ونسبوه إلى الجنون

(انا كاشفوا العذاب
قليلًا) زماناً قليلاً أو كشفًا
قليلًا (انكم عائدون) إلى
الكفر الذي كنتم فيه
أو إلى العذاب (يوم نبطش
البطشة الكبرى) هي
يوم القيامة أو يوم بدر
(اننا منتقمون) أي ننتقم
منهم في ذلك اليوم
وانتصاب يوم نبطش
بأذكار أو بمآدل عليه
اننا منتقمون وهو ننتقم
للمنتقمون لان ما بعد ان
لا يعمل فيما قبلها (واقفنا
قبلهم) قبل هؤلاء
المشركين أي فعلنا
بهم فعل المختبر ليظهر منهم
ما كان باطنا (قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم) على
الله وعلى عباده المؤمنين أو
كريم في نفسه حسب نسيب
لان الله تعالى لم يبعث نبيا
الامن سراة قومه وكرامهم
(أن أدوا إلى) هي ان
المفسرة لان محي الرسل
إلى من بعث اليهم متضمن
لمعنى القول لانه لا يجيئهم
الام بشرا ونذيرا وداعيا

الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبع كسيع يوسف وفي رواية لما دعا قار يشافكذبوه
واستعصوا عليه قال اللهم أعني عليهم سبع كسيع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود
والميتة من الجوع وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهية الدخان فاتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت
تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتي السماء
بدخان مبين إلى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انما منتقمون
فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري قالوا (ربنا كشف عنا العذاب اننا مؤمنون) فقليل له ان كشفناه عنهم
عادوا فدار به فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان
مبين إلى قوله انما منتقمون قوله حصت كل شيء بالخاء والصاد المهملة أي أهلكت واستأصلت كل شيء (ق)
عن عبد الله بن مسعود قال خمس قدمضين الزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع
كالظلمة في أبصارهم وسبب ذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار
ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يحجى عقب قيام الساعة ولم يأت بعد فدخل في اسماع
الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيد يعني المشوى ويعتري المؤمن منه كهية الزكام
وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي
باسناد الشعلبي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى
ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أي تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله
وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتي السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما ليلة
أما المؤمن فيصيبة منه كهية الزكام وأما الكافر كما نزل السكران يخرج من منخر به وأذنيه ودبره (أنى لهم
الذكرى) أي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ما هو
أعظم وأدخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على بدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات
والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) أي أعرضوا عنه (وقالوا معلم مجنون) أي تلقى إليه
الجن هذه الكلمات حال ما تعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) أي الجوع (قليلًا) أي زمنا يسيرا قيل
إلى يوم بدر (انكم عائدون) أي إلى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انما منتقمون)
أي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثرا العلماء وفي رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة
وقوله تعالى (واقفنا قبلهم) أي قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) أي على الله وهو
موسى بن عمران عليه السلام (أن أدوا إلى عباد الله) أي اطلقوا إلى بني اسرائيل ولا تعذبوهم
(اني لكم رسول أمين) أي على الوحي (وأن لا تعالوا على الله) أي لا تتعجبوا عليه بترك طاعته (اني أنيكم
سلطان مبين) أي يبرهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (واني عذت بربي وربكم

(١٦ - (خازن) - رابع) إلى الله أو المخففة من الثقلية ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث أدوا إلى سألوا إلى (عباد الله)
هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم إلى وأرسلوهم معي كقوله أرسل معناني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى
أدوا إلى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلى ذلك بقوله (اني لكم رسول أمين) أي على رسالتي
غير منهم (وأن لا تعالوا على الله) أن هذه مثل الأولى في وجهها أي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه ولا تستكبروا على نبي الله
(اني أنيكم سلطان مبين) محجة واضحة تدل على أني نعم (واني عذت) مدغم أو بعمد ووجه قوله (اني عذت بربي وربكم

أن ترجون) أن تقتلوني رجاءاً ومعناه أنه عائد بر به متسل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعزلوني) أي ان لم تؤمنوا لي فلاموا لآلة بيني وبين من لا يؤمن فتتحوا عني أو خفلوني كفاً فالآلة ولا على ولا تعرضوا لي بشركم وإذا لم فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك ترجوني فاعزلوني في الحالين يعقوب (فدعاه به) شا كياقومه (ان هؤلاء قوم مجرمون) بان هؤلاء أي دعاه به بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بأجرهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أي فدعاه به فقال ان هؤلاء (فأسر) من أسرى فأسر بالوصل حجازي من أسرى والقول مضمر بعد الفاء أي فقال أسر (بعبادي) أي بني إسرائيل (ليلا انكم متبعون) أي دبر الله أن تتقدموا و يتبعكم فرعون وجنوده فينحى المتقدمين ويغرق (١٢٢) التابعين (واترك البحر رهوا) سا كننا أرا د موسى عليه السلام لما جاوز

أن ترجون) أي تقتلون وقال ابن عباس نشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجوني بالجارحة (وان لم تؤمنوا لي فاعزلوني) أي فاتركون لامي ولا على وقال ابن عباس اعزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعاه به أن هؤلاء قوم مجرمون) أي مشركون (فأسر بعبادي ليلا) أي أجاب الله دعاءه وأمره أن يسرى بني إسرائيل بالليل (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أي اذا قطعت أمت وأصحابك (رهوا) أي سا كننا والمعنى لا تأمره أن يرجع بل اتركه على حاله حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقاً يابساً وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضر به بعضاه ليلتم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده ففعل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعني أخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو (لم تركوا) أي بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) أي مجاس شريف حسن (ونعمة) أي وعيش لين رغد (كانوا فيها) أي في تلك النعمة (فأكهين) أي ناعمين وقرئ فأكهين أي أشربين بطرين (كذلك) أي أفعلى بمن عصاني (وأورثناها قوما آخرين) يعني بني إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض أربعين صباحاً وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكى عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حرة أطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحاً فقيل أو تبكى فقال وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الارض (وما كانوا منظرين) أي لم يمهلوا حين أخذهم العذاب اتوبة ولا غيرها ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين) أي من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل (من فرعون انه كان عالياً) أي جباراً (من المسرفين) ولقد اخترناهم على علم) أي علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) أي عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي نعمة بينة من فلق البحر وظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعيم التي أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعني مشركي مكة (ليقولون ان هي الاموات) كذا

البحر ان يضر به بعضاه فينطبق فامر بان يتركه سا كننا على هيئته قادراً على حاله من اتصاب الماء وكون الطريق يابساً لا يضر به بعضاه ولا يغير منه شيئاً ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أي اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أي لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) نعم (كانوا فيها فأكهين) متنعمين (كذلك) أي الامر

كذلك قال كاف في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم في شيء من قرابة الاولى ولاديين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفاراً والمؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض فيبكي على المؤمن من الارض مصلاد ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) أي لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين) أي الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجاركانه في نفسه كان عذاباً مهيناً لا فراطه بتعذيبهم واهانتهم وأخبر مبتدأ محذوف أي ذلك من فرعون (انه كان عالياً) متكبراً (من المسرفين) خبر ثان أي كان متكبراً مسرفاً (ولقد اخترناهم) أي بني إسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بان يختاروا (على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعني كفار قريش (ليقولون ان هي الاموات) الاموات

الكلام وقس في الحياة الثانية لا في الموت فها قليل ان هي الاحياتنا الدنيا وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا مودة أخرى حتى تجددوها وأثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم توتون مودة تتبعها حياة كما تقدمتكم مودة قد تتبعها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الاموتنا الاولى يريدون ما المودة التي من شأنها أن تتبعها حياة الاموت الاولى فلا فرق اذ بين هذا وبين قوله الاحياتنا الدنيا في المعنى ويحتمل أن يكون هذا انكارا لما في قوله ربنا أمنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين يقال أنشأ الله الموتى ونشرهم اذ بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) أي ان صدقتم فيما تقولون فمجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما عدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق (أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) هو تبع الجبري كان مؤمنا وقومه كافرا بن وقيل كان نبيا وفي الحديث ما أدري أكان تبع نبيا أو غيرني (والذين من قبلهم) مرفوع

الاولى) أي لاموتنا لانا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعد ها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) أي بمبعوثين بعد موتنا هذه (فأتوا بآبائنا) أي الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) أي انا نبعت احياء بعد الموت قيل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحكي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) أي ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة قليل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعال كثرة أتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعالانه يتبع صاحبه الذي قبله كما يسمى في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعافانه كان قد أسلم أخرجه أحد بن حنبل في مسنده وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري أكان تبع نبيا أو غيرني وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لا تسبوا تبعافانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره وذ كرد عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا للقتال فكان الانصار يقتلون به بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء الكرام فينا هو كذلك اذ جاءه خبر ان عالمان من اُخبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان آيت الامار بدحيل بينك وبينه ولم تأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجرة بني يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزل الذي أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن يقتله وهو بني قريظة فقتلوه فيقتلون ههنا فتناهي لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعوا الى دينهما فلجا بهما واتبعهما على دينهما وأكرهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فأنه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له اننا نملك على بيت فيه كنز من لؤلؤ ووزر جرد وفضة قال أي يب هذا قالوا ليت بمكة وانما أراد هذيل هلاكهم لانهم عرفوا أنه لم يردده أحد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاخبار فقالوا ما نعلم الله في الارض بيتا غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذوه مسجدا وانسك عنده وانحروا حلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك وما نأواه أحد قط الا هلك فأكرمه واصنع عنده ما يصنع أهله فلم اقاواله ذلك أخذوا ولتلك نفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب المطامح وكسا البيت الوصائل وهي برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حير بينه وبين ذلك وقالوا له لاندخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فما كنا الى النار وكانت باليمن نأري أسفل جبل يتعاكسون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع أنصفتهم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الخبران ومصاحفهما في أعناقهم ما حتى قعدوا والنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار فاقلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وما قرى بواضعها ومن حمل ذلك من رجال حير وخرج الخبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك حير على دينها فن هناك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشي كان أبو كرب أسعد الحميري من التبابعة ممن آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبع مائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه ٥ قوله تعالى (والذين من قبلهم) أي من الامم الكافرة

تبع) هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرا بن وقيل كان نبيا وفي الحديث ما أدري أكان تبع نبيا أو غيرني (والذين من قبلهم) مرفوع

بالعطف على قوم تبع (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) كافر بن منكرين للبعث (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) أي وما بين الجنسين (لاعبين) حال ولولم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ما خلقناهما الا بالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكرههم لا يعلمون) انه خلق لذلك (ان يوم الفصل) بين الحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت مواعدهم كلهم (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) أي ولي كان عن أي ولي كان شيئا من أغناء أي قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للمولى لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى (الامن رحم الله) في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لا وليائه (ان شجرت الزقوم) هي على صورة شجرة الدنيا لكنها في النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الاثام وعن أبي الدرداء انه كان يقرى رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وهذا استدل (١٢٤) على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائزا اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو

حنيفة رضي الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدي القارئ المعاني كلها على كمالها من غير أن يخرج منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها اجازة كالأجزة لان في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمته وأساليبه من لطائف المعاني والدقائق ما لا يستقل بآدائه لسان من فارسية وغيرها ويرى رجوعه الى قوطلما وعليه الاعتماد (كالهـ ل) هو دردي الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلى في البطون) وبالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلى

(أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا لعبين ما خلقناهما الا بالحق) أي بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكرههم لا يعلمون) قوله عز وجل (ان يوم الفصل) أي الذي يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين) أي يوافي يوم القيامة الاولون والآخرين (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) أي لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا (ولا هم ينصرون) أي بمنعون من عذاب الله (الامن رحم الله) يعني المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) أي في انتقامه من أعدائه (الرحيم) أي بوليائه المؤمنين قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أي ذى الاثم وهو أبو جهل (كالهـ ل) أي كدردي الزيت الاسود (يغلى في البطون) أي في بطون الكفار (كغلى الحميم) يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا ما عايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى (خذوه) أي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم (فاعتلاوه) أي ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) أي الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء جحما قد انتهى حرقه ثم يقال له (ذق) أي هذا العذاب (انك أنت العزيز الكريم) أي عند قومك بزعمك وذلك ان أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) أي تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين في مقام أمين) أي في مجلس آمنوا فيه من الغير (في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبرق فان قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ

الجمي

الجمي أي الماء الحار الذي انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم قال الكاف منصوب المحل ثم

يقال للزبانية (خذوه) أي الاثيم (فاعتلاوه) ففقدوه بعنف وغلظة فاعتلاوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم) المصوب هو الجحيم لا عذابه الا أنه اذا صب عليه الجحيم فقد صب عليه عذابه وشدة وصب العذاب استعاره ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزاء والتهكم انك أي لانك على (ان هذا) أي العذاب أو هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين في مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الإقامة (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارته لان المكان الخفيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (في جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه وهو معرب استبرق واللفظ اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ أن يقع في القرآن العربي

(متقابلين) في مجالسهم وهو أنهم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة أي الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم ولهذا عدى بالياء (بحور) جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عينا وهي واسعة العين (يدعون فيها) يطلبون في الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثر (لا يذوقون فيها) أي في الجنة (الموت) البتة (الموتة الاولى) أي سوى الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا (ووقاهم عذاب) (١٢٥) الجحيم فضلا من ربك) أي للفضل فهو ومفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيئا (ذلك) أي صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فأنما يسرناه) أي الكتاب وقد جرى ذكره في أول السورة (بلسانك لعلمهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من الدوائر

فهم ومفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيئا (ذلك) أي صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فأنما يسرناه) أي الكتاب وقد جرى ذكره في أول السورة (بلسانك لعلمهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من الدوائر

سورة الجاثية
مكية وهي سبع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم) ان جعلتها اسما للسورة فهي مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلاة للتزيل وان جعلتها تعديد للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبره (العزيز) في اتقاه (الحكيم) في تديره (ان في السموات والارض لايات) لدلالات

أعجبي قلت اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب (متقابلين) أي يقابل بعضهم بعضا (كذلك) أي كما كرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) أكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) أي قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجا لهم أي جعلناهم اثنين اثنين والخور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدا بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعني أرادوها واشتهوها (آمنين) أي من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاصاب والشیطان (لا يذوقون فيها الموت) (الموتة الاولى) أي لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقيل الأبعثي لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلى أسباب الجنة يلحقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كأنه في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فأنما يسرناه بلسانك) أي سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلمهم يتذكرون) أي يتعظون (فارتقب) أي فانتظر النصير من ربك وقيل انتظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) أي منتظرون فترك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خنيم أحدر وانه وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذي وقال هشام أبو المقدم أحدر وانه ضعيف والله أعلم

سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهي مكية وهي سبع وثلاثون آية

وأربع مائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (حم) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض) أي ان في خالق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لايات للمؤمنين وفي خالقكم) أي وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير انسانا ذاقا عقل وتمييز (وما يث من دابة) أي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها في الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعني انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعني بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعني المطر الذي هو سبب أرزاق العباد (فأحيابه) أي بالمطر (الارض بعد موتها) أي بعد يبسها (وتصريف الرياح) أي في مهاها فنفثها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان

على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى ان في خلق السموات والارض لايات (للمؤمنين) دليله قوله (وفي خلقكم) ويعطف (وما يث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (آيات) حزة وعلى بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيد في الدار وعمر في السوق أو وعمر في السوق (لقوم يوقنون) واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) أي مطر وسمى به لانه سبب الرزق (فأحيابه الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الریح حزة وعلى (آيات لقوم يعقلون) بالنصب على حزة

وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت ان وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف هذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فانه لا يجيزه وتخرج الآية عنده أن يكون على اضمار في والذي حسنه تقديم ذكر في في الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء الجرور ومعطوفا على ما قبله أو على التكرير نحو كيد الآيات في الاولى كانه قيل آيات وآيات ورفعتها باضمار هي والمعنى في تقديم الآيات على الاية ان وتوسيطه وتأخير الآخر ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا في خالق أنفسهم وتنقلهم من حال الى حال وفي خلق ما ظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودر بواقيلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم تلك اشارة الى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات (آيات الله) وقوله (تتلوها) في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأي حديث بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد (يؤمنون) حجازي وأبو عمرو وسهل وحفص وباتناء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أنهم) يبالغ في اقرار الآثام (يسمع) (آيات الله) في موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم بصر) يقبل على كفره

ويقوم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدرى بالهام مجبأ بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضار الدين الله وحيء بهم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في

قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله آيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا انه الاله القادر على كل شيء ثم اذا آمنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه (تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله) أي بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) قوله تعالى (ويل لكل أفاك أنهم) أي كذاب صاحب أنهم يعني النضر بن الحارث (يسمع آيات الله) يعني آيات القرآن (تتلى عليه ثم بصر مستكبرا) كان لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيئا) يعني آيات القرآن (اتخذها هزوا) أي سخر منها (أولئك) اشارة الى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من وراءهم جهنم) يعني امامهم جهنم وذلك خزبهم في الدنيا ولهم في الآخرة النار (ولا يغني عنهم ما كسبوا) أي من الاموال (شيئا ولا اتخذوا من دون الله أولياء) أي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعني القرآن (هدي) أي هو هدي من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربههم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله) أي بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلمكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) يعني أنه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث أنا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان

العقول (كان لم يسمعها) كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة حيث نصب على الحال أي بصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فآخبره خبرا يظهر أثره على البشارة (واذا علم من آياتنا شيئا) وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذها للاشعار بأنه اذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول أبي العتاهية نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها حيث أراد عتبه (أولئك) اشارة الى كل أفاك أنهم لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين) مخز (من وراءهم) من قدامهم الراء اسم للجهة التي يوارى بها الشخص من خلف أو قدام (جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيئا) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) ما فهم ما مصدرية أو موصولة (من دون الله) من الاوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) في جهنم (هذا هدي) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربههم) لان آيات ربههم هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل أي كامل في الرجولية (لهم عذاب من رجز) هو أشد العذاب (أليم) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة العذاب وغيرها بالجر صفة لرجز (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على الأولو والمرجان واستخراج اللحم الطري (ولعلمكم تشكرون) وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) هو أن كيد ما في السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال أي سخر هذه الاشياء كائنه منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أي هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أي تسخير منه

(ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) أى قل لهم اغفروا يغفروا وحذف المفعول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا وبصفحو او فيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت في عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بان يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كأنه قيل ليجزى ايمان قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم ليجزى شامى وجزوة وعلى ليجزى قوما يزيد أى ليجزى الخير قوما فاضرا الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجاز (١٢٧) وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما

كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) أى الى جزائه (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) على عالمي زمانهم (وأتيناهم بينات) آيات ومهجرات (من الامر) من أمر الدين (فما اختلفوا) فما وقع

(ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا والذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقتضاه قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فانزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) قوله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم) يعنى معرفة أحكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أى على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وأتيناهم بينات من الامر) أى بيان الحلال والحرام وقيل العلم يبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار محجىء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) أى من الدين (فاتبعها) أى اتبع شريعتك الثابتة (ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك قال تعالى (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا أن اتبع أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولاولى لهم في الآخرة (والله ولى المتقين) أى هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) أى معالم للناس في الحدود

الخلافا بينهم في الدين (الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبعثي حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم في أوامر الله ونواهيه في التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بأمر والدلائل (ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون) ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قریش حين قالوا ارجع الى دين آبائك (انهم) ان هؤلاء الكافرين (ان يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) وهم مواليه وما بين الفضل بين الولايتين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرايع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة

(وهدى) من الضلالة (ورحة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجتروا السيئات) اكتبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسيهم (أن نجعلهم) أن نصبرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف في (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التي هي (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولاً ثانياً فكانت في حكم المفرد سواء على وحزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير في نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الأعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتاً لا افتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة وأولئك على اقتراف السيئات ومماتاً حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة والكرمة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة في الرزق والصحة وعن تميم الداري رضى الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح (١٢٨) وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يردد هاو يبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أي

والاحكام يبصرون به (وهدى ورحة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجتروا السيئات) أي اكتبوا المعاصي والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقاً لفضلنا عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه أحسبوا أن حياة الكافر بين ومماتهم حياة المؤمنين وموتهم سواء كلاً المعنى ان المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل (سواء محياهم ومماتهم) أي بشئ ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجتروا السيئات الآية (وخاق الله السموات والارض بالحق) أي بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ومعنى الآية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات ﴿قوله عز وجل﴾ (أفرأيت من اتخذ أهله هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً الا ركبته لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما يهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيئاً أحسن من الاول رموه بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) أي علم الله بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل أن يخلق (وختم على سمعه وقلبه) أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) أي ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد أن أضله الله (أفلاتنكرون) قال الواحدى ليس يبقى للتدريه مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعني منكرا للبعث (ما هي الا حياتنا الدنيا) أي ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أي يموت الآباء ويحيا الأبناء وقيل تقديره نحيا ونموت (وما يهلكنا الا الدهر)

الفريقين أنت (سواء ما يحكمون) بشئ ما يقضون اذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد في مقام المخالفة بل تفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونجزى الكافرين (وخاق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلن المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) أفرأيت من اتخذ أهله هواه أي هو مطواع طوى النفس يتبع ما يدعو اليه فكانه يعبد كما يعبد الرجل الهه (وأضل الله على علم) منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل

الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقاً (أفلاتنكرون) فلما جعل على بصره غشاوة فلا يبصر عبرة غشاوة جزية وعلى (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلاتنكرون) بالنخفيف جزية وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كراهية مخالفته فنعم ما قال اذا طلبت النفس يوماً بشهوة وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما هو الكعدو والخلاف صديق (وقالوا ما هي) أي ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الا حياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو نموت بعض ونحيا بعض أو نكون نطفة في الاصلاب أمواتاً ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الامر ان الموت والحياة ير يدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أي يموت الرجل ثم يجعل روحه في موات فيحيا به (وما يهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك النفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وتري أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر

(وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) وما يقولون ذلك من علم و يقين و لكن من ظن و تخمين (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن
يعنى ما فيه من ذكر البعث (بينات ما كان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه في زعمهم حجة (الا ان قالوا اتوا باثبات) أى احيوهم
(ان كنتم صادقين) في دعوى البعث و حجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم اتوا باثبات و يرى حجتهم بالرفع
على أنها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) في الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعمالكم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم
القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم (١٢٩) ضرورة (لا ريب فيه) أى في الجمع

(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على
البعث لا عراضهم عن التفكير
في الدلائل (ولله ملك
السموات والارض ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر
المبطلون) عامل النصب
في يوم تقوم يخسر ويومئذ
بدل من يوم تقوم (وترى
كل أمة جاثية) جالسة على
الركب يقال جثا فلان يجثو
اذا جلس على ركبته وقيل
جاثية مجتمعة (كل أمة)
بالرفع على الابتداء كل
بالفتح يعقوب على الابدال
من كل أمة (تدعى الى
كتابها) الى صحائف أعمالها
فاكتفى باسم الجنس فيقال
لهم (اليوم تجزون ما كنتم
تعملون) في الدنيا (هذا
كتابنا) أضيف الكتاب
اليهم للاستهان بهم لان
أعمالهم مثبتة فيه والى الله
تعالى لانه مالكه والامر
ملائكته أن يكتبوا فيه
أعمال عبادهم (ينطق
عليكم) يشهد عليكم

أى وما يفنيها الامر الزمان واختلاف الليل والنهار (وما لهم بذلك من علم) أى لم يقولوه عن علم علموه
(ان هم الا يظنون) (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذنى
ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذنى ابن آدم ويقول يا خيبة
الدهر فلا يقولون أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليلاه ونهاره فاذا شئت قبضته ما وفي رواية يسب
ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى هذه الأحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر
وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع
الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما ناله من
الشدائد وسبوا فاعلموا كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى
الدهر لا الدهر فهو اعن سب الدهر وقيل لهم لا تنسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه
يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم ﴿ قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا اتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فأتوا باثبات الذين ماتوا
ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس
لا يعلمون والله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعنى في ذلك اليوم يظهر
خسران أصحاب الابطال وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أى باركة على الركب
وهي جلسة المحاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين
يخرج الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادى ربه لا أسألك الانفسى (كل أمة تدعى الى كتابها) أى
الذي فيه أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى من خير وشر (هذا كتابنا) يعنى
ديوان الحفظه فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم ولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا
قلت لا منافاة بينهما ما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم وفاضفته اليه لانه تعالى هو أمر الحفظه بكتبه (ينطق
عليكم بالحق) أى يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون) أى تأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أى
نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح
منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ بنسخ الملائكة كل عام ما يكون من
أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أى جنته (ذلك هو الفوز المبين) أى الظفر الظاهر (وأما الذين
كفروا) أى يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) يعنى آيات القرآن (فاستكبرتم) أى عن الايمان بها
(وكنتم قوما مجرمين) يعنى كافرين منكرونين ﴿ قوله عز وجل (واذا قيل ان وعد الله حق) أى البعث

(١٧ - (خازن) - رابع) بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم

تعملون) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه ثبت (فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) والمعنى ألم
يأتكم رسلى فلم تكن آياتي تتلى عليكم فخذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان
وعد الله) بالجزاء (حق)

(والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة جزء عطف على وعد الله (لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة) أى شئ الساعة (ان نظن الاظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فادخل حرف النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن تأكيد بقوله (وما نحن بمستيقنين وبداهم) ظهر لظواهر الكفار (سيئات ما عملوا) قبائح أعمالهم وأعقوبات أعمالهم السيئات كقوله وجزاء سبعة سبعة مثلها (وحاق) بهم ما كانوا يستهزؤن (ونزل بهم جزاء استهزائهم) وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم

لقاء يومكم هذا) أى نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة وإضافة اللقاء الى اليوم كإضافة المكرب في قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله تعالى في يومكم هذا ولقاء جزائه (وماؤاكم النار) أى منزلكم (وما لكم من ناصر بن ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) فالיום لا يخرجون منها (ولا هم يستعقبون) وعلى (ولا يطلب منهم) أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلة) الجدر رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) أى وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (في السموات والارض) وحق لمثله أن يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبى سعيد وأبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العزازة والكبرياء مرداؤه قال الله تعالى فمن ينادعنى عذبتة لفظ مسلم وأخرجه البرقاني ٧ وأبو مسعود رضى الله عنهم ما يقول الله عز وجل العزازة والكبرياء مرداؤه قال الله تعالى الكبرياء مرداؤه والعظمة العزازة قال الله تعالى فمن ينادعنى فى واحد منهما فدفته فى النار * شرح غريب ألفاظ الحديث قيل هذا الكلام خرج على ما اعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الأزار والرداء مثالا فى انفراد سبب حانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالأزار والرداء لان المتصف بهما يشملاهما كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه فى ازاره ووردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فىهما أحد لانهم من صفاته اللازمة له المختصة به التى لا تليق بغيره والله أعلم

﴿تفسير سورة الاحقاف وهى مكية﴾

قيل غير قوله قل أرايتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فانهم ما نزلت بالمدينة وهى أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى بالعدل (وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة وهو الاجل الذى ينتهى اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أئذروا) أى خوفوا به فى القرآن من البعث والحساب (معرضون) أى لا يؤمنون به (قل أرايتم ما تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك

العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه ﴿سورة الاحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فى (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) ملتبسا بالحق (وأجل مسمى) وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أئذروا) عما أئذروه من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرايتم) أخبرونى (ما تدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض) أى شئ خلقوا ما فى الارض ان كانوا آلهة (أم لهم

في السموات) شركة مع الله في خلق السموات والارض (اثتوني بكتاب من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أتم عليه من عبادة غير الله (أو إثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) أي أبدا (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي الاصنام لعبدتها (وكانوا) أي الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون مادعونناهم الى عبادةتنا ومعنى الاستفهام في من أضل انكار ان يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شيء و يدعون من دونه جادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم مادامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الاعلى نكدا ومضرة لا تتولاهم

(١٣١)

الاعلى نكدا ومضرة لا تتولاهم

في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديتهم وتجهدهم عبادتهم ولما أسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهمك بها وعبادتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) واذا تتلى عليهم آياتنا ينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحة مبيّنات (قال الذين كفروا للحق - ق) المراد بالحق الآيات والذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر ان موضع الضمير ين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو

في السموات اثتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو إثارة من علم) أي بقية من علم يؤثر عن الاولين و يسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض (ان كنتم صادقين) أي في أن الله شريكا (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شيء يسألونها (الي يوم القيامة) يعني لا تجيب أبدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعني لانها جادات لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أي جاحدين (واذا تتلى عليهم آياتنا ينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سمو القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) أي اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي لا تقدر ان تردوا عني عذابه ان عذبي على افترائي فكيف افترى على الله من أجلكم (هو أعلم) أي الله أعلم (بما تفيضون فيه) أي تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفي به شهيدا بيني وبينكم) أي ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أي في تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به ﴿قوله تعالى﴾ (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أي بديعا (من الرسل) أي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبياء فكيف تذكرون نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا والللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لا خبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئلك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسين وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية ففسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من

بالحق (لما جاءهم) أي بادؤة بالجود ساعة أناههم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا إعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر أمره في البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضرب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمد اعليه السلام افتراه أي اختلقه وأضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدر ان كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شيء من عقابه فكيف افتريه وأعرض لعقابه (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والظعن في آياته وتسميته سحرا إثارة و فريفة أخرى (كفي به شهيدا بيني وبينكم) يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي بديعا كالحف بمعنى الخفيف والمعنى اني لست باول مرسل فتسكروا نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجر وامن أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أنترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لي ورأيته يعني في منامه ذات نخل وشجر

وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استنفاضية مرفوعة وانما دخل لافي قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفي لتناول النبي فيما أدري ما وما في حيزه (ان أتبع الامايوحى الى وما أنا الانذير مبين قل رأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل) هو عبدالله (١٣٢) بن سلام عند الجمهور ولذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام

بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزع وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن أى مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد بنحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف

الانصار وكانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته انه اقسم المهاجرون قرعة قالت قطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في أبياتنا فوجع وجهه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله أكرمته فقلت باني أنت يا رسول الله فن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله اني لارجوه الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لأزكي بعده أحد يا رسول الله قالت وأريت لعثمان في النوم عينا تجري فحنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عماله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت قطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا ما في الآخرة فقد علم انه في الجنة وأن من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء بصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة أراضا ذات سباح ونخل رفعت له مهاجرا اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التي رأيت فسكت فانزل الله هذه الآية وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أترك في مكاني أم أخرج أنا وأتم الى الارض التي رفعت لي وقيل لا أدري الى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا أما أنا فلا أدري أخرج كما أخرجت الانبياء من قبلي أم أقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلي وأما أتم أيها المصدقون فلا أدري أخرجون معي أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أي شيء يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم أخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبأمته وقيل معناه لا أدري الى ماذا يصير أمري وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وأمته على سائر الامم ﴿وقوله﴾ (ان أتبع الامايوحى الى) معناه ما أتبع غير القرآن الذي يوحى الى ولا أبتدع من عندي شيئا (وما أنا الانذير مبين) أى أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع (قل رأيتم) أى أخبروني ماذا تقولون (ان كان من عند الله) يعنى القرآن (وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) أى انه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) أى عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبدالله بن سلام آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا بديل عليه ما روى عن أنس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في أرض يخترق النخل فاته وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أى شيء ينزع الولد الى أبيه ومن أى شيء ينزع الى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن آ تفاجير بل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقراء هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد

تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني اسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الاعان به

ألستم أضل الناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا والذين آمنوا) أي لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (واذلم يهتدوا به) العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذلم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسيب عنه وقولهم افك قديم أي كذب متقدم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) أي التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو في الدار زيد قائما ومعنى اماما (١٣٣) قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما

يؤتم بالامام (ورجة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أولا بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أي يصدق ذالسان عربي وهو الرسول (لينذر) أي الكتاب لتنذر بحجazy وشامى (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) في محل النصب معطوف على محل لتندرا لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشرعية محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) في القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت (أولئك اصحاب الجنة

الحوث وأما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقتهما مؤذ كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان اعموا باسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا أعمانا وابن أعمانا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرايتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذة الله من ذلك زاد في رواية فاعاد عليهم فم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله أخرجه البخارى في صحيحه (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزات وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال الراوى لأدرى قال مالك الآية أوفى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الآية والله ما نزات في عبد الله بن سلام لان آل حم نزات بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن أنه كلام الله فأمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعني من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة قالوا لو كان ما يدعوننا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء اليهم قال الله تعالى (واذلم يهتدوا به) أي بالقرآن كما هتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) أي كذب متقدم (ومن قبله) أي من قبل القرآن (كتاب موسى) يعني التوراة (اماما) أي جعلناه اماما يقتدى به (ورجة) أي من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعني القرآن (مصدق) أي لا كتب التي قبله (لساننا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعني مشركي مكة (وبشرى) للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدون فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (جلته أمه كرها) يعني حين أنقلت وثقل عليها الولد (ووضعت كرها) يريد شده الطلق (وجله وفصاله ثلاثون شهرا) يعني ومدة جلته الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا

خالدون فيها) حال من اصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة التي دل عليه أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفي أي وصينا به بان يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم أي وصينا به بوالديه أمرا إذا حسن أي بامر ذي حسن فهو في موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتغال (جلته أمه كرها ووضعت كرها) وبتفتح الكافين تجازي وابو عمرو وهما العتان في معنى المشقة وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي جلادا كره (وجله وفصاله) ومدة جلته وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حواين كاملين بقيت

للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضي الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل كالعظم والعظام بناء ومعنى (حتى إذا بلغ أشده) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سببويه يقول واحدة شدة وبلوغ الأشد ان يكتمل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الاربعون (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني) ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هي الصلوات الخمس (وأصلح لي في ذريتي) أى اجعل (١٣٤) ذريتي موقعا للصالح ومظنة له (انى تبت اليك) من كل ذنب (وانى من المسلمين)

المخلصين (أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوزوا أحسن غيرهم (في أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمى الأمير فى ناس من أصحابه تريد أكرمى فى جملة من أكرم منهم ونظمتى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعدا الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه أبى خافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهم وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحدا من الصحابة من

فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكرم مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حلت المرأة تسعة أشهر أرضعت احدا وعشرين شهرا واذا حلت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ أشده) أى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة الى أربعين سنة وهو قوله تعالى (و بلغ أربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك أنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فزلا منزلا فيه سدره فقعد النبي صلى الله عليه وسلم فى ظلهامضى أبو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدره فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبي آخر الزمان فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالة فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب أوزعني) أى ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) أى بالايان والهداية وقال على بن أبى طالب فى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى أبى بكر أسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان أسلم ابواه غيره أو صاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس أجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا أعانه الله عليه ودعا أيضا فقال (وأصلح لي فى ذريتي) فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابی بكر اسلام أبويه أبوه أبو خافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبى عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبى بكر وقوله (انى تبت اليك) أى رجعت اليك الى كل ماتحب (وانى من المسلمين) أى وأسلمت بقلبي ولساني (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا) يعنى أعمالهم الصالحة التي عملوها فى الدنيا وكلها حسن فلا حسن بمعنى الحسن فينبههم عليها (ويتجاوز عن سيئاتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى أصحاب الجنة) أى مع أصحاب الجنة (وعدا الصدق) أى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعد صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يعدون) أى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعوا الى الايمان بالله والاقرار بالبعث

بعد

المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنهم (الذى كانوا

يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه ويشهد بطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما سمعت عائشة رضى الله عنها فعضت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله

(أف لكما) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متفجر كما اذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان أي هذا التأنيف لكما خاصة ولا جلكما دون غيركما (أتعداني أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم أحد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحرير بض على الايمان لاحقيقة الهلاك (آمن) بالله (١٣٥) وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث

(حق) صدق (فيقول) هما (ما هذا) القول (الأساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أي لأملائن جهنم (في أمم) في جملة أمم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل من الجنس المذكورين الابرار والفجار) درجات مما عملوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما وإنما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار درجات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكي وبصري وعاصم (وهم لا يظلمون) أي وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فعمل الثواب درجات والعقوبات درجات واللام متعلق بمحذوف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم

بعد الموت (أف لكما) وهي كلمة كراهية (أتعداني أن أخرج) أي من قبري حيا (وقد خلت القرون من قبلي) أي فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أي يستصرخان بالله عليه ويقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق) أي بالبعث (فيقول ما هذا) أي الذي تدعونني اليه (الأساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل اسلامه وكان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيوا الى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما يقولون وانكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن الا ما أنزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فأبى وانكروا قيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه بطله قوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) أعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أي وجب عليهم العذاب (في أمم) أي مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن يخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجوز لهم عليهم اقل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى أسفل (وليوفيهم أعمالهم) أي جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه في الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الذي فيه ذل وخزي (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامر من أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثاني الفسق وهو المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح

فصل لما ربح الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات أثر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك

عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أي يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني استبقى طيباتي وقوله (واستمعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تستكبرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أي باستكباركم وفسقكم

(واذ كراخاعاد) أي هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احق وقف الشيء اذا اعوج عن
ابن عباس رضي الله عنهما هو (١٣٦) واد بن عتمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر والانداز (من بين

يديه ومن خلفه) من قبل
هود ومن خلف هود
وقوله وقد خلت النذر
من بين يديه ومن خلفه
وقع اعتراض بين انذر قومه
وبين (ألا تعبدوا الا الله
اني أخاف عليكم عذاب
يوم عظيم) والمعنى واذ كر
انذار هود قومه عاقبة
الشرك والعذاب العظيم
وقد أنذر من تقدمه من
الرسل ومن تأخر عنه مثل
ذلك (قالوا) أي قوم
هود (أجئتنا لتأفكنا)
لتصرفنا فالافك الصرف
يقال افكه عن رأيه (عن
آلهتنا) عن عبادتها (فأتينا
بماعتدنا) من معاملة
العذاب على الشرك (ان
كنت من الصادقين) في
وعيدك (قال انما العلم)
بوقت مجيء العذاب (عند
الله) ولا علم لي بالوقت الذي
يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم
ما أرسلت به) اليكم
وبالتخفيف أبو عمرو أي
الذي من شأنه أن أبلغكم
ما أرسلت به من الانذار
والتخويف (ولكني أراكم
قوما تجهلون) أي ولكنكم
جاهلون لا تعلمون ان

فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالساً ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم
عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله (ق) عن عائشة قالت ما شيع آل محمد من خبز
شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد
فيه ناراً انما هو الاسودان التمر والماء الا أن نؤتي بالله حيم وفي رواية أخرى قالت انا كالتنظر الى الهلال ثم الهلال
ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة
فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار
وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينها عن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طوايا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز
الشعير أخرجه الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله ما لم يخف أحد
وأوديت في الله ما لم يؤذ أحد ولقد أتني على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام الاشئ يوارى ابط
بلال (خ) عن أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما زاروا ما
كساء قدر بطوا في أعناقهم فنهاما يبلغ نصف الساقين ومنهما ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى
عورته (خ) عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال قتل مصعب
ابن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي رأسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال
قتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسطنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت أن تكون عجلت
لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لما
معلقاً في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتيت لما فاشتريته فقال عمر أوكما اشتيت يا جابر اشتريت أماً تخاف
هذه الآية أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴿ قوله تعالى ﴾ (واذ كراخاعاد) يعني هودا عليه السلام (اذ
أنذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بن عتمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في
حضر موت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمل سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا
من قبيلة ارم وقيل ان عاداً كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر
والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلاً وقيل
الاحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) أي مضت الرسل (من بين يديه) أي من قبل هود (ومن
خلفه) أي من بعده (ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هوداً قد أنذرهم بذلك
وأعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا أجئتنا لتأفكنا)
أي لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عبادتها (فأتينا بماعتدنا) أي من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني
أن العذاب نازل بنا (قال) يعني هودا (انما العلم عند الله) يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم
ما أرسلت به) يعني من الوحي الذي أنزله الله على وأمرني بتبليغه اليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون) يعني
قدر العذاب الذي ينزل بكم (فلما رأوه) يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضاً) يعني
رأوا سحاباً عارضاً وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك
انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلاً فلما رأوا

تلك

الرسل بعثوا منذرين لامة ترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما

رأوه) الضمير يرجع الى ما تعدنا وهو مبهم وضع أمره بقوله (عارضاً) اما تميزاً أوحالاً والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء

(مستقبل أوديتهم)

قالوا هذا عارض ممطرنا) روى ان المطر قد احتبس عنهم فراءوا سحابة استقبلت اوديتهم فقالوا هذا سحاب ياتينا بالمطر وأظهر وامن ذلك فرحا
واضافة مستقبل ومطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وعمما مضافان الى معرفتين وصفاللكرة (بل هو) أى قال هود بل هو يدل عليه
قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استجلم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد و أموا لهم
الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بامر ربها) رب الريح (فاصبحوا لا يرى (١٣٧) الامسا كنهم) عاصم وحزة

وخلف أى لا يرى شئ الا
مسا كنهم غيرهم لا ترى
الامسا كنهم والخطاب
للراى من كان (كذلك
نجزى القوم المجرمين)
أى مثل ذلك نجزى من
أجرم مثل جرمهم وهو
تحذير لمشركى العرب عن
ابن عباس رضى الله عنهما
اعتزل هود عليه السلام
ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم
من الريح الا ما نلده الانفس
وانها لتمر من عاد بالظعن بين
السماء والارض وتدمغهم
بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان
مكنناكم فيه) ان نافية أى
فيما مكنناكم فيه الا ان
أحسن فى اللفظ لما فى
مجماعة ما مثلها من التكرير
المستبشع الا ترى ان الاصل
فى مهماما فلشاعة
التكرير قلبوا الالف
هاء وقد جعلت ان صلة
وتقول بانا مكناهم فى مثل
ما مكنناكم فيه والوجه هو
الاول لقوله تعالى هم أحسن
أنانا وربنا كانوا أكثر
منهم وأشد قوة وآثارا وما
معنى الذى أو نكرة

تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله رد عليهم (بل هو ما استجلم به) يعنى
من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى
(تدمر كل شئ بامر ربها) يعنى تهلك كل شئ صرت به من رجال عاد و أموا لهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل
الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جراداة فلما رآوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح
فقلعت الابواب وصرعهم وأمر الله الريح فاهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام
لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وقيل ان هود اعليه السلام لما
أحسن بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطاف كانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التى
تصيب قوم شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهد عليه السلام وقيل ان الله تعالى أمر خازن الريح
أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفى هذا اظهر كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسّم زادا فى رواية
وكان اذا رأى غيما عرف فى وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر
وأراك اذا رأيت غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمننى ان يكون فيه عذاب وقد عذب
قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
رأى مخيلة فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة
ذلك فقال وما أدري لعله كما قال قوم هود فلما رآوه عارضا مستقبلا اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفى
رواية أخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا
ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل
وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسأله فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما
رآوه عارضا مستقبلا اوديتهم قال هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيّل السماء اذا
تغيّمت وقولها سرى عنه أى كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن ﴿قوله تعالى﴾ (فاصبحوا لا ترى
الامسا كنهم) قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الامسا كنهم
خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثارا مسا كنهم لان الريح لم
تبق منها الا الآثار والمسا كن معطلة (كذلك نجزى القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى
(ولقد مكناهم فيما ان مكنناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعنى مكناهم فيما لم تمكنكم فيه من قوة الابدان وطول
الاعمار وكثرة الاموال (وجعلناهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعنى انا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها
فيما ينفعهم فى أمر الدين فما استعملوها الا فى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فأغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم
ولا أفئدتهم من شئ) يعنى انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك منهم شئ (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق
بهم ما كانوا يستهزؤن) يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا

(١٨ - (خازن) - رابع) موصوفة (وجعلناهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أى آلات الدرك والفهم (فأغنى عنهم سمعهم
ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى
مجرى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضربه اذا ساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فأنما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا
ان اذ حيث غلبت ادون سائر الظروف فى ذلك (وحق بهم) ونزل بهم (ما كانوا يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة
زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا

ما حولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة يعني اهل كنفقرى ديار نمودوهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعنى وينهاهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر (فلولا) يعنى فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرا بانا آلهة) يعنى انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعنى يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفر من الجن) الآية

﴿ذكر القصة فى ذلك﴾

قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يرمط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لآنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يش من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتسموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيزيد ذلك فى نجرهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونوه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس وألجؤوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبله من عنب فجلس فيه وابنار بيعة ينظران اليه ويريان مالتى من سفهاء ثقيف وقد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جح فقال لها ماذا لقينا من أجهالك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتى وهوانى على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلى الى بعيد يتجهمنى وأولى عدوما لته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنار بيعة مالتى تحركت له رجها فمدوا غلاما لهم انصرانيا يقال له عداس فقال له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له ياكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقول أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت يا عداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قال له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما فى

ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر نمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الإيمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرا بانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعائنا عند الله وأحد مفعولى اتخذوا الراجع الى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقر بانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة ونمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفر) أملناهم اليك وأقبلناهم نحوك وانفرد دون العشرة (من الجن) جن نصيبين

الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الانبي فقال له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين ينس من خير ثقيف حتى اذا كان بيطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فربه نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فامسأ فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذا صرفنا اليك نفر من الجن وفي الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجوا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشرف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حزة بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا اننا سمعنا قرآنا عجبنا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفر من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطر قوائم استتبعهم فاطر قوائم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الجحون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيتة اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لا أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى فقال لي أنت فقلت لا والله يا رسول الله قد عمت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرأهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فتعهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقدرها الناس علينا فهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحم يوم أكل ولاروثة الا وجدوا فيها حبه يوم أكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتل قتل بينهم فتعها كموا الى فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا نى فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداة فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصبيت على يده فتوضأ وقال ثمرة طيبة وماء طهور قال فتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة رأى شيوا خاشمطا من الزط فأفرغوه حين رأيهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافات باسانيده وأجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ما صحبه منا أحد ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطيرأ واغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال أنا نى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانها مطعام اخوانكم الجن زادني رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم في صحيحه وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذا صرفنا اليك

(يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضروه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن أي كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) استكثروا مستمعين روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرس السماء ورجوا بالشهب قالوا ما هذا إلا أنباء حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة (١٤٠) من أشرف جن نصيبين أو ينوي منهم زو بعة فضر بواحتي باغواتهم ثم اندفعوا

الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا قراءته وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فروا به فوق قفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنباه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفر منهم فقال اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فننبتعني قالوا ثلاثا فاطرقوا الأعداء الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فأنطلقنا حتى اذا كنا على مكة في شعب الحجون نخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكرا بعثنا اليك يا محمد نفر من الجن واختلوا في عدد أولئك نفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زو بعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروي أن الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطبرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظنون ونقل بعضهم أن أولئك الجن كانوا يهودا فاسموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبداء الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكافون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (يستمعون القرآن فلما حضروه) الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا القرآن وقيل بمحتمل أنه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا أنصتوا) يعني قال بعضهم لبعض استمعوا النسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضى) أي فرغ من قراءته (ولوا) أي رجعوا (الى قومهم منذرين) يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد إيمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد إيمانهم به ونصديقهم له (وقالوا يا قومنا اناسمنا كتابا نزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا اناسمنا كتابا نزل من بعد موسى مصدقا (لما بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك أن كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو نصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة (يا قومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على أنه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (وآمنوا به) فان قلت قوله تعالى أجيبوا داعي الله أمر باجابه في كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به وأشر فيها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظه من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم وان الله ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا جرت عليهم أحكام الاسلام فن أتى بذبذب أخذه ما لم يتب منه أو يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء أخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمنى الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الانجائهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكى عن الأبي قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل للمؤمنى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر باليتنى كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو

الصحيح

قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى) أي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى

قومهم منذرين) أي اياهم (قالوا يا قومنا اناسمنا كتابا نزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدق لما بين يديه) من الكتب (يهدي الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله) أي محمد صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم) قال

أبو حنيفة رضي الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة وياكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمئنه (١٤١) انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب

داعي الله فليس بمعجز في الارض) أي لا ينبغي منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) هو كقوله وما من من لغوب ويقول عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الياء لاشتمال النفي في أول الآية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لوقالت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقرررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على أن يحيي الموتى بلى) هو جواب للنفي (انه على كل شيء قدير) ويوم يعرض الذين كفروا على النار (يقال لهم) (أليس هذا بالحق) وناسب الظرف القول المضمرة وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى) وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (فأصبر كما صبر أولوا العزم) أولوا العزم

الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمئنه انس قبلهم ولا جان قال فلا نسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمنى الجن حول الجنة في ربح ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعني أنصارا ينعونه من الله (أولئك) يعني الذين لم يحبوا داعي الله (في ضلال مبين) قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) يعني أنه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على أن يحيي الموتى) يعني ان إعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من ابداعه وخلقهم فكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شيء قدير) يعني من امارة الخلق واحياءهم لانه قادر على كل شيء (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضمات تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكروين لذلك وفيه توبيخ ونقر يع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قوله عز وجل (فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالافتداء بأولى العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجهد والصبر واختلفوا في أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام غفر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم بالعزم بقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولوا العزم الا يونس المجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تسكن كصاحب الحوت وقال قوم أولوا العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لأعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه واهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهب بصره يوسف صبر على الحب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح واهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح واهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم ير من أولى العزم الا بالصبر على مكروهاها والصبر عن محبوبها ولم ير من أولى العزم الا بالصبر على ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لا صبرن كما صبروا ولا جهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى (ولا تستجمل لهم) يعني اصبر على أذاهم ولا تستجمل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبي منهم فامر الله تعالى بالصبر وترك الاستجمل ثم أخبر بقرب

والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد بأولى العزم ما ذكر في الاحزاب واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح واهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تسكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجده عزماء أولي البياض فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستجمل لهم) لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر

(كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أي أنهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوا ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ أي هذا الذي وعظمت به كفاية في الموعظة وهذا تبليغ من الرسول (فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (الا القوم الفاسقون) أي المشركون (١٤٢) الخارجون عن الاعتاز به والعمل بمواجبه قال عليه السلام من قرأ سورة

الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا ﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهي ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي أعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه يصد صدودا أي أعرض وصد عنه عن الامر صدأ منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر وأهل الكتاب أو عام في كل من كفروا وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كاضالة من الابل وأعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلاة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش أو من

العذاب فقال تعالى (كانهم يوم يرون ما يوعدون) يعني من العذاب في الآخرة (لم يلبثوا) يعني في الدنيا (الساعة من نهار) يعني أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان بامضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو أبد الأبدین بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) أي هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعني بالعذاب اذا نزل (الا القوم الفاسقون) يعني الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

﴿نفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي مدنية وهي ثمان وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) يعني أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالأعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائلًا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الأعمال والله لا يضيع لعاقل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخير بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعني أبطلها لانها لم تكن لله ولا بامرهم انما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلماذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحريث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول في الاسلام أضل أعمالهم يعني أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين (و) الذين (آمنوا بما نزل على محمد) يعني القرآن الذي أنزل الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما الشأن القرآن الكريم وتنبها على انه لا يتم الايمان الا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه في شيء (كفر عنهم سيئاتهم) يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (وأصلح باهم) يعني حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق في أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح باهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد

وقال

الانصار أو من أهل الكتاب أو عام (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن ونخصيص الايمان

بما نزل على رسوله من بين ما يجب الايمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله (وهو الحق من ربهم) أي القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح باهم) أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين والتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصر والتأييد

(ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الامر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أي يبين الله (للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثالا لعمل الكافرين واتباع الحق مثالا لعمل المؤمنين أو جعل الاضلال مثالا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثالا لفوز الابرار (فاذا القيمت الذين كفروا) من اللقاء (١٤٣) وهو الحرب (فيضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب

أصله فاضربوا الرقاب ضربا خذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولأن قتل الانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا نطحتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا ومنكم (فاما من بعد) أي بعد ان تأسروهم (واما فداء) مناصون فداء منصوبان بفعلهم امضرين أي فاما تمنون منا أو تفقدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين

وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعني أن هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا (ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعني الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعني القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير في أمثالهم راجع الى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم وأنه راجع الى الفريقين على معنى أنه تعالى يضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس قوله تعالى (فاذا القيمت الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فيضرب الرقاب) يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان أشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكري في الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء (حتى اذا نطحتموهم) يعني بالغنم في القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الشخين الغليظ والمعنى حتى اذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعني في الاسرى والمعنى قاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا ومنكم والوثاق اسم ما يوثق به أي يشد به (فاما من بعد) فاما من بعد واما فداء يعني بعد الاسر اما أن يمنوا عليهم منا بابطالهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء

(فصل في حكم الآية) اختلاف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تنقظهم في الحرب فشردهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي وأصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيدخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى بأسراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبنا عن أبي حنيفة والمشهور عنه أنه لا يرى فداءهم لابل ولا بغيره خيفة أن يعودوا حرا بالمسلمين وذهب أكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال المبالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد وإسحق قال ابن عباس لما كثرت المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الاسارى فاما من بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه في سارية من سواري

بعد الاسرى بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور في الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق أو المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيدخلوا لقبول الجزية والفداء أن يفادى بأسراهم أسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبنا عن أبي حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لا يرى فداءهم لابل ولا بغيره لئلا يعودوا حرا باعينا وعنده الشافعي رحمه الله تعالى للامام أن يختار أحد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن

(حتى تضع الحرب أوزارها) أنقلها ولا تها إلى لا تقوم إلا بها كالسلاح والكرع وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا (١٤٤) وحتى لا يخجلوا من أن يتعلق بالضرب والشدة أو بالمن والغداة فالمعنى على كلا التعلقين

المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكروا ان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكروا ان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكروا ان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الأرض أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فاصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد كلها الى وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهم ما ثقيف أخرجهم الشافعي في مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعني أنقلها وأحاطها والمراد أهل الحرب يعني حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الأسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية أن تخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل المال كما في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكشي معناه حتى يسلموا أو يسلموا قال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسلم (ذلك) يعني الذي ذكره بين من حكم الكفار (ولو شاء الله لاتنصر منهم) يعني ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم (ولكن) يعني ولكن أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) يعني فيصبر من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب (والذين قتلوا في سبيل الله) يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله (فان يضل أعمالهم) يعني فلن يبطلها بل يوفيه ثواب أعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعني أيام حياتهم في الدنيا الى أرشاد الامور وفي الآخرة الى الدرجات العلى (ويصلح باهم) ويرضى أعمالهم ويقبلها (ويدخلهم الجنة عرفهاهم) بين لهم منازلهم في الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفهاهم طيبهاهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب قوله عز وجل (يا أيها

عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشدة فالمعنى انهم يقتلون ويأسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا عاق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويقادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الآن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر وأفعلا بهم ذلك فهو في محل نصب (ولو شاء الله لاتنصر منهم) لاتنقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (ولكن) أمرهم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) أي المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيضا للكافرين (والذين قتلوا) بصرى وحفص قاتلوا غيرهم (في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم) الى طريق الجنة أو الى الصواب

الذين

في جواب منكرو نكير (ويصلح باهم) يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفهاهم) عن مجاهل عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا أن يسألوا أو طيبهاهم من العرف وهو طيب الرائحة (يا أيها

الذين آمنوا ان تنصروا الله (أي دين الله ورسوله) ينصركم (و يثبت أقدامكم) في مواطن الحرب أو على نجدة الاسلام (والذين كفروا) في موضع رفع بالابتداء والخبر (فتعسالمهم) وعطف قوله (وأضل أعمالهم) على الفعل الذي نصب تعسالان المعنى فيقال تعسالمهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في (١٤٥) الدنيا القتل وفي الآخرة التردى في النار (ذلك) أي التعس

والضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أي القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسروا في الأرض) يعني كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركي قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أي نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بان الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لا مولى لهم) أي لا ناصر لهم فانه مولى العباد جميعاً من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياماً قليلاً (و يأكلون) غافلين غير

الذين آمنوا ان تنصروا الله (يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وخز به) ينصركم (و يثبت أقدامكم) يعني عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسالمهم) قال ابن عباس يعني بعد لهم أو قال أبو العالية سقوط لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردى في النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم ير يدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأراد وقيامه وفي هذا إشارة جميلة وهي انه تعالى لما قال في حق المؤمنين ويثبت أقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكفار أيضاً يصيرون يثبت قدمه في الحرب والقتال فآخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يحب عليه شيء وقال في حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل أعمالهم) يعني أبطل أعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان (ذلك) يعني التعس والضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) يعني القرآن الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذفت عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعني فابطل أعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله ولان الشرك يحبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعني أهلكه ودمر عليه اذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعني ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون في الآخرة (ذلك) يعني الاهلاك والهوان (بان) أي بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وان الكافرين لا مولى لهم) يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهي جناد لا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) يعني هذا لهم في الآخرة (والذين كفروا يمتعون) يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها (و يأكلون) كأنهم كل الانعام يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لا همون ساهون عما يرادهم في غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبده ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يمتنع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي سجن المؤمن بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعني مقام الكافر في الآخرة والثواء المقام في المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم ﴿ قوله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) يعني أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هي أشد قوة من أهل مكة أهلكنهم الله يدل عليه قوله (أهلكناهم) ولم يقل

(١٩ - (خازن) - رابع) متفكرين في العاقبة (كأنهم كل الانعام) في معالها ومسارحها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أي وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) أي وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أي كانوا سبب خروجك (أهلكناهم)

من عنده وبرهان وهو القرآن المجيز وسائر المجزات يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشأن (التي وعد المتقون) عن الشرك (فيها أنهار) داخل في حكم الصلة كالسكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التي فيها أنهار أحوال أى مستقرة فيها أنهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال آسن الماء إذا تغير طعمه وريحه آسن مكي (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تنغير ألوان الدنيا الى الجحوشة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأنيث لذه وهو اللذيد (للشاربين) أى ما هو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفة الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدأ خبره (كمن هو

أهل كذاها) (فلاناصرهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى الى الله وأحب بلاد الله الى ولوائى المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فانزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى عبادة الاوثان وقوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولاً ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشهابه وقيل المثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل المثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد فى النار (فيها) يعنى الجنة التى وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعنى غير متغير ولا متقن يقال آسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعنى كما تنغير ألوان الدنيا فلا يعود حامضاً ولا قارصاً ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعنى ليس فيها جحوشة ولا عفوصة ولا صرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس مع شرابها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هى لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعنى ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقى الأنهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران فى الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما فى بلاد الارمن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جداً أكبرهما جيحان هذا هو الصواب فى موضعهما ثم ذكر كلاماً بعد هذا طويلاً ثم قال فاما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثانى وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الأنهار الاربع تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوى عنه وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) فى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى أن ما كول أهل الجنة للذة الحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها لا تفككه واللذة (ومغفرة من ربهم) فان قامت المؤمن المتقى لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بالازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لان الواو لا تقتضى الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكليف عنهم فيما ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ما كولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه وقوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) يعنى من هو فى هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد فى النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميماً) يعنى شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا أدنى منهم شوى وجوههم ووقعت فرور رؤسهم (ف) اذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعنى خرجت من أديبارهم والأمعاء جمع معى وهو جميع ما فى البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد فى النار راجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد فى النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الجحيم ليصب

وهو كلام في صورة الانبات ومعناه النسب في لفظاته تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وهو قوله أفن كان على ينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير المكابرة من يسوي بين المنسك بالينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من ثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقي أهلها الجحيم (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالاتها وانهم فاذا خرجوا قالوا لولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا بالآيمان واستمعوا القرآن (زادهم) الله (هدى) أي بصيرة وعلمًا أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون الا الساعة) أي

على رؤسهم فينفذ الجحيم حتى يخلص الى جوفه فليست مافي جوفه حتى يرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقي من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى (ومنهم) يعني ومن هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهانوا به وتغافلوا عنه (حتى اذا خرجوا من عندك) يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعني المنافقين (للذين أوتوا العلم) يعني من الصحابة (ماذا قال آنفا) يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من الائتلاف يقال ائتلفت الامراى ابتدأته قال مقاتل وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألو ابي عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعني المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) يعني في الكفر والتفريق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم في الباطل (والذين اهتدوا) يعني المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة أهوى بين حال المؤمن المهتدى الذي ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله اياهم الى الايمان (زادهم هدى) يعني انهم كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فبرز يدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانهم (وآتاهم تقواهم) يعني وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبيرة آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة) يعني الكافر ين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يادروا بالاعمال سبعة اهل ينتظرون الا فقرامنسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هراما مفندا أو موتا مجمزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة ادهى وأمر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله تعالى (فقد جاء أشراطها) أي أماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبظا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فكان قائلًا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلى الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يدهما (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احدهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شيء يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشوا الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون الخمسين امرأة فيم وفي رواية يظهر ينظرون (أن تأتيهم) أي آتياها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله

عليه وسلم وانشاق القمر
والدخان وقيل قطع الارحام
وقلة الكرام وكثرة اللثام
(فاني لهم اذا جاءتهم
ذكراهم) قال الاخفش
والتقدير فاني لهم ذكراهم
اذا جاءتهم (فاعلم انه) ان
الشان (لا اله الا الله
واستغفر لذنبيك وللمؤمنين
والمؤمنات) والمعنى فانت
على ما أنت عليه من العلم
بوحداية الله وعلى التواضع
وهضم النفس باستغفار
ذنبيك وذنوب من على
دينك وفي شرح
التأويلات جاز أن يكون
له ذنب فامر به بالاستغفار له
واسكننا لنعمه غير ان ذنب
الانبياء ترك الافضل
دون مباشرة القبيح
وذنوبنا مباشرة القبايح
من الصغار والكبار وقيل
الفاآت في هذه الآيات
لعطف جملة على جملة بينهما
اتصال (والله يعلم متقلبكم)
في معاشكم ومتاجركم
(ومنواكم) ويعلم حيث
تستقرون من منازلكم
أو متقلبكم في حياتكم
ومنواكم في القبور أو
متقلبكم في أعمالكم
ومنواكم في الجنة والنار
ومثله حقيق بان يتقى
ويخشى وأن يستغفر وسئل
سفيان بن عيينة عن فضل
العلم فقال ألم نسمع قوله فاعلم
أنه لا اله الا الله واستغفر

الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط
الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال
القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل (خ) عن أبي هريرة قال بينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين
السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا
وسد الامر الى غير أهلها فانظر الساعة ﴿ وقوله تعالى (فاني لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعني فن أين لهم
التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا
تنفعهم الذكر ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت (فاعلم انه لا اله الا الله) الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فافادة هذا
الامر وأجيب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أي دم على ما
أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه اردد دعاءك الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه
وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه
لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع
الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو (واستغفر لذنبيك) أمر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به في ذلك (م) عن الاغر المزني
أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى أستغفر في اليوم مائة
مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لا توب الى ربى عز وجل مائة مرة في اليوم (خ) عن أبي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لا استغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية
أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطي وسبب
ذلك ما أطلع الله عليه من أحوال أمته بعده فآخزته ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر
في أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع
مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب
كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيئات المقر بين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو
الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن
غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب
استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محي الدين النووي عن القاضي عياض
ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فترا وغفل
عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبى خوف الانبياء
والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة
حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا كون عبدا شكورا وقيل في معنى
الآية استغفر لذنبيك أي لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعني من غير أهل بيته وهذا اكرام
من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب
فيهم (والله يعلم متقلبكم ومنواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومنشركم في أعمالكم
في الدنيا ومنواكم يعني مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالهار ومنواكم بالليل

لذنبك فامر بالعمل بعد العلم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) فيها ذكر (١٤٩) الجهاد (فاذا أنزلت سورة) في معنى

الجهاد (محكمة) مبنية غير متشابهة لا تحتمل وجهها الاوجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذ كرفها القتال) أي أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين في قلوبهم مرض) نفاق أي رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فاولي لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يلهم المكر وه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خبر لهم (فاذا عزم الامر) فاذا وجد الامر ولزمهم فرض القتال (قلو صدقوا الله) في الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خير لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال

الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات و بطونهم ومنوا كم في الدنيا وفي القبور المعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي * قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله فقالوا فها أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذ كرفها القتال) قال مجاهد كل سورة ذ كرفها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك) يعني شذروا كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فاولي لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد ويليكم وقار بك ما تكره وتم الكلام عندها ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولي بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازة فاولي بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا كانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه (فاذا عزم الامر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذا فيما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خير لهم) يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أي فلعلكم (ان توليتهم) يعني أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه (ان تفسدوا في الارض) يعني تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الارض بالمعصية والبنى وسفك الدم ورجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيت القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال له فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتهم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقوم شد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمسك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسب من نسبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللاتذ المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبرأ مما هي معنى من المعاني وليست بجسم وانما هي قرابة ونسب يجمعهم رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحا والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذ كرفها هذا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصحابها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمي العقوق قطعاً كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا امر الله عز وجل هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل في الآية في قوله ان توليتهم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان توليتهم أمر الناس أن تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المدكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج

(فهل عسيتم ان توليتهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا واد البنات وخير

وتوقع وذلك على الله محال لأنه تعالى عالم بكل شيء فإمعناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر إليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري معناه أنه لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرفكم يرضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان ياهؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم أن توليتهم أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحروا على الملك وتمالكوا على الدنيا (أولئك) إشارة إلى من إذا تولى أفسد في الأرض وقطع الأرحام (الذين لعنهم الله) يعني أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته (فأصمهم) يعني عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) يعني عن طريق الهدى وذلك أنهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وإن كان لهم سماع وأبصار في الظاهر (أفلا يتدبرون القرآن) يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكير في عاقبة الشيء وما يؤول إليه أمره وتدبر القرآن لا يكون إلا مع حضور القلب وجمع لهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغناء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب أقفاها) يعني بل على قلوب أقفاها وجعل القفل مثلاً لكل مانع للإنسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فإن قلت إذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جائز عندنا لأن الله أمر بالإيمان لمن سبق في علمه أنه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل إن قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التأسي وقيل إن هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك أن الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتوبيخ لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكييت لهم على إصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده * وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفاها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فزال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل (إن الذين ارتدوا على أديبارهم) يعني رجعوا القهقري كفاراً (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعتهم في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون آمنوا أولاً ثم كفروا ثانياً (الشیطان سول لهم) يعني زين لهم القبيح حتى رأوه حسناً (وأملئ لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الباء على ما لم يسم فاعله يعني أمهلوا ومد لهم في العمر وقرئ وأملئ لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملئ لهم الشيطان بأن مد لهم في الأمل فإن قلت الاملاء والامهال لا يكونان إلا من الله لأنه الفاعل المطلق وليس للشیطان فعل قط على مذهب أهل السنة فإمعنى هذه القراءة قلت إن المسول والمملئ هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشیطان فعل على مذهب أهل السنة فإمعنى هذه القراءة قلت إن المسول والمملئ هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشیطان فعل وإنما أسند إليه ذلك من حيث إن الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشیطان بمنهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم إلى آخر العمر (ذلك) إشارة إلى التسويل والاملاء (بانهم) يعني بأن أهل الكتاب والمنافقين (قالوا الذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الأمر) يعني من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك

أن توليتهم (أولئك) إشارة إلى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فأصمهم) عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) عن أبصارهم طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعبروا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي (أم على قلوب أقفاها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر ونكرت القلوب لأن المراد على قلوب قاسية منهم أمرها في ذلك والمراد بعض قلوب وهي قلوب المنافقين وأضيفت الأفعال إلى القلوب لأن المراد الأفعال المختصة بها وهي أفعال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) أي المنافقون رجعوا إلى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشیطان سول لهم) (لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الان نحو أن زيداً عمرو ومربه (وأملئ لهم) ومد لهم في الآمال والاماني وأملئ أبو عمرو أي أمهلوا وسدي عمرهم (ذلك بانهم قالوا الذين كرهوا ما نزل الله) أي المنافقون قالوا لا يود (سنطيعكم في بعض الأمر) أي عداوة محمد والقعود عن نصره

(والله يعلم أسرارهم) على المصدر من أسرجزة وعلى وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أي فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضي الله عنهم ما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره (ذلك) إشارة الى التوفى الموصوف (بانهم) بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصره المؤمنين (فاحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله

(١٥١)

المنافقون أن الله تعالى لا يعزب عنهم وعداوتهم للمؤمنين (ولونشاء لارينا كهم) لعرفنا كهم ودلائك عليهم (فلعرفتهم بسماهم) بعلامتهم وهوان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسماهم (ولتعرفهم في لحن القول) في نحوه وأسلوبه الحسن من خوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدر على كتمان ما في أنفسهم واللام في فلعرفتهم داخله في جواب لو كالتى في لارينا كهم كررت في المعطوف وأما اللام في ولتعرفتهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبأونكم) بالقتال اعلاما لا استعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ في اظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على

الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاجاب الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال (والله يعلم أسرارهم) يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعني فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعني ذلك الضرب (بانهم) يعني بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاحبط أعمالهم) التى عملوها من أعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامرهم (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وهم المنافقون (أن لن يخرج الله أضغانهم) يعني يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيد بها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولونشاء لارينا كم فلعرفتهم بسماهم) لما قال تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فكان قائلا قال لم يخرج أضغانهم ويظهرها فاجاب تعالى انه انما أخر ذلك لمحض المشيئة لا خوف منهم فقال تعالى ولونشاء لارينا كهم أى لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزادة فائدة وهى ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفنا كهم نعرفا تعرفهم به ففيه إشارة الى قوة ذلك التعريف الذى لا يقع معه اشتباه وقوله بسماهم يعني بعلامتهم أى نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم بسماهم (ولتعرفهم في لحن القول) يعني فى معنى القول وخواه ومقصده وللحن معنيان صواب وخطأ صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريف وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفهم في لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطأ بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيلهم والاسهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعني أعمال جميع عباد الله فيجازى كلا على قدر عمله قوله تعالى (ولنبأونكم) يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعني انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهدون يتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أى على الوجود والظهور (ولنبأونكم) يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعني خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيئا) يعني انما يضررون أنفسهم بذلك والله تعالى منزّه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعني

الجهاد أى نعلم كأننا ما علمناه أن سيكون (ولنبأونكم) أسراركم وليبأونكم حتى يعلم ويبأوا بوبكرو عن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتك أستارنا وعذبنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعني المطعنين يوم بدر وقد مر (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى مشاققة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم

وسبطل أعمالهم فلا يرون طائوا با في الآخرة لانهم لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر
 قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب
 مشاققتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى
 (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء يعني بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أتمم عليه من الإيمان والطاعة
 ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما بطل أهل
 الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكافي لا تبطلوا أعمالكم بالرياء
 والسمعة لان الله لا يقبل من الأعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي
 والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضرهم مع الإيمان ذنب كما لا
 ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من
 يرى احباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
 يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالتعالى أعدل
 وأكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى عن ابن عمر انه قال كنا نرى أنه لا شيء من
 حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش
 حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكفنا عن ذلك القول وكنا نخاف على
 من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة
 تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لان السنة
 مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد
 حبسا فقال لعائشة فريه فالتفت صائما فكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيحين أيضا
 ان سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فمأقر به اليه قال كل فاني صائم قال استبأ كل حتى تأكل فأكل معه
 وقال مقاتل في معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت في بني أسد وسندكر
 القصة في تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
 فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت في أهل القلوب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا بيدر والقوا في قلب بدر
 وحكمها عام في كل كافرات على كفره فالتفت لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
 لمن يشاء (فلاتهنوا) الخطاب فيه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلاتضعفوا أيها
 المؤمنون (وتدعوا الى السلم) يعني ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى
 الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأتم الاعلون) يعني وأتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله
 تعالى ان الأمر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض الاوقات (وان الله معكم) يعني
 بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو العالی الغالب (وان يترككم أعمالكم) يعني ان ينقصكم
 شيئا من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ثم حض على
 الآخرة بذكر الدنيا فقال تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن
 طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب
 ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه
 أشغاله المهمة فهو اللعب وان أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتيكم أجوركم)
 يعني يؤتيكم جزاء أعمالكم في الآخرة (ولا يسألكم أموالكم) يعني أن الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم
 لا ابتاء الاجر عليهم بل يأمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة ليشيهم عليه الجنة وقيل معناه لا يسألكم محمد

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق أو بالرياء (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم أصحاب القلب والظاهر العموم (فلاتهنوا) فلاتضعفوا ولا تذلو للعدو (وتدعوا الى السلم) وبالكسر حزة وأبو بكر وهما المسألة أي ولا تدعوا الكفار الى الصلح (وأتم الاعلون) أي الاغلبون وتدعوا محزوم لدخوله في حكم النهي (والله معكم) بالنصرة أي ناصركم (وان يترككم أعمالكم) وان ينقصكم أجر أعمالكم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) تنقطع في أسرع مدة (وان تؤمنوا بالله ورسوله) وتتقوا (الشرك يؤتيكم أجوركم) ثواب إيمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أي لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله أو الرسول وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض

(ان يسئلكموها في حرككم) أي يجهدكم ويطلبه كما ولا يحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسئلة اذا لم يترك شيئا من الاحاح وأحنى شاربها اذا استأصل (تبخلوا وخرج) أي الله أو البخل (أضغانكم) عند (١٥٣) الامتناع أو عند سؤال الجميع لان عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد

صلى الله عليه وسلم أموالكم وقبل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كلها في الصدقات إنما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم نرد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة إنما فرضها الله تعالى في أموال الاغنياء ورد لها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسئلكموها) الضمير عائدا الى الاموال (في حرككم) يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة في المسئلة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسئلة اذا لم يترك شيئا من الاحاح (تبخلوا) يعني بالمال فلا تعطوه (ويخرج أضغانكم) يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله أن الاحفاء بمسئلة الاموال مخرج للاضغان (ها أتم هؤلاء) يعني أتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) قيل أراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعني بما فرض عليه اذ جاءه من الزكاة أو ندب الى انفاقه في وجوه البر (ومن يبخل) يعني بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله تعالى (فإنما يبخل عن نفسه) أي على نفسه (والله الغني) يعني عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض (وأتم الفقراء) يعني اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعني عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به وألزمكم اياه (يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يعني يكونون أطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا أصحابه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية أخرى عن أبي هريرة قال قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل ان تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان يجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم نخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثر يالتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الفتح وهي مدنية﴾

(خ) عن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر نكتك أمك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فخرت بعيري حتى تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فالبثت أن سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت عليه فقال لقد أنزل على الليلة سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأنا فتحنالك فتحنامينا وأخرجه الترمذي وزاد فيه وكان في بعض أسفاره بالحديبه (ق) عن أنس قال لما نزلت انا فتحنالك فتحنامينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيمًا مرجعه من الحديبه وهم مخالف لهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢٠ - (خازن) - رابع) منكم وأطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على خذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثر يالتناوله رجال من فارس (ثم لا يكونوا أمثالكم) أي ثم لا يكونوا في الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم

﴿سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ الفتح الظفر بالبلدة
 عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه مغلق بالم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من مكة عام الحديبية عدله (١٥٤) بالفتح وجيء به على لفظ الماضي لأنها في تحقها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفحامة

والدلالة على علو شأن المحر
 عنه وهو الفتح ما لا يخفى
 وقيل هو فتح الحديبية ولم
 يكن فيه قتال شديد ولكن
 ترام بين القوم بسهام
 وحجارة فرمى المسلمون
 المشركين حتى أدخلوهم
 ديارهم وسألوا الصلح فكان
 فتحا مبينا وقال الزجاج
 كان في فتح الحديبية آية
 عظيمة وذلك أنه نزع
 ماؤها ولم يبق فيها قطرة
 فتضمن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ثم مجه في البئر
 فدرت بالماء حتى شرب
 جميع الناس وقيل هو فتح
 خير وقيل معناه قضينا لك
 قضاء مبينا على أهل مكة أن
 تدخلها أنت واصحابك من
 قابل لتطوفوا بالبيت من
 الفتاحة وهي الحكومة
 (ليغفر لك الله) قيل الفتح
 ليس بسبب للمغفرة والتقدير
 انا فتحنا لك فتحا مبينا
 فاستغفر ليغفر لك الله ومثله
 اذا جاء نصر الله والفتح الى
 قوله فسبح بحمد ربك
 واستغفره ويجوز أن يكون
 فتح مكة من حيث أنه جهاد
 للعدو وسببا للغفران وقيل
 الفتح لم يكن ليغفر له بل
 التمام النعمة وهداية

عليه وسلم لقد أنزلت على آية هي أحب الى من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا
 قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فالتنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين
 والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار قال شعبة فقد تمت الكوفة فحدث هذا كله عن قتادة ثم رجعت
 فذكرت له فقال أما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس وأما هنيئا مريئا فعن عكرمة وأخرجه الترمذي عن
 قتادة عن أنس قال أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من
 الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على الليلة آية أحب الى مما على الأرض ثم قرأ النبي صلى الله
 عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فاذا يفعل بنا فأنزلت عليه ليدخل
 المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا
 لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن أنس أنه فتح مكة وقال مجاهد
 أنه فتح خير وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله عز وجل له فان قلت على هذه
 الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت
 وعد الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جر يا على عادة الله تعالى في أخباره لأنها في
 تحقها وتيقها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو
 كائن لا محالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس
 ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز
 وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون أتم الفتح فتح مكة واقد كان فتح مكة فتحا ونحن
 نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كننا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر
 فترحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاناها فجلس على شفيرها ثم دعا بآباء من ماء
 فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ثم انما أصدرتنا وما شقنا وركابنا وقال الشعبي في قوله انا
 فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله
 وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح أعظم
 من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فاسلم
 في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
 (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا
 لكي يجتمع لك من المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر
 لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ولیدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
 وقال ابن جرير وهو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره أنه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
 وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربع المذكورة وهي المغفرة
 واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك

الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك
 فتح مكة أو كذا النجم لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك أو ما تقدم من
 حديث ملأ به وما تأخر من امرأة زيد

وغفر نالك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل وقيل يجوز أن يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبويك آدم وحواء يركتك وما تأخر من ذنوب أمك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعني كل شيء لم نعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول أعظم من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقر بين فسماه ذنبا لما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وأنه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (و يتم نعمته عليك) يعني بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتحكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعني ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدي بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزير هو المنصور صاحب النصر فامعناه قلت معناه ذا عزة كقوله عبثة راضية أي ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحب عزة المضاف المجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزير الغالب أما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا ﴿قوله تعالى﴾ (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) يعني الطمأنينة والوقار في قلوبهم ثلاث نزج نفوسهم قال ابن عباس اكل سكينة في القرآن طمأنينة الاتي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذي وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ثم قال﴾ تعالى (ليردادوا ايمانهم ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهي آمنوا به وعملوا بما تنصاه فكان ذلك زيادة في ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمر أو أبشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقيمنا مع يقيهم وقال الكافي هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهو جميع التكليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون في قلة من العدد والعدد فكان قاتلا قال كيف ينصره فاخبره الله عز وجل أن له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة

(و يتم نعمته عليك)
باعلاء دينك وفتح البلاد
على يدك (ويهديك
صراطا مستقيما) ويثبتك
على الدين المرضي
(وينصرك الله نصرا عزيزا)
قويا منيعا لاذل بعده أبدا
(هو الذي أنزل السكينة في
قلوب المؤمنين ليردادوا
ايمانهم ايمانهم) السكينة
للسكون كالبهية للبهتان
أي أنزل الله في قلوبهم
السكون والطمأنينة بسبب
الصلح ليردادوا يقينا على
يقيهم وقيل السكينة الصبر
على أمر الله والثقة بوعده
الله والتعظيم لأمر الله
(ولله جنود السموات
والارض)

وكان الله عليهما حكما له دخل

(١٥٦)

المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ولا يكفر عنهم سيئاتهم

وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات (أى ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديدية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ويشكروها فيزيدهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهه (الظانين بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة وفساد يقال فعل سوء أى مسخوط فاسد والمراد ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظاهر بن فاتحها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) مكى وأبو عمرو أى ما يظنون ويتر بصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء اهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها والسوء كالكرم والكرم والضعف والضعف الآن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد منه من كل شئ وأما السوء بخارج مجرى

ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة فى قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليهما) يعنى بجميع جنوده الذين فى السموات والارض (حكما) يعنى فى تدبيرهم وقيل عليهما بما فى قلوبكم أيها المؤمنون حكما حيث جعل النصر لكم على أعدائكم قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديدية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقد تقدم ما روى عن أنس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هدينا مريثا قد بين الله تعالى ما يفعل بك فاذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل الآية التى بعد هاليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار (خالدين فيها ولا يكفر عنهم سيئاتهم) فان قلت تكفير السيئات انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لا تقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكرة بمعنى انه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من أهل المدينة المشركين والمشركات من أهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لان المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكرة أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعنى انهم ظنوا ان الله تعالى لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعنى وأبعدهم وطردهم عن رحمة (وأعد لهم جهنم) يعنى فى الآخرة (وساءت مصيرا) يعنى ساءت جهنم منقلبها (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره بقى ما فائدة التكرير ولم تقدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شئ وأخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفرقوهم أبدا فان قلت قال فى الآية الاولى وكان الله عليهما حكما وقال فى هذه الآية (وكان الله عزيزا حكما) فامعناه قلت لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليهما حكما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافرين والمنافقين وشدة ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكما فهو كقوله أليس الله بعزيز بذى انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴿ قوله تعالى

الشر الذى هو تقيض الخير) وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله

انا

جنود السموات والارض) فیدفع کید من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزيزا) غالب فلا يرد بأسه (حكما) فيما دبر

(انا أرسلناك شاهدا)

تشهد على أمتك يوم القيامة
وهذه حال مقدرة (ومبشرا)
للمؤمنين بالجنة (ونذيرا)
للكافرين من النار
(لتؤمنوا بالله ورسوله)
والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولائته
(وتعززوه) وتقووه
بالنصر (وتوقرووه)
وتعظموه (وتسبحوه)
من التسبيح أو من السبحة
والضماير لله عز وجل
والمراد بتعزير الله تعزير
دينه ورسوله ومن فرق
الضماير فجعل الأولين للنبي
صلى الله عليه وسلم فقد
أبعد ليؤمنوا مكي وأبو
عمرو والضمير للناس وكذا
الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما
(بكرة) صلاة الفجر
(وأصيلا) الصلوات الأربع
(ان الذين يبايعونك)
أي بيعة الرضوان ولما قال
(انما يبايعون الله) أكد
تأكيدا على طريقة
التخييل فقال (بدا الله
فوق أيديهم) يريد ان يد
رسول الله صلى الله عليه
وسلم التي تعلو أيدي المبايعين
هي يد الله والله منزّه عن
الجوارح وعن صفات
الاجسام وانما المعنى تقرير
ان عقد الميثاق مع
الرسول كعقده مع الله من
غير تفاوت بينهما كقوله
من بطع الرسول فقد أطاع
الله وانما يبايعون الله

(انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث
شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على أعمال أمته ومبشرا يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعني
لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (ليؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس
المرسل اليهم (وتعززوه) يعني ويقووه وينصروه والتعزير بنصر مع تعظيم (ويوقرووه) يعني ويعظموه
والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة
وهي الصلاة قال الزمخشري والضماير لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم
ومن فرق الضماير فقد أبعدها عن الكفايات في قوله وتعززوه ويقووه راجعة الى الرسول صلى الله عليه
وسلم وعند هاتم الكلام فالوقوف على ويقووه وقف تام ثم ابتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) على ان
الكفاية في ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعني وبصلواته أو يسبحوا الله بالغداة والعشي قوله عز وجل
(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبة على أن لا يفرؤا انما
يبايعون الله لانهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على
نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبة
وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميبت ببرهناك وقد جاء في الحديث ان
الحديبة بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد
والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء
بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيته يوم الشجرة والنبي
صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم يبايعه
على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم
سلمة بن الأكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا ووايضا بايعه جماعة منهم معقل بن
يسار على ان لا يفرؤا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا
في ظلال الشجر فاذا الناس محذقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس
أحد قوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله
تعالى (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا
ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي
نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام غفر الدين الرازي يد الله فوق أيديهم يحتمل
وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنىين فان قلنا انها بمعنى
واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان وثانيهما يد الله فوق أيديهم أي نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أي
الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنىين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى
الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله أكد تأكيدا
على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين
هي يد الله والله منزّه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من بطع الرسول فقد أطاع الله
هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف السمكوت عن التأويل وامر الله بالآيات
الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بهما من غير تشبيه ولا تنكيف ولا تعطيل قوله تعالى (من

ان (فن نكت) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكت على نفسه) فلا يعود ضرر نكته به الا عليه قال جابر بن عبد الله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فانكث أحد منا البيعة الا جدد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيوته) وبالنون حجازي وشامي (أجر أعظما) الجنة (سيقول لك) اذ رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك انه عليه السلام حين أراد السير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن

(١٥٨)

حول المدينة من الاعراب وأهل

نكت فأنما ينكت على نفسه) يعني فن نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكت البيعة فان وبال ذلك وضره يرجع اليه ولا يضره الا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعني من البيعة (فسيوته) (أجر أعظما) يعني في الآخرة وهو الجنة قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد السير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حرا بفتناقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذ رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك (شغلنا أموالنا وأهلونا) يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) أي انا مع عذرتنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فن بملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا) يعني سوا (أو أراد بكم نفعاً) وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضرا ويجعل لهم النفع بالسلامة لهم في أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان أراد شيئا من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيراً) يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً) يعني ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى أهليهم (وزين ذلك في قلوبكم) يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقيناً عندكم وذلك ان الشيطان قديوس في قلب الانسان بالشئ وزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمداً وأصحابه أكلة رأس يريدون بذلك قتلهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوماً بوراً) يعني وصرت بسبب ذلك الظن الفاسد قوماً بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعييراً) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرصهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا أعتدنا للكافرين سعييراً (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المباعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر ان له ملك السموات

البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حرا بفتناقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه في عقرداره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلنا أموالنا وأهلونا) عني جمع أهل اعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم بأشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي ر خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضاً ليس بصادق حقيقة (قل فن بملك لكم من الله شيئا) فن بمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حزة وعلى (أو

أراد بكم نفعاً) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيراً بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً زين ذلك في قلوبكم) زين الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوماً بوراً) جمع بائرا كعائد وعوذ من بار الشئ هلك وفسد أي وكنتم قوماً فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وأهالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) أي لهم فاقم الظاهر مقام الضمير لا يذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعييراً) لانها نار مخصوصة كالكبر والنار التي (ولله ملك السموات والارض) يدبره ندير قادر حكيم (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته والمغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين

إلى غنائم خيبر (لتأخذوها) ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) كلام الله حزة وعلى أي يريدون أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغنم مكة مغنم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئاً (قل لن تتبعونا) الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كذلك قال الله من قبل) من قبل انصرفهم الى المدينة ان غنمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدونا) أي لم يأمركم الله به بل تحسدونا ان نشارككم في الغنمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الاقليلا) الاشياء قليلا يعني مجرد القول والفرق بين الاضرايين ان الاول رد ان يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أعظم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) يعني بني حنيفة قوم مسيلمة

والارض ومن كان كذلك فهو يغفر ان يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفوراً رحيمًا) قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعني الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم) يعني اذا سرتهم وذهبتم أيها المؤمنون (الى مغنم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئاً وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئاً (ذرونا نتبعكم) يعني الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلنا أموالنا وأهلنا اذ لم يكن لهم هناك طمع في غنمة وهناك قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعني يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير منهم أحد الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل ان تخرجوا معي أبدا والقول الاول أصوب (قل) أي قل لهم يا محمد (لن تتبعونا) يعني الى خيبر (كذلك قال الله من قبل) يعني من قبل مر جعنا اليكم ان غنمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدونا) يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئاً (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله ﷺ قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعاً كثيراً من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخبره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم أولى بأس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجراً حسناً وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذاباً أليماً واختلفوا في المشار اليهم بقوله (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبيرة هو ازن وثقيف وقال قتادة هو ازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة أهل البمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريح دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هو ازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعد ما قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الاثمن نقي طاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هو ازن وثقيف من أشد العرب بأساً وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصيح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا امتنع لوجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله أولى بأس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم مع قوم أولى بأس شديد لان العرب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مقيد بقيد هو ان يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مادامتم على ما أتمتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد

وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقيل

هم فارس وقد دعاهم عمر
رضي الله عنه (تقاتلونهم
أو يسلمون) أي يكون
أحد الأمرين أما المقاتلة
أو الاسلام ومعنى يسلمون
على هذا التأويل
ينقادون لأن فارس محسوس
تقبل منهم الجزية وفي
الآية دلالة صحة خلافة
الشيخين حيث وعدهم
الثواب على طاعة الداعي
عند دعوته بقوله (فان
تطيعوا) من دعاكم الى
قتاله (يؤتكم الله أجرا
حسنا) فوجب أن يكون
الداعي مفترض الطاعة
(وان تتولوا كما توليتم من
قبل) أي عن الحديبية
(يعذبكم عذابا أليما) في
الآخرة (ليس على الاعمي
حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض
حرج) نفي الحرج عن
ذوي العاهات في التخلف
عن الغزو (ومن يطع الله
ورسوله) في الجهاد وغير
ذلك (يدخله جنات تجري
من تحتها الأنهار ومن
يتول) يعرض عن الطاعة
(يعذبه عذابا أليما) ندخله
ونعذبه مدني وشامي (لقد
رضي الله عن المؤمنين اذ
يبايعونك تحت الشجرة)
هي بيعة الرضوان سميت
بهذه الآية وقصتها ان
النبي صلى الله عليه وسلم
حين نزل بالحديبية بعث

منه لان من أسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله
عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن نخرجوا معي أبدا يعني
في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بن شبيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معهم أو منعه من الخروج الى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الاذن
لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعان من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من أخذها
وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولى بأس شديد فقير
مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولى بأس شديد فثبت بهذا البيان أن
الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة أصحاب
مسيمة الكذاب وأن عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهم لان
الله تعالى وعده على طاعتهم الجنة وعلى مخالفتهم النار ﴿وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى
وقوع أحد الأمرين اما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) يعني
تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعني عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعني النار ولما نزلت هذه الآية
قال أهل الزمان والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل (ليس على الاعمي حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج) يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان
أصحابها لا يقدر على الكروا الفران الاعمي لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه
والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب
السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدر على الكروا الفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة
ومن وراء ذلك اعذار أخرون ماذ كروه في الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج اليه
من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمر يض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه
ونحو ذلك وانما قدم الاعمي على الاعرج لان عذر الاعمي مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره
بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من
عذر المريض لانه لا مكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد وغيره (يدخله
جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول) يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه
عذابا أليما) يعني في الآخرة ﴿وقوله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعني بالحديبية على
أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن
قال انطلقت حاجا فررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا
من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلموها
وعلمتموها فأتهم أعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام
فلم أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا
وبعضهم يقول ههنا فلما كثرت اختلافهم قال سيرا وذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل
فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رجعة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير أنه سمع جابرا
يسأل كم كانوا يوم الحديبية قال كانوا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه
جميعا غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زادني رواية قال يايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على
الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال انار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أتم اليوم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جل يقال له الثعلب ليبلغ أشرفهم عنه ما جاء له فمقر واجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فنعتههم الاحايش نخلوا سبيله حتى أتى رسول الله فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليمبعته إلى مكة فقال يا رسول الله انى أخاف على نفسى قريشا وليس بمكة من نبي عدى بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بهامنى عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشرف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة فخرج عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى تنجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الأشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعه قتل بن يسار انهما قال لا نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقد تقدم أيضاً الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الأكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من بني أسد يقال له أبوسنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الا جدي بن قيس أخو بني سلمة قال جابر فكانى أنظر اليه لاصقاً باطناً فته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ۞ وقوله تعالى (فعل ما فى قلوبهم) يعنى من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم ما فى قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فانزل السكينة) يعنى الطمأنينة (عليهم) يعنى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفى هذه الآية لطيفة وهى ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى فى الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء فى فعل التعقيب وعلم الله قبل الرضالانه تعالى علم ما فى قلوبهم من الصدق والايمان فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب فى قوله فعل ما فى قلوبهم قلت قوله فعل ما فى قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما فى قلوبهم من الصدق اشارة الى أن الرضالم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التى عندها علم الله بصدقهم والفاء فى قوله فانزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما فى قلوبهم رضى عنهم فانزل السكينة عليهم ۞ وقوله تعالى

خراش بن أمية الخزاعي
رسولا الى مكة فهموا به
فنعاه الاحايش فلما رجع
دعا بعمر ليعنه فقال انى
أخافهم على نفسى لما عرف
من عداوتى اياهم فبعث
عثمان بن عفان يخبرهم
أنه لم يأت للحرب وإنما جاء
زائراً للبيت فوفروه
واحتبس عندهم فارجف
بانهم قتلوه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا نبرح
حتى تنجز القوم ودعا الناس
الى البيعة فبايعوه على أن
يناجزوا قريشا ولا يفروا
تحت الشجرة وكانت
سمرة وكان عدد المبايعين
ألفاً وأربعمائة (فعل ما فى
قلوبهم) من الاخلاص
وصدق الضمائر فيما بايعوه
عليه (فانزل السكينة
عليهم) أى الطمأنينة
والامن بسبب الصلح على

(وأناهم فتصافروا) يعني خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عز وجل) يعني منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكما) حيث حكم لكم بالغنائم ولا عدا لكم بالهلاك على أيديكم ﴿قوله تعالى﴾ (وعدكم الله مغنام كثيرة تأخذونها) يعني المغنام التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم إلى يوم القيامة (فجعل لكم هذه) يعني مغنام خيبر وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وإنما جعل لهم هذه كعجالة الرأب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدي الناس عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذرايرهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل المعنى أن الله عز وجل كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم لتقام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ما تقدم تقديره فجعل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ما وهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في أخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا إلى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولى حياتهم وحراساتهم في مشيهم ومغيبيهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يعني ويهديكم إلى دين الإسلام ويثبتكم ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

(ذكر غزوة خيبر)

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذانا كف عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا إلى خيبر فلما اتهمنا إليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكانهم ومساحيمهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الحمد والخير فلما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الأكوع قال خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا نصدقنا ولا صلينا * ونحن عن فضلك ما استغنيينا

فثبت الأقدام إن لاقينا * وأنزلن سكينتنا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد قال فنأدى عمر بن الخطاب وهو على جبل له يابني الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب بخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * إذا الحروب أقبلت تاتهب

قال وبرز له عمي عامر فقال قد علمت خيبر أني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع كله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بكى فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال لا عطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا

قلوبهم (وأناهم) وجازاهم (فتصافروا) هو فتح خيبر غلب انصرافهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هي مغنام خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وكان الله عز وجل) منيعا فلا يغالب (حكما) فيما يحكم فلا يعارض (وعدكم الله مغنام كثيرة تأخذونها) هي ما أصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم ويعدوه إلى يوم القيامة (فجعل لكم هذه) المغنام يعني مغنام خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فخذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية المؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

جئت به أقوده وهو أرمده حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية
وخرج مرحب فقال

قد علمت خيراً أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال علي رضي الله عنه

أنا الذي سمتني أمي حيدر * كليت غابات كرية المنظره * أوفيههم بالصاع كيل السندره
قال فضرب مرحباً فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري طرفاً منه قال
البعوي وقدرى حديث فتح خير جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون
وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فآخذ أبو بكر راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتلاً شديداً ثم رجع فآخذها عمر فقاتل قتلاً شديداً هو أشد من
القتال الأول ثم رجع فآخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا علياً فأعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح
الله على يدك فأتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو
يرتجزئ فخرج إليه علي بن أبي طالب فضر به ففقد الحجر والمغفر وقلق رأسه حتى أخذ السيف في الأرض
ثم خرج بعد مرحب أخوه يامرو وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب
يقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الأموال قال محمد بن اسحق
فكان أول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسامة ألقى إليه ود عليه حجر فقتله ثم فتح
القموص حصن ابن أبي الحقيق فأصاب سبباً منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بها بلال وباخري معها فر
بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهما التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما
رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فجهزت خلفه وألقى عليها رداءه
فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بأمرأتين على قتلى رجالهما
وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ان قرأ وقع في حجرها فعرضت
رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمد ثم لطم وجهها الطمة اخضرت منها عينيها فأتى بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منها فساء لها عن ذلك ما هو فأخبرته الخبر وأتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فساء له فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة
كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرايت ان وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فخفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فأتى أن يؤديه إليه فأمر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقده بزنده على
صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن مسامة فضر به عنقه باخيه محمود بن مسامة (ق) عن أنس بن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله
عليه وسلم وركب أبو طلحة وأتارديف أبي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي
لتمس نخد نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الأزارع نخذه حتى اني أنظر بياض نخد نبي الله صلى الله عليه
وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خررت خيرانا انا انزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثاً قال

وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا الحمد والخمس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال
 يا رسول الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله
 عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لاتصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها
 فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم
 وتزوجها فقال له ثابت يا اباجزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم
 فاهديتها له من الليل وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسطا نطعا فجعل
 الرجل يحيى بالتمر وجعل الآخر يحيى بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فاسوا احسافا كانت ولية رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في
 الجرا لاهلية فانتحرناها فلما غلبت بها القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفوا القدور
 ولانأكلوا من لحوم الجر شيئا فقال أناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة
 (ق) عن انس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجىء بها الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فسأطاع عن ذلك فقالت أردت لاقتلك فقال ما كان الله ليلسطك على ذلك أو قال على قالوا
 أنقلها قال لا فإزالت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن
 الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما زال
 أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت
 لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر أن عمر أجلي اليهود والنصارى من أرض الحجاز
 وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الأرض لما ظهر عليها الله
 ورسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقرمكم بها على
 ذلك ما شئنا فقرروا بها حتى أجلاهم عمر في امارته الى تباء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما
 صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم
 وأن يسيرهم ويخولوا له الاموال ففعل بهم ثم ان أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على
 النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت
 فدك خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسألت أي
 عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة
 ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها
 ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها
 وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فأنفرت فقال ما
 حلك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر
 فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا أم بشر ما زالت أكلة
 خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مات شهيدا مع ما كرمه الله تعالى به من النبوة عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم قال لما قفنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء
 رجل فقال يا رسول الله لقد ربح اليوم ربحا ما ربحه أحد من أهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال

(وأخرى) معطوفة على هذه أي فجعل لكم هذه المغنم ومغنم أخرى هي مغنم هوازن في غزوة حنين (لم تقدر واعليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وإماما تقدر واعليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء (١٦٥) لكونها موصوفة لم تقدر واوقد أحاط

الله بها خبر المبتدا (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا ومن حلفاء أهل خيبر (لولوا الأدبار) لغلبوا وانهم زوموا (ثم لا يجدون وليا) يلي أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سنة الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لا غلبنا أنا ورسولي (التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي أهل مكة (وأيدكم عنهم) عن أهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافاة والمجازة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس

مازلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبو داود قوله تعالى (وأخرى لم تقدر واعليها) يعني وعديم الله فتح بلدة أخرى لم تقدر واعليها (قد أحاط الله بها) يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الإسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه إلى آخر الزمان (وكان الله على كل شيء قديرا) أي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أي أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الأدبار) أي لا تهنأوا عنكم (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يعني من تولى الله خذله فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التي قد خلت من قبل) يعني هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيدكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ما روى عن أنس ابن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاخذهم سلمان فاستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيدكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم انفراد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلى بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بإصابعهم فقمنا إليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحدا ما ناقلوا إلا هم لا نخلي سبيلهم ومعنى الآية أن الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيدكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم بالمكافاة والمجازة (بطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أي مكنتكم منهم حتى ظفروا بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا) قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

ذكر صلح الحديبية روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضعة عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبع مائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمره وبعث عيناله من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعي وقال إن قريشا قد جمعوا لك جمعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلون وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس أتروا أن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا وموتور بن وان نجوا تكن عننا قطعها الله وأتروا أن تؤم البيت لا نريد

رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (بطن مكة) أي بمكة أو بالحديبية لان بعضها منسوب إلى الحرم (من بعد أن أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالبيان أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

قتل أحد ولا حر باغن صدناعنه قاتلناه فقال أبو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حر بافتوجه له فن صدناعنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقر يش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقر يش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليها منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحل فحلوا خلاص القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلاص القصواء وما ذاك لها بخاق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قر يش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمت الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعديل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثم قليل الماء تبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمرو وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر ففرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدر واعنه فينماهم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيمة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انالم نجى لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين وان قر يشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ونخلوا بيني وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جوا وان هم أبوا فالذي نفسي بيده لا قاتلهم على أمرى هذا حتى تنفرد سافتي وينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قر يشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشئ وقال ذو الرأى منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فخذتهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم أستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تهمونى قالوا لا قال أستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلغ حوا على جئتكم باهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها ودعوني آتية قالوا آتته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحو من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد أرايت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاحت أصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها وانى لارى أشوا من الناس خليقا ان يفر واو يدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امص بظر اللات أنحن نفر عنه ونذعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذي نفسي بيده لو لا يد لك عندى ولم أجرك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكما كاهه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكاهما أهوى عروة بيده الى حية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب بيده بنصل السيف وقال أخريدك عن حية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر ألت أسعى في غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما ننخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده واذا أمر ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه وقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمد او الله ما ننخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه

وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا تواضوا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا انكم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتة فقالوا آتة فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوهالة فبعثت له واستقبله الناس يابون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال قد رأيت البدن قد قلت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا إليه الخليل بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتأهلون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل إليه من عرض الوادي في قلانده قدأ كل أو باره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلانده قدأ كل أو باره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما أنت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الخليل عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ما على هذا حالنا كم ولا على هذا عاقداكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الخليل بيده لتدخلن بين محمد وبين ما جاءه أو لا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له كف عنا يا خليل حتى نأخذنا نفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتة فقالوا آتة فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل قاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيبينها هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر فاخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن والله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صدناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتهموني اكتب محمد ابن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتهموني اكتب محمد اياها فكتب هذا ما قاضي عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحوا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لا ياتيك منارجل وان كان على دينك الا ردته اليها فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال ان رسول الله وأنا محمد بن عبد الله قال ثم قال لعلى اجمع رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا قال فارنيه فاراه اياه فحماه النبي بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضي عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انك تكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعتنا إلى حديث الزهري قال بينهما هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ويرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى

بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شيء أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي قال ما أنا بجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل بحره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاءك لك ولين معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ان قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحوا وان لا تغدروا فوثب عمر الى جنب أبي جندل وجعل يقول اصبر يا أبا جندل فإنا هم المشركون ودم أحد هم دم كعب ويدني السيف منه قال عمر ورجوت أن يأخذ السيف فيضربه به فضن الرجل بابيه وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهري في حديثه عن مروان والمصور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألسنتي نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنتي على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلتنا في الجنة وقتلناهم في النار قال بلى قلت فلم تعطى الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أولست كنت تحدثنا اناسنا في البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرت انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتية وتطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنتي على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم تعطى الدنية في ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فامسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتي البيت ويطوف به قال بلى أفأخبرك أنه آتية العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحد منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رآوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحاق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمما قال ابن عمر وابن عباس خلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشككوا قال ابن عمر وذلك انه تربع قوم وقالوا لعلمنا تطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جلالاتي جهل في رأسه برهة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كاتناني الشرك فتزوج احدهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الشقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثاني طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقد ما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير ان قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدروا ان الله تعالى جاءك لك ولين معك من المستضعفين

فرجا ونحرجاهم دفعه الى الرجلين فخرجاه حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يا كلون من تمر لهم فقال أبو بصير
 لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا جيد فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جرت به ثم جرت
 به فقال أبو بصير اني أنظر اليه فاخذه منه فضر به حتى يرد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد بعدو
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا زعرافا لما أتته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
 قال ويلاك مالك قال قتل والله صاحبي واني اقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال يا نبي الله أو في الله ذمتك قدر دنتي اليهم فأنجاني الله تعالى منهم فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف أنه يردده اليهم فخرج حتى
 أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى بصير ويل أمه
 مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصاة منهم اليه فأنفلت أبو جندل فلحق باني بصير حتى اجتمع اليه قريب
 من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقر يش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلواهم وأخذوا أموالهم
 فارسات قر يش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناسده الله والرحم لما أرسل اليهم فن أتاه فهو آمن فإرسل اليهم
 النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وأنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم
 حتى بلغ حجة الجاهلية وكانت حجتهم أنهم لم يقرؤا انه نبي الله ولم يقرؤا باسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه
 وبين هذا البيت أخرجه البخارى بطوله سوى ألفاظ منه وهي مستثناة في الحديث منها قوله فترع سهما
 من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه الى قوله فوالله ما زال يحبش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعنوا الخيل
 ابن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى نأخذنا لنفسنا بما ترضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه
 محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله
 رجعنا الى حديث الزهرى ومنها قوله وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل الى قوله
 قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألسنت نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله
 وقال الزهرى في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الألفاظ لم يخرجها البخارى في صحيحه شرح غريب
 ألفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين
 الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له أى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحيش هم أحياء من القارة انضموا
 الى بني ليث في محاربتهم قر يشا وقيل هم حلفاء قر يش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة
 وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باس فل مكة وقيل
 سمووا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين أى منقوصين قوله فنفذوا
 أى مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة
 الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو وقوله وفترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد
 قوله يركض نذير النذير الذى يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوا
 يعنى انها لما توقعت عن المشى وتقهقرت ظنوا ذلك خللا في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم ما خلأت أى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أى منعها عن السير الذى
 منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصو اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق
 الاذن قوله خطة أى حاله وقضية يعظمون فيها حرمت الله جمع حرمة وهي فروضه وما يجب القيام به
 يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديد ها وهي قرية ايسر
 بالكسرة سميت بئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع
 مراحل وقال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضهما من الحل حكاة في المطالع والتمد الماء القليل الذى

لا مادة له والتبرض أخذ الشيء قليلا قليلا وقوله فما زال يبحش بالرى يقال جاشت البر بالماء اذا ارتفعت
وفاضت والرى ضد العطش والصد الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خراعة - تنصح رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته في ذلك قوله نزلوا على أعداد مياه الحديبية
الماء العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عانذ وهي
الناقة اذا وضعت الى أن يتقوى ولدها وقيل هي كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل
وهي الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم -م ان معهم النساء والصبيان قوله وان
قر يشاقدنهنكنهم الحرب أى أضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أى جعلت بيني وبينهم مدة قوله والا فقد
جوا أى استراحوا والجام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا
العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو ما ينسج بين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت
قوله انى استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية
معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليغ الاغيا والفتور والمراد امتناعهم
من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح ايقاع المكر وه بالانسان
ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان في مبالغة الاذى قوله انى لارى وجوها وأشوا بالاشواب
مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك أى جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله
امصص بظر اللات وهو اسم صنم كانوا يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من الهنة التي
تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في ألسنتهم قوله لولا يد لك عندى اليد النعمة وما يمتن به
الانسان على غيره قوله أى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشدي يقال خطة
رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه قد طلب منكم طريقا واضحا في هدى واستقامة
قوله وهو من قوم يعظمون البدن أى الابل تهدي الى البيت في حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل في رقابها
شئ كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو أن يشق جانب السنام فيسيل
دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى أى جانبه وقوله هذا
مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شرفه هو فجور قوله هذا ما قاضى عليه أى فاعل
من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في اللغة على وجوه مر جمعها الى انقضاء الشئ وانما هو قوله ضغطة
هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويرى
بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من آدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويلقى في مؤخرة
الرحل قوله يرسف بضم السين وكسر هاء الغتان وهو مشى المقيد قوله فابجروا الى قال ابن الاثير يجوز أن يكون
بالزاي من الاجازة أى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو أطلقه الى وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة
والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعط الدنيا أى القضية التي لا رضى بها أى لم رضى
بالادون والاقبل في ديننا قوله فاستمسك بغيره الغرز لكور الناقة كالركاب اسرج الفرس والمعنى فاستمسك
به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل راكب غر زرحله فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله ويل
أمة هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها أيضا ومسر حرب أى موقدها يقال سمرت النار وأسمرتها
اذا أوقدتها والمسر الخشب الذي توقده النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير
الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا بغنمكم أى منعواكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا
به (والهدى) أى وصدوا الهدى وهو البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة
(معكوفاً) أى محبوساً (أن يبلغ محله) أى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء

والهدى) هو ما يهدى الى
الكعبة ونصبه عطف على
كم في صدوكم أى وصدوا
الهدى (معكوفاً) أن يبلغ
محبوساً أن يبلغ ومعكوفاً
حال وكان عليه السلام
ساق سبعين بدنة (محله)
مكانه الذي يحل فيه نحره
أى يجب وهذا دليل على
ان المحصر محل هديه الحرم
والمراد المحل المعهود وهو
منى (ولولا رجال مؤمنون
ونساء

مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (ان تطوهم) بدل اشتغال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم (فتصيبكم منهم معرفة) ثم وشدة وهي مفعلة من عر به معنى عراه اذا داهاه ما يكره ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوء حالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بآمن غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بان تطوهم يعني ان تطوهم غير عالين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركون غير متميزين منهم فقال ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهراني المشركون وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلا كهم مكره ومشقة لما كف ايديكم عنهم وقوله (ليدخل الله في رحمة من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صوابا لما بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمة أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنهم أولي دخل في الاسلام من رغب فيه من مشركهم (لوتزبلوا) لوتفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز ان يكون لوتزبلوا كالسكر برك ولا (١٧١)

رجال مؤمنون لمرجعهم الى معنى واحد ويكون (لعذبا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطوا رجلا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من اهل مكة (عذابا أليما) والعامل في (اذ جعل الذين كفروا) أي قريش لعذبنا أي لعذبناهم في ذلك الوقت أواذكر (في قلوبهم) الجية جية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين المراد بحمية الذين كفروا هي الانفة وسكينته المؤمنين وهي الوفاء ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديدة بعث

مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) أي لم تعرفوهم (أن تطوهم) أي بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرفة بغير علم) أي ثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركون يعتبرونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرفة المشقة يقول لولا أن تطوا رجلا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سبحة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك السبب (ليدخل الله في رحمة من يشاء) أي في دين الاسلام من يشاء أي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لوتزبلوا) أي لوتمكن المؤمنون من الكفار (لعذبا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لوتزبلوا ثم قال لي يدخل الله في رحمة من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمة أي في جنته قال قتادة في الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة ﷺ قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الجية) أي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقر وايسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه (جية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الجية فيعصون الله في قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) أي من كفار مكة (وأهلها) أي كانوا أهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شيء علما) يعني من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير ﷺ قوله

قريش سهيل بن عمرو وحويط بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانأشبهه في رسول الله وأما محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمروا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) أي المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله اياهم (وكان الله بكل شيء علما) فتجري الامور على مصالحها

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي صدقه في رؤياه ولم يكذب به تعالى الله عن الكذب خذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا (١٧٢) ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بالحق) متعلق بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه

وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من أسمائه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم أو تعاليم لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأديين بادب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشرط معترض (محلين) حال من الضمير في آمنين (رؤسكم) أي جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لاتخافون) حال مؤكدة (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل (لجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحاقربا) وهو

تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فاخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التي رآها فانزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل وروى عن مجمع ابن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الالباع فقال بعضهم ما بال الناس قال أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أ هو فتح يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على أن المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر أن الرؤيا التي أراه اياها في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد حقا وصدق بالحق أي الذي رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لان الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعلميا لعباده الادب وتأكيد القول ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازة اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويايئون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لابقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لاعلى الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت (محلين رؤسكم) أي كاهها (ومقصرين) أي تاخذون بعض شعورك (لاتخافون) أي من عدو في رجوعكم لان قوله آمنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لاتخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع (فعلم ما لم تعلموا) يعني علم أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم أن دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا أتم فظنتم انه في السنة الاولى (لجعل من دون ذلك) أي من قبل دخولكم الحرم (فتحاقربا) يعني صلح الحديبية قاله الا كثرون وقيل هو فتح خيبر وقوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا البيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صدقناه عن

فتح خيبر يستريح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) البيت

بالتوحيد (ودين الحق) أي الاسلام (ليظهره) على الدين كله (على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى ديناً قط الا ولا سلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهارة بالحجج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيداً على نفسه انه سيظهر

دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا مميذا وحال (محمد) خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله هو الذي أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) أي أصحابه مبتدأ والخبر (أشداء على الكفار) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمع اسديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشدهم على الكفار أنهم كانوا

(١٧٣)

ومن أبدانهم -م أن نفس أبدانهم وبلغ من نرحمهم فيما بينهم -م أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صالحه وعاقبه (نراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كما أن ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم -م (في وجوههم من أثر السجود) أي من التأثير الذي يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ماصلوا بالليل أقوله عليه السلام من كثرة صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) أي المذكور (مثلهم) صفتهم (في التوراة) وعليه وقف (ومثلهم في الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال أشتأ الزرع إذا فرخ (فآزره) قواه فازره شامى (فاستغلظ) فصار من الرقة إلى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يحب الزراع) يتحجبون من قوته وقيل

البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أي في أنه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) أي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعني أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أي غلاظ أقوياء كالأسد على فرسته لا تأخذهم فيهم رافة (رحماء بينهم) أي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد من الولد كما قال في حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (نراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومدادتهم عليها (يبتغون) أي يطلبون (فضلا من الله) يعني الجنة (ورضوانا) أي أن يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو أن المخلص بعمله لله يطالب أجره من الله تعالى والمرأى بعمله لا يبتغى له أجر أو ذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رجاء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أي علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) واختلفوا في هذه السيمة على قولين أحدهما أن المراد في يوم القيامة قيل هي نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله في الدنيا وهي رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرامحجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني أن ذلك في الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى أن السجود أورثهم -م الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك في رجلين أحدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والآخر في اللهو واللعب فإذا أصبحا ظهرا للفرق بينهما فظهر في وجه المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لأنهم كانوا يصلون على التراب لاعلى الاثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم في التوراة) يعني ذلك الذي ذكر صفتهم في التوراة ونم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعمتهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) أي صفتهم (في الانجيل كزرع أخرج شطأه) أي أفرطه قبل فراخه قيل هو نبت فخرج بعد فهو شطؤه (فآزره) أي قواه وأعانه وشدأزره (فاستغلظ) أي غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) أي تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق أي على أصوله (يحب الزراع) أي يحب ذلك الزرع زراعوه وهو مثل ضرب به الله عز وجل لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطأ أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن أبي طالب يحب الزراع يعني جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بابي بكر فآزره عمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه على رضوان الله عليهم وهذا مثل ضرب به الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يجتف بها مما يتولد منها حتى يحب الزراع (ليغيظ بهم الكفار)

(فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعيد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه الترمذي وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الأول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمي بأمي أبو بكر وأشد هم في أمر الله عمر وأشد هم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل وأفضاهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذي مفرقا في موضعين أحدهما إلى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر إلى أبي ذر (خ) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أهدأ وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال أثبت أحد أراه ضربه برجله فأنما عليك نبي وصديق وشهيدان * عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال افتدوا بالذين بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فاتبعته فقلت أي الناس أحب إليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجلا * عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر وزوجني ابنته وحماني إلى دار الهجرة وصحبي في الغار وأعتق بلال من ماله رحم الله عمر ليقولن الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبیش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلى أنه لا يحبني المؤمن ولا يبغضني إلا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت من أصحابي بارض إلا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقد روى عن أبي بريدة مرسل وهو أصح (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدأ أحدهم ولا نصيفه وعن أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم * عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطاء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام إلى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطاء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجر عظيم) يعني الجنة وقيل إن المغفرة جزاء الإيمان فإن لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نعماتهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلى به (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر عظيم) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يعني فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وقولك انفق من الدراهم أي اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الرافض انهم كفروا وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته

لبعض) أي إذا كلمتموه وهو امت فأيامكم والعدول عما نهيتهم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب (١٧٦) من الهمس الذي يضاد الجهر أو لا تقولوا يا محمداً جده وخاطبوه بالنبوة والسكينة

والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر إلا كاخى السرار وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما أنزلت في ثابت بن قيس ابن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان إذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهر والله جهر أمثل جهر بعضهم لبعض وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقاً حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص أعنى الجهر المذموم بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلوع من مراعاة إبهة النبوة وجلالة مقدارها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهي والمعنى انتهوا عما نهيتهم عنه لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وأنتم لا تشعرون) الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله) ثم اسم

لبعض) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضاً فيقولوا يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله (أن تحبط أعمالكم) أي لئلا تحبط وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أي بذلك (ق) عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يأتونها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمر وما شأن ثابت أيشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتهم أنى من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة فزاد في رواية فكان راهم عيسى بن أظهر نازح من أهل الجنة لفظ مسـ لم وللبخارى نحوه وروى لما نزلت هذه الآية فعد ثابت في الطريق يبكي فربه عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون أنزلت في وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملي وأن أكون من أهل النار فضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت بالبكاء فأتى امرأته جيلة بنت عبد الله ابن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرسى فشدي على الضبة بمسار فضربتها بمسار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة فقال رضيت بدشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً فانزل الله تعالى (ان الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال أنس فكانت نظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهمزمت طائفة منهم فقال أف طؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم تباثوا قاتلاً حتى قتلا واستشهدا ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له اعلم أن فلاناً رجلاً من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يدين في طيله وقد وضع على درعي برمته فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت أبابكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على ديناً حتى يقضيه عني وفلان من رقيق عتيق فاخبر الرجل خالد فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبابكر بذلك الرؤيا فاجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لأعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه عما يخفص صوته فانزل الله تعالى ان الذين يفضون أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أي اجلالاً له وتعظيماً (أو تلك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي اختبرها وأخلصها كما امتحن الذهب

ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم في مجلسه تعظيماً له (أو تلك) مبتدأ أخبره بالنار (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبران والمعنى أخلصها للتقوى من قلوبهم امتحن الذهب وفتنه اذا أدابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاؤه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها خاصة وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات

عنها والامتحان افتعال من منحه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذي رتب عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسمالان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاءهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهم ما مره دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض اعظم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في وفد بني تميم أثوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زينا وذمنا شينا فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يوارى بها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لا بداء الغاية وان المنادات نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بمحاطب يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضم تين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت اكل منهن شجرة ومناداتهم من وراءها عليهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له (١٧٧) أو نادوه من وراء الحجر التي كان

عليه السلام فيها ولاكنها جعلت اجالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقيون راضين فكانهم تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استناده ويحتمل أن يكون المراد النفي العام اذ الالة تقنع موقع النفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته

بالنار اخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم) قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفتدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في أهله فاهأراهم الذراري اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فجهلوا أن يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى أيتظوه من نومهم فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يا مارك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنرضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة أنا لا أحكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور أرى ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قدر ضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الآية أكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر (ولوأنهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا به من سوء الادب وطلب المجلة في الخروج (لكن خيرا لهم) أي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية في ناس من أعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زينا وذمنا شينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحنا زينا وذمنا شينا قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا شاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر

(٢٣ - (خازن) - رابع) ومقيله مع بعض نساءه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولولا تأمل متأمل من أول السورة الى آخر هذه الآية لوجدناها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله مقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهركان الاول بساطا للثاني ثم أتى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أظم وهجته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدر اليه على فظاعة ما جسر واعليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيعه هزا من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا (ولوأنهم صبروا) أي ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا مخذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر صبر لا يتجرعه الاخر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولا جملهم للزعم أن يصبروا الى أن يعاموا أن خروجه اليهم (لكن) الصبر (خيرا لهم) في دينهم

(والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيّق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنبأوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً لى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة في الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبليين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا اليه الصدقات ورجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شيعا في (١٧٨)

انفساق والانباء كانه قال
أى فاسق - قى جاءكم باى نبأ
فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا
بيان الامر وانكشاف
الحقيقة ولا تعتمدوا قول
الفاسق لان من لا يتحامي
جنس الفسوق ولا يتحامي
الكذب الذى هو نوع منه
وفي الآية دلالة قبول خبر
الواحد العدل لانالو
توقفنا في خبره لسوينا
بينه وبين الفاسق وخلا
التخصيص به عن الفائدة
والفسوق الخروج من
الشيء يقال فسقت الرطبة
عن قشرها ومن مقلوبه
فقت البيضة اذا كسرتها
وأخرجت ما فيها ومن
مقلوبه أيضا فقت الشيء
اذا أخرجه من يد مالكه
مغتصباله عليه ثم استعمل
في الخروج عن القصد
بركوب الكائن حزة وعلى
فتثبتوا والتثبت والتبين
متقاربان وهما طلب الثبات
والبيان والتعرف (أن
نصيبوا قوما) اثلاث نصيبوا
(بجهالة) حال يعنى جاهلين
بحقيقة الامر وكنه القصة
(فتصبحوا) فتصيروا (على

أمرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب قد كرم فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس
ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم قد كرا بيا نأ فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمد الموثى له تكلم
خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً ونكاحاً شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعراً وقولاً ثم دنا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك
ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمر بن الاهم
لحدائنه سنة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر
الاعتزاز عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) أى لمن تاب منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن
ملكاً نعش في جنازه جأزا فجاءوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الآيات ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
بنى المصطلق بعد الواقعة مصداقاً وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهاهم فرجع من الطريق الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى المصطلق قد منعوا صداقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم أن يغزوههم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله سمعنا
برسولك فخرجنا لتلقاه ونكرمه ونؤدى له ما قبلنا من حق الله فبداله الرجوع نخشينا أنه انما رده من
الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته عاينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره أن يخفى عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت
منهم ما يدل على ايمانهم فخدمهم - زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاس - تعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل
ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صداقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
يعنى الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حكم
الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالولايد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا
يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أى بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا أى فتوقفوا وطلبوا بيان الامر
وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق (أن تصيبوا) أى كيلا تصيبوا بالقتل والسبى (قوما بجهالة)
أى جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم (فتصبحوا على ما فعلتم) أى من اصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا أن فيكم
رسول الله) أى فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً وتكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لويطيعكم)
أى الرسول (في كثير من الامر) أى مما يخبرونه به فيحكم رأيكم (اعنتم) أى لا نتمم وهلكتم ه عن أبى

ما فعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو أن نغتم على ما وقع منك تمنى انه لم يقع وهو غم يصحب
الانسان محبة لها دوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلان تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب وأفارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم
قال مستأنفا (لويطيعكم في كثير من الامر اعنتم) لو قعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الايقاع بنى المصطلق ونصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصنونون ويزعمهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين

سعيد الخدرى انه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر اعنتم قال هذا انبيكم يوحى اليه وخيار انتمكم لو اطاعهم في كثير من الامر اعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى جعله أحب الاديان اليكم (وزينه) أى حسنه وقر به منكم وأدخله (في قلوبكم) حتى اخترتموه لان من أحب شيئا اذا طال عليه قد سام منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم أى أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أى فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) أى بكم وبما في قلوبكم (حكيم) فى أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما فى خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عنى والله لقد آذانى نثن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحاً منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فنشأتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجر يد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهم ما يروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه كاف نحتة قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبى بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبى واذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجااجة الدابة خر عبد الله بن أبى انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبى بن سلول أيها المرء انه لأحسن مما تقول ان كان حقاً فلا تؤذونا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك فن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشيتنا فى مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يثبثوا رءوسهم فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت فى رجال من الانصار كان بينهما مارة فى حق بينهما فقال أحدهما لالا خرا لا خدن حتى منك عنوة لكثرة عسيرته وأن الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينهما وبين زوجها شئ فرقى بها الى عليه فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجمعهم قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس

استثناهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غيرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حال موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو نغذية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستنون هم الراشدون يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والاتصاب على المفعول له أى حبب وكره الفضل والنعمة (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافضال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فاصلحو ايتهما) وقفر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن أبي بنافه وقال خل سبيل حمار فقد آذانا ننه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لا طيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبأ ونجا لدا وجاء قوما هم اوهما الاوس والخزرج فتجد الدواب بالعصى وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وجع (١٨٠) اقتتلوا جلا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثني في فاصلحو

بينهما نظر الى اللفظ (فان بغت احدا على الاخرى) البني الاستطالة والظلم وابعاء الصلح (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفتنة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيدها تركت (الى امر الله) المذكور في كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البني الى امر الله (فاصلحو بينهما بالعدل) بالانصاف (واقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما أمر به في اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط وعمرته للسلب أي زال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فاصلحو اي اخويكم)

والخزرج (فاصلحو ايتهما) أي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) أي تعدت (احدا على الاخرى) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع (الى امر الله) أي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي أمرت به (فان فاءت) أي رجعت الى الحق (فاصلحو ايتهما بالعدل) أي الذي يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (واقسطوا) أي اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) (انما المؤمنون اخوة) أي في الدين والولاية وذلك أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب والقربة كعقد النسب الملاصق وأن بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالأب قال بعضهم

أبي الاسلام لأبلى سواه * اذا افتخروا بقبس أوتيم

(فاصلحو اي اخويكم) أي اذا اختلفوا واقتتلا (واتقوا الله) أي فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (اعلمكم ترجون) * (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

فصل في حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الآيتين دليل على أن البني لا يزال اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغيين ويدل عليه ما روى عن علي بن أبي طالب وهو القدوة في قتال أهل البغي وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا انهم من الشرك فر وافقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قليل فاحاطهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل وانصبوا لهم اماما فالحكم فيهم أن يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان أظهر وامظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصر واعل البغي قاتلهم الامام حتى يفيؤا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادي منادي على يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح وهو بذال مججمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتيممه وأتى على يوم صفين بأسير فقال لا أقتلك صبرا اني أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدي الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول وأتلفت فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فإرايته اقتص من أحد ولا أغرم مالا ما من لم يجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا اجاعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذ لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروى أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال على كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا تمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا تمنعكم التي مادامت أيديكم مع

أيدينا

هذا تقرير لما ألزمه من تولى اصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان

قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نسب مثل ذلك بين الاخوين ولا دالزم السائر أن يتناها في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين أحق بذلك اخوتكم يعقوب (واتقوا الله اعلمكم ترجون) أي واتقوا الله قالتقوى تحملكم على التواصل والاتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على ان البني لا يزال اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) القوم الرجال خاصة لانهم قوام بأمر النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية اذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله وما أدري ولست أخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عادهم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفرقيين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهم تواج لرجالهم وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشيعاء وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نساءهم على السخرية واستفظاع اللسان الذي كانوا عليه وقوله عسى (١٨١) أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف

ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي والافقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد لكل واحد ان المستخبر منه بما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الاعلى الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي ان لا يجترأ أحد على الاستهزاء بهن تقتحمه عينه اذ ارآه رث الحال أو ذاعاهة في بدنه أو غيرا يبق في محادثته فلعلة اخاص ضميرا وارتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقيق من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت أن أحول كلبا ولا تلمزوا أنفسكم ولا

أيد بنا ولا نبذكم بقتال ﴿قوله عز وجل﴾ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) الآية نزلت في ثلاثة أسباب السبب الاول من أهل الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أو سعه والى حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه محاسنهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائم كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أماله كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيى فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤون بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما رأوه من رثالة حالهم فانزل الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ أَيْ لَا يَسْتَهْزِئُ غنى بفقير ولا مستور عليه ذنبه من لم يستر ولا ذوحسب بلثيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خيرا منه ﴿وهو قوله تعالى﴾ (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثاني قوله (ولا نساء من نساء) أي لا يستهزئ نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) روى عن أنس انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكيت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك انبي وانك لتحت نبي فقيم فتفخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) عن أبي جيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الآية ولا تنابزوا

تطعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لزم نفسه حقيقة (ولا تنابزوا بالألقاب) التنابز بالألقاب التداعي بها والنزاع بالسوء والتلقيب المهمل عنه هو ما يتدخل المدعوى به كراهة لكونه تقصيرا به وذم له فاما ما يحبه فلا بأس به وروى ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن أنس رضى الله عنه عبرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروى انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فاتي يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فنجل الرجل

من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو بالذل ثم وحقيقة ما سماه من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بش الاسم المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الإيمان استقباح للجمع بين الإيمان والفسق الذي يحظره الإيمان كما تقول بش الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتمهم لمن أسلم من اليهود يهودي يافاسق فهو أعنه وقيل لهم بش الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه (ومن لم ينب) عما نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) وحد وجع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن) يقال جنبه الشر إذا أبعد عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدي إلى مفعولين قال الله تعالى واجتنبوا ونبى أن نعبد الأصنام ومطاوله اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سواء أأهل الفسق

باللقاب بش الاسم الفسوق بعد الإيمان أخرجه أبو داود في الترمذي قال كان الرجل من بني كنانة له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولاتنابزوا باللقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولاتنابزوا أنفسكم أي لا يعيب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم في بعض والمراد بالانفس الإخوان ههنا والمعنى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لانهم كانوا عابا عابا عابا عابا فكذا نه عاب نفسه وقيل لا تخلوا أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكذا نه هو العاب لنفسه ولاتنابزوا باللقاب أي لاتدعوا الانسان بغير ما سمى به وقال ابن عباس التنابز باللقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما ساف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يافاسق يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فهو أعنه ذلك وقيل هو أن تقول لا خيلك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه اللقب ما يكرهه المنادي به أو يفيد ذمالة فاللقاب التي صارت كالاعلام اصحابها كالاعمش والاعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذ لم يكرهها المدعو بها أو ما باللقاب التي تكسب حدا ومدا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق واعمير الفاروق ولعثمان ذو النورين واهلي أبو تراب وخالد سيف الله ونحو ذلك (بش الاسم الفسوق بعد الإيمان) أي بش الاسم أن تقولوا له يا يهودي أو يا نصراني بعد ما أسلم أو يافاسق بعد ما تاب وقيل معناه أن من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبش الاسم الفسوق بعد الإيمان فلا تفعلوا ذلك فتستحق اسم الفسوق (ومن لم ينب) أي من ذلك كله (فاولئك هم الظالمون) أي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك بقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقه ما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين موسر بن مخنف ومهمما وبتقدمهما إلى المنزل فيبهى لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يبهى شيئا لهما فلما قدما قال لهما ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي فنمت قال لهما انطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطاب لنامته طعاما فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا إلى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن نخل فبعنا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما جع قالوا لبعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا آ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالوا والله يا رسول الله ماتنا ولنا يومنا هذا الجأ قال ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن يعني ان يظن بأهل الخير سوء نهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرًا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءًا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءًا فيراه أخوه المسلم فيظن شرًا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا فاما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلما انظروا فيهم مثل الذي يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سيفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فنه واجب وما مور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالآخر المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محذور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن

فلما انظروا فيهم مثل الذي ظهر منهم أو معناه اجتنابا كثيرا واحترزا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب بالاخ الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثم فعال منه كالنكال والعذاب

وبالاخ المسلم (ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتنبع عوراتهم حتى لا يظهر على ماستره الله منها (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيكم والظن لان الظن أ كذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشرائع يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ^{بكم} التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع إلى حديث الغير وقيل معناه واحد وهو طلب الأخبار وقوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها وقوله ولا تدابروا أي لا يعطى كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظم حرمتك وأعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خرا فقال عبد الله أنا قد نهيت عن التجسس ولكن ان يظهر الينا شيء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان مكن أحيا مؤودة (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة ^{قوله} تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوء مما هو فيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وإن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له إنسانا فقال ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته أي خالطته بخالطة يتغير بها طعمه ويربحه أشدة نيتها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة ^{قوله} تعالى (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل لأحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائب قيل تأويله أن ذكره من لم يحضره بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لأنه لا يحس بذلك وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كالجمه ودمه لأن الإنسان يتألم قلبه إذا ذكر بسوء كما يتألم جسده إذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد في المنع لأن العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ في الزجر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سيار بيننا أنا نأثم إذا بحبيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده ^{قوله} تعالى (واتقوا الله) أي في أمر الغيبة

عن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستر الله على عباد الله (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكرك بالغيب في ظهر الغيب وهي من الاغتيال كالغيلة من الاغلال وفي الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادا م كلام الناس (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدني وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض الغتاب على أخس وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التكرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالحبة ومنها اسناد الفعل إلى أحدكم والاشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتيال بياكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فأكره لحم أخيك وهو حي فانتصب ميتا على

الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بأن أحد منهم لا يجب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) أي فتمحقت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله

ان الله تواب رحيم التواب البليغ في قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والنسب على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المؤمنين الذائبين وروى أن سلمان كان يخدم رجلا من الصحابة ويسوى لهم اطعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبغي لهما داما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهم اسامة ان فقالوا لو بعثناه الى برسميحة اغار ماؤها فلما جا آ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٨٤)

قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكم فقالا ماتنا ولنا لما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأم فمنكم من أحد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطون والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون تجمع الفخذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكانه قبيلة وقر يش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل

واجتناب نواهيها (ان الله تواب رحيم) قوله عز وجل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فسلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذي كرفلانة قال ثابت أنا يا رسول الله قال أنظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحتيا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن العيص الحمد لله الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان اني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فافروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء والمعنى انكم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل أن يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فان كل واحد منكم خالق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهي رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاسوس والخزرج سبه واشعو بالشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة ونعيم من مضر ودون القبائل العمائر واحدها عمارة بفتح العين وهم كشيبيان من بكر ودارم من نعيم ودون العمائر البطون واحدها بطن وهم ككني غالب واوى من قر يش ودون البطون الانخاذ واحدها نخذ وهم كبنى هاشم وبنى أمية من اوى ودون الانخاذ الفصائل واحدها فصيلة بالصاد المهملة كبنى العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدها عشيرة وليس بعد العشيرة شيء يوصف وقيل الشعوب للجمع والقبائل للعرب والاسباط من بنى اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى أحد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينسبون الى آبائهم (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) قيل اكرم الكرم التقوى والام الاثم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف بنى الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فمن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وافقهوا ابضم القاف على

تسببت منها (لتعارفوا) أي انما تريدكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعزى الى غير آباءه لان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا للتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) في الحديث من سره أن يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجالان مؤمن نقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية وعنه يزيد بن شجرة مصر

رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاماً أسود يقول من اشتراني فعلى شرط أن لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفي فحضر دفنه فقالوا في ذلك شيئاً فنزلت (ان الله عليهم) كرم القلوب وتقواها (خير) بهم النفوس في هواها (قالت الاعراب) أي بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فآظفروا الشهادة يريدون الصدقة (١٨٥) و يمينون عليه (آمننا) أي ظاهرها

وباطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فلايمان هو التصديق والاسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حراً للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله (ولما دخل الايمان في قلوبكم) فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو اسلام وما وطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة وأما في الشرع فلايمان والاسلام واحد لما عرف وفي لماعني التوقع وقد دل على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا وقل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفادهذا النظم تكذيب دعواهم أولاً فقيس لم

المشهور وحكي كسرهما ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فله اخرج لم يجد منا خافئز على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجالان برتقى كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وإلكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عيبة الجاهلية يعني كبرها وغرها (ان الله عليهم) أي بظواهركم ويعلم أنسابكم (خير) أي ببواطنكم لا تخفي عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنبه وقيل لحد التقوى أن يحتجب العبد المناهي ويأتي بالأمور والفضائل ولا يغتر ولا يامن فان اتفق أن يرتكب منهياً لا يامن ولا يتكلم بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهياً ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الأمل فليس يمتق لان المتق لم يترك ما أمر به ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاشع لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدده توبة جعلنا الله واياكم من المتقين ﴿ قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمه قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فآظفروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالقدرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتكم العرب بانفسهم على ظهور رر واحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمينون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومنزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا لآمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا للحد يدية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا أي صدقنا (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي (ولما دخل الايمان في قلوبكم) أخبر أن حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وأن الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايماناً دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد ابن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً منهم هو أعجبهم الى فقالت مالك عن فلان والله اني لأراه مؤمناً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلماً إذ كر ذلك سعد ثلاثاً وأجابته بمثل ذلك ثم قال اني لأعطي الرجل وغیره أحب الى منه خشية أن يكذب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى أن الاسلام الكامة والايمان والعمل الصالح لفظا الجيد اعلم أن الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لا يراهم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما دخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة

(٢٤ - (خازن) - رابع) تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصر يحاو وضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ولم يقل ولكن أسلمتم ايكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم تكرير المعنى قوله لم تؤمنوا فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توفيق لما أمر به أن يقره كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حيث لم تثبت مواطاة قلوبكم لأنكم لا تسلمتم لانكم واقع موقع الحال

من الضمير في قوله (وان تطيعوا الله ورسوله) في السر بترك النفاق (لا يلبسكم) لا يأتكم بصرى (من أعمالكم شيئاً) أى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئاً لت يأت ولات يلبس ولا ت يلبس بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) بستر الذنوب (رحيم) يهديهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيهها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعاراً باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غرضاً جديداً (وحاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يجوز أن يكون المجاهد منوياً وهو العدو والمحارب أو الشيطان أو

الطوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهده ويجوز أن يراد المجاهدة بالنفس الغزوة وأن يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنع عثمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدأ الذي هو المؤمنون (اولئك هم الصادقون) أى الذين صدقوا في قولهم آمنوا لم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد وهم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا أنهم مخلصون فقل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى لا تخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) أى لا يحتاج الى اخباركم (يؤمنون عليك أن أسلموا) هو قولهم أسلمنا ولم نمارك بكم يؤمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبين بذلك أن اسلامهم لم يكن خالصاً (قل لا آمنوا على اسلامكم) أى نعتدوا على باسلامكم (بل الله يمين عليكم أن هذا لكم للايمان) أى الله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هذا لكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ فى السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلايتكم (والله بصير بما تعملون) أى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة ق﴾

وهى مكية وهى خمس وأربعون آية وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربع مائة وأربع وتسعون حرفاً ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه فضى الامر أو قضى ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة

الطوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهده ويجوز أن يراد المجاهدة بالنفس الغزوة وأن يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنع عثمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدأ الذي هو المؤمنون (اولئك هم الصادقون) أى الذين صدقوا في قولهم آمنوا لم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد وهم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا أنهم مخلصون فقل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى لا تخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) أى لا يحتاج الى اخباركم (يؤمنون عليك أن أسلموا) هو قولهم أسلمنا ولم نمارك بكم يؤمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبين بذلك أن اسلامهم لم يكن خالصاً (قل لا آمنوا على اسلامكم) أى نعتدوا على باسلامكم (بل الله يمين عليكم أن هذا لكم للايمان) أى الله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هذا لكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ فى السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلايتكم (والله بصير بما تعملون) أى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

باسلامهم والمن ذكر الايادى تعريضاً للشكر (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمين عليكم) أى المنة الله عليكم (أن هذا لكم) بان هذا لكم أولان (للايمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان بالله فله المنة عليكم وقرئ أن هذا لكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) وبالباء مكية وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعنى أنه تعالى يعلم كل مستترى العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلايتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وهو علام الغيوب

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) الكلام فى (ق)

والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام في ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لا انتقام ما في أسلوب واحد المجيد ذوالمجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علمه بما فيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم انكارتهم بماليس بمجيب وهو أن ينذرهم بالخوف رجل منهم قد عرفوا عدا الله وأماته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحاً ومه خائفاً أن ينالهم مكروه واذا علم أن مخوفاً ظلمهم لزمه أن ينذرهم فكيف هو غاية المخاوف وانكارته بمجيبهم بما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وما على اختراع كل شئ واقرارهم بالشأ الاولى مع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجيب انما متنا وكنا تراباً) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجوع واذا منصوب بضمير معناه أحيان نموت ونبلى (١٨٧) نرجع متنا نافع وعلى وحزده وحفص

(ذلك رجع بعيد) مستبعد
مستنكر كقولك هذا
قول بعيد أى بعيد من
الوهم والعادة ويجوز أن
يكون الرجوع بمعنى الرجوع
وهو الجواب ويكون
من كلام الله تعالى استبعادا
الانكارهم ما أنذروا به
من البعث والوقف على
تراباً على هذا حسن وناصب
الظرف اذا كان الرجوع
بمعنى الرجوع ما دل عليه
المنذر من المنذر به وهو
البعث (قد علمنا ما تنقص
الارض منهم) رد لاستبعادهم
الرجوع لان من لطف علمه
حتى علم ما تنقص الارض
من أجساد الموتي وتاكله
من لحومهم وعظامهم كان
قادر على رجوعهم أحياء كما
كانوا (وعندنا كتاب

السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه مخدوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) انكارتهم بماليس بمجيب وهو أن يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدا الله وأماته وصدقهم (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) أى معجب غريب (انما متنا وكنا تراباً) أى أحيان نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) أى يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أى ما نأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ (وعندنا) أى مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ أى من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أى حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق) أى بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا بما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم فى أمر مريج) أى مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعرو مرة ساحرو مرة معلم ومرة معلم مجنون ويقولون فى القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطاً بما ساء عليهم وقيل فى هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الامرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) أى بغير عمد (وزيناها) أى بالكواكب (وما لها من فروج) أى شقوق وصدوع (والارض مددناها) أى بسطناها على وجه الماء (والقينا فيها رواسي) أى جبالاً ثوابت (وأثبتنا فيها من كل زوج بهيج) أى من كل صنف حسن كريم يتهيج به أى يسر به (تبصرة) أى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أى تذكرة (لكل عبد منيب) أى راجع الى الله تعالى والمعنى ايقصروا وتذكروا به من أناب (ونزلنا من السماء ماء مباركاً) أى كثيراً الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر (فانبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) أى بساتين (وحب الحصيد) يعنى البر

حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) اضرب اتباع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفضح من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بمجرات فى أول وهلة من غير تفكير ولا تدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الاصبع اذا اضطرب من سخته فيقولون تارة شاعرو تارة ساحرو مرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيارات (وما لها من فروج) من فتوق وشقوق أى انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خال (والارض مددناها) دحوناها (والقينا فيها رواسي) جبالاً ثوابت لولا هي لمات (وأثبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يتهيج به حسنه (تبصرة وذكرى) (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مفكر فى بدائع خلقه (ونزلنا من السماء ماء مباركاً) كثيراً المنافع (فانبتنا به جنات وحب الحصيد) أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما

(والنخل باسقات) طوال في السماء (طاطلع) هو كل ما يطلع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أول كثرة ما فيه من الثمر (رزقا للعباد) أي أنبتنا هارزقا للعباد لان الانبات في معنى الرزق فيكون رزقا مصدر من غير لفظه أو هو مفعول له أي أنبتنا هارزقهم (وأحييناه) بذلك الماء (بلدة ميتا) قد جيف نباتها (كذلك الخروج) أي كما حيت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف في محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل قريش (قوم نوح وأصحاب الرس) هو بئر لم تطوهم قوم باليامة وقيل أصحاب الاخدود (ونمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الايكة) سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسب اقربا (وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كل) أي كل واحد منهم (كذب الرسل) لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (خلق وعيد) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفيعينا) عبي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله (١٨٨) والهمزة لانكار (بالخلق الاول) أي انالم نهجز عن الخلق الاول فكيف نهجز عن

الثاني والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بلهم في لبس) في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احياء الموتي امر خارج عن العادة فتركوا ذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر (من خلق جديد) بعد الموت وانما تكرار الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من

والشعر وسائر الحبوب التي تحصد (والنخل باسقات) أي طوالا وقيل مستويات (طاطلع) أي ثمر يطلع ويظهر وسمى طلعاقبل أن يتشقق (نضيد) أي متراكب بعضه على بعض في أكامه فاذا تشقق وخرج من أكامه فليس بنضيد (رزقا) أي جه لنا ذلك رزقا (للعباد وأحييناه) أي بالاطر (بلدة ميتا) فانبثنا فيها الكلا والعشب (كذلك الخروج) أي من القبور أحياء بعد الموت قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس ونمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الايكة) قيل كان لوط مرسلًا إلى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال وإخوان لوط (وقوم تبع) هو أبوكرب أسعد تبع الجري وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلماذا خص بالذكر دونهم (كل كذب الرسل خلق وعيد) أي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم خلق وعيدى أي وجب لهم عذاب وقيل خلق وعيدى للرسل بالنصر (أفيعينا بالخلق الاول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث (بلهم في لبس) أي شك (من خلق جديد) وهو البعث قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أي ما يحدث به قلبه فلا تخفى علينا مرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه أي نحن أعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الخلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان أجزاء الانسان وأعضائه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيء وقيل يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه (اذ يتلقى المتلقيان) أي يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه في كتابته وبمحفظانه عليه (عن اليمين وعن الشمال) يعني ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات (فعيد) أي قاعد او كل واحد منهما فعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد

بالقعيد

حديث النفس والباء مثلها في قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد

قرب علمه منه (من حبل الوريد) هو مثل في فرط القرب والوريد عرق في باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقوله بغير سانية (اذ يتلقى المتلقيان) يعني الملكين الحافظين (عن اليمين وعن الشمال قعيد) التلقى بالحفظ والكتابة والعقيد المقاعد كالجليس بمعنى لمجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله رماني بأمر كنت منه والدي بريثا ومن أجل الطوى رماني أي رماني بأمر كنت منه بريثا وكان والدي منه بريثا واذ منصوب باقرب لما فيه من معنى وما يقرب والمعنى انه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس ولا شيء أخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايندانا بان استحقاق الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهو ما في كتبه الملكين وحفظهما ومرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة اعطاه في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات

٦ قوله إلى طائفة من قوم ابراهيم كذا بالاصول ولعل الظاهر إلى طائفة من قومه بدليل تعليقه وعبارة النسب بالهامش واضحة اه

(ما يلفظ من قول) ما يتكلم به وما يرمي به من فيه (الالديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه أجر أو وزر وقيل ان الملكين لا يجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم ان ما أنكروه هم لا قوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أي شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) أي بحقيقة الامر أو بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تخيد) تنفرو وتهرب (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أي ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله وعمل معها سائق النصب على الحال من كل (١٨٩) لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم

المعرفة (لقد كنت) أي يقال لها لقد كنت (في غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاء) أي فازلنا غفلك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى بها جسده كما أوغشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئاً فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديداً لتيقظه (وقال قرينه) الجهم - ور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) أي ديوان عمله مجاهد شيطانه الذي قبض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أي الذي وكلت به (مالدي عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى

بالعتيد الملازم الذي لا يبرح (ما يلفظ من قول) أي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه (الالديه رقيب) أي حافظ (عتيد) أي حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان أن يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهم منه وهو على تلك الحالة حتى يكتب ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له أجر أو ثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الخنك وكان الحسن البصري يحجبه أن ينظف عنقه فته روى البغوي باسناده الثعلبي عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشر او اذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ١٠ قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) أي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أي حقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يقينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تخيد) أي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت) أي في ذلك اليوم (كل نفس معها سائق وشهيد) أي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت في غفلة من هذا) أي من هذا اليوم في الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) أي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أي قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوباً عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) يعني الملك الموكل به (هذا مالدي) أي عتدي (عتيد) أي معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله (القيافي جهنم) أي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل كفار) أي شديد الكفر (عتيد) أي عاص ممرض عن الحق معاند لله فيما أمر به (مناع للخير) أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله (معتد) أي ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) أي شاك في التوحيد (الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد) يعني النار (قال قرينه)

شيء والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفها خبر هذا والتقدير هذا شيء ثابت لدى عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو للملك وكان الاصل ألقى ألقى فناب ألقيا عن ألقى ألقى لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تشية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (في جهنم كل كفار) بالنعم والمنع (عتيد) معاند بجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فالقياه في العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وقالقياه تكرر للتوكيد ولا يجوز ان يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالوصول (قال قرينه) أي شيطانه الذي قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني محي

كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له وأما هذه فهي مستأنفة كما استأنف الجبل الواقعة في حكاية التناول كما في مقالة موسى وفرعون فكان الكافر قال رب هو أظفاني فقال قرينه (ربنا ما أظفيته ولكن كان في ضلال بعيد) أي ما وقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى (قال لا تختصموا) (١٩٠) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قال قال الله فقيل قال

لا تختصموا (لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصاصكم ولا طائل تحتكم وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتي وعلى السنة رسلي فأنكرت لكم حجة على والباء في الوعيد مزيدة كافي قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم (ما يبدل القول لدى) أي لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي بإدخال الكفار في النار (وما أنا بظلام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لغة المبالغة لانه من قولك هو وظالم لعبده وظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام أو بمضمهر هو ذكر وأنذر (يقول) نافع وأبو بكر أي يقول الله (لجهنم هل امتلأت) وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالحجيد أي أنها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أي هل بقي في موضع لم يمتلئ يعني قد امتلأت أو أنها تستزيد وفيها موضع

يعني الشيطان الذي قبض لهذا الكافر (ربنا ما أظفيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو أن الكافر حين يلقي في النار يقول ربنا أظفاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أظفيته أي ما ضلته وما أغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب إن الملك زاد علي في الحكمة فيقول الملك ربنا ما أظفيته أي ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه إلى الحق (قال) الله تعالى (لا تختصموا لدى) أي لا تعتذروا وعندى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدى) أي لا تبدل قولي وهو قوله عز وجل لا ملأ من جهنم وضيت عليكم ما أنا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الأولي يبدل عليه أنه قال ما يبدل القول لدى ولم يقل ما يبدل قولي (وما أنا بظلام للعبيد) أي فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فاز يد على إساءة المسيء أو أنقص من إحسان المحسن قوله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى إياها أنه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعني جهنم (هل من مزيد) يعني تقول قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام إنكارى وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس أن الله تعالى سبقت كلمته لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سبق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألسنت قد أقسمت لئلا تأتي فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس في مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفي رواية رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولا يهريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه أحدا

فصل هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل تؤمن بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجر بها على ظاهرها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم وقيل أنه يحتمل أن في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض أظهر التأويل أنهم قوم استحقوا وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط أي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات أسكان الطاء وكسرهما منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعني أنه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أي قربت وأدنت (للمتقين) أي الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعني

للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كأنطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بأنها امتلأت أم لا (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف أي مكانا غير بعيدا وعلى الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليب والمصدر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما

تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت (ما توعدون) صفته وبالياء مكى (لكل أواب) رجع إلى ذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده في الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أواباً حفيظاً (من) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من في معنى الجمع (خشى الرحمن) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع عامه أنه الواسع الرحمة كما أنى عليه بأنه خاشع مع أن الخشي منه غائب (بالغيب) حال من المفعول أي خشيه وهو غائب (١٩١) أو صفة لمصدر خشى أي خشيه خشية ملائسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب الحسن إذا أغلق الباب وأرخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع إلى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام) أي سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) أي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أي مقدرى الخلود (لهم ما يشاؤون فيها) أي ما يشاؤون فيها (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر إلى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد ﴿قوله تعالى﴾ (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشاً) يعني سطوة والبطش الأخذ بصولة وعنق (فنتقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصاً أي مهرباً من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفر من الموت بل يموتون فيصرون إلى عذاب الله وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي أن فيما ذكر من أهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه ﴿قوله﴾ تعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي أعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأن ذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية رداعليهم وتكذيباً لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر أن المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما ما فقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الأول حتى لا نعد على الاعادة ثانياً كما قال الله تعالى أفعيننا بالخلق الأول الآية وأما ما قاله اليهود ونقوله من التوراة فهو ما تحريف منهم أولم يعلموا تأويله وذلك أن الأحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والأرض ابتدئ يوم الأحد لكان

انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل أن يدخلوها (هذا ما توعدون) أي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على السنة الانبياء (لكل أواب) أي رجع عن المعصية إلى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذنب ثم يتوب في الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسيح وقيل هو المصلي (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد بالمراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والأوامر (من خشى الرحمن بالغيب) أي خاف الرحمن فاطاعه وإن لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد إذا أتى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أي مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لأهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أي بسلامة من العذاب والطموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أي في الجنة لأنه لا موت فيها (لهم ما يشاؤون فيها) وذلك أنهم يسألون الله حتى تنتهي مسئلتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده ما لم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر إلى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد ﴿قوله تعالى﴾ (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشاً) يعني سطوة والبطش الأخذ بصولة وعنق (فنتقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصاً أي مهرباً من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفر من الموت بل يموتون فيصرون إلى عذاب الله وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي أن فيما ذكر من أهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه ﴿قوله﴾ تعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي أعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأن ذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية رداعليهم وتكذيباً لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر أن المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما ما فقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الأول حتى لا نعد على الاعادة ثانياً كما قال الله تعالى أفعيننا بالخلق الأول الآية وأما ما قاله اليهود ونقوله من التوراة فهو ما تحريف منهم أولم يعلموا تأويله وذلك أن الأحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والأرض ابتدئ يوم الأحد لكان

على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسائرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤموا مثله لأنفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فتقبوا على الأمر (هل من محيص) مهرب من الله والموت (ان في ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لأن من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له (أو ألقى السمع) أصغى إلى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنه لأن من لا يحضر ذهنه فكانه غائب (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أعياء وقيل نزلت في اليهود اعنت تكذيباً لقولهم خلق الله السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع

من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذوا نكر اليهود التربع في الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على ما يقولون) أي على ما يقول اليهود وياتون به من الكفر والتشبيه أو على ما يقول المشركون في أمر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامداً ربك والتسبيح محمول على طاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر (١٩٢) والعصر (ومن الليل فسبحه) العشاء آن أو التهجد (وادبار السجود) التسبيح

في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وادبار مجازي وحزرة وخلف من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيتك خفوق النجم (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن الخبر به وقد وقف يعقوب عليه واتصب (يوم ينادي المنادي) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي المنادي بالياء في الحالين مكي وسهل ويعقوب وفي الوصل مدني وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والواصل المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله

الزمان قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام أجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت قوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أي صل حامداً الله (قبل طلوع الشمس) أي صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعني صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل أي وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعاً عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر (م) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما أحصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح في ادبار الصلوات كلها يعني قوله وادبار السجود (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا ضلوا كما ضلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشر أو تحمدون عشر أو تكبرون عشراً قوله تعالى (واستمع يوم ينادي المنادي) يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي في الحشر فيقول يا أيها العظام البالية والواصل المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامر كن أن تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الارض الى السماء ثمانية عشر ميلاً وقيل هي في وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أي الصيحة الأخيرة (ذلك يوم الخروج) أي من القبور (انا نحن نحيي) أي في الدنيا (ونميت) يعني عند انقضاء الاجل (والينا المصير) أي في الآخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم

يامر كن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر (من مكان قريب) من تشق صخرة بيت المقدس وهي أقرب من الارض الى السماء باثني عشر ميلاً وهي وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادي الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي) الخلق (ونميت) أي نميتهم في الدنيا (والينا المصير) أي مصيرهم (يوم

تشقق) خفيف كوفي وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) أى تتصدع الارض فتخرج المونى من صدوعها (سراعا) حال من
المجرواى مسرعين (ذلك حشر علينا سير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الاعلى القادر
الذى لا يشغله شأن عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفيما نهديدهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار)
كقوله بيسطر أى ما أنت بسلط عليهم انما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى أجبره أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان
(فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله أعلم ﴿سورة الذاريات مكية وهي ستون آية﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والذاريات) الرياح لانها تذر والتراب وغيره (١٩٣) وبادغام التاء في الذال جزء وأبو عمرو

(ذروا) مصدر والعامل فيه

اسم الفاعل (فالحاملات)

السحاب لانها تحمل المطر

(وقرا) مفعول الحاملات

(فالجاريات) الفلك (يسرا)

جرياذا يسراى داسهولة

(فالمقسمات أمرا) الملائكة

لانهما تقسم الامور من

الامطار والارزاق وغيرهما

أو تفعل التقسيم مأمورة

بذلك أو تتولى تقسيم أمر

العباد فجبريل للغاظة وميكائيل

للرحمة وملك الموت لقبض

الارواح واسرافيل للنفخ

ويجوز أن يراد الرياح

لاغير لانها تنشى السحاب

وتقله ونصرفه وتجري في

الجو جرياسهلا وتقسم

الامطار بتصرف السحاب

ومعنى الفاء على الاول انه

أقسم بالرياح فبالسحاب

التي تسوقه فبالفلك التي

تجريها به وبها فبالملائكة

التي تقسم الارزاق باذن

الله من الامطار وتجارات

تشقق الارض عنهم سراعا) أى يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا سير) أى هين
(نحن أعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة في تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) أى بسلط تجبرهم على الاسلام
انما بعثت منذ كراوذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أى ما أوعدت به من
عصاى من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفنا فنزات فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أى عظ
بالقرآن من يخاف وعيد والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الذاريات وهي مكية وهي ستون آية وثلاثمائة وستون

كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذر والتراب (فالحاملات وقرا) يعنى السحاب يحمل
ثقلها من الماء (فالجاريات يسرا) يعنى السفن تجري في الماء جرياسهلا (فالمقسمات أمرا) يعنى الملائكة
يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء الامين عليه
وصاحب الغاظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور والالواح وعزرائيل صاحب
قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشى السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به
جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصرف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من
الدلالة على عجب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمرة تقديره ورب
الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ما توعدون) أى من الثواب والعقاب يوم القيامة (صادق)
أى لحق (وان الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) أى لكائن ثم ابتدأ أقسم آخر فقال تعالى (والسما ذات
الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنين
المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس
وجواب القسم قوله (انكم) يعنى يا أهل مكة (لنى قول مختلف) يعنى فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم
يقولون فى القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنتون
وقيل لنى قول مختلف أى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن الايمان به من صرف حتى
يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا
أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به

(٢٥ - (خازن) - رابع) البحر ومنافعها وعلى الثانى أنها ابتداء فى الهبوب فتذر والتراب والخصباء

فتغل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث

(لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسما) هذا قسم آخر (ذات

الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعرا آثار تنفيه ونكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق

ويقال ان خاقية السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (انكم لنى قول مختلف) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون

وفى القرآن سحر وشاعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أى يصرف عنه من صرف الذى

لاصرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى سلم فيما لم يزل انه ما فوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير

لما نؤعدون أولادهم أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون) الكذابون المقدرين ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم في غمرة) في جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما مروا به (يسألون) فيقولون (أبان يوم الدين) أي متى يوم الجزاء وتقديره أبان وقوع يوم الدين لأنه إنما يقع الأحيان ظروفا للحدثان وانتصب (١٩٤) اليوم الواقع في الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع (يومهم) على

النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لضافته إلى غير متمكن وهو الجلة ومحل نصب بالمضمر الذي هو يقع أو رفع على هو يومهم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) أي تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحرقوا في النار (هذا) مبتدأ خبره (الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا من ذلك حال المؤمنين فقال (ان المتقين في جنات وعيون) أي وتكون العيون وهي الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لأنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير في الظرف وهو خبران (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة في الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير أحسانهم ما بعده (كانوا

(قتل الخراصون) أي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الإسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم في غمرة) أي في غفلة وعمى وجهالة (ساهون) أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشيء وذهب القلب عنه (يسألون أبا ن يوم الدين) أي يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذبا واستهزاء قال الله تعالى (يومهم) أي يكون هذا الجزاء في يومهم (على النار يفتنون) أي يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أي عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أي في الدنيا تكذبا به قوله تعالى (ان المتقين في جنات وعيون) يعني في خلال الجنات عيون جاريتهم (آخذين ما آتاهم) أي ما أعطاهم (ربهم) أي من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف أحسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره وقال ابن عباس كانوا قبل ليلة تمربهم الاصلوا فيها شيئا ما من أولها ومن أوسطها وعن أنس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أي من الناس ثم ابتداء من الليل ما يهجعون أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) أي رعا مدوا عبادتهم إلى وقت السحر ثم أخذوا في الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى بضى الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

فصل هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تاويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الإيمان به وتنزيهه الرب تبارك وتعالى عن صفات الأجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الأجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الإلهية وقر بهما من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة والالطف وتخصيصه بالثلث الأخير من الليل لأن ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة إلى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات

قليل من الليل ما يهجعون) ينامون وما من زيادة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون في الأرض طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجعوا فبرفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو في كانوا لا قليلا لأنه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أي كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون مانافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لأن مانافية لا يعمل ما بعدهما فيما قبلها لا تقول زيد ما مضى بت (وبالاسحار هم يستغفرون) وصفهم بأنهم يحبون الليل متعبدين فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليالهم الجرائم والسحر السدس الأخير من الليل

(وفي أموالهم حق للسائل) لمن يسأل حاجته (والمحروم) أي الذي يتعرض ولا يسأل حياء (وفي الأرض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبره حيث هي مدحوة كالسباط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلين فيها وهي مجزأة فن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذبة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفضنة ودواب منبثة مختلفة الصور والأشكال متباينة الهيئات والأفعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كما رأوا آية عرفوا وجه تاملها فازدادوا إيقاناً على إيقانهم (وفي أنفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرو بدائع الخلق ما تعجرف فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وماركز فيها من العقول وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبيئات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع (١٩٥) والابصار والأطراف وسائر الجوارح

ونأتها لما خلقت له وما سوى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فإنه إذا جسامنها شيء جاء العجز وإذا استرخى أتاح الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل إن التقدير أفلا تبصرون في أنفسكم ضعيف لأنه يفضي إلى تقديم ما في حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفي السماء رزقكم) أي المطر لأنه سبب الأقوات وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وماتوا عدون) الجنة فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن مات رزقونه في الدنيا وما وعدونه في العقبى كله مقدور

والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والذينون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد في رواية وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله إلا أنت أولاه غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي أو قال دعاء استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه إذا انتبه وله صوت ﴿قوله عز وجل﴾ (وفي أموالهم حق) أي نصب قيل أنه ما يصلون به رجاء أو يقرون به ضيفاً أو يحملون به كلاً أو يعينون به محروماً وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل أنه الزكاة المفروضة (للسائل) أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من النية شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما ما المحروم الذي ليس له في فيء الإسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكناب وأظهر الأقوال أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وإنما يفتن له متيقظ (وفي الأرض آيات) أي عبر من البحار والجبال والأشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائه (وفي أنفسكم) أي آيات إذا كنتم نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً إلى أن تنفخ الروح وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطباع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الأدوات السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم (أفلا تبصرون) يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفي السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الرزاق (وماتوا عدون) يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والأرض أنه الحق) أي ما ذكر من الرزق وغيره (مثل ما أنكم تنطقون) أي بلا اله إلا الله

مكتوب في السماء (فورب السماء والأرض أنه الحق) الضمير يعود إلى الرزق أو إلى ماتوا عدون (مثل ما أنكم تنطقون) بالرفع كوفي غير حفص صفة للحق أي حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب أي أنه الحق حقاً مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحاً لضافته إلى غير متمكن وما من زيادة وعن الأصمعي أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود فقال من الرجل فقلت من بني أصم قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحراها وزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ثم قال وهل غيره هذا فقرأت فورب السماء والأرض أنه الحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقه بقوله حتى حلف قالها ثلاثاً خرجت معها نفسه

(هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرفه بالوحى واتظامها بما قبلها باعتبار أنه قال وفي الأرض آيات وقال في آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف إبراهيم) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه في الأصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عشر هم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حين أضافهم إبراهيم أولانهم كانوا في حسبانهم كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بأنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام إبراهيم لهم والافباضما راذ كر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام فهو مر فوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كانه قصد أن يحيمهم باحسن مما حيوه به أخذ

(١٩٦)

وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ومعناه انه لحق كما أنك تتكلم وقيل ان معناه في صدقه وجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم) يعنى هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا إبراهيم بالبشرى فاستمع لقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصصهم في سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتجليل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أنى شريح العدو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أى غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الأرض (فراغ) أى عدل ومال (الى أهله فجاء بجمل سمين) أى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال إبراهيم البقر فجاء بجمل (فقر به اليهم) هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعى اليه فلما لم يأكلوا (قال ألاتأكلون) يعنى انه ختمهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير أن يأمرهم (فأوجس) أى فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لا تخف وبشره بغلام عليم) أى يباغ ويعلم وقيل عليم أى نبى (فاقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذه (فى صرة) أى فى صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيئا (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تهجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيئا (وقالت عجوز عقيم) معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك أنك ستدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان إبراهيم عاينه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أى فاشأنكم وما طلبكم (أبها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (انرسل عليهم بخبرة من طين) قيل هو

منكرون) أى أنتم قوم منكرون فعرفوني من أتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف ان يخفى أمره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه وكان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر (جاء بجمل سمين فقر به اليهم) لئلا يكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألاتأكلون) أنكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليه (فأوجس) فاضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لا يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انارسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بامه (وبشره بغلام

الاجر

عليم) أى يباغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فاقبلت امرأته فى صرة) فى صيحة من

صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة وقيل فاخذت فى صياح وصرتها قولا يا ويلتا (فصكت وجهها) فلطمت يديها وقيل فضررت باطراف أصابعها وجهها ففعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال فى موضع آخر ألد وأنا عجوز وهذا على شيئا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (انه هو الحكيم) فى فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بأمر الله رسلا فى بعض الامور (قال فما خطبكم) أى فاشأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أبها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أولا مر آخر أولها (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (انرسل عليهم بخبرة من طين) أريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابه الحجارة

(مسومة) معاملة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عند ربك) في ملكه وسلطانه (للمسرفين) سباهم مسرفين كما سباهم عادي أي لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما أصبح لهم (فاخرجنا من كان فيها) في القرية ولم يجز طأذ كر لكونها معلومة (من المؤمنين) يعني لوطا ومن آمن به (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أي غير أهل بيت وفيه دليل على أن الإيمان والاسلام واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) في قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هي ماء أسود متين (وفي موسى) معطوف على وفي الأرض آيات أو على قوله وتركنا فيها به على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علقها تبنا وماء باردا (إذا أرسلناه إلى فرعون بساطان مبين) بحجة ظاهرة وهي اليد والعصا (فتولى) فاعرض عن الإيمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن (١٩٧) إليه الانسان من مال وجند (وقال

ساحر) أي هو ساحر (أو) مجنون فاخذناه وجنوده فنبتناهم في اليم وهو مليم) أي بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه (وفي عاد اذا أرسلنا عليهم الرج العقيم) هي التي لا خير فيها من انشاء مطر والقاح شجر وهي ربح الهلاك واختلف فيها والظاهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور (مانذر من شيء أنت عليه) الاجلته كالريم) هو كل

الآجر (مسومة) أي معاملة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معاملة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فاخرجنا من كان فيها) أي في قري قوم لوط (من المؤمنين) فما وجدنا فيها غير بيت (أي أهل بيت) من المسلمين يعني لوطا وابتنيهم وصفهم الله تعالى بالإيمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام أعم من الإيمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما (وتركنا فيها) أي في مدينة قوم لوط (آية) أي عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والماءني تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على أن الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم (قوله عز وجل) (وفي موسى) أي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة (إذا أرسلناه إلى فرعون بساطان مبين) أي بحجة ظاهرة (فتولى) أي أعرض عن الإيمان (بركنه) أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر أو مجنون فاخذناه وجنوده فنبتناهم في اليم) أي فاغر قناهم في البحر (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفي عاد) أي وفي اهلك عاد أيضا آية وعبرة (إذا أرسلنا عليهم الرج العقيم) يعني التي لا خير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (مانذر من شيء أنت عليه) أي من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم (الاجلته كالريم) أي كالثي الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الأرض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم اذا بلى (وفي ثمود اذا قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعني إلى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فمتعوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن طاعة ربهم (فاخذتهم الصاعقة) أي بعد مضي ثلاثة أيام من بعد عقور الناقة وهي الموت في قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أي يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) أي فاقاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك السرعة (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله (وقوم نوح) قري بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقري بنصبها ومعناه وأغر قنا قوم نوح (من قبل) أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسما بينناها بابد) أي بقوة وقدرة (وانا الموسعون) قيل هو من السعة أي أوسعنا السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من الهواء والقضاء بالنسبة إلى سعة السماء كالخلة الملقاة في القلاة (وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه

ما رم أي بلى ونفقت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ما ترك من شيء هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم الا أهلكته (وفي ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فمتعوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصاعقة على وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فما استطاعوا من قيام) أي هرب أو هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلاتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقاتلة (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذ كر قوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلى وحزة أي وفي قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفي قوم نوح (من قبل) هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسما) نصب بفعل يفسره (بينناها بابد) بقوة والابد القوة (وانا الموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الانفاق

أولوسعون ما بين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطانها ومهدناها وهي منصوبة بفعل مضمر أى فرشنا الارض فرشناها (فنعلم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكر وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبحر والبر والموت والحياة فعدد أشياء وأشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (اعلمكم نذركون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الأزواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبده (ففرروا الى الله) أى من الشرك الى الإيمان بالله أو من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين) ولا تجعلوا مع الله الها آخر (انى لكم منه نذير مبين) والتسكير للتوكيد والاطاله في الوعيد أبلغ (كذلك) الامر (١٩٨) مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنوناً ثم

لموسعون أى الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا ذو السعة والغنى (والارض فرشناها) أى بسطانها ومهدناها لكم (فنعلم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكور والانثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض (لعلكم تذكرون) أى فتعلموا أن خالق الأزواج فرد لا نظير له ولا شريك معه (ففرروا الى الله) أى قل يا محمد ففرروا الى الله أى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالإيمان والطاعة له وقال ابن عباس ففرروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففرروا عما سوى الله الى الله (انى لكم منه نذير) أى مخوف (مبين) أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) أى وحدوه ولا تشركوا به شيئاً (انى لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع الامع العمل كما أن العمل لا ينفع الامع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتى الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (من رسول) يعنى يدعوهم الى الإيمان والطاعة (الاقالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتواصوا به) أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضاً بالكذب وتواطؤوا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) أى أعرض عنهم (فما أنت بلوم) أى لا لوم عليك فقد أدبت الرسالة وبذات المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية خزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر إذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فانزل الله عز وجل (وذكر) فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظم بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل معناه عظم بالقرآن من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم ﴿ قوله عز وجل (وما خلقت الجن والانس) أى من المؤمنين (الايعبدون) قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا يعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا المعصية وهو ما جيلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال علي بن أبى طالب الا يعبدون أى الا أمرهم أن يعبدوني وادعوهم الى عبادتي وقيل معناه الا يعرفوني وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف عملهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) العباداة ان حلت على حقيقة فلا تكون الآية عامة بل المراد وجوده

فسر ما أجل بقوله (ما أتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) رموهم بالسحراً والجنون لجهلهم (أتواصوا به) الضمير لقول أى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعاً متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عناداً (فما أنت بلوم) عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة (وذكر) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بان تزيد فى

بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم فاذ لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال واقدراً لجهنم كثير من الجن والانس وقيل الا أمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الا ليكونوا عباداً الى والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحده فى الآخرة لما عرف أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنة الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين نعم قد أشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد أقل من يوم ومن اشترى غلاماً وقال ما اشترىته الا لكاتباً

كان صادقاً في قوله ما اشترى به الاله كتابه وان استعمله في يوم من عمره لم عمل آخر (ماأر يد منهم من رزق) ما خلقهم ليرزقوا أنفسهم أو واحداً من عبادي (وماأر يد أن يطعمون) قال ثعلب ان يطعموا عبادي وهي اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من أكرم مؤمناً فقد أكرمني ومن آذى مؤمناً فقد آذاني (ان الله هو الرزاق) (١٩٩) ذو القوة المتين) الشديد القوة والمتين بالرفع

صفة لذو ورقراً الاعمش
بالجر صفة للقوة على تأويل
الاقتدار (فان للذين
ظلموا) رسول الله بالكذب
من أهل مكة (ذنوباً مثل
ذنوب أصحابهم) نصيباً من
عذاب الله مثل نصيب
أصحابهم ونظرهم من
القرون المهاجرة قال الزجاج
الذنوب في اللغة النصيب
(فلا يستعجلون) نزول
العذاب وهذا جواب للنضر
وأصحابه حين استعجلوا
العذاب (فويل للذين
كفروا من يومهم الذين
يوعدون) أي من يوم
القيامة وقيل من يوم بدر
ليعبدوني أن يطعموني
فلا يستعجلوني بالياء في
الحالين يعقوب وافقه سهل
في الوصل الباقيون بغير ياء
والله أعلم
﴿سورة الطور مكية وهي
تسع وأربعون آية﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(والطور) هو الجبل الذي
كلم الله عليه موسى وهو
بمدين (وكتاب مسطور)
هو القرآن ونكر لانه كتاب
مخصوص من بين سائر
الكتب أو اللوح المحفوظ
أو التوراة (في رق) هو

وجوده وتوحيده وقيل معناه الاله خضعوا لي ويتدللوا لان معنى العبادة في اللغة التذل والالتحاق وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متدلل للمشيئة لا يملك أحد لنفسه خيراً وجاعلاً خالق له وقيل معناه الاله وحده في فاما المؤمن فيوحده اختياراً في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطراراً في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ماأر يد منهم من رزق) أي ماأر يد أن يرزقوا أحد من خلقي ولأن يرزقوا أنفسهم لاني أنا الرزاق المتكفل لعبادي بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وماأر يد أن يطعمون) أي أن يطعموا أحد من خلقي وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عياله أحد فقد أطعمه لما صح من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أتعلمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده أتعلمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف استطعمتك وأنت رب العالمين قال أتعلمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أتعلمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيتك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أتعلمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي أخرجه مسلم ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (ان الله هو الرزاق) أي لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعني هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة التي لا يلحقه في أفعاله مشقة (فان للذين ظلموا) أي من أهل مكة (ذنوباً) أي نصيباً من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أي مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) أي بالعذاب لانهم أخرؤا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الطور﴾

(مكية وهي تسع وأربعون آية وثلاثمائة واثنان عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والطور)﴾ أراه الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) أي مكتوب (في رق) يعني الاديم الذي يكتب فيه المصحف (منشور) أي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظه يخرج اليهم يوم القيامة منشوراً فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن (والبيت المعمور) يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش يحيط الكعبة يقال له الصراح حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من افراد مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وفي رواية أخرى قال فاتميت الى بناء فقات للملك ما هذا قال بناء بناء الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون يسبحون الله ويقدسونه وفي افراد البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك (والسقف المرفوع) يعني السماء (والبحر المسجور) يعني الموقد المحمي بمنزلة التنوير

الصحيفة أو الجاد الذي يكتب فيه (منشور) مفتوح لا ختم عليه أو لا تح (والبيت المعمور) أي الصراح وهو بيت في السماء يحيط الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه أبداً وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) أي السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد أو الواو الأولى للقسم والهواقي للعطف

وجواب القسم (ان عذاب ربك) أي الذي أوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير بن معيط أنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكامه في الاسارى فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفاً من أن ينزل العذاب (ماله من دافع) لا يمنع مانع والجملة صفة لواقع أي واقع غير مدفوع والعامل في يوم لواقع أي يقع في ذلك اليوم أو ذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) في الهواء كالسحاب تصير هباء منشورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون) غلب الخوض في الاندفاع في الباطل (٢٠٠) والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم

دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلقون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (أفسح هذا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسح هذا يريد أهدا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني أم أنتم عمي عن الخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقرير وتهكم (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) خبر سواء محذوف أي سواء عليكم الامر ان الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم

المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركب رجل البحر الا غايا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحر او قيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالمح والروى عن علي أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع السموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يطير العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبئون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعني انه لحق وكائن ونازل بالمشركون في الآخرة (ماله من دافع) أي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لا كام رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فدفعته له وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعتة يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبي حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفاً من نزول العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين أنه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) أي تدور كدور الرحى وتتسكفا بأهلها تكفو السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) أي نزول عن أما كنها وتصير هباء منشورا والحكمة في مورا السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) أي شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) أي يوم القيامة (الذين هم في خوض) أي يخوضون في الباطل (يلعبون) أي غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) أي يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعني دفعاً بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلقون أيدي الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا في أقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا ذنوبهم قال لهم خزنتها (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي في الدنيا (أفسح هذا) وذلك انهم كانوا يذهبون محمد صلى الله عليه وسلم الى السحر وأنه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسح هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أي قاسوا شدتها (فاصبروا) أي على العذاب (أو لا تصبروا) أي عليه (سواء عليكم) أي الصبر والجزع (انما تجزون ما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى (ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين) أي مجيبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أي من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أي يقال لهم كلوا (واشربوا هنيا) أي مأمون العاقبة من التخممة والسقم (بما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر

تعملون) لان الصبر انما يكون له منزلة على الجزع لنتفعه في العاقبة بان يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر مصفوفة

على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا منزلة له على الجزع (ان المتقين في جنات) في أية جنات (ونعيم) أي وأي نعيم بمعنى الكمال في الصفة أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير في الظرف والظرف خبر أي متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على في جنات أي ان المتقين استقروا في جنات ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) أو الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كلوا واشربوا هنيا) أي كنتم تعملون) أو كلوا واشربوا هنيا أو طعاما وشرابا هنيا وهو الذي لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير في كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرير

(مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسنها (والذين آمنوا) مبتدأ وألحقنا بهم خبره (واتبعناهم أبو عمرو) (ذريتهم) أولادهم (بايمان) حال من الفاعل (ألحقناهم ذريتهم) أى نلحق الأولاد بايمانهم وأعمالهم درجات الآباء وان قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما نلقنوا منهم تقليد افهم يلحقون بالآباء (١) ذريتهم ذرياتهم مدني ذريتهم أبو عمرو وذرياتهم ذريتهم شامي (وما ألتناهم من عملهم من شيء وما) نقصناهم من ثواب عملهم من شيء ألتناهم مكى الت يالت يالت لغتان من الاولى متعاقبة (٢٠١) ألتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين)

أى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وأمددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت) بقا كهيئة اللحم مما يشتهون) وان لم يقترحوا (يتنازعون فيها كأسا) خيرا يتعاطون ويتعاورون هم وجلساءهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لأغوف فيها) في شربها (ولأنائم) أى لا يجرى بينهم ما يلغى معنى لا يجرى بينهم باطل ولا مافيه أتم لوفعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشم ونحوهما كشاربي خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيستكلمون بالحكم والكلام الحسن لأغوف فيها ولأنائم مكى وبصرى (ويطوف عليهم غلمان لهم) ما لوكون لهم مخصوصون بهم (كانهم من بياضهم وصفاءهم) (لؤلؤم كنون) فى الصدف لانه رطباً أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا

مصفوفة) أى موضوع بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان) يعنى ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعاً لآبائه (ذريتهم) (ألحقناهم ذريتهم) يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكريماً لآبائهم لتقرر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفى رواية أخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم يعنى البالغين بايمان ألحقناهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم أخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا اليه فدخلهم الجنة بفضلهم و يلحقهم بدرجة بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئاً وذلك قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم من شيء) يعنى وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيئاً عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقرر بهم عيناه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان ألحقناهم ذريتهم إلى آخر الآية عن على قال سألت خديجة النبی صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار فلما رأى الكراهة فى وجهها قال لورايت مكانهما لا بغضتهما قالت يا رسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ النبی صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان ألحقناهم ذريتهم أخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى (كل امرئ) أى كافر (بما كسب) أى عمل من الشرك (رهين) أى مرتين بعمله فى النار والمؤمن لا يكون مرتين بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بقا كهيئة) يعنى زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أى من أنواع اللحوم (يتنازعون) أى يتعاطون ويتناولون (فيها) أى فى الجنة (كأسا لأغوف فيها) أى لا باطل فيها ولا رقت ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولأنائم) أى لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجرى بينهم ما فيه لغو وانهم كما يجرى بين شربة الخمر فى الدنيا وقيل لا يأتون فى شربها (ويطوف عليهم) أى للخدمة (غلمان لهم كانوا) أى فى الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤم كنون) أى مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبى الله هذا الخادم فكيف المخدم قال فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعنى يسأل بعضهم بعضاً فى الجنة قال ابن عباس يتذاكرون مافيه من الخوف والتعب فى الدنيا (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا) أى فى الدنيا (مشفقين) أى خائفين من العذاب (فن الله علينا) أى

(٢٦ - (خازن) - رابع) السمين الغالى القيمة فى الحديث ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه إلف بيباه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله أو خائفين من نزع الايمان وفوت الامان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيئات (فن الله علينا) بالمغفرة والرحمة (١) قوله ذريتهم ذريتهم مدني الخ كذا بالاصل وفى الخطيب وقرأ ذريتهم بايمان وألحقناهم ذريتهم نافع بالقصر فى الاولى والجمع فى الثانية مع كسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيه مامع ضم التاء وقرأ أبو عمرو بالجمع فيه مامع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيه مالا أنه يرفع التاء فى الاولى ويكسر هاء فى الثانية اه تأمل اه مصحح

(ووقانا عذاب السموم) هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذي اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب أنه بالفتح مدني وعلى أي بانه أولانه (فذكر) فأنبت على تذكير الناس وموعظتهم (فأنت بنعمت ربك) برحمة ربك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملة بسا بنعمت ربك (أم يقولون) هو (شاعر نتر بص به) (٢٠٢) ريب المنون حوادث الدهر أي نتظر نواب الزمان فيهلك كما هلك من

بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (انا كنا من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم به جميع خلقه (الرحيم) بعبده ﴿ قوله عز وجل (فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فأنت بنعمت ربك) أي برحمة وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحى والمعنى أنك لست كما يقول كفار مكة أنه كاهن أو مجنون انما تنطق بالوحى نزلت في الذين اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والمجنون (أم يقولون) يعني هؤلاء المقتسمين (شاعر) أي هو شاعر (نتر بص به) أي نتظر به (ريب المنون) يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سمي بذلك لانهما يقطعان الاجل (قل تر بصوا) أي انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتر بصين) أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي (أم تأمرهم أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تفرهم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون) أي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر (أم يقولون تقوله) أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أي بالقرآن استكبارهم ألزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه (ان كانوا صادقين) يعني أن محمد اتقوله من قبل نفسه (أم خلقوا من غير شيء) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) أي لا أنفسهم وذلك في البطلان أشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحده وليعبدوه وقيل في معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أي لا أنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والارض) يعني ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون) أي بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) أي المسلمون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون ما يشاؤون (أم لهم سلم) يعني صرقي ومصعد

قبله من الشعراء زهير والنابعة وأم في أوائل هذه الآية منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تر بصوا فاني معكم من المتر بصين) أنتر بص هلاككم كما نتر بصون هلاكي (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى الأحلام مجاز (أم يقولون تقوله) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل) رد عليهم أي ليس الامر كما زعموا (لا يؤمنون) فكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمقول لجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب (فليأتوا بحديث) مخلق (مثله) مثل القرآن (ان

كانوا صادقين) في أن محمد اتقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (أم خلقوا) أم أحد ثوا وقدروا الى التقدير الذي عليه فطرتهم (من غير شيء) من غير مقدر (أم هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا من أجل لاشئ من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأمرون (أم خلقوا السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل لا يوقنون) أي لا يتدبرون في الآيات فيعلموا خالق السموات والارض (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخسوا من شاؤا بما شاؤا (أم هم المسيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر البر بولاية وينوا الامور على مشيئتهم وبالسين مكى وشامى (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به الى السماء

(يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كان من تقدم هلا كه على هلا كههم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أى عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أم له البنات ولكم البنون) ثم سفا حلامهم حيث اختاروا الله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أم تسألهم أجرا) على التبليغ والانداز (فهم من مغرم مثقلون) الغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك (٢٠٣) في اتباعك (أم عندهم الغيب)

أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعت وان بعثنا لم نعتب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله والمؤمنين (قال الذين كفروا) إشارة اليهم وأريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحقق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايده فكدته (أم لهم اله غير الله) بمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون) وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب (مر كرم) قدرهم حتى يلاقوا (يومهم الذى فيه يصعقون) أى يموتون ويهلكون (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) أى لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ومنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) أى كفر وا (عذابا دون ذلك) أى عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أى الى أن يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم به (فانك باعيننا) أى بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا زدك بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله بالليل من حين تقوم من الفراش الى أن تدخل فى الصلاة وعن عاصم بن حيد قال سألت عائشة باى شئ كان يفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شئ ما سألتني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرة اوجده الله عشرة وسبح عشرة وهلل عشرة واستغفر عشرة وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روى عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذى

الى السماء (يستمعون فيه) أى يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) أى ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) أى بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا الله ما يكرهون لانفسهم (أم تسألهم أجرا) أى جعلنا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعنى أثقلهم ذلك المغرم الذى سألتهم فنعهم عن الاسلام (أم عندهم الغيب) أى علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتر بص به ريب المنون والمعنى أعلموا ان محمد أيموت قبلهم (فهم يكتبون) أى يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) أى مكر أبك إيهل كوك (قال الذين كفروا هم المكيدون) أى المجربون بكيدهم والمعنى أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحقق مكرهم بهم وهو أنهم مكروا به فى دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (أم لهم اله غير الله) يعنى يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى انه نزه نفسه عما يقولون وقوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مر كرم) أى بعضه على بعض يسقينا (قدرهم حتى يلاقوا) أى يعاينوا (يومهم الذى فيه يصعقون) أى يموتون ويهلكون (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) أى لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ومنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) أى كفر وا (عذابا دون ذلك) أى عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أى الى أن يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم به (فانك باعيننا) أى بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا زدك بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله بالليل من حين تقوم من الفراش الى أن تدخل فى الصلاة وعن عاصم بن حيد قال سألت عائشة باى شئ كان يفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شئ ما سألتني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرة اوجده الله عشرة وسبح عشرة وهلل عشرة واستغفر عشرة وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روى عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذى

وشامى الباقر بفتح الياء يقال صعه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعقة (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) وان هؤلاء الظامة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر الى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فانك باعيننا) أى بحيث نراك ونكلك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة لا ترى الى قوله ولتصنع على عيني (وسبح بحمد ربك حين تقوم)

للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانه الله وبمحمدك أو من أي مكان وقت أو من منامك (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وأدبار زيد أي في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحانه الله وبمحمد في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق (سورة النجم اثنتان وستون آية مكية) ﴿بسم الله﴾ (٢٠٤) الرحمن الرحيم ﴿والنجم﴾ أقسم بالثر يا أوبجنس النجوم (إذا هوى) إذا غرب أو

انتربوم القيامة وجواب القسم (ماض) عن قصد الحق (صاحبكم) أي محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وما هوى) في اتباع الباطل وقيل الضلال نقبض الهوى والتي نقبض الرشداً أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والتي (وما ينطق عن الهوى) ان هو الاوحى يوحى وما أتاكم به من القرآن ليس ينطق بصدر عن هواه ورأيه انما هو وحى من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام وبجواب الله تعالى اذا سمعوا غلهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى (علمه) علم محمد عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع

وأبو داود وقد تكلم في أحاديثه وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء (وإدبار النجوم) يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح (ق) عن جابر بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله تعالى أعلم بما رآه واسم كتابه

﴿تفسير سورة النجم﴾

﴿وهي مكية وهي اثنتان وستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس يعني الثريا إذا سقطت وغابت والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم إذا طلع النجم عشاءً ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء الارتفاع أراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهو ما غر وبها فاعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمي نجماً لانه نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضاً وقيل النجم هو النبات الذي لا ساق له وهو به سقوطه اذا يبس على الأرض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو به نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ماض صاحبكم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم ماض عن طريق الهدى (وما هوى) أي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والتي ان الضلال هو أن لا يجد السالك الى مقصده طريقاً أصلاً والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيماً وقيل ان الضلال أكثر استعمالاً من الغواية (وما ينطق عن الهوى) أي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمد يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) أي ما هو يعني القرآن وقيل نطقه في الدين (الوحى) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعني جبريل علم محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قري قوم لوط وجعلها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة ثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (ذومرة) أي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعني محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل أيضاً أي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة آدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم

قري قوم لوط من الماء الاسود وجعلها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة ثمود

فاصبحوا جاثمين (ذومرة) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كما هبط بالوحى وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فلا الافق وقيل ما رآه أحد من الانبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء (وهو) أي جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) مطلع الشمس

(ثم دنى) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد في القرب والتدلى (٢٠٥) هو النزول بقرب الشيء (فكان

أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء فاما التي في الأرض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة آدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى وأما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن اجدع قال قلت لعائشة ما بين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان ياتيه في صورة الرجل وانه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق أخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبیش في قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد في رواية أخرى رأى جبريل في صورته أخرجه مسلم والبخارى في قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الأرض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس بالتدلى هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفي رواية شريك قدم وأخروا زاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فأخبرانه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب وأصله ان الخليفين من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفاء والعهد بينهما خر جاب قوسيهما فالصقا بينهما يريان بذلك انهما متظاهران بحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس أو أدنى بل أقرب (فأوحى) أى فأوحى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ما أوحى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبيرة أوحى اليه ألم يجدك يتيماً فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ﷺ قوله عز وجل (ما كذب الفؤاد) قرئ بالتشديد أى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم (مارأى) أى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف أى ما كذب فؤاد محمد الذي رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا في الذي رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن

قاب قوسين) مقدار قوسين عريتين وقد جاء التقدير بالقوس والرح والسوط والذراع والباع ومنه لا صلاة ولا كلام الى أن ترتفع الشمس مقدار رحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قدمه خير من الدنيا وما فيها والقدر السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قدر به مثله لقاب قوسين خذفت المضافات (أو أدنى) أى على تقدير كم كقوله أو يزيدون هذا لانهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فأوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجز لاسمه ذكر لانه لا يلتبس كقوله مائرك على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحى الذي أوحى اليه قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد (مارأى) مارآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان مارآه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه

(أفتجادونه) أفتجادلوه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه أفتمرونه حجة وعلى وخلف ويعقوب أفتغلبونه (٢٠٦) في المراء من ماريته فريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدي

بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه اذا تجددته وتعديته بعلى لا تصح الاعلى مذهب التضمين (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعل اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عند سدره المنتهى) الجمهور على انها شجرة تنبثق في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليه ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يصبروا اليها المتقون وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدره ما يغشى) أى رآه اذ يغشى السدره ما يغشى وهو تعظيم وتكبير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجسم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراس الذهب

مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلعة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمد بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذى باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أمه هل رأى محمد ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولا تكنه رأى جبريل في صورته مرتين أخرجاه في الصحيحين (م) عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نورأى أراه (قوله عز وجل) (أفتجادونه على ما يرى) يعنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين أسرى به وقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن غيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدا لا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعنى رأى جبريل في صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك انه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدره المنتهى (م) عن أبى هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل في بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه (عند سدره المنتهى) (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدره المنتهى وهى في السماء السادسة واليه ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليه ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدره ما يغشى قال فرأى من ذهب وفي رواية الترمذى اليها ينتهى علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعدنى الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدره المنتهى فاذا نبقتها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدره المنتهى وفي أفراد مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكره الى ان قال فيه ثم ذهب بنا الى سدره المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيتها من نور الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدره المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدره في أصل العرش على رؤس حلة العرش واليه ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وعن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدره المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الفتن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراس الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذى وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والخلل والثمار من جميع الالوان ولوان ورقة وضعت منها في الارض لاضاءت لاهل الارض وهى شجرة طوبى التى ذكرها الله في سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوى اليها جبريل والملائكة وقيل يأوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدره ما يغشى) قال ابن مسعود فرأى من ذهب وقيل يغشاها ملائكة أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيتها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة و يروى في الحديث قال رأيت على ما يغشى وهو تعظيم وتكبير

كل لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجسم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراس الذهب

كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عز وجل (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة عينا وشمالا ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شئ سوى ما أمر به وفي معنى الآية ان قلنا ان الذى يغشى السدرة فراش من ذهب أى لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذى يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه بمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثانى ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشى عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذى تحارف فيه العقول ونزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله تعالى (ولقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرقا خضر سدأفق السماء

(ما زاغ البصر) بصر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما عدل عن
رؤية الحجاب التى أمر
برؤيتها ومكن منها (وما
طغى) وما جاوز ما أمر
برؤيته (لقد رأى) والله
لقد رأى (من آيات ربه
الكبرى) الآيات التى هى
كبرها وعظماها يعنى حين
رأى به الى السماء فأرى
محجائب الملكوت

فصل من كلام الشيخ محي الدين النواوى في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء قال القاضي عياض اختلاف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن أبى هريرة وجاعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبى ذر وكعب والحسن وكان يخاف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى اياه دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلغوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كان ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الأشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعز بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلغوا في قوله ثم دنأ فتدلى فالأكثر على أن هذا الدنو والتدلى منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم أو مختص باحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حمله ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقر به منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محي الدين وأما صاحب التحري فإنه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لا تنفسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أنجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يخلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث

(أفرايم اللات والعزى)

ابن عباس جبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في العضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وارسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وإنما ذكر ما ذكر متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بآيات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا با علم من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير في اثبات الرؤية قال الشيخ محي الدين فالخاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الاسراء الحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً الاية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة الوجه الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحى الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملاً لكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الاطهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحياً وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجاباً يفصل موضعاً عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم يراهم المتكلم وقول عائشة في أول الحديث لقد قف شعري فعناه قام شعري من الفرع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند انكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر نوراً أتى أراه فهو بتكوين نور وبفتح الهمزة في أتى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجاب نور فكيف أراه قال الماوردي الضمير في أراه عائدة على الله تعالى والمعنى أن النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حلت بين الراي وبينه وفي رواية رأيت نوراً معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفي رواية ذاته نوراً أتى أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نوراً اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (أفرايم اللات والعزى) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قرية يشعبدونها وقرى اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان اللات رجلاً يلبس السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في رأس جبل له غنيمة يسلا منها السمن و يأخذ منها لاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيساً فيطعم الحاج وكان يبطن نخلة فلما مات عبدوه وهو

ومناة الثالثة) أي أخبرونا عن هذه الأشياء التي تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدر والعظمة التي وصف بهارب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبد بها قريش وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلبون عليها ويكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها ثابت الاعز (٢٠٩) وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة

كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النساء كانت تسمى عندها أي تراق ومناة مكي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركاتها (الآخرى) هي صفة ذم أي المتأخرة الوضعية المقدار وقالت كقوله وقالت أخراهم لا ولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم لللات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لمن فقيل لهم (الكم الذ كرو له الانتي تلك اذا قسمة ضيزى) أي جعلكم الله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أي جائزة من ضازره يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى اذا فعلى في النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حروسود ضزى بالهمز مكي مثل ضازره مثل ضازره (ان هي)

اللات وقيل كان رجلا من سقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسأل السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلبث به أسواقهم فلما مات الرجل حوانها ثقيف إلى منازل طائفت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضر بها بالفأس ويقول يا عز كفرانك لا سبج حانك * اني رأيت الله قد أهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالد ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعناها فقال ما رأيت شيئا فقال ما قطعت فعاودها معه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهم فرجع إلى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليست لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فأتنا من نأقأل أنا أنصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا والذي أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار وأسندها إلى شجرة وقال هذار بكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاثة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف وقوله (ومناة) قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حدوقديد وقيل هي بيت بالمسالم كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة اذ هي الثالثة في الذ كروا ما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآي كقوله ما رب أخرى ولم يقل آخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمي والعزى شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جاد وهي في آخر مراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رايتوها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذ كرو له الانتي وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانتي كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (الكم الذ كرو له الانتي تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس أي قسمة جائزة حيث جعلتم لكم ما نكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هي) أي ما هذه الاصنام (الاسماء سميتوهما انتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتوهما آلهة وابست بأله حقيقة ولا عبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة (ما أنزل الله بهامن سلطان) أي حجة بما تقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) أي في قولهم انها آلهة (وما نهوى الانفس) يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمقتضى هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الاصنام

(٢٧ - (خازن) - رابع) ما الاصنام (الاسماء) ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لها هو بعد شيء منها واشد منافاة لها (سميتوهما) أي سميتن بها يقال سميتهم سميتهم (أتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان) حجة (ان يتبعون الا الظن) لانوهم ان ما هم عليه حق (وما نهوى الانفس) وما تشتهيه انفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول

والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أم للانسان ماعنى) هى أم المقطعة ومعنى الهزمة فيها الانكار أى ليس للانسان يعنى الكافر ماعنى من شفاعته الاصنام أو من قوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى وقيل وهو معنى بعضهم أن يكون هو النبي (فلة الآخرة والاولى) أى هو مالكمهما وله الحكم فيهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لامن تمنى (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يعنى أن أمر الشفاعه ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعه لمن يشاء الشفاعه له ويرضاه ويراه أهلاً لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة أى كل واحد منهم) تسمية لاننى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سمو كل واحد منهم بنتاً وهى تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو تقليد الآباء (وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) أى انما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) فاعرض عمن رأيت معرضاً عن ذكر الله أى القرآن (ولم يرد الا الحيوه الدنيا) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله

ليست بأله وأن العباد لا تصلح الا لله الواحد القهار وقوله تعالى (أم للانسان ماعنى) معناه أظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهى من شفاعه الاصنام أى ليس الامر كما يظن ويتمنى (فلة الآخرة والاولى) أى لا يملك أحد فيهما شيئاً أبداً الا بذنه وقيل معناه أن الانسان اذا اختار معبوداً على ما تمناه واشتهاه فلة الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء في الدنيا والآخرة وان شاء أمهله الى الآخرة (وكم من ملك في السموات) أى ممن يعبدونهم هؤلاء و يرجون شفاعتهم عند الله (لا تغنى شفاعتهم شيئاً) يعنى ان الملائكة مع علمهم منزلتهم لا تغنى شفاعتهم شيئاً فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم أخبر ان الشفاعه لا تكون الا بذنه فقال تعالى (الامن بعد أن يأذن الله) أى فى الشفاعه (لمن يشاء ويرضى) أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وقيل الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعه لمن شاء الشفاعه له (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى الكفار الذين أنكروا البعث (ابسمون الملائكة تسمية الانثى) أى بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبة رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سمو كل واحد منهم بنتاً وهى تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أى بالله فيشركون به ويجعلون له ولداً وقيل ما يستيقنون أن الملائكة أناث (ان يتبعون الا الظن) أى فى تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) أى لا يقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحيوه الدنيا) يعنى انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يردوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم أن الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالفر يقين ويجازيهم باعمالهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناؤه وهو معترض بين الآيه الاولى وبين قوله (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) والمعنى اذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين أساءوا أى اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا) أى وحدوا ربهم (بالحسنى) يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملك كامل القدره فلذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل (الذين يحبون كبار الانم) قيل الانم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الانم جنس يشتمل على كبار وصغار وجميعه اثم والكبيره متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجميعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشه وهى ما عظم قبحه من الافعال والاقوال

شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعه لمن يشاء الشفاعه له ويرضاه ويراه أهلاً لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة أى كل واحد منهم) تسمية لاننى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سمو كل واحد منهم بنتاً وهى تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو تقليد الآباء (وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) أى انما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) فاعرض عمن رأيت معرضاً عن ذكر الله أى القرآن (ولم يرد الا الحيوه الدنيا) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله

وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو أعلم بالضال والمهتدى ومجازيهم ما (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وقيل ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالثوبه الحسنى وهى الجنة أو بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذا الماكوت ليجزى المحسن من المكافين والمسيء منهم اذا الملك أهل لنصر الاولياء وقهر الاعداء (الذين) بدل أو فى موضع رفع على المدح أى هم الذين (يحبون كبار الانم) أى الكبائر من الانم لان الانم جنس يشتمل على كبار وصغار والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها كبير حزمه وعلى أى النوع الكبير منه (والفواحش)

وقيل هي ماخس من الكبائر (الالهم) أي الاماقل وصغر من الذنوب وقيل هي مقارنة المعصية من قولك أملت بكذا اذا قاربت من غير موافقة واختلاف في معنى الآية فقل هذا استثناء صحيح والامم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا أن يلزم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص الامم ما دون الشرك وقال أبو صالح سنات عن قول الله عز وجل الا الامم فقط هو الرجل يلزم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال أعانك عاها ملك كريم عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جانا * وأي عبد لك لا ألما

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل الامم والامام ما يعمل به الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجاز له لكن الامم ولم يجعلوا الامم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقل هو ما ساف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامم يعملون معناه فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل الامم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمرة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة وسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه بالامم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل الامم على وجهين أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حد في الدنيا ولا عذاب في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلزم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم يترك على القلب أي خطر وقيل اللهم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بامم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل في بيان الكبيرة وخصائصها عن الصغيرة قال العلماء كبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك اظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ما سواهما من الزنا والواط وشرب الخمر وشهادة الزور وكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربو غير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عاها على هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبائر الكبائر بالنسبة الى مادونها وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى سبع مائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجاهل من السلف والخلف من جميع النوائف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الامة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروى عن ابن عباس أنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنارا أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن بن نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه بنار في الآخرة أو حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استنساخ خوف أو استعجاب ندم كالمتهاون في ارتكابها والمستجري

ماخس من الكبائر كانه
قال والفواحش منها خاصة
قيل الكبائر ما أورد عليه
النار والفواحش ما شرع
فيها الحد (الالهم) أي
الصغائر والاستثناء منقطع
لانه ليس من الكبائر
والفواحش وهو كالنظرة
والقبلة واللمسة والغمرة

واذا أنتم أجنة) جمع جنين
(في بطون أمهاتكم فلا
تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها
إلى زكاء العمل وزيادة
الخير والطاعات أو إلى الزكاة
والطهارة من المعاصي ولا
تنسبوا عليها واهضموها
فقد علم الله الزكي منكم
والتقي أولاً وآخر قبل أن
يخرجكم من صلب آدم عليه
السلام وقبل أن تخرجوا
من بطون أمهاتكم وقيل
كان ناس يعملون أعمالاً
حسنة ثم يقولون صلاتنا
وصيامنا وحجنا فزلت وهذا
إذا كان على سبيل الإعجاب
أو الرياء لا على سبيل
الاعتراف بالنعمة فإيه
جائز لأن المسرة بالطاعة
طاعة وذكرها شكر (هو
أعلم من اتقى) فآكتفوا
بعلمه عن علم الناس وبجزائه
عن ثناء الناس (أفرايت
الذي تولى) أعرض عن
الإيمان (وأعطى قليلاً
وأكدى) قطع عطيته
وأمسك وأصله كداء
الحافر وهو أن تلقاه كدية
وهي صلابة كالصخرة
فيمسك عن الحفر عن
ابن عباس رضي الله عنهما
فيمن كفر بعد الإيمان
وقيل في الوليد بن المغيرة
وكان قد اتبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فغيره

عليها اعتياداً فاشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة
التقوى ولا ينفك عن ندم يترج به تنغيص التلذذ بالعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز
الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد إذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فأعرض مفسدة
الذنب على مفسد الكبار والنصوص عليها فإن نقصت عن أقل مفسد الكبار فهمي من الصغار وإن
ساوت أدنى مفسد الكبار أو زادت عليه فهمي من الكبار فمن أمسك امرأة محصنة لم يزن بها وأمسك
مسلماناً يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من كل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكبار وكذلك لو
دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته فإن تسببه إلى هذه المفسدة أعظم من توليه
يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبار وكذلك لو كذب على إنسان كذبا يعلم أنه يقتل بسببه ولو كذب
على إنسان كذبا يعلم أنه يؤخذ منه ثمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبار وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح
في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبير وعظم عظم بحيث يصح معه أنه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيماً
على الإطلاق فهذا أحد الكبيرة وطأ أمارات منها الحد ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب
أو السنة ومنها ما وصف فاعلمها بالفسق أو يضاف إليها اللعن كلعن الله من غير منار الأرض ونحو ذلك والله
أعلم وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس إن فعل ذلك ثم تاب وأتاب وروى عن عمر بن
الخطاب وابن عباس قال لا كبيرة في الإسلام أي لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار ومعناه أن الكبيرة
أيضاً تحي بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار عليها وقيل في حد الإصرار هو أن يتكرر منه
الصغيرة تكراراً يشعر بقلة مبالاة به ذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى
(هو أعلم بكم) أي قبل أن يخلقكم وهو قوله (إذا أنشأكم من الأرض) أي خلق أباكم آدم من التراب (واذا أنتم
أجنة) جمع جنين (في بطون أمهاتكم) سمي جنيناً لاستناره في بطن أمه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن
عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم
فلا تبرؤهم من الآثام ولا تمدحون بحسن الأعمال وقيل في معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم
من أول خلقكم إلى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقة أنه أخير منك
أو أنا أزر كي منك أو أتق منك فإن العلم عند الله وفيه إشارة إلى وجوب خوف العاقبة فإن الله يعلم عاقبة
من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو أعلم من اتقى) أي بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل في معنى
الآية فلا تزكوا أنفسكم أي لا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها إلى الزكاة
والطهارة من المعاصي ولا تنسبوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولاً وآخر قبل أن يخرجكم
من صلب آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون أعمالاً حسنة
ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله هذه الآية ﴿ قوله من زوجل (أفرايت الذي تولى) نزلت في
الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فغيره بعض المشركين وقالوا أتركت دين
الأنبياء وضللت قال أنى خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه أن أعطاه كذا من ماله ورجع إلى الشرك إن
يتم له عنه عذاب الله فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى للذي عنبه بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه
فأنزل الله أفرايت الذي تولى أي أدبر وأعرض عن الإيمان (وأعطى) أي صاحبه الذي عنبه (قليلاً
وأكدى) أي بخل بالباقي وقيل أعطى قليلاً أي من الخير بلسانه وأكدى أي قطعه وأمسك ولم يعم بالعطية
وقيل نزلت في العاص بن سلمي وكان ربيما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور
وقيل نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بما كنا نعمل من الأخلاق فذلك قوله وأعطى قليلاً وأكدى

(أعنده علم الغيب فهو يرى) أهو يعلم أن ماضيه من عذاب الله حق (أم لم ينبأ) يخبر (بما في صحف موسى) أي التوراة (وابراهيم) أي وفي صحف ابراهيم (الذي وفي) أي وفروا ثم كقولهم فاتهم واطلاقه ليتناول كل وقاء وتوفية وقرى مخففا والتشديد مبالغة في الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشيء الا وفي به وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف (٢١٣) في النار وقال له جبريل ألك حاجة

فقال أما اليك فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفي عمله كل يوم أربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروى ألا أخبركم لمسمى الله خليله الذي وفي كان يقول اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهر ون وقيل وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة والتائبون وعشرة في الاغراب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما في صحف موسى و ابراهيم فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) تزر من وزر ينزرا اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وان تخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر وازرة ضمير الشأن ومحل ان وما بعدها الجر بدلا عما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى و ابراهيم ف قيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي سعيه وهذه أيضا ما في صحف ابراهيم وموسى أما

أي لم يؤمن به ومعنى الآية كدى أي قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي ما غاب عنه أي أن صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبأ) أي يخبر (بما في صحف موسى) يعني أسفار التوراة (وابراهيم) أي ويخبر بما في صحف ابراهيم (الذي وفي) أي أكمل وتم ما أمر به وقيل عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفي بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفي بما فرض عليه في سهام الاسلام وهو قوله واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتهم والتوفية الا تمام وقيل وفي شأن المناسك وروى البغوي بسنده عن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفي عمله كل يوم أربع ركعات أول النهار عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار كفك آخره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤخذ نفس بأثم غيرها وفي هذا البطل قول من ضمن للوليد ابن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبدته حتى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي عمل وهذا في صحف ابراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الانبياء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فإلها ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى عن ابن عباس ان امرأة رفعت صبيها لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمي توفيت أينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية أن سعد بن عبادَةَ أَخْبَنِي سَعْدُ وَكَرَّحُوهُ وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنَّ رَجُلًا قَالَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أُمِّي أَفْتَلَتَتْ نَفْسَهَا وَأُظْنِهَا لَو تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقْتُ فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ أَنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا قَالَ نَعَمْ أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ دَلِيلٌ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدُ وَجَاهِزٍ الْعَلَمَاءُ أَنَّ حُجَّجَ الصَّبِيِّ مِنْهُ قَدْ صَحِّحَ يَثَابُ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ لَا يَحْزُرُ بِهِ عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ بَلْ يَقَعُ تَطَوُّعًا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لَا يَصِحُّ حُجُّهُ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ تَمَرِينًا لِلْعِبَادَةِ وَفِي الْحَدِيثَيْنِ الْآخَرَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّدَقَةَ عَنِ الْمَيِّتِ تَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَيَصِلُهُ ثَوَابُهَا وَهُوَ أَجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ وَكَذَلِكَ أَجْمَعُوا عَلَى وَصُولِ الدُّعَاءِ وَقَضَاءِ الدِّينِ لِلنَّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ وَيَصِحُّ الْحُجُّ عَنِ الْمَيِّتِ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ وَكَذَلِكَ الْوَأُوصَى بِحُجِّ تَطَوُّعٍ عَلَى الْأَصَحِّ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الصُّومِ إِذَا مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ فَالْأَجْحُ جَوَازُهُ عَنْهُ لِلْحَادِثِ الصَّحِيحَةِ فِيهِ وَالْمَشْهُورِ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ لَا يَصِلُهُ ثَوَابُهَا وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَصِلُهُ ثَوَابُهَا بِهِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَأَمَّا الصَّلَوَاتُ وَسَائِرُ التَّطَوُّعَاتِ فَلَا يَصِلُهُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَالْجُمْهُورِ وَقَالَ أَحْمَدُ يَصِلُهُ ثَوَابُ الْجَمِيعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقِيلَ أَرَادَ بِالْإِنْسَانِ الْكَافِرَ وَالْمَعْنَى لَيْسَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا مَا عَمِلَ هُوَ فَيَثَابُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا بَابِ يَوْسَعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ وَيَعَاثُ فِي بَدَنِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ كَانَ أُعْطِيَ الْعَبَّاسُ قِيصًا أَلْبَسَهَا يَاهُ فَلَمَّا مَاتَ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيصَهُ لِيَكْفَنَ فِيهِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ يَثَابُ عَلَيْهَا وَقِيلَ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى هُوَ مِنْ بَابِ الْعَدْلِ فَامِنْ بَابِ الْفَضْلِ فَجَازٌ أَنْ يَزِيدَهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَّمَهُ (وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى)

ما صح في الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعى غيره لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعه له وقائما بقيامه ولان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (وان سعيه سوف يرى) أي يرى سعيه هو يوم القيامة في ميزانه

(ثم يحزاه) ثم يحزى العبد
سعيه يقال جزاه الله عمله
وجزاه على عمله بحذف
الجار وإصال الفعل ويجوز
أن يكون الضمير للجزاء
ثم فسر بقوله (الجزاء
الاولى) أو أبدله عنه
(وأن إلى ربك المنتهى)
هذا كله في الصحف الاولى
المنتهى مصدر بمعنى الانتهاء
أى ينتهى اليه الخلق
ويرجعون اليه كقوله وإلى
الله المصير (وأنه هو أضحك
وأبكى) خلق الضحك
والبكاء وقيل خلق الفرح
والحزن وقيل أضحك
المؤمنين فى العقبي بالمواهب
وابكاهم فى الدنيا بالنواب
(وأنه هو أمات وأحيى)
قيل أمات الآباء وأحيى
الابناء أو أمات بالكفر
وأحيى بالايمان أو أمات
هنا وأحيائه (وأنه خلق
الزوجين الذكور والانثى
من نطفة اذاتنى) اذا
تدفق فى الرحم يقال منى
وأمنى (وأن عليه النشأة
الآخري) الاحياء بعد
الموت (وأنه هو أغنى وأقنى)
وأعطى القنية وهى المال
نائلته وعزمت أن لا يخرج
من ذلك (وأنه هو رب
الشعري) هو كوكب
يطلع بعد الجوزاء فى شدة
الحر وكانت خزاغة تعبد
فأعلم الله انه رب عبودهم
هذا

أى يراه فى ميزانه يوم القيامة وفيه بشاره للمؤمن وذلك أن الله تعالى بر به أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن
الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غمها (ثم يحزاه) أى السعى (الجزاء الاولى) أى الانتم الاكمل والمعنى أن
الانسان يحزى جزاء سعيه الجزء الاولى قوله عز وجل (وأن إلى ربك المنتهى) أى اليه ينتهى الخلق
ومصيرهم اليه فى الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفى الخطاب بهذا وجهان أحدهما انه عام تقديره وأن
إلى ربك أيها السامع أو العاقل كائن من كان المنتهى فهو تهديد ببلوغ المسمى وحث شديد للمحسن
ليقع المسمى عن اساءته ويزداد المحسن فى احسانه الوجه الثانى أن الخطاب بهذا هو النبي صلى الله عليه
وسلم فعلى هذا فیه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لانحزن فإن إلى ربك المنتهى وقيل فى معنى الآية
منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى البغوى بإسناد الثعالبى عن أنس بن كعب عن النبي صلى الله عليه
وسلم فى قوله وأن إلى ربك المنتهى قال لا فكرة فى الرب وهذا مثل ما روى عن أنس بن كعب عن النبي صلى الله عليه
الخلق ولا تفكر وفى الخلق فإنه لا يحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة فى الرب أى انتهى الامر اليه لانك اذا
نظرت إلى سائر الموجودات الممكنة علمت أنه لا بد لها من موجد واذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد
انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحده انيته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو القادر
على ايجاد الضدين فى محل واحد الضحك والبكاء وفيه دليل على أن جميع ما يعملها الانسان فبقضاء الله وقدره
وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل أضحك أهل الجنة فى الجنة وأبكى أهل النار فى النار وقيل أضحك الارض
بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن
سمرة قال جالت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون
أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ورى بما تبسم معهم اذا ضحكوا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن
صحيح وفى رواية سهاك بن حرب فيضضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن
عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم أعظم من الجبل (ق)
عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلاً قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلاً ولبكيتم كثيراً فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولم يخين هو بالخاء المعجمة أى بكاء
مع صوت يخرج من الانف (وأنه هو أمات وأحيى) أى أمات فى الدنيا وأحيى للبعث وقيل أمات الآباء وأحيى
الابناء وقيل أمات الكافر بالنعرة وأحيى المؤمن بالمعرفة (وأنه خالق الزوجين الذكور والانثى) أى من
كل حيوان وهو أيضاً من جملة المتضادات التى تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكراً وبعضها أنثى وهذا
شئ لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وإنما هو بقدرته الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة (من نطفة اذاتنى)
أى نصب فى الرحم وقيل تقدر وفى هذا تنبيه على كمال قدرته لأن النطفة شئ واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة
وطبائع متباينة وخلق منها الذكور والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وأنه
هو خالق لأنه لم يدع أحداً ينجده نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كالم بقدر أحد أن يدعى خالق السموات والارض
(وأن عليه النشأة الآخري) أى الخلق الثانى بعد الموت للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أى أغنى
الناس بالاموال وأعطى القنية وهى أصول الاموال وما يدخر منه بعد الكفاية وقيل أغنى بالذهب والفضة
وهو منوف الاموال وما يدخر منه بعد الكفاية وأقنى بالابل والبقر والغنم وقيل أقنى أى اخدم وقال ابن
عباس أغنى وأقنى أى أعطى فارضى وقيل أغنى يعنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجاً الى شئ لأن الغنى ضد الفقر
وأقنى أى زاد فوق الغنى (وأنه هو رب الشعري) أى انه رب معبودهم وكانت خزاغة تعبد الشعري وأول من
من لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضاً والشعري
تقطعها طولاً فهى مخالفة لها فعبدوها وعبدتها خزاغة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف

(وأنه أهلك عاد الاون) هم قوم لوط وهود وعاد الاخرى ارم عاد لولى مدنى وبصرى غير سهل بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة الاولى ونقل ضمها الى لام التعريف (ونمود فى ابقى) حزة وعاصم الباقيون ونمودا وهوم عطف على عاد اولاً ينصب بفما ابقى لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لان قول زيد افضر بت وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله والمعنى وأهلك ثمود افماً بقاءهم (وقوم نوح) أى وأهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد و ثمود (انهم كانوا هم اظلم وأظنى) من عاد و ثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك

(٢١٥)

وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوامنه (والمؤتفكة) والقرى التى اتفكت باهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فأنفك (أهوى) أى رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض أى سقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فغشاها) ألبسها (ماغشى) تهويل وتعظيم لماصب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء بك) أيها المخاطب (تمارى) تشكك أى بما أولاك من النعم أو بما كفاك من النقم أو بأى نعم بك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هذانذير) أى محمد منذر (من المنذر) من المنذر (من الاولين) وقال الاول على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الاول أى انذار من جنس الانذارات الاول التى أنذر

العرب فى الدين سموه ابن أبى كبشة تشبهاً به فى خلافه إياهم كما خالفهم أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضئ مخلف الجوزاء ويسمى كاب الجبار أيضاً وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها أخفى من العبور والمجزة بينهما وأراد بالشعرى هذا العبور (وأنه أهلك عاد الاولى) وهم قوم هود أهل كواريج صرصرو وكان لهم عقب فكانوا عاد الاخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعنى أول الخلق هلا كما بعد قوم نوح (ونمود) وهم قوم صالح أهل كهم الله بالصيحة (فما ابقى) يعنى منهم أحداً (وقوم نوح من قبل) يعنى أهلك قوم نوح من قبل عاد و ثمود بالغرق (انهم كانوا هم اظلم وأظنى) يعنى لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتمكك كذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (أهوى) أى أسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم أهوى بها (فغشاها) أى ألبسها الله (ماغشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى آلاء بك تمارى) أى تشكك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تمارى أى تكذب (هذانذير) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من النذر الاول) أى رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليكم كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى مظهر ومبين متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالغافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها رد يعنى اذا غشيت الخلق أهواها وشدها لم يكشفها ولم يردعها عنهم أحد ﴿قوله تعالى﴾ (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) أى استهزاء (ولا تبكون) أى مما فيه من الوعيد (وأتم سامدون) أى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود فى اللغة رفع الرأس ماخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمعنى وقيل معناه أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعنى أيها المؤمنون شكراً على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض فى الصلاة (واعبدوا) أى اعبدوا الله وانما قال واعبدوا امالكونه معلوماً واما لان العبادة فى الحقيقة لا تكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصاء أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفينى هذا قال عبد الله فلقدرأته بعد قتل كافراً زاد البخارى فى رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال فى آخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها فى هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعى وأحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء وذهب قوم الى وجوبها على

بها من قبلكم (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لها نفس كاشفة أى مبينة متى تقوم كقوله لا يجلبها وقتها الا هو وليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) انكاراً (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعاً (وأتم سامدون) غافلون لاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فاسجدوا لله واعبدوا) أى فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الا الله والله أعلم

﴿سورة القمر خمس وخسون آية مكية﴾
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 (اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرىء وقد انشق أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدمه قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وقبل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الاول وهو المروى في الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفي على أهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبات على نشر العجائب لانه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغير (وان يروا) يعنى أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوى من المرة القوية أو دائم مطرد أو مازا هاب يزول ولا يبقى

٦ قوله عن ابن عمر الخ الذى فى مسلم عن عبد الله ابن مسعود وقال فى آخره اشهد بضمير المفرد فليحرر اه

القارىء والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأى والله سبحانه وتعالى أعلم
 ﴿تفسير سورة القمر وهي مكية وهي خمس وخسون آية وثلاثمائة واثنان وأربعون كلمة﴾
 ﴿والف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفاً﴾
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اقتربت الساعة) أى دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومجزاته الباهرة يدل عليه ما روى عن أنس ان أهل مكة سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخارى ومسلم وزاد الترمذى فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية أخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى اذ انفلق القمر فلقين فلقه فوق الجبل وفلقه دونه فقال لئلا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) ٦ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقين فسترا الجبل فلقه وكانت فلقه فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا وعن جابر بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت فرتين فقالت قریش سحر محمد أعياننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذى وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد رأوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قریش سحر كم ابن أبى كبشة فسألوا السفار فقالوا نعم قد رأناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محي الدين النورى فى شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفى الملة وذلك لما عصى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره فى آخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم فى رؤيتهم له ومعرفة لم يختص بها أهل مكة فاجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل فى الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بتيابهم فقل من يتفكر فى السماء أو ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث فى السماء فى الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقتروا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهراً القوم غائبين عن قوم وكما يجرد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل فى معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضى وحل الماضى على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفى قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا) دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية أى تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هذا انشقاق القمر يعرضوا أى عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) أى دائم مطرد وكل شئ دائم حاله قيل فيه

(وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن في وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أي سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الانباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية وأنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أي منعه وأصله ازجروا لكن التاء اذا وقعت بعد زاي سا كنة أبدلت دالا لان التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور فابدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبوا وهذا في آخر كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما أو على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب أو بالغة من الله اليهم (فاتغنى النذر) مانى والنذر جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به أو النذر مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) أعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب (يوم يدع الداع) يخرجون أو باضمار اذ كر الداعي الى الداعي سهل وبعثوب ومكي فيهما وافق مدني وأبو عمرو في الوصل ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو (٢١٧) من يدع وفي الكتابة لتابعة اللفظ والداعي

اسرافيل عليه السلام) الى
شيئ نكر) منكرفظيع
تذكرة النفوس لانها لم
تهد بمثله وهو هول يوم
القيامة نكر بالتخفيف مكي
(خاشعاً أبصارهم) عراقى
غير عاصم وهو حال من
الخارجين وهو فعل
للابصار وذ كر كما تقول
يخشع أبصارهم غيرهم خشعاً
على يخشع أبصارهم وهي
لغة من يقول أكلوني
البراغيث ويجوز ان يكون
في خشع ضميرهم وتقع
أبصارهم بدلا عنه وخشوع
الابصار كناية عن الذلة
لان ذلة الذليل وعزة
العز يزانهان في عيونهما
(يخرجون من الاجداث)
من القبور (كانهم)
جراذ منشر) في كثرتهم

مستمر وذلك لما رأوا اتباع المعجزات وترايف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوى محكم شديد بعلمه يعلم كل سحر وقيل مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليل (وكذبوا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عابنوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) أي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر (وكل أمر مستقر) أي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقة الثواب والعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن واقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وان أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (من الانباء) أي من أخبار الامم الماضية المكذبة في القرآن (ما فيه مزدجر) أي منتهى وموعظة (حكمة بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية (فاتغنى النذر) يعني أي غنى تغنى النذر اذا خالفوهم وكذبوهم (فتول عنهم) أي أعرض عنهم نسختها آية القتال (يوم يدع الداع) أي اذ كر يا محمد يوم يدع الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائماً على صخرة بيت المقدس (الى شيء نكر) أي منكرفظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظامه (خاشعاً) وقرئ خشعاً (أبصارهم) أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الاجداث) أي من القبور (كانهم جراذ منشر) مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين (مهطعين) مسرعين مادي أعناقهم مقبلين (الى الداع) أي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي صعب شديد وفيه اشارة الى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين ﷻ قوله تعالى (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبادنا) يعني نوحاً (وقالوا نحنون وازدجر) أي زجره على دعوته ومقاتلته بالشم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعني نوحاً (ربه) وقال (أني مغلوب) أي مقهور (فاتنصر) أي فانتقم لي منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في

وتفرقهم في كل جهة والجراذ مثل في الكثرة والتموج يقال في

(٢٨ - (خازن) - رابع)

الجيش الكثير المأج بعضه في بعض جاوا كالجراذ (مهطعين الى الداع) مسرعين مادي أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبادنا) نوحاً عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكديبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبادنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً كذبوا نوحاً لانه من جملة الرسل (وقالوا نحنون) أي هو نحنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشم وهدد بالقتل أو هو من جملة قياهم أي قالوا هو نحنون وقد ازدجرته الجن وتخطته وذهبت بلبه (فدعاه أني) أي باني (مغلوب) غلبني قومي فلم يسمعوا بي واستحكم اليأس من اجابتهم لي (فاتنصر) فانتقم لي منهم بعذاب تبعته عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامى ويزيد وسهل ويعقوب

(بماء منهم) منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أر بعين يوما (وخرنا الارض عيوننا) وجعلنا الارض كلها عيوننا كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وخرنا عيون الارض (فالتقى الماء) أي مياه السماء والارض وقرئ الما آن أي النوعان من الماء السماوي والارضى (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وعلى أمر قد قدر في اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وجعلنا على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنبؤ منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قبضى مسرودة من حديد أراد ولكن قبضى درع ألا ترى أنك لو جعلت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدرج دسار وهو المسار فعال من دسر إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه (نجرى بأعيننا) برأى منا أو بحفظنا أو بأعيننا حال من الضمير في نجرى أي محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عاياه السلام وجعله (٢١٨) مكفور الان النبي نعمة من الله ورجة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رجة

للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أي السفينة أو الفعلة أي جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهر اطو يلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مذكر) متعظ يتعظ ويعتبر وأصله مذنكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والذال والذال من موضع فادغمت الذال في الدال (فكيف كان عذابي ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذري يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذکر) سهلناه

الحديث أن السماء أبواب وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر أن يكون المطر من السحاب (بماء منهم) أي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أر بعين يوما (وخرنا الارض عيوننا) أي وجعلنا الارض كلها عيوننا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعني ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) أي قضى عليهم في أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون الما آن سواء فكان على ما قدر (وجعلناه) يعني نوحا (على ذات ألواح) أي سفينة ذات ألواح وأراد بالألواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هي المسامير التي تشد بها الألواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة وأضلاعها وقيل الألواح جانب السفينة والدرج أصلها وطرفها (نجرى) يعني السفينة (بأعيننا) أي برأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا (جزاء لمن كان كفر) يعني فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه نوابا لنوح لأنه كان كفر به ووجد أمره وقيل لمن بمعنى لما أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه (ولقد تركناها آية) يعني الفعلة التي فعلناها آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مذكر) أي متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كفردها على وفي رواية أخرى سمعته يقول مذكرا لا (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري (ولقد يسرنا القرآن) أي سهلنا القرآن (للذکر) أي لمتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مذكر) أي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعلم القرآن والاشتغال به لأنه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي شديدة الهبوب (في يوم نحس) أي في يوم شؤم (مستمر) أي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الاهلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) أي الريح تقلعهم ثم رمى بهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصول نخل (منقعر) أي منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من أجسامهم

فتبقى

للادكار والانعاط بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من

مذكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى أن كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي وانذرتهم بالعذاب قبل نزوله أو وانذرتهم في تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشؤم فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان في أربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون أخذًا بعضهم بأيدي بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتزعهم وتكسبهم وتدق رقابهم (كأنهم) حال (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقطع عن مغارسه وشبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو جعلها على المعنى لانت كما قال كأنها

أعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابي ونذروا لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشر امنا واحدا) انتصب بشرا بفعل يفسره (تتبعه) تقديره أتتبع بشرا امنا واحدا (انا ذالقي ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعر فمعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكونوا من الملائكة فقالوا منالانه اذا كان منهم كانت الممالة أقوى وقالوا واحدا انكار لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من افئدتهم وليس من أشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قوله (ألقى الذكر عليه من بيننا) أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفيما من هو أحق منه بالاختيار للنسبة (بل هو كذاب أشمر) بطر متكبر حمله بطره وطابه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) (٢١٩) أصل أم من كذبه ستعلمون شامى

وحزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات (انا مرسلوا الناقة) باعشوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوها (فتنه لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تهمل حتى يأتيك أمرى (ونبتهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليباً للعقلاء (كل شرب محتضر) أي بحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضر واشربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعني قدار بن سالف (فتعاطى) أي فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعني الناقة (فكيف كان عذابي ونذروا) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يعني صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يحذر لغزاه من الشجر والشوك دون السباع فاسقط من ذلك فداسه الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالى الذى بهشم حين نذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبس الشجر اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) يعني الحصباء وهى الحجارة التى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الراعى فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعني من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) أى جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزي) أى كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي (من شكر) يعني أن من وحمد الله لم يعذبه مع المشركين

فتبقى أجسامهم بالارؤس كهجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابي ونذروا لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) أى بالانذار الذى جاء به صالح (فقالوا أبشرا امنا واحدا) يعنى آدميا واحدا مننا (نتبعه) أى ونحن جماعة كثيرون (انا ذالقي ضلال) أى خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انالقي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق (ألقى الذكر عليه) يعنى أنزل عليه الوحي (من بيننا بل هو كذاب أشمر) أى بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) أى حين ينزل بهم العذاب وقيل يعنى يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب (من الكذاب الاشر) أى صالح أم من كذبه (انا مرسلوا الناقة) أى باعشوها ومخرجوها من الهضبة التى سألوها وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة جراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنه) أى محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) أى فانتظر ما هم صانعون (واصطبر) أى على أذاهم (ونبتهم) أى أخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) أى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليباً للعقلاء (كل شرب) أى نصيب من الماء (محتضر) أى بحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضر واشربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعنى قدار بن سالف (فتعاطى) أى فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعنى الناقة (فكيف كان عذابي ونذروا) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يعنى صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يحذر لغزاه من الشجر والشوك دون السباع فاسقط من ذلك فداسه الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالى الذى بهشم حين نذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبس الشجر اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) يعنى الحصباء وهى الحجارة التى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الراعى فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعنى لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعنى من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) أى جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزي) أى كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي (من شكر) يعنى أن من وحمد الله لم يعذبه مع المشركين

فعقرها وفتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة فى آية أخرى لرضاهم به أولانه عقر بمعوتهم (فكيف كان عذابي ونذروا) انا أرسلنا عليهم (فى اليوم الرابع من عقرها) (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم الشجر اليابس المتشتم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتعطم ويتشتم وقرأ الحسن بفتح الظاهر وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم) يعنى على قوم لوط (حاصبا) ربحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقوته بسحر اذ لقينته فى سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له أى انعاما (من عندنا كذلك نجزي) (من شكر) نعمة الله بإيمانه وطاعته

(ولقد أنذرهم) أي لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتباروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أغميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجوه لا يرى لها شق روى أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انارسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط (فدوقوا) فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة (عذابي ونذروا) لقد صبحهم بكرة (أول النهار) (عذاب مستقر) ثابت قد استقر (٢٢٠) عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فدوقوا عذابي ونذروا)

والقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مذكر أن
يجددوا عند استماع كل
نبأ من أنباء الأولين أذكرا
وتعظا وإن يستأنفوا نيقظا
وانتباها إذا سمعوا الحث
على ذلك والبعث عليه
وهذا حكم التكرير في
قوله فبأي آلاء ربكما
تكذبان عند كل نعمة
عدها وقوله ويل يومئذ
للمكذبين عند كل آية
أوردها وكذلك تكرير
الأنباء والقصص في أنفسها
لتكون تلك العبرة حاضرة
للقلوب مصورة للأذهان
مذكورة غير منسية في كل
أوان (ولقد جاء آل
فرعون النذر) موسى
وهرون وغيرهما من
الأنبياء وهو جمع نذير
وهو الانذار (كذبوا
بآياتنا كلها) بالآيات التسع
(فاخذناهم أخذ عزيز)
لا يغالب (مقتدر) لا يهجزه
شيئ (أ كفاركم) يا أهل
مكة (خبر من أولئك)

(ولقد أنذرهم) أي لوط (بطشتنا) يعني أخذنا إياهم بالعقوبة (فتباروا بالنذر) أي شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أي طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فأنارسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم غميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب وأخرجهم لوط غميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم أي صيرناها كسائر الوجوه لا يرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروه (فدوقوا عذابي ونذروا) يعني ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أي جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) أي دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة (فدوقوا عذابي ونذروا) لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التي أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعني الآيات التسع (فاخذناهم) أي بالعذاب (أخذ عزيز مقتدر) أي غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يهجزه عما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أ كفاركم خير من أولئكم) يعني أقوى وأشد من الذين أحلت بهم نعمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام إنكار أي ليسوا بأقوى منهم (أم لكم براءة) يعني من العذاب (في الزبر) أي في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية (أم يقولون) يعني كفار مكة نحن جميع أي أمرنا (منتصر) أي من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أي كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعني كفار مكة (ويولون الدبر) أي الأدبار فوجد لاجل رؤس الآي وقيل في الأفراد إشارة إلى أنهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد لا زحف فهم في ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فاخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر ابن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع هزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يشب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة أدهى وأمر أي أعظم داهية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر ﴿قوله عز وجل﴾

الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا وأقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم لكم براءة في الزبر) أم أنزلت إليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (أم يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) نمتنع لانرام ولا نضام (سيهزم الجمع) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) أي الأدبار كما قالوا كلوا في بعض بطونكم بعفوا أي ينصرفون منهزمين يعني يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعدهم عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) أشد من موقف بدر والداية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه (وأمر) مذاق من عذاب الدنيا وأشد من المرة

(على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسابذك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذ والنصب أولى لانه لو رفع لا يمكن أن يكون خلقناه في موضع الجر وصفا لشئ ويكون الخبر مقدرا وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر في الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شئ بقدر فيكون الخلق عامال كل شئ وهو المراد بالآية ولا يجوز في النصب أن يكون خلقناه صفة لشئ لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف والقدر والقدر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح

(ان المجرمين) يعنى المشركين (في ضلال وسعر) قيل في بعد عن الحق وسعر أى نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار مسخرة في الآخرة وقيل في ضلال أى عن طريق الجنة وسعر أى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى (يوم يسحبون) أى يجرون (في النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى ذوقوا أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى مقدور مكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن أنى هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونهم في القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى الحجز والكيس أو الكيس والحجز عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر أخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله ابن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهد واجنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال أخرجه أبو داود وله عن أنى هريرة زاد فلان تجالسوهم ولا تفانحوهم في الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجة والقدرية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزى في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرين أين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى واما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون في انه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو أن قدر ياصم حتى يصير كالخيل وصلى حتى يصير كالوتر ثم أخذ ظمأ حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذوق مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله اعلم أن مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وأنهم استأنفوا العلم أى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من

معا وما قيل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونهم في القدر فنزلت الآية وكان عمر يخلف انها نزلت في القدرية

غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * وحكى أبو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي إمام الحرمين في كتابه الإرشاد في أصول الدين أن بعض القدرة قالوا لسنابقدرة بل أتم القدرة لا اعتقادكم اثبات القدرة قال ابن قتيبة وإمام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهمة وتوافق فإن أهل الحق يفوضون أمورهم إلى الله تعالى ويضيفون القدرة والأفعال إلى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم ومدعى الشيء لنفسه ومضيفه إليها ولي بان ينسب إليه من يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال إمام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرة بحجوس هذه الأمة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير إلى يزدان والشر إلى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرة وحديث القدرة بحجوس هذه الأمة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم أبو عبد الله في المستدرک علی الصحیحین وقال صحیح علی شرط الشيخين ان صح سماع أبي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي إنما جعلهم صلى الله عليه وسلم بحجوس المصاهة مذهب المجوس لقولهم بالأصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرة يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته فلهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاوا كتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخالق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدر عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيب بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أي خلقهن وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل العقد والخل من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكاملين أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله أعلم * وأما معاني الأحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركو قریش إلى قوله أنا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وإرادته فكل ذلك مقدر في الأزل معلوم لله تعالى مراده وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتاب في اللوح المحفوظ أو غيره لأصل القدر فإن ذلك أزلي لا أول له وقوله وعرشه على الماء أي قبل أن يخلق السموات والأرض وقوله كل شيء بقدر حتى الجوز والكيس أو قال الكيس والجوز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسوية وتأخير عنه وقته وقيل يحتمل الجوز عن الطاعات ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحدق بالأمور ومعنى الحديث أن العجز قدر عجز الكيس قدر كيسه ﴿ قوله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة) أي وما أمرنا إلا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا أن نكون فيه لا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلي هذا إذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئا قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الإرادة والقول فالإرادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة في بيان أنه لا حاجة إلى تكرير القول بل هو إشارة إلى نفاذ الأمر (كما مع البصر) قال ابن عباس يريد أن القضاء في خلق أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياءكم) أي أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة (فهل من مدكر) أي متعظ بان ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شيء فعلوه) يعني الأشياء من خير وشر (في الزبر) أي في كتب الحفظه وقيل في اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) أي من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) مستطير في اللوح

(وما أمرنا إلا واحدة)
 إلا كلمة واحدة أي وما
 أمرنا للشيء نريد أن يكون
 إلا أن نقول له كن فيكون
 (كما مع البصر) على قدر
 ما يلح أحدكم ببصره
 وقيل المراد بأمرنا القيامة
 كقوله وما أمر الساعة
 إلا كما مع البصر (ولقد
 أهلكنا أشياءكم) أشباهكم
 في الكفر من الأمم (فهل
 من مدكر) متعظ (وكل
 شيء فعلوه) أي أولئك
 الكفار أي وكل شيء مفعول
 لهم ثابت (في الزبر) في
 دواوين الحفظه ففعلوه في
 موضع جرت له في
 الزبر خبر لكل (وكل
 صغير وكبير) من الأعمال
 ومن كل ما هو كائن
 (مستطر) مستطير في اللوح

(ان المتقين في جنات ونهر) وأنهارا اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (في مقعد صدق) في مكان مرضى (عند ملك) عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسمة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيها ان يعلم ان لاشئ الا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شئ قدير ﴿سورة الرحمن جل وعلا وهي ست وسبعون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أي الجنس أو آدم أو محمد عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عز وجل آلاءه فاراد أن يقدم أول شئ ما هو أسبق قد مامن ضروب آلائه وصفوف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها وأقصى مراقبها وهو (٢٢٣) انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه

لانه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثره وهو سنام الكتب السماوية ومصادقها والعيار عليها وأخذ كره خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ما يميزه عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عمافي الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وأخلاقها من العاطف لمحيثها على نمط التعديد كما نقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثر ك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد باحد فانتكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى بحسبان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع

أي مكتوب ﴿قوله عز وجل﴾ (ان المتقين في جنات) أي بساتين (ونهر) أي أنهار وانما وحده لموافق رؤس الآي وأراد أنهار الجنة من الماء والخر واللين والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لاليل عندهم (في مقعد صدق) أي في مجلس حق لا لغوفيه ولا تأنيب وقيل في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق (عند ملك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان (مقتدر) أي قادر لا يجزئه شئ وقيل مقر بين عند ملك أمره في الملك والافتدار أعظم شئ فلا شئ الا هو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق والله أعلم ﴿تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل﴾

وهي مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول من قول ابن عباس وهي ست وسبعون آية وثلاثمائة واحد وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لانعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعني الذي أنكرتموه هو الذي علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمد القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه أعظم وحى الله الى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه واصفيائه وأكثره ذكره وأحسنه في أبواب الدين أثره وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية (خلق الانسان) يعني آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعني أسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمد صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبي عن خبر الأولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يحسبان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعني بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدرك أحد كيف يحسب ما ير بد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحي وهو ما يدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء

للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذي ينجم من الارض لاساق له كالبقول (والشجر) الذي له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلق له تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانته والسجود له لا غيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانته والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف في الجمل الاول ثم جرى به بعد لان الاول وردت على سبيل التعديد تمكينا لمن أنكر آلاءه كما يبتك منكرا يادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المقال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيك في وصل ما يجب وصله لتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين

وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جسد الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسما رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضايه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبيه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) أى كل ما توزن به أشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام (٢٢٤) عبادته من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (الأتظفوا فى الميزان) لئلا تظفوا أو هي ان

المفسرة (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسنة الانس والجن فهى كلمها لهم يتصرفون فوقها (فيها) فاكهة) ضرور بما يتفكه به (والنخل ذات الاكامل) هى أوعية النمر الواحدكم بكسر الكاف أو كل ما يكم أى يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكسوم من ثمره وجارده وجدوعه (والحب ذوالعصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذه من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى

وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول أظهر لونه ذكره مع الشجر فى مقابلة الشمس والقمر ولانهما أرضيان فى مقابلة سماءيين (والسما رفعها) أى فوق الارض (ووضع الميزان) قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى أنه أمر بالعدل يدل عليه قوله (الأتظفوا فى الميزان) أى لا تجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التى يوزن بها للتوصل الى الانصاف والاتصاف وأصل الوزن التقدير أن لا تظفوا فى الميزان أى لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق فى الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الإقامة باليد والقسط بالقاب (ولا تخسروا) أى لا تنقصوا (الميزان) أى لا تظفوا فى الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) أى خفضها مدحوة على الماء (للانام) أى للخلق الذين بنهم فيها وهو كل ما ظهر عليهما من دابة وقيل للانس والجن فهى كلمها لهم هو يتصرفون فوقها (فيها) أى فى الارض (فاكهة) أى من أنواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التى لا تحصى (والنخل ذات الاكامل) يعنى الاوعية التى يكون فيها النمر لان نمر النخل يكون فى غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شئ ستر شيا فهو كم وقيل كما هي ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه أعظمها وأكثرها بركة (والحب) يعنى جميع الحبوب التى يقات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب أنفع من النخل وأعم وجودا فى الاماكن (ذوالعصف) قال ابن عباس يعنى التبن وعنه أنه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رأسه ويس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب بيد وصلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه كما ما ثم يحدث فى الاكامل الحب (والريحان) يعنى الرزق قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ريحان فى القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذى يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى (فبأى آلاء ربكم تكذبان) يعنى أيها الثقلان ير يد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية فى هذه السورة فى أحد وثلاثين موضعاً تقرير للنعمة وتأكيدا فى التذكير بهائم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما يفهم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع اليه باليادى وهو ينكرها أو يكفرها ألم تكن فقيرا فأنعمت بك أفنتك هذا ألم تكن عريانا فأسوتك أفنتك هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفنتك هذا ومثل هذا الكلام شائع فى كلام العرب حسن تقريره وذلك لان الله تعالى ذكر فى هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأى آلاء ربكم تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتموها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنتم كما ما أتيت على قوله فبأى آلاء ربكم تكذبان قالوا لا بشئ من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه

وهو نمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حزة وعلى أى والحب ذوالعصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الانام والرفع على وذو الريحان خذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها ريحان الذى يشم والحب ذوالعصف والريحان شامى أى وخلق الحب والريحان أو أخص الحب والريحان (فبأى آلاء) أى النعم مما عدا من أول السورة جمع الى والى (ربكم تكذبان) الخطاب للثقلين لدلالة الانام عليها

(خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أى الطين المطبوع بالنار وهو الخزف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حامسون من طين لازب من تراب لا اتفاقها معنى لانه يفيد انه خلقه من تراب ثم جعله طيناً ثم حامسوناً ثم صلصالاً (وخلق الجن) أبا الحن قيل هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافى الذى لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان للمارج كانه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أرا من نار مخصوصة كقوله (٢٢٥) فأنذرتكم ناراً تملأ (فبأى آلاء ربكما

تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرق الشمس فى الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين بائقيان) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقين لا فصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما ما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يتجاوزان أحدهما على الآخر يبغي أحدهما على الآخر بالمجاز جسة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج نخرج مدنى وبصرى (منهما اللؤلؤ) بلا همز أبو بكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان) وصفاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهم مالمال التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يقال يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف أفواها خفيها وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر النظرة وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ما عظم من الدر (والمرجان) صفاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الأحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعنى السفن الكبار (المنشآت) أى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى مرفوع قلعها من السفن امام المرفوع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (فى البحر كالاعلام) أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قوله عز وجل (كل من عليها) أى على الأرض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليباً للعقلاء (فان) أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان فيه الحث على العبادة وصرف الزمن الى السير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعنى ذاته الوجه يعبر به عن الجملة وفى الخطاب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم (ذوالجلال) أى ذو العظمة

الترمذى وقال حديث غريب فى رواية غيره كانوا أحسن منكم رداً وفيه ولا بشئ قوله تعالى (خاق الانسان من صلصال) يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعنى الطين المطبوع بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات فى صفة خاق الانسان الذى هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حامسون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فى هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولاً من تراب ثم جعله طيناً لازباً لما اختلط بالماء ثم حامسوناً وهو الطين الاسود المنتمى فلما يابس صار صلصالاً كالفخار (وخلق الجن) وهو أبو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعنى الصافى من لهب النار الذى لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذى يعلو النار اذا أوقدت (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (رب المغربين) يعنى مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعنى مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقين لا فصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) اكن الله تعالى منعهما عما فى طبيعتهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أى لا يبغي أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالفرق وقيل مرج البحرين يعنى بحر الروم وبحر الهند وأتم الحاجز بينهما ما وقيل بحر فارس والروم بينهما ما برزخ يعنى الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان فى كل عام (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج نخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل أراد يخرج من أحد هما حذف المضاف وقيل لما التقي البحران فصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف أفواها خفيها وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر النظرة وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ما عظم من الدر (والمرجان) صفاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الأحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعنى السفن الكبار (المنشآت) أى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى مرفوع قلعها من السفن امام المرفوع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (فى البحر كالاعلام) أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قوله عز وجل (كل من عليها) أى على الأرض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليباً للعقلاء (فان) أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان فيه الحث على العبادة وصرف الزمن الى السير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعنى ذاته الوجه يعبر به عن الجملة وفى الخطاب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم (ذوالجلال) أى ذو العظمة

(٢٩ - (خازن) رابع) لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله) والله (الجوار) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها بغير ياء فذا جائز على بعد ولا كن يروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء (المنشآت) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حزة ويحى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشأن الامواج بحريهن (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الأرض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذوالجلال)

ذو العظمة والاساطان وهو صفة الوجه (والا كرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفي الحديث الطوايا اذا الجلال والا كرام وروى أنه عليه السلام مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والا كرام فقال قد استجب لك (فبأي آلاء ربكم انكذبان) والنعمة في الغناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حزن الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب (يسئله من في السموات والارض) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا لما دل عليه (هو في شأن) أي كل وقت وحين يحدث أمور او يجدد أحوالها كما روى أنه عليه السلام تلاها فقليل له واذ لك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم (٢٢٦) الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاحياء والامانة والاعطاء والمنع

والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمعه الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاي اخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال أنا أفسرها لملك فاعلمه فقال أيها الملك شأن الله انه يوجب الليل في النهار ويوجب النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقما ويسقم سقما ويبتلى معافي ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير ان يخاطب عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا

والكبرياء ومعناه الذي يحله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والا كرام) أي المكرم لانيابته وأوليائه وجميع خلقه باطقة واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأي آلاء ربكم انكذبان) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوايا اذا الجلال والا كرام أخرجه الترمذي وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الطوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها قوله تعالى (يسئله من في السموات والارض) يعني من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسئله المغفرة وأهل الارض يسئله الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسأله الرحمة وما يحتاج اليه في دينه أو دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وأن كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى (كل يوم هو في شأن) قيل نزلت رداعلى اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا قال المفسرون من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويعرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويحبب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه في خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفناه من ياقوته جراء قومه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخرة يوم القيامة والشان الذي هو في اليوم الذي في مدة أيام الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والامانة والاعطاء والمنع وشان يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجد في ذلك الوقت وقال أبو سايان الداراني في هذه الآية له في كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى انه يخرج في كل يوم ليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى (فبأي آلاء ربكم انكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان) قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة و ليس هو فراغا عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لا تفرغ عنك ومابه شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ

من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله ابن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له سبق أشككت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله فاصح من النادمين وقد صبح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الامة وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وأن ليس للانسان الا ما سعى بخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو في شأن فانها شئون يبدىها لاشئون يتدبها فقام عبد الله وقيل رأسه وسوغ خواجه (فبأي آلاء ربكم انكذبان سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهده سافر غلامك يريد ساجرد لا يقاتع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكابة فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد استنهي الدنيا وتباعد آخرها وتنهى عند ذلك شئون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاءكم فجعل ذلك فراغهم على طريق المثل سيفرغ حمزة وعلى أي الله تعالى (أيه الثقلان) الانس والجن سمي بذلك لانهم أثقل الارض

(فبأى آلاء ربكم تكذبان يا معشر الجن والإنس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) أي إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هر بامن قضائي فخرجوا ثم قال (لا تنفذون) لا تقدر ورون على النفوذ (الابسلطان) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم (٢٢٧) للحساب غدا بالبحر عن نفوذ الأقطار

اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والإنس هر بوا فلا يأتون وجهها الا وجوها الملائكة احتاطت به (فبأى آلاء ربكم تكذبان) يرسل عليكم كما شواظ من نار) وبكسر الشين مكى وكلاهما اللهب الخالص (ونحاس) أي دخان ونحاس مكى وأبو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجرح على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكم لهب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلا تنتصرون) فلا تمتنعان منهما (فبأى آلاء ربكم تكذبان فاذا انشقت السماء انشك بعضهما من بعض لقيام الساعة) (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الاحمر وقيل أصل لون السماء الحرة ولكن من بعد هاترى زرقاء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكم تكذبان فيومئذ) أي فيوم

لسبق ذكر الشان وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال وناخذ في أمركم فهو كقول القائل الذى لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد أهل التقوى وأوعدا أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فحاسبكم ونجازيكم فنجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الإنس والجن سميا ثقلين لانهم ما ثقلا على الأرض أحياء ومواتا وقيل كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انى نارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى جعلهما ثقلين اعظاما لقد رهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الإنس والجن ثقلين لانهم ما مثقلان بالذنوب (فبأى الآلاء ربكم تكذبان يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا) أي تخرجوا (من أقطار السموات والأرض) أي جوانبها وأطرافها (فانفذوا) أي فخرجوا والمعنى ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها خيما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتهربوا بكم حتى لا يقدر عليكم فخرجوا وقيل معناه ان استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكى ومن سمائي وأرضى فافعلوا وقدم الجن على الإنس فى هذه الآية لانهم أقدر على النفوذ والهرب من الإنس وأقوى على ذلك ٢٢٧ ثم قال تعالى (لا تنفذون الا بسلطان) يعنى لا تقدر ورون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك لانكم حينما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض فاعلموا وان تعلموا بسلطان أى بيعة من الله تعالى (فبأى آلاء ربكم تكذبان) وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادى يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكم كما شواظ من نار) قال أكثر المفسرين هو اللهب الذى لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود والنحاس المهمل وقيل يرسل عليهم هذامرة وهذامرة وقيل يجوز أن يرسلهم معان غير أن يمتزج أحدهما بالآخر (فلا تنتصرون) أي فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم باصر منه (فبأى آلاء ربكم تكذبان فاذا انشقت السماء) أي انفرجت فصارت أبوابا تنزل الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان إشارة الى أهل الأرض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للأمر لان فيه إشارة الى ما هو أعظم من ارسال الشواظ على الإنس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ ألوانا كالوان الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فاذا اشتد البرد صار أغبر فشبها السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان أى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حرجهم وقيل كالدهان أى كالاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكم تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) قيل لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمهم منهم وكتبتهما الحفظة عليهم

تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) أي ولا جن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لا يسئل إنس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فور بك لنسئلهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤولون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى موطن ولا يسئلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ

أى يؤخذ تارة بالنواصي وتارة بالاقدام (فبأى آلاء ربكم تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فبأى آلاء ربكم تكذبان) النعمة فى هذا نجاته الناجى منه بفضلها ورحمته وما فى الانذار به من التنبيه (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى أو فادى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذنب أى نفيت عنه الذنب (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين وكأنه قيل لكل خائفين منكم جنتان جنة للاخفاف الانسى وجنة للثقافت الجنى (فبأى آلاء ربكم تكذبان ذواتا أفنان) أغصان جمع فنان وخص الافنان لانها هى التى تورق وتمرر فيها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وألوان جمع فن أى له فيها ما تشهى النفس وتلذذ العين قال ومن كل أفنان اللذذة والصبا

وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس أيضا فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لا يسألهم هل عماتكم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم عما هم كذا وكذا وقيل لانهما موطن فيسئل فى بعضها ولا يسئل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لا يسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقيع وتوبيخ وقيل لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأى آلاء ربكم تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار (فبأى آلاء ربكم تكذبان هذه جهنم) أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التى يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعنى قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الحميم وبين الحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآتى الذى قد صار كاللهل وقال كعب الاحبار آن واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخاع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فبأى آلاء ربكم تكذبان) فان قلت هذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعمات فكيف عقابا بقوله فبأى آلاء ربكم تكذبان قلت المذكور فى هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعمات فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكم تكذبان ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه من عباد الله المؤمنين فقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه) يعنى مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهيم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل ان راقب الله فى السر والعلانية بعمله فمعرض له من محرم تركه من خشيته وما عمل من خيرا خلصه الله ولا يجب أن يطاع عليه أحد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك اقام فعملوا لله مع الاخلاص ودأبوا الليل والنهار (جنتان) يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركة شهوته عن أى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذى قوله أدلج الادلاج محققا سير أول الليل ومثقالا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الامر فان من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوى بسنده عن أبى ذر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر (فبأى آلاء ربكم تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا أفنان أى أغصان واحدها فنان وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الأغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعنى ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القواين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواهما (فبأى آلاء ربكم تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احدهما التسليم والاخرى السلسبيل وقيل

(فبأى آلاء ربكم تكذبان)

فيه — مامن كل فاكهة
زوجان) صنفان صنف
معروف وصنف غريب
(فبأى آلاء ربكم تكذبان
متكئين) نصب على
المدح للخائفين أحوال
منهم لأن من خاف في معنى
الجمع (على فرش) جمع
فرش (بطائنها) جمع
بطانة (من استبرق)
ديباج نخين وهو
معرب قيل ظهائرهما من
سندس وقيل لايعامها لا
الله (وجنى الجنيتين دان)
ومرهما قريب يناله القائم
والقاعد والمتكى (فبأى
آلاء ربكم تكذبان فيهن)
في الجنيتين لاشتمالهما على
أماكن وقصور ومجالس
أو في هذه الآلاء المعدودة
من الجنيتين والعينين
والفاكهة والفرش والجنى
(قاصرات الطرف)
نساء قصرن أبصارهن
على أزواجهن لا ينظرن
إلى غيرهم (لم يطمئنهن)
بكسر الميم الدوري وعلى
بضم الميم والطمث الجماع
بالتمية (انس قبلهم ولا
جان) وهذا دليل على أن
الجن يطمنون كما يطمث
الانس (فبأى آلاء ربكم
تكذبان كأنهن الياقوت)
صفاء (والمرجان) بياضا
فهم — وأبيض من اللؤلؤ

أحدهما من ماء غير آسن والاخرى من خردل للشاربين (فبأى آلاء ربكم تكذبان فيهما من كل فاكهة
زوجان) أى صنفان ونوعان وقيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضريرين رطبوا وبأسا قال ابن عباس
ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرّة الا وهى في الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو (فبأى آلاء ربكم تكذبان متكئين
على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهى التى تلى الارض من تحت الظهارة (من استبرق) وهو
ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة البطائن فساظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن
من استبرق فما الظواهر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها
من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس فى الارض
أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف
هذه الفرش لانه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولا بد أن تكون الظواهر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه
البشر (وجنى الجنيتين دان) يعنى أن ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والناثم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها
لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيهاولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد
أيديهم عنها بعد ولا شك (فبأى آلاء ربكم تكذبان فيهن) فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنيتين
وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنيتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) أى غاضات
الاعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن على غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها
وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمئنهن)
أى لم يجامعن ولم يفرغن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمئن قبل * وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسسن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (انس قبلهم) أى قبل أزواجهن من أهل الجنة (ولاجان) قيل
انما نرى الجن لان لهم أزواجا فى الجنة منهم وفى الآية دليل على أن الجن يغشى كما يغشى الانسى وسأل ضمرة
ابن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد فى
هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه واختاف فى هؤلاء اللواتى لم يطمئن فقبل هن
الهور العين لانهن خلقن فى الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر
أبكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتى متن أبكارا ومعنى الآية
المبالغة فى نقي الطمئ عهن لان ذلك أقر لأعين أزواجهن اذا لم يغشهن أحد غيرهم (فبأى آلاء ربكم
تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشد بياضا
وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع جرة الياقوت لان أحسن الألوان البياض المشوب بحمرة والاصح أنه
شبههن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال
عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب
الاجر فى الزجاجه البيضاء يدل على صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول
كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت منه من وراءه أخرجه
الترمذى قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد فى رواية ثم الذين بلونهم على
أشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يصفقون فيها ولا يخطون ولا يتغيطون أنيتهم الذهب والفضة
وأمشاطهم الذهب ومجامرهم اللؤلؤ ورسحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء

اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله بحامرهم الألوة يعني بخورهم العود (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أي ما جزاء من أحسن في الدنيا الا أن يحسن اليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى ^{الحديث} الواحدى بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن الا أن يؤتى في مقابلته بفعل حسن وفي الآية إشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمنين بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أي ومن دون الجنتين الاوليين جنتان آخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الأشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنت جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما او جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الازداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكاظمي ومن دونهما جنتان يعني أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الاوليين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أي سوداوان من ربهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أي فوارتان بالماء لا تنقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) يعني فيهما من أنواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيه على فضلها وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وثمرتها ثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصها للنفك ولهذا قال أبو حنيفة اذا حلف لا يأكل الفاكهة فكل رطباً أو رماناً لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفاً قال نخل الجنة جذوعها زمرذاخ خضروا كرمها ٢ ذهب أجر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حلهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروى ان الرمان من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كما نزع منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعاً (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) أي في الجنان الأربع (خيرات حسان) روى عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وقيل ما جزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص فيمهل جزاء الاسلام الا دار السلام (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولان التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للنفك وهما قالا انما عطفنا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما طهما من الزينة كقوله وجبريل وميكال (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان) أي خيرات خففت وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق

(فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام) أي مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أي مخدرة قيل الخيام من الدر المجوف
(فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمنهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان
متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل (٢٣١) الوسائد (خضر وعبقري حسان)

ديباج أو طنافس (فبأي
آلاء ربكما تكذبان) وإنما
تقاصرت صفات هاتين
الجنيتين عن الأوليين حتى
قيل ومن دونهم - مالان
مدهامتان دون ذوانا
أفنان ونضاختان دون
تجربان وفاكهة دون كل
فاكهة وكذلك صفة الحور
والمسكا (تبارك اسم ربك
ذي الجلال) ذي العظمة
ذو الجلال شامى صفة للاسم
(والأكرام) لا وليائه بالانعام
روى جابر أن النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ سورة الرحمن
فقال مالي أراكم تسكنون
الجن كانوا أحسن منكم
ردا ما أتيت على قول الله
فبأي آلاء ربكما تكذبان
الاقالوا ولا بشئ من نعمك
ربنا تكذب فلك الحمد
ولك الشكر وكررت هذه
الآية في هذه السورة إحدى
وثلاثين مرة ذكر ثمانية
منها عقب آيات فيها تعداد
عجائب خلق الله وبدائع
صنعه ومبدأ الخلق
ومعادهم ثم سبعة منها عقب
آيات فيها ذكر النار وشدايدها
على عدد أبواب جهنم
وبعد هذه السبعة ثمانية

أخبرني عن قوله خبرات حسان قال خبرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور
مقصورات) أي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الأرض لاضاعت ما بينهن - ما ولما أت ما بينهما وما ولما أت ما بينهما ولما أت ما بينهما
على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغيهن بهن بدلا (في
الخيام) قيل هي البيوت قال ابن الأعرابي الخيمة لا تكون الا من أربعة أعواد ثم تسقف بالتمام ويقال
خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا أقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من درولؤلؤ
وز برجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة (ق) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن
فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمنهن انس قبلهم
ولا جان) تقدم تفسيره (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قيل الرفرف رياض
الجنة خضر مخضبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل أن الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول
المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل هي الزرابي وقيل كل ثوب
عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) قيل هي الزرابي والطنافس الشخان وقيل هي
الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال
وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقري يا بقرى فري به وأصل
هذا فيما قيل انه نسب الى عبقري وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شئ رفيع عجيب وذلك
ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقري معروفة بسكنى الجن
نسبوا اليها كل شئ عجيب بديع (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قيل
لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى رجس ربك ذي الجلال والاكرام وفيه إشارة الى أن الباقي هو الله تعالى والدنيا
فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو إشارة الى تمجيدته وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم من الصلاة لم يقعد
الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائي
غير قو له لم يقعد الا مقدار ما يقول والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الواقعة﴾

وهي مكية وسبع وتسعون آية وثلاثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبع مائة وثلاثة أحرف روى البغوي
بسند عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة
الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو ظبية لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الأثير في كتابه جامع الاصول ولم
يعزه والله تعالى أعلم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) أي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة

في وصف الجنتين وأهلها ما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنيتين اللتين دونهما فن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت
له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم ﴿سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فـ كانه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر
نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر

(ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى (خافضة رافعة) أى هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (اذا رجعت الارض رجا) حركت تحرك يكاشد احتى يهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت ويجوز أن يذهب بخافضة رافعة (٢٣٢) أى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال (وبست الجبال بسا) وفتت

حتى تعود كالسويق أو سبقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا يقال للأصناف التى بعضها من بعض أو يذكرونها مع بعض أزواج (ثلاثة) صنفان فى الجنة وصنف فى النار ثم فسر الأزواج فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بيمينهم (مأصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الأول وهو تعجب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال ما هم وأى شئ هم (وأصحاب المشأمة) أى الذين يؤتون صحائفهم بشمالهم (وأصحاب المنزلة السيئة) وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعفة وذلك لتيمنهم باليمين وتشاورهم بالشمال وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (مأصحاب المشأمة) أى

الآخرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) أى لمجيئها (كاذبة) أى ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدق وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أى كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أى ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) أى تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا فى الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا فى الدنيا متضعين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة (اذا رجعت الارض رجا) أى اذا حركت وزلزلت زلا الا وذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطربت فزقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي فى المهد حتى يهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتت حتى صارت كالديقيق المسوس وهو المبلول وقيل صارت كشيء ما مهلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم فسر الأزواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعنى أصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بيمينهم وقيل هم الذين كانوا يمينين أى مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم المتابعون باحسان (مأصحاب الميمنة) تعجب من حالهم فى السعادة والمعنى أى شئ هم (وأصحاب المشأمة) أى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخرج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا أبالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من أعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم أخرج ذكر السابقين وكانوا أولى بالنقد على أصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة فى الثواب وامامسى فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الا كبرايجهند أصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى (أولئك المقربون) أى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) قوله تعالى (ثلة) أى جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) أى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم

أى شئ هم وهو تعجب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره وتقديره السابقون الى الخيرات الماضية السابقون الى الجنات وقيل الثانى تأكيد للاول والخبر (أولئك المقربون) والاول أوجه (فى جنات النعيم) أى هم فى جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أى هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى أن السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليهم السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها

وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلثان جميعاً من أمتي (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين) حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقر وأعليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة ونهذيب الاخلاق (٢٣٣) وصفاء المودة ومتقابلين حال أيضاً

(يطوف عليهم) يخدمهم (ولدان) غلمان جمع (مخلدون) مبقون أبداً على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابروا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (باكواب) جمع كوب وهي آنية لاعروة لها ولا خرطوم (وأباريق) جمع ابريق وهو ماله خرطوم وعروة (وكاس) وقدح فيه شراب وإن لم يكن فيه شراب فليس بكاس (معين) من خمر تجري من العيون (لا يصدعون عنها) أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها ولا يفرقون عنها (ولا ينزفون) لا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاي كوفي أي لا ينفد شرابهم انزف القوم إذا نفى شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون)

الماضية أكثر من عين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل إن الأولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من الآخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل إن الأولين سابق المهاجرين والانصار وقيل من الآخرين أي ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) أي منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعني مصفوفة (متكئين عليها) أي على السرر (متقابلين) يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لأنهم صاروا أرواحاً نورانية صافية ليس لهم أديار وظهور (يطوف عليهم) أي للخدمة (ولدان) أي غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة إلى حالة وقيل لمخلدون مقرطون والخلدة القرط وهو الحلقة تعلق في الأذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالاً وفيه ضعف لأن الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولأن من المؤمنين من لا ولده فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بابي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول أقرب من الأول لأنه قد اختلف في أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الأكثرون هم في النار تبعاً لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابروا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الأقوال يعلل بأن الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه أن شاء الله أنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالخوارج وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمى الغلام وليداً ما لم يحتلم والامة وليدة وإن أسنت (باكواب) جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا (وأباريق) جمع ابريق وهي ذات الخراطيم والعرا سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لأنها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكاس من معين) أي من خرة جارية (لا يصدعون عنها) أي لا تصدع رؤسهم من شربها وعنهما كتابة عن الكأس وقيل لا يفرقون عنها (ولا ينزفون) أي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) أي يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس ينخطر على قلبه لحم الطير فيطير بمثلين يديه على ما يشتهى وقيل أنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير فإن قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخيير واللحم بالشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حرف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم وإذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه إلى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة أنما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فيلهم إلى الفاكهة أكثر فتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم وإذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه إليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم (وحور عين) أي ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء في تفسير حور أي بيض عين أي ضخم العيون (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الأيدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء وروى أنه سطع نور في الجنة فقليل ما هذا قليل ضوء نعر حوراء ضحك وروى أن الحوراء إذا مشيت يسمع تقديس الخلاخل من ساقبها وتمجيد الاسورة من ساعديها وإن عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شرا كهما

(٣٠ - (خازن) - رابع) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عينا أي وفيها حور عين أو ولهم حور عين ويجوز أن يكون عطفاً على ولدان وحور يزيد وجزرة وعلى عطفاً على جنات النعيم كانه قال وهم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور (كأمثال اللؤلؤ) في الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال

الاستعمال (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء أعمما لهم أو مصدر أى يحزون جزاء (لا يسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) باطلا (ولانائما) هديانا (الاقبالا سلاما) الاقوالا سلاما والاستثناء منقطع وسلاما بديل من قبالا ومفعول به لقيلا أى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما (٢٣٤) سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين

ما أصحاب اليمين فى صدر
مخضود) السدر شجر
النبق والمخضود الذى لا شوك
له كأنما خضد شوكه
(وطلح منضود) الطلح
شجر الموز والمنضود الذى
نضد بالجل من أسفله الى
أعلاه فليست له ساق بارزة
(وظل ممدود) ممدود منبسط
كظل ما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس (وماء
مسكوب) جار بلاحد ولاخذ
أى تجرى على الارض فى
غير أخذود (وفاكهة
كثيرة) أى كثيرة الاجناس
(لامقطوعة) لا تنقطع فى
بعض الاوقات كفواكه
الدنيا بل هى دائمة (ولا
ممنوعة) لا تمنع عن متناولها
بوجهه وقيل لا مقطوعة
بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان
(وفرش) مرفوعة رفيعة
القدر أو نضدت حتى ارتفعت
أو مرفوعة على الاسرة
وقيل هى النساء لان
المرأة يكنى عنها بالفرش
مرفوعة على الارائك قال
الله تعالى هم أزواجهم فى
ظلال على الارائك متكون
وبدل عليه قوله (انا
أنشأناهن انشاء) ابتدأنا

من لؤلؤ يصران بالتبديع (جزاء بما كانوا يعملون) أى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة (لغوا) قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى وقيل هو التبديع من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولانائما) قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأتون تائما أى ما هو سبب التائيم من قول أو فعل قبيح (الاقبالا) معناه لكن يقولون قبالا أو يسمعون قبالا (سلاما سلاما) يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) لما بين حال السابقين شرع فى بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى (فى صدر مخضود) أى لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع وزرع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حلاقيل ثم رها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وجع وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية (وطلح) هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أرم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فهو طيبوا ووعدها بمنزل ما يحبون ويعرفون الا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) أى متراكم قد نضد بالجل من أوله الى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى أغصانه ثم وليس شئ من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) أى دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لا شمس فيها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة وافرؤا ان شتم وظل ممدود وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون فى أصلها فيشتمى بعضهم هو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل هوى فى الدنيا (وماء مسكوب) أى مصبوب يجرى دائماً فى غير أخذود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنت ولا تمنع من أحد اذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال على مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى مرفوعة عالية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال الترمذى قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة فى الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أى رفعت بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله فى عقبه (انا أنشأناهن انشاء) أى خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى الادميات المجائز السمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر (جعلناهن أبكارا) يعنى عذارى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال المنشآت اللاتي كن فى

الدينا خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن أو اللاتي أعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر هن لان ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن (جعلناهن أبكارا) عذارى كما أنهن أزواجهن وجدوهن أبكارا

الدنيا عجائز عشار مصا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أنت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز قال فقلت تبكي قال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى قال أنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أ بكرار هذا حديث مرسل وروى بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أنا أنشأناهن إنشاء قال عجائز كن في الدنيا عشار مصا فجعلناهن أ بكرار وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما أنهن أزواجهن وجدوهن أ بكرار وقيل أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهم في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أ بكرار عذاري وليس هناك وجع (عربا) جمع عروب وهي المتحبة إلى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه أنها الملققة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه عرابا قال حسن الكلام (أترابا) يعني أمثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (لاصحاب اليمين) يعني أنشأناهن لأصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لأصحاب اليمين (ثلة من الأولين) يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الأمة (وثلة من الآخرين) يعني من مؤمنى هذه الأمة يدل عليه ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجومنا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلىنا ثلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الأبل ممن قال لا اله إلا الله (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ رفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزلة ففاض القوم في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة لرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل إلى الأربعة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحو من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده أني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة مسامة وما أتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر وعن بريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعا من هذه الأمة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابق هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة أيضا في آخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس

(عربا) عرب باحزة وخلف
وبحي وحاد جمع عروب
وهي المتحبة إلى زوجها
الحسنة التبعل (أترابا)
مستويات في السن بنات
ثلاث وثلاثين وأزواجهن
كذلك واللام في (لاصحاب
اليمين) أي صلة أنشأنا (ثلة)
من أصحاب اليمين ثلة (من
الأوليين وثلة من الآخرين)
فان قلت كيف قال قبل هذا
وقليل من الآخرين ثم قال
هنا وثلة من الآخرين قلت
ذاك في السابقين وهذا في
أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون
من الأوليين والآخرين
جميعا وعن الحسن سابقوا
الأم أكثر من سابق
أمتنا وتابعوا الأم مثل
تأبى هذه الأمة

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الشمال والمشامة واحدة (في سموم) في حرنار ينفض في المسام (وحيم) وماء حار متناهى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود (لا بارد ولا كريم) نفي لصفى الظل عنه ير يدانه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظل ثم نفي عنه برد الظل وروحه ونفعه من يابى اليه من أذى الحر وكذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار صار (انهم كانوا قبل ذلك) أى فى الدنيا (مترفين) منعمين فنعمهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنت العظيم) أى على الذنب العظيم أو على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئد امتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعثون) تقديره أئبت اذ امتنا وهو العامل فى الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا (٢٣٦) يعمل فيه مبعوثون لان اذوالاستفهام يمنع ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أو

آباؤنا الاولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله ما أشركنا ولا آباؤنا انفصل لا المؤكدة للنفي أو آباؤنا مدنى وشامى (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من تخاتم فضة والميقات ما وقت به الشئ أى حد ومنه مواقيت الاحرام وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم ايها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن فى مثل حالهم (لا تكون من شجر) من لا ابتداء الغاية (من زقوم) من

فى هذه الامة ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتى وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وعائنه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعائنه فان قلت كيف قال فى الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال فى هذه الآية وثلثة من الآخرين قلت الآية الاولى فى السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية فى أصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين وحكى عن بعضهم أن هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن روم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام فى الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ ﴿ قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالتهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) أى فى حرنار وقيل فى ريح شديدة الحرارة (وحيم) أى ماء حار يغلى (وظل من يحموم) يعنى فى ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء وأهلها سود وكل شئ فيها أسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار (لا بارد ولا كريم) يعنى لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى أمرين أحدهما دفع الحر والثانى حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل أهل النار بخلاف هذا لانهم فى ظل من دخان أسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك) يعنى فى الدنيا (مترفين) يعنى منعمين (وكانوا يصرون على الحنت) العظيم يعنى على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنت العظيم اليمين الغموس وذلك لانهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا فى ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون أئد امتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولين) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل ان الاولين والآخرين) يعنى الآباء والابناء (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) يعنى انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم انكم ايها الضالون) يعنى عن الهدى (المكذبون) أى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب (لا تكون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فماؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) يعنى الابل العطاش قيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التى لا تروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذا نزلهم) يعنى ما ذكر من الزقوم والحميم أى رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم (يوم الدين) يعنى يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم فى البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعنى ولم تكونوا شيئا وأنتم

لبيان الشجر (فماؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم) أنت ضمير الشجر على المعنى وذكره تعلمون

على اللفظ فى منها وعليه (فشاربون شرب) بضم الشين مدنى وعاصم وحزرة وسهل وفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هى ابل عطاش لا تروى جمع أهيم وهيماء والمعنى انه يسلب عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كاللؤلؤ فاذا ملؤا منه البطون سلب عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربون منه شرب الهيم وانما صح عطف الشار بين على الشار بين وهما الذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شار بين للحميم على ما هو عليه من تنهى الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذى يعدل للنازل تكملة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم)

فلولا (فهلوا) (تصدقون) تخفيض على التصديق اما بالحق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق أو لا لم يمنع عليه أن يخلق ثانيا (أفرايتم ماتمون) ماتتونه أي تقدفونه في الارحام من النطف (أأتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشر اسويا (أم نحن الخالقون) (٢٣٧) نحن قدرنا ينكم الموت) تقديرا

وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكي سبقتة بالشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه فغنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نهجز عن اعادةكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها (ولقد عهدتم النشأة الاولى) النشأة مكي وأبو عمرو (فلولا تذكرون) ان من قدر على شئ مرة لم يمنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس

تعلمون ذلك (فلولا) أي فهلوا (تصدقون) يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل (أفرايتم ماتمون) يعني ماتصوبون في الارحام من النطف (أأتم تخلقونه) أي أأتم تخلقون ماتمون بشر (أم نحن الخالقون) أي انه خلق النطفة وصورها وأحياها فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على أن يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا ينكم الموت) يعني الآجال فنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء شريفهم وضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) يعني لا يفوتني شئ أريده ولا يمنعني أحد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بأمثالكم وهو قوله تعالى (على أن نبدل أمثالكم) أي نأتي بخلق مثلكم بدل منكم في أسرع حين (وننشئكم) أي نخلقكم (فيما لا تعلمون) أي من الصور والمعنى نغير حليتك الى ما هو أسمع منها من أي خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أي ان أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فانتا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء ان يبدلهم بأمثالهم من بني آدم قدر ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض أهل المعاني هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمونه يعني وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا في الزمان ولا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتكلم الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة (ولقد عهدتم النشأة الاولى) أي الخلق الاول ولم تكونوا شيئا وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) أي باني قادر على اعادةكم كما قدرت على ابدانكم أول مرة قوله تعالى (أفرايتم ماتحرون) لماذا كر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدة اذ كر بعده الرزق لان به البقاء وذ كر أمورا ثلاثة الماء كقول والمشروب وما به من اصلاح الماء كقول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر الماء كقول أولالا انه هو الغذاء واتبه المشروب لان به الاستمرار ثم النار التي بها اصلاح وذ كر من أنواع الماء كقول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه أيضا هو الاصل وذ كر من المصلحات النار لان بها اصلاح أكثر الاغذية فقوله أفرايتم ماتحرون أي ماتثيرون من الارض وتلقون فيه البذر (أأتم تزرعونه) أي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه (أم نحن الزارعون) معناه أأتم فعلتم ذلك أم الله ولا شك في أن إيجاد الحب في السنبيل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس (لونشاء لجعلناه) يعني ماتحرونه وتلقون فيه من البذر (حطاما) أي تبنا لا قح فيه وقيل هشيا لا يتفقع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب المعاند يقول نحن نحرقه وهو بنفسه يصير زراعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لونشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون أتم على حفظه أو هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه ولا يشك أحد في أن دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه (فظلمت تفكهون) أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون

حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرايتم ماتحرون) ماتحرونه من الطعام أي تثيرون الارض وتلقون فيها البذر (أأتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا (أم نحن الزارعون) المنبتون وفي الحديث لا يقول أحدكم زرع وتليقل حرث (لونشاء لجعلناه حطاما) هشيا متكسرا قبل ادراكه (فظلمت تفكهون) تعجبون أو تندمون على تعبك وانفاقكم عليه أو على ما اقترعتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها

(انا) أى تقولون انا اننا أبو بكر (لمغرمون) للمزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون هلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محاربون محدودون لا محدودون لاحظ لنا ولا بحث لنا ولو كنا محدودين لما جرى علينا هذا (أفرايتم الماء الذى نشر بون) أى الماء العذب الصالح للشرب (أأتم أنزلتموه من المزن) السحاب الأبيض وهو أعذب ماء (أم نحن المنزلون) بقدرتنا (لونشاء جعلناه أجابا) ملحا أو مرا لا يقدر على شربه (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لوفى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لولما كانت داخلة على جلتين معلقة نانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخصصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جلتيهما ان الثانى امتنع لا متناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما (٢٣٨) على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحده وتساوى حالى

على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات (اللمغرمون) أى وتقولون خذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما لعذبون يعنى انهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرومون) أى ممنوعون والمعنى حرمانا الذى كنا نطلبه من الربيع فى الزرع (أفرايتم الماء الذى نشر بون) أى أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمة عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عز وجل (لونشاء جعلناه أجابا) قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه (فلولا) أى أفلا (تشكرون) يعنى نعمة الله عليكم (أفرايتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أنتم أنشأتم شجرتها) يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعقار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبستان وقيل أراد جميع الشجر التى توقد منه النار (أم نحن المنشئون نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا (تذكر) أى للنار الكبرى اذ رأى الراى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها (ومتاعا) أى بلغة ومنفعة (للمقوين) يعنى للمسافرين والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها أهل البوادي والسفار فان منفعتهم أكثر من المقيم فانهم يوقدون بها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للمفقر مقوخلوه من المال ويقال للغنى مقولقوته على ما يريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاعنياء جميعا لا غنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك أى برى الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم قوله عز وجل (فلا أقسم) قال أكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على أصلها

حذفه وإثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغنى عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فادخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أفرايتم النار التى تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفجل والظروقة (أأتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد (أم نحن المنشئون) الخالقون لها

ابتداء (نحن جعلناها) أى النار (تذكر) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها وفى البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدها به (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين فى القواء وهى القفر والذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام من قولهم أقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال أفرايتم ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال أفرايتم ما تحزنون ثم بما يحزن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد مادام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد بالاسم المذكور أى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فلا أقسم) أى فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لا يعلم أهل الكتاب وقرئ فلا قسم ومعناه فلا أنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهى أنا أقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لان حقها ان

تقرن بها النون المؤكدة
(مواقع النجوم) بمساقطها
ومغاربها بموقع حمزة
وعلى ولعل لله تعالى في
آخر الليل اذا انحطت
النجوم الى المغرب أفعالا
مخصوصة عظيمة أو
للملائكة عبادات موصوفة
أولاه وقت قيام المهجدين
ونزول الرحمة والرضوان
عليهم فلذلك أقسم
بمواقعها واستعظم ذلك
بقوله (وانه لقسم لو تعلمون
عظيم) وهو اعتراض في
اعتراض لانه اعتراض به
بين القسم والمقسم عليه
وهو قوله (انه لقسم
كريم) حسن مرضي أو
نفاع جم المنافع أو كريم
على الله واعتراض بلو
تعلمون بين الموصوف
وصفته (في كتاب) أي
اللوحة المحفوظ (مكنون)
مصون عن أن يأتيه
الباطل أو من غير المقربين
الملائكة لا يطلع عليه من
سواهم (لا يسمه الا
المطهرون) من جميع
الادناس أدناس الذنوب
وغيرها ان جعلت الجملة
صفة لكتاب مكنون
وهو اللوح وان جعلتها
صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي
أن يسمه الا من هو على
الطهارة من الناس والمراد

وفي معناها وجهان أحدهما أنها ترجع الى ما تقدم ومعناها النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا وما ذكرته
من النعم والحجج الوجه الثاني أن لا رد لما قاله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس
الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لاهنا معناها
النفي فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو ير بد تعظيم الامر لا النهي عن السؤال (بمواقع النجوم)
قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقبل أراد مغارب
النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل ان كدورها وانتشارها يوم القيامة وقيل مواقعها في اتباع
الشياطين عند الرجم (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قيل هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن
والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظيماً لا تنفعهم بذلك وقيل معنى لو تعلمون أي
فاعلموا عظيماً وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم (انه لقسم كريم)
أي ان الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقسم كريم أي عز يزكم لم يسم الله تعالى
ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شأنه أن يعطي الكثير وسمى القرآن كريماً لانه
يفيد الدلائل التي تؤدي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من
الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقهاء يستدل به ويأخذونه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب
يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كريماً لان كل أحد يناله ويحفظه من
كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غير من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مراراً يسمه السامعون
ويهون في الاعين ونعم له الآذان والقرآن عز يزكم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمل
السامعون ولا يثقل على اللسان بل هو غرض طري يبكى أبد الدهر كذلك (في كتاب مكنون) أي
مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب
المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحرير والقول الاول أصح (لا يسمه) أي ذلك
الكتاب المكنون (الا المطهرون) وهم الملائكة الموصفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث
يروى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبيرة وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم
السفرة الكرام البررة على القول الثاني من أن المراد بالكتاب المصحف فقل معنى لا يسمه الا المطهرون أي
من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه
ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يسمه الا المطهرون من الاحداث
والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهى قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا
مسسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء يدل
عليه ما روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم وأن لأمس القرآن الا طاهراً أخرجه مالك مرسل وقد جاء
موصولاً عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى
أهل اليمن بهذا الصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآناً على قرب الجوار والاتساع كما روى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقال الحكم وحماد
وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح أن المراد من الكتاب
هو اللوح المحفوظ وان المراد من لا يسمه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يسمه الا
المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعي

مس المكتوب منه (تنزيل)
 صفة رابعة للقرآن أي منزل
 (من رب العالمين) أو
 وصف بالمصدر لانه نزل
 نجوما من بين سائر كتب
 الله فكأنه في نفسه تنزيل
 ولذلك جرى مجرى بعض
 أسمائه ف قيل جاء في التنزيل
 كذا ونطق به التنزيل أو
 هو تنزيل على حذف المبتدأ
 (أفهم الحديث) أي
 القرآن (أتم مدهنون)
 متهاونون به كمن يدهن في
 بعض الامر أي يلين جانبه
 ولا يتصلب فيه متهاونابه
 (وتجعلون رزقكم أنكم
 تكذبون) أي تجعلون
 شكر رزقكم التكذيب
 موضع الشكر أي وضعف
 التكذيب موضع الشكر وفي
 قراءة على رضي الله عنه وهي
 قراءة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وتجعلون شكركم
 أنكم تكذبون أي تجعلون
 شكركم لنعمة القرآن
 أنكم تكذبون به وقيل
 نزلت في الانواء ونسبتهم
 السيقا إليها والرزق المطر
 أي وتجعلون شكر
 ما يرزقكم الله من الغيث
 أنكم تكذبون بكونه من
 الله حيث تنسبونه إلى
 النجوم

أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بأن المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه
 أخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق
 بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه أخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله أعلم ﴿ قوله
 تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على
 اتساع اللغة يقال للمقدور قدور وللخلق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعراً وسحراً وكهانة فقال الله
 تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين ﴿ قوله عز وجل (أفهم الحديث) يعني القرآن (أنتم) أي أهل
 مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن المدهن الكذاب والمنافق والادهان
 الجري في الباطل على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب
 والكفر (وتجعلون رزقكم) أي حظكم ونصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن في هذه الآية
 خسر عبدا لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم
 تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء
 كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم ف قيل لهم أنجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم التكذيب
 فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى أنجعلون بدل
 الشكر التكذيب (ق) عن يزيد بن خالد الجهني قال صلى بنار رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح
 بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله
 ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي
 كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن
 ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله
 وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيب فيقولون لكوكب
 كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا
 وفي رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله في أثر سماء أي أثر مطر والنوء
 الكوكب يقال ناء النجم بنوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث
 وكفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على قولين أحدهما أنه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة
 الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر مشي للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن
 اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث
 وعلى هذا القول مطرنا بنوء كذا وكذا هو معتقد أن إيجاد المطر من الله ورحمته وأن النوء ميقات له ومراده
 اننا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم
 بقي من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون أنها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع
 حتى غيث الناس وانما أراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة أنه اذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر
 فيه واختلفوا في كراهية هذا والظاهر أنها كراهية تنزيه لا ثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهية أنها كلمة
 مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في
 تأويل أصل الحديث أن المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا
 جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث أبي هريرة ما أنزل الله من السماء من بركة

(فلولا اذا بلغت) النفس أى الروح عند الموت (الحلقوم) أمر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهى الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) أنكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى الآيتين للتحضيض استدعى فملا وذاقوله ترجعونها واكتفى بذلك مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيده ونحن أقرب اليه منكم بأهل الميت بقدر تناوعلها أو بملائكة الموت والمعنى انكم فى جحودكم آيات الله فى كل شئ ان أنزل عليكم كتابا مخرجنا قاتم سحر واقتراء ون أنزل اليكم (٢٤١) رسولا صادقا قاتم سحر كذاب وان رزقكم مطرا يحيبكم به قلتم صدق

نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فبالكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن نعمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى الميت المبدى المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فروح) فله استراحة (وريحان) أى له استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (وجنة نعيم) أى له الجنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (وأما ان كان) بمعنى المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك أنهم من أصحاب اليمين أو يقال اصحاب اليمين مسلم لك انك من أصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) أى بالبعث (الضالين) أى عن الهدى وهم أصحاب الشمال (فتزل من حليم) أى الذى يعد لهم حليم جهنم (وتصلية حليم) أى وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعنى ما ذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) أى لا شك فيه وقيل ان هذا الذى قصصنا عليك فى هذه السورة من الاقاصيص وما أعد الله لاوليائه من النعيم وما أعد لاعداؤه من العذاب الايم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أى فزهرك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذلك العظيم وبامرءه عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو داود عن حذيفة أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان

الا أصبح فربق من الناس بها كافرين فقلوله به يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم بقوله تعالى (فلولا) أى فهلا (اذا بلغت الحلقوم) أى النفس أو الروح الى الحلقوم عند الموت (وأنتم) يعنى يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) يعنى الى الميت متى نخرج نفسه وقيل تنظرون الى أمرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا التأكدون شئاً (ونحن أقرب اليه منكم) أى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسولنا الذين يقبضون روحه أقرب الى الميت منكم (ولكن لا تبصرون) أى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون أى لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) أى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) أى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذالم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فاما ان كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) أى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل راحة (وريحان) أى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (وجنة نعيم) أى له الجنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (وأما ان كان) بمعنى المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك أنهم من أصحاب اليمين أو يقال اصحاب اليمين مسلم لك انك من أصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) أى بالبعث (الضالين) أى عن الهدى وهم أصحاب الشمال (فتزل من حليم) أى الذى يعد لهم حليم جهنم (وتصلية حليم) أى وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعنى ما ذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) أى لا شك فيه وقيل ان هذا الذى قصصنا عليك فى هذه السورة من الاقاصيص وما أعد الله لاوليائه من النعيم وما أعد لاعداؤه من العذاب الايم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أى فزهرك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذلك العظيم وبامرءه عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو داود عن حذيفة أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان

(٣١ - (خازن) - رابع) ثم انكم أيها الضالون المكذبون (فتزل من حليم وتصلية حليم) أى اذخال

فيها وفى هذه الآيات اشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ما تشتهي فقال ما تشتهي قال راحة ربي قال أفلا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضى فقال ألا تأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال تدفعه الى بنائك قال لا حاجة لى فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله اقتربت الرحمن

الواقعة والله أعلم ﴿سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله﴾ جاء في بعض الفوائح سبح بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وفي (٢٤٢) نبي اسرائيل بلفظ المصدر وفي الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكامة من جميع جهاتها

وهي أربع المصدر والماضي والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تسبحوه وأصله التعدى بنفسه لأن معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد يسبح لله اكنسب التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما في السموات والارض) ما يتأق منه التسبيح ويصح (وهو العزيز) المنتقم من مكلف لم يسبح عنادا (الحكيم) في مجازاة من سبح له اقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع يحى رفع أى هو يحى الموتى (ويميت) الاحياء أو نصب أى له ملك السموات والارض محيا ويميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالدلالة الدالية عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو

يقول في ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة (م) عن أبى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كائمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث فى صحيح البخارى والله أعلم

﴿تفسير سورة الحديد وهي مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع

وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات والارض)﴾ يعنى كل ذى روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزى به الله عز وجل عن كل سوء وعمالايلىق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجناداختلفوا فيه ف قيل تسبيحه دلالة على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل على ما فيه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أى قولهم والحق أن التسبيح هو القول الذى لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل فى تسبيحه وجهان أحدهما أنهم اتدل على تعظيمه وتنزيهه والثانى أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان جازا التسبيح المذكور فى الآية على القول كان المراد بقوله ما فى السموات والارض من فى السموات وهم الملائكة ومسبحى الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان جازا التسبيح على التسبيح المعنوى لجميع أجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقديست أسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء فى بعض فوائح السور سبح بلفظ الماضى وفى بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحا لله أبدا غير مختص بوقت دون وقت بل هى كانت مسبحة أبدا فى الماضى وستكون مسبحة أبدا فى المستقبل (وهو العزيز) أى الغالب الكامل القدرة الذى لا ينازعه شئ (الحكيم) أى الذى جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أى انه الغنى عن جميع خلقه وكاهم محتاجون اليه (ويميت ويميت) أى يحى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا (وهو على كل شئ قدير) ﴿قوله عز وجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن)﴾ يعنى هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء فنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالى على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والآخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده فى الازل وقبل الابداء والآخر بوجوده فى الابداء والظاهر باللائل الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذى سبق وجوده كل موجود والآخر الذى يبقى بعد كل مفقود وقال الامام أبو بكر بن الباقلانى معناه أنه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التى كان عليها فى الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا المذهبهم فى فناء الاجسام وذهابها بالكيفية قالوا معناه أنه

الاولى معناه الدلالة على أنه الجامع بين الظهور والبقاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخرى فهو مستمر الوجود فى جميع الاوقات للماضية والانية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ أى علم باطنه

(وهو بكل شيء عليم هو الذي خالق السموات والارض في ستة أيام) عن الحسن (٢٤٣) من أيام الدنيا ولو أراد أن يجعلها في طرفة

عين لفعل ولكن جعل
الستة أصلا ليكون عليها
المدار (ثم استوى) استوى
(على العرش يعلم ما يلج في
الارض) ما يدخل في
الارض من البذر والقطر
والكنوز والموتى (وما
يخرج منها) من النبات
وغيره (وما ينزل من السماء)
من الملائكة والأمطار
(وما يرزق فيها) من
الاعمال والدعوات (وهو
معكم أينما كنتم) بالعلم
والقدرة عموما وبالفضل
والرحمة خصوصا (والله بما
تعملون بصير) فيجازيكم
على حسب أعمالكم (له
ملك السموات والارض
والى الله ترجع الامور يولج
الليل في النهار) يدخل
الليل في النهار بان ينقص
من الليل ويزيد في النهار
(ويولج النهار في الليل وهو
عليم بذات الصدور آمنوا
بالله ورسوله وأنفقوا) يحتمل
الزكاة والاتفاق في سبيل
الله (عما جاءكم مستخلفين
فيه) يعني ان الاموال التي
في أيديكم انما هي أموال
الله بخلقه وانشأه لها وانما
مؤلكم اياها للاستمتاع
بها وجعلكم خلفاء في
التصرف فيها فليست هي
باموالكم في الحقيقة وما
أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء

الباقى بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعني أهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء أجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للأشياء والآخر الباقي بعد فناء الأحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهد الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا تستولى عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببرد اعرفك توحيد الله والآخر بجوده اذ عرفك طريق النوبة عما جنت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بسره اذ عصبت بستر عاينك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شيء عليم) (م) عن سهيل بن أبي صالح قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة أيضا قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذا أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا لارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعون له ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سما آن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماء من كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث انما أراد لبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا لارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا قوله عز وجل (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم أينما كنتم) أي بالعلم والقدرة وليس ينفك أحد من تعلق علم الله تعالى وقدرته به أينما كان من أرض أو سماء برا أو بحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) اذ كثر أنواع الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالإيمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وأنفقوا مما جاءكم مستخلفين فيه) يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكم

والنواب فانفقوا منها في حقوق الله تعالى وإيمن عليكم الاتفاق منها كما يهون على الرجل الاتفاق من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم

مستخافين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتورثه أياكم وسينقله منكم إلى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالدین آمنوا) بالله ورسوله (منكم) وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل في مالكم كما تقول مالك قائم بمعنى مات صنع قائم أي ومالكم كافر بن بالله والواو في (والرسول يدعوكم) وال الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم (لتؤمنوا برهكم وقد أخذ ميثاقكم) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله ألت برهكم أو بمارك فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الأدلة فاذالم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فإل لكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه أخذ ميثاقكم أبو عمرو (هو الذي ينزل (٢٤٤) على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) الله

وأعطاكم إياه فكنتم في ذلك المال خلفاء عن مضي (فالدین آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا برهكم) يعني وأي عذر لكم في ترك الإيمان بالله والرسول يدعوكم اليه فينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد أخذ ميثاقكم) أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله برهكم لا اله الا الله سواه وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة والبراهين والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) أي يوما ما فالآن أخرى الاوقات ان تؤمنوا القيام بالحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذي ينزل على عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان (والله بكم لرؤف رحيم) قوله تعالى (ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول أي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقر بكم من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالأولى أن تنفقوها ثم فيما يقر بكم إلى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوى في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال السكابي ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه سبع منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره فخلل فزل جبريل فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره فخلل فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي اني على ربي راض اني على ربي راض (وكلا وعد الله الحسنى) يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالدین أنفقوا قبل الفتح في أفضلها (والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) أي صادقاً محتسباً بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضاً من حيث انه وعد به الجنة تشبيهاً بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسناً حتى تجمع فيه أوصاف عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود

تعالى أو محمد بدعونه (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة مجازي وشامي وحفص (رحيم) الرأفة أشد الرحمة (ومالكم ألا تنفقوا) في ان لا تنفقوا (في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شيء فيها لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا ومن أنفق من بعد الفتح خذف لان قوله من الذين أنفقوا

من بعد بدل عليه (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مداً أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) أي كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أي المنوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعده والحسنى مفعول ثان وكل شامي أي وكل وعد الله الحسنى نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر أعمالكم (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق في سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء

(فيضاعفه له) أى يعطيه أجره على انفاقه أضعافاً مضاعفة من فضله (وله أجر كريم) أى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه فيضاعفه مكي فيضاعفه شامى فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام ولرفع على فهو يضاعفه أو عطف على يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذ كر تعظيماً لذلك اليوم (يسمى) يعضى (نورهم) نور التوحيد والطاعات وانما قال (بين أيديهم وبأيمنهم) لان السعداء يؤتون (٢٤٥) صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن

لا شقياء يؤتونها من شمالهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة وصروا على الصراط يسعون يسمى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات) أى دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجنث (تجربى من تحتها) الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم يوم يقول (هو بدل من يوم ترى المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أى الذين آمنوا لانهم يسرعون الى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا حزة من النظرة وحى الامهال جعل اتقادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنبهوا به (قيل ارجعوا وارجعوا

المال وان تصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما أمكنك وأن لا تتبعها بالن والاذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائى بها الناس وان تستحققر ما تعطى وتصدق به وان كان كثيرا وأن يكون من أحب أموالك اليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة أوصاف اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (فيضاعفه له) يعنى يعطيه أجره على انفاقه مضاعفا (وله أجر كريم) يعنى وذلك الاجر كريم فى نفسه قوله عز وجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعنى على الصراط (يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم) أى عن أيمنهم وقيل أراد جميع الجوانب فعبّر ببعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضىء نوره من المدينة الى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضىء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نورده على إبهامه فيطفأ مرة ويقد مرة وقيل فى معنى الآية يسمى نورهم بين أيديهم أى يعطون كتبهم بأيمنهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجربى من تحتها) الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا (أى انتظرونا) (نقتبس من نوركم) أى نستضىء من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يشون به على الصراط ويعطى المنافقين أيضا نورا خديعة لهم فيبناهاهم يشون اذ بعث الله رب محمدا فاطفات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسمى بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا ائتم لنا نورا نحافه أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وارجعوا) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وارجعوا من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها أعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لان نوركم عندنا فارجعوا وارجعوا (فالتمسوا) أى اطلبوا لانفسكم هناك (نورا) أى لاسبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى (فضرب بينهم) أى المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) أى لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) أى فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أى من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذى ذكر فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى فضررب بينهم بسور له باب الآية (ينادونهم) يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين يحجز بينهم وبقوا فى الظلمة (ألم تكن

فالتمسوا نورا) طرد لهم ونهكم بهم أى تقول لهم الملائكة أو المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان (فضررب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور والباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة) أى النور والجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أى الظلمة والنار (ينادونهم) أى ينادى المنافقون المؤمنين (ألم تكن

معكم) بر يدون مرافقتهم في الظاهر (قَالُوا) أي المزمنون (ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتر بصم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتكم) وشككتكم في التوحيد (وغرتكم الاماني) طول الآمال والجمع في امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) أي الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفو كرم لا يعذبكم أو بأنه لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يؤخذ) وبالتاء شامى (منكم) أي المنافقون (فدية) ما يفتدى به (ولا) (٢٤٦) من الذين كفروا ما أواكم النار) مرجعكم (هي مولاكم) هي أولى بكم وحقيقة

مولاكم مجراكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو منتهى الكرم أي مكان لقول القائل أنه لكريم (و بشس المصير) النار (ألم يأن) من أنى الامر يأنى اذا جاءته أي وقته وقيل كانوا مجدين بمكة فلما هاجر وأصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن أبي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقر نزل وما بمعنى الذي والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من

معكم) أي في الدنيا أصلي ونصوم (قَالُوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلفا فتنة (وتر بصم) أي بالايان والتوبة وقيل تر بصم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقتلتم بوشك أن يموت فاستخرج منه (وارتبتكم) أي شككتكم في نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الاماني) أي الاباطيل وذلك ما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعني الموت وقيل هو القاؤهم في النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أي عوض وبدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة (ولامن الذين كفروا) يعني المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كاهرا في الحقيقة لان المنافق أبطن الكفر والظاهر الكفر فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (ما أواكم النار) أي مصيركم (هي مولاكم) أي وليكم وقيل هي أولى بكم لما أسفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لانها ملكت أمركم وأسأتم اليها فهي أولى بكم من كل شيء وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاة فلا مولى له (و بشس المصير) قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلامان الفارسي ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك أحسن القصص فاخبرهم ان القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله ألم يأن للذين آمنوا يعني في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت في المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا أربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطن قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن يعني أما حان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم أي ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله أي لمواعظ الله (وما نزل من الحق) يعني القرآن (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعني اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) أي الزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا الى الدنيا وأعرضوا عن مواضع القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا في حجة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روي عن أبي موسى الاشعري انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال أتم خيار أهل البصرة وقرأوهم فأنلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعني الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (اعلموا ان الله يحيي الارض) أي بالمطر (بعد موتها) أي يخرج منها النبات بعد يسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يابن القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبئة منيعة وكذلك

السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراء بالباء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات يحيي ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان ونحووا ذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورفقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدنوا ما أحدنوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل أو الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين أي وقليل منهم مؤمنون (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها)

قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثرائه كرم في القلوب وأنه يحياها كما يحيي الغيث الأرض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكى وأبو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء في الصاد وقى على الاصل (وأقرضوا الله قرضا حسنا) هو عطف على معنى الفعل في المصدقين لان الملام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكى وشامى (ولهم أجر كريم) أى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريدان المؤمنين بالله ورسوله هم عند الله (٢٤٧) بمنزلة لصدقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى

التصدق واستشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكونوا الشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا انما الحياة الدنيا لعب كالعاب الصبيان (ولهو) كاهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثروا) كتكاثروا الدهقان (في الاموال والاولاد) أى مباهاة بهم ما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبتته الغيث

يحيا القلوب الميتة بالعلم والحكمة والافقدهم احياء الارض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات) أى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا) أى بالنفقة والصدقة في سبيل الله (يضاعف لهم) أى ذلك القرض (ولهم أجر كريم) أى ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) أى الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلاهذه الآية فعلى هذا الآية عامة في كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض في زمانهم الى الاسلام وهم أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحزرة وناسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل أراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلاهذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم بروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم) أى بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) يعنى على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر حال المؤمنين أتبع بحال الكافرين قوله عز وجل (اعلموا انما الحياة الدنيا) أى مدة الحياة في هذه الدار الدنيا وانما أراد من صرف حياته في غير طاعة الله خيانه مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله خيانه خير كلها ثم وصفها بقوله (لعب) أى باطل لا حاصل له كالعاب الصبيان (ولهو) أى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب (وزينة) أى منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعنى انكم تستغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض (وتكاثروا في الاموال والاولاد) أى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيستطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب له هذه الحياة مثلا فقال تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الزراع انماسمى الزراع كقار السترهم الارض بالبذر (نباته) أى ما نبت بذلك الغيث (ثم يهيج) أى يهيج (فراه مصفرا) أى بعد خضرته (ثم يكون حطاما) أى يتحطم ويتكسر بعد يهيج ويفنى (وفي الآخرة عذاب شديد) أى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعاني زهد الله بهذه الآية في العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للآخرة بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) أى لا ولاء له وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لا عدائه ومغفرة من الله ورضوان لا ولاء له لان الآخرة اما عذاب واما الجنة (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) أى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة فهي له بلاغ الى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن

فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون انعم الله عليهم زرعهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنة وقيل الكفار الزراع (وفي الآخرة عذاب شديد) الكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى أن الدنيا وما فيها ليست لامن محقرات الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فساهاى الامور عظام وهو العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف في كمثل غيث في محل رفع على انه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون يامعشر المرادين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل في غيرها ولما حقر الدنيا وصغرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) أى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل

سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله أبسط أو أريد بالعرض البسطة وهذا ينبغي قول من يقول ان الجنة في السماء الرابعة لان التي في احدى السموات لا تكون في عرض السموات والارض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يرضيه من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله (والله) (٢٤٨) ذو الفضل العظيم ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من

مصيبة في الارض) من الجذب وآفات الزرع والثمار وقوله في الارض في موضع الجرائ ما أصاب من مصيبة ثابتة في الارض (ولا في أنفسكم) من الامراض والاولاد (الافى كتاب) في اللوح وهو في موضع الحال أي المكتوب في اللوح (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نحاق الانفس (ان ذلك) أي تقدير ذلك واثباته في كتاب (على الله يسير) وان كان عسيراً على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزناً يطفئكم (على ما فاتكم) من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) فرح المختال المخور (بما آتاكم) أعطاكم من الايتاء أبو عمر وأما كم أي جاءكم من الايتان يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب

لم يشغل فيها بطاب الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (سابقوا الى مغفرة من ربكم) معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أتم عليه بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة أي الى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قيل ان السموات السبع والارضين السبع لوجعات صفائح والزرق بعض ما يبعث لكان عرض الجنة في قدرها جميعاً وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيهاً على ان طولها أضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعتلون به ويقع في نفوسهم وأفكارهم وأكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لانه ذكر ان الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسوله ولم يذكر مع الايمان شيئاً آخر يدل عليه قوله في سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فبين انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله (والله ذو الفضل العظيم) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينهما بين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل ﴿ قوله تعالى ﴾ (ما أصاب من مصيبة في الارض) يعني عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا في أنفسكم) يعني الامراض وفقد الاولاد (الافى كتاب) يعني في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أي من قبل أن نحاق الانفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة (ان ذلك على الله يسير) أي اثبات ذلك على كثرتهم هين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) أي تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أي لا تبطروا (بما آتاكم) أي أعطاكم قال عكرمة ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً قال صاحب الكشف ان قلت ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن الخارج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بهامع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك القوت ومالك تفرح بوجود لا يتركه في يدك الموت (والله لا يحب كل مختال) أي متكبر بما أوتي من الدنيا (خور) أي بذلك الذي أوتي على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله

عند الله قل أساكم على افئدت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرجه عند نيله وليس أحد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغي أن يكون الفرح شكراً والحزن صبراً وانما يذم من الحزن الجزع المنافي للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهي عن الشكر (والله لا يحب كل مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد ان الذين يفرحون بالفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظاً من الدنيا فلهجهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (ويأمررون الناس بالبخل)

ويحضون غيرهم على البخل وبرغبونهم في الامساك (ومن يتول) يعرض عن الاتفاق أو عن أوامر الله ونواهيها ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي (فان الله هو الغنى) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحديد) في أفعاله فان الله الغنى يترك هو مدنى وشامى (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى أرسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمجيزات (وأنازلنا معهم الكتاب) أى الوحي وقيل الرسل الانبياء والاول اولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال من قومك يزوابه (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحداً أحداً (وأنازلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكبتان والميعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المرو والمسدحة وعن الحسن أنزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) في مصالحهم ومعاشهم وصنائعهم (٢٤٩) فإمن صناعة الا والحديد آلة فيها أو

ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسوله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقا تل مع رسوله في سبيله (بالغيب) غائب عنهم (ان الله قوى) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط به - زنه جاش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المرشد والعهد ويتضمن جوامع الاحكام والحدود ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع بما بالآلة يقع بها التعامل ويحصل بها

لا يحب الذين يدخلون يريد اذارزقوا مالا وحظا من الدنيا فليحبهم له وعزته عندهم يدخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله وجوه الخير ولا يكفهم انهم يخلوا به حتى يأمر ون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وانها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن اليمان (فان الله هو الغنى) أى عن عبادته (الحديد) أى الى أوليائه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أى بالدلالات والآيات والحجج (وأنازلنا معهم الكتاب) أى المتضمن للاحكام وشرائع الدين (والميزان) يعنى العدل أى وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل أيضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) أى ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأنازلنا الحديد) قيل ان الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما هبط الى الارض السندان والمطرقة والكبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله أنزل أربع ركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل أنزلنا ههنا بمعنى أنشأنا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه بأس شديد) أى قوة شديدة فنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهى آلة الضرب (ومنافع للناس) أى ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه (وليعلم الله) أى وأرسلنا رسلنا وأنازلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وإبرى الله (من ينصره) أى من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أى الذين لم يروا الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويشاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى) فى أمره (عزيز) فى ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا وإبراهيم بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى الا من نسلهما (فمنهم) أى من الذرية (مهتد) وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) أى اتبعنا (على آثارهم برسنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى أن انتهت الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) أى على دينه (رافقة ورجة) يعنى انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطا على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل أنفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فروا من الفتنة وحلوا أنفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى

(٣٢ - (خازن) - رابع) التساوى والتعادل وهى الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة

الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعها بالسيف الذى هو حجة الله على من يجحد وعند نزاع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذى وصف بالأس الشديد (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم) خصا بالذكر لانهم أبوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا فى ذريتهما) أولادهما (النبوة والكتاب) الوحي وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخطا بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم أى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أى خرج عن الطاعة والغلبة للفساد (ثم قفينا على آثارهم) أى نوح وإبراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة) مودة ولينا (ورجة) تعطفنا على اخوانهم كما قام فى صفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجاء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هى ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين محللين أنفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة

المطعم والمشرب والملبس مع التقليل من ذلك (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) أي لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فأرعوها حق رعايتها) يعني أنهم لم يرعوها تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموها إليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركووا محمد صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى (فآتيننا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجما منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى فسادوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم أهل الكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنو إسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا هؤلاء عفتونا ولم يبق أحد يدعو إليه تعالى فتعالوا انتفروا في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعنون محمد صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فنهزم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها إلى فآتيننا الذين آمنوا منهم أي من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم جماعة يؤمنون بالتوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله ففعل الملوك لهم لوجعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو ذبحوا فإيماننا نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوها ففعلوا ما تريدون إلى ذلك دعونا نحن نكفكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنو الناس طوائفهم أرفعونا فيه ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشربنا فلا ترد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقبلونا وقال طائفة منهم ابنو النادر رافي القيا في ونحتفر الآبار ونحترق البقول ولا ترد عليكم ولا نمر عليكم وإيس أحد من القبائل الأوله جيم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما سح فلان ونمخذد دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فأرعوها حق رعايتها يعني الآخرون الذين جاؤا من بعدهم فآتيننا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصدقتهم له وقال يجعل لكم نوراً تشون به القرآن وانبأهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بكم

إلى الرهبان وهو الخائف فعلا من وهب كخشيان من خشى واتصاها بفعل مضمير يفسره الظاهر تقديره وابتدعوها رهبانية ابتدعوها أي أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نقرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فأرعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكته (فآتيننا الذين آمنوا منهم أجرهم) أي أهل الرأفة والرحمة والذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون

أن لا يتقدرون على شيء من فضل الله الآية أخرجه النسائي موقوفاً على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فاكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فأرعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتدعوا رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناه عليهم لكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به دون التهرب لأنه لم يأمربه ﷺ بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا موسى وعيسى اتقوا الله في محمداً وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفاين) أي نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثه لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به (ويغفر لكم) أي ماسأف من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم لتلاي علم أهل الكتاب) قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين إيمان آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وكتابتنا ومن لم يؤمن فله أجر كما جركم فافضلكم عايناه فنزل لتلاي علم أي ليعلم ولا صلة أهل الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (الايقدرون) يعني انهم لا يتقدرون (على شيء من فضل الله) والمعنى جعلنا الاجر ين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي أهل الكتاب أولئك يؤتون أجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لتلاي علم أهل الكتاب يعني المؤمنين منهم أن لا يتقدرون على شيء من فضل الله (وأن الفضل بيد الله) يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل أن يكون الاجر الواحد أكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك أن يخرج مناني يقطع الأيدي والأرجل فلما خرج من العرب كفر وابه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة (يؤتية من يشاء) يعني محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله وأن الفضل بيد الله أي في ملكه وتصرفه يؤتية من يشاء لأنه قادر مختار (والله ذو الفضل العظيم) * (خ) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أوتي أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أوتي القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً ونحن أكثر عملاً قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيئاً قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من أشاء وفي رواية إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عملاً فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال

(يا أيها الذين آمنوا)
الخطاب لأهل الكتاب
(اتقوا الله وآمنوا برسوله)
محمد صلى الله عليه وسلم
(يؤتكم) الله (كفاين)
نصيبين (من رحمته)
لإيمانكم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وإيمانكم به
قبله (ويجعل لكم) يوم
القيامة (نوراً تمشون به)
وهو النور المذكور في قوله
يسـمى نورهم الآية
(ويغفر لكم) ذنوبكم
(والله غفور رحيم لتلاي علم)
ليعلم (أهل الكتاب)
الذين لم يسموا ولا مزبدة
(الايقدرون) ان مخففة
من الثقيلة أصله انه
لا يتقدرون يعني ان الشأن
لا يتقدرون (على شيء من
فضل الله) أي لا ينالون شيئاً
مما ذكر من فضل الله من
الكفاين والنور والمغفرة
لانهم لم يؤمنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم
ينفعهم إيمانهم بمن قبله
ولم يكسبهم فضلاً قط (وأن
الفضل) عطف على أن لا
يتقدرون (بيد الله) أي في
ملكه وتصرفه (يؤتية من
يشاء) من عباده (والله
ذو الفضل العظيم) والله
أعلم

تخاورك وقرىء بها وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سمعت راودها فابت غضب فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلا سني وثرت بطني أي كثرت ولدي جعلني عليه كاهمه وروى انها قالت ان لي صبية صغيراً ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم اليّ جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي في أمرك شيء وروى أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ماذا كرت لاقا وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليّ فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فافتي ووجدني كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (في زوجها) في شأنه ومعناه (وتشتكي إلى الله) تظهر ما بها من المكروه (والله يسمع تخاوركما) مراجعة كما الكلام من حور إذا رجع (ان الله سميع) يسمع شكوى المضطر (بصير)

من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألافاتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى غروب الشمس ألافكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا لا قال فانه فضلي أصيب به من شئت أي أعطيه من شئت (خ) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أعمالوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملاً قابوا وتركوا واستأجر آخرون بعدهم فقال أعمالوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولكم الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكموا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير قابوا فاستأجر قوماً أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كما يهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية وأربع مائة وثلاث وسبعون كلمة

وألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وكان بهلم وكانت هي حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها أنت عليّ كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك إلا قد حرمت عليّ فقالت والله ماذا طلاق فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى إذا أكل مالي وأفني شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء تجمعني وإياه وتنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ماذا كرت لطلاقه وأنه أبو ولدي وأحب الناس إليّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فافتي ووجدني قد طالت له صحبتي وثرت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو إلى الله فافتي ووجدني وشدة حالي وان لي صبية صغيراً أن ضممتهم اليّ جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم أشكو إليك اللهم فانزل علي لسان نبيك فرجني وهذا كان أول ظهار في الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضى الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله الآية وأما تفسير الآية فقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك أي تخاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها أي في أمر زوجها (وتشتكي إلى الله) أي شدة حالها وفاقتها ووحدها (والله يسمع تخاوركما) أي مراجعةكما الكلام (ان الله سميع) أي لمن يناجيه ويتضرع اليه (بصير) أي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون منكم من)

نساءهم) زوجاتهم (ماهن أمهاتهم) أمهاتهم مفصل الاول بخجازى والثانى نيمى (ان أمهاتهم الالادى ولدنهم) يريدان الامهات على الحقيقة والوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع (٢٥٣) وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة

حرمتهن وأما الزوجات فابعدشئ من الامومة فلذا قال (وانهم ليقولون منكرا من القول) أى تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية (وزورا) وكذا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منهم (والذين يظاهرون من نساءهم) بين فى الآية الاولى ان ذلك من قائله منكرو زور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثانى وان عدم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا أتته وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفى واللام كقوله ولوردوا لى ما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أى يعودون لنقض ما قالوا أو لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف أيضا غير انه أراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونزله

نساءهم) يعنى يقولون لمن أنتن كظهور أمهاتنا (ماهن أمهاتهم) أى ما اللواتى يجعلونهن من زوجاتهم كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم (ان أمهاتهم) أى ما أمهاتهم (الالادى ولدنهم وانهم) يعنى المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) يعنى لا يعرف فى الشرع (وزورا) يعنى كذباً وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمه تحريراً بماؤ بداء الزوج لا تحرم عليه بهذا القول تحريراً بماؤ بداء فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم **المسئلة الاولى** فى أحكام الظهار وفيه مسائل **المسئلة الاولى** فى معناه لغة قيل انه مشتق من الظهور وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظاهر باعلى من سائر الاعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباذعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظاهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركبة له وظهره يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى أى طلقته وفى قولهم أنت على كظهر أمى حذف واضمار لان تأويله ظهر ك على أى ملكى اياك وعلى عليك حرام كعلوى أى وعلاه عليها حرام **المسئلة الثانية** كان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية لانه فى التحريم كعدمه يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقرر بالشرع كانت الآية ناسخة له والام بعد نسخها لان النسخ انما يدخل فى الشرائع لا فى أحكام الجاهلية وعاداتهم **المسئلة الثالثة** فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله أنت على كظهر أمى وأنت منى أو معى أو عندى كظهر أمى وكذا لو قال أنت على كبطن أمى أو كراس أمى أو كيد أمى أو قال بطنك أو رأسك أو يدك على كظهر أمى أو شبه عضو منها بعض من أعضاء أمه يكون ذلك ظهاراً وقال أبو حنيفة ان شبهها ببطن أمه أو بفرجها أو بفخذها يكون ظهاراً وان شبهها بعض غير هذه الاعضاء لا يكون ظهاراً ولو قال أنت على كأمى أو كروح أمى وأراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهاراً حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجذته فقال أنت على كظهر جدتى يكون ظهاراً وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بان قال أنت على كظهر أختى أو عمتى أو خالتى أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهاراً على الأصح **المسئلة الرابعة** فىمن يصح ظهاره قال الشافعى الضابط فى هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمى وقال أبو حنيفة لا يصح احتج الشافعى بعموم قوله والذين يظاهرون من نساءهم واحتج أبو حنيفة بان هذا خطاب للمؤمنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين وأجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين **قوله تعالى** (والذين يظاهرون من نساءهم) يعنى بمنعون بهذا اللفظ من جاعلهم (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء فى معنى العود فى قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد أن يكون بيان أقوال أهل العربية ثم بيان أقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق فى اللغة بين أن يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال أبو على الفارسى كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله وأوحى الى نوح وبان ربك أوحى لها وأما لفظة ما فى قوله لما فهى بمعنى الذى والمعنى يعودون الى الذى قالوا أو فى الذى قالوا وفيه وجهان أحدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثانى ان المراد لما قالوا أى المقول فيه وهو الذى حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا أى يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز أن يكون المعنى عاد لما فعل أى فعله مرة أخرى وعلى الوجه الثانى يجوز أن يقال عاد لما فعل أى نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيئاً ثم أراد أن يفعله ثانياً فقد عاد اليه وكذا من فعل شيئاً ثم أراد إبطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة أخرى

ما يقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الامساك وهو ان لا يطلقها عقيب الظهار

(فتحرير رقبة) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة أو كفرة ولم يجز المدبر أو المالك الذي أدى شيئاً (من قبل أن يتماساً) الضمير يرجع إلى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسسة الاستمتاع بها من جماع أو لس بشهوة أو نظراً إلى فرجها بشهوة (ذالك) الحكم (توعظون به) لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله عما تعملون خبير) والظهار (٢٥٤) أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمي وإذا وضع موضع أنت عضو منها يعبر

به عن الجملة أو مكان الظهر
عضوا آخر يحرم النظر إليه
من الأم كاللبن والفخذ
أو مكان الأم ذات رحم
محرم منه بنسب أو رضاع
أو صهر أو جماع نحو أن
يقول أنت على كظهر
أختي من الرضاع أو عمتي
من النسب أو امرأة ابني
أو ابني أو أم امرأتي أو
ابنتها فهو مظاهر وإذا
امتنع المظاهر من الكفارة
للمرأة أن ترفعها وعلى
القاضي أن يجبره على أن
يكفروا أن يحبسها ولا شيء
من الكفارات يجبر عليه
ويحبس إلا كفارة الظهار
لأنه يضربها في ترك
التكفير والامتناع من
الاستمتاع فإن مس قبل
أن يكفر استغفر الله ولا
يعود حتى يكفر وإن اعتق
بعض الرقبة ثم مس عليه
أن يستأنف عند أبي
حنيفة رضي الله عنه (فمن
لم يجد) الرقبة (فصيام شهرين)
شهرين (متتابعين من
قبل أن يتماسا فمن لم يستطع)
الصيام (فاطعام)

ويحتمل أن يكون المراد ثم يعودون إليه بالنقض والرفع والازالة وإلى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين
ثم اختلفوا فيه على وجوه الأول وهو قول الشافعي أن معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد
الظهار زماناً يمكنه أن يطلقها فيه وذلك لأنه لما ظاهر فقد قصد التحريم فإن وصله بالطلاق فقد تم
ما شرع فيه من إيقاع التحريم ولا كفارة عليه فإذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ
به من التحريم خيفة تدبج عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال بندمون فيرجعون إلى
الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول أبي حنيفة أنه عبارة عن استباحة الوطء والمماسسة والنظر إليها
بالشهوة وذلك أنه لما شبهها بالأم في حرمة هذه الأشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضاً لقوله أنت على
كظهر أمي الوجه الثالث وهو قول مالك أن العود إليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول
أبي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى أن العود إليها عبارة عن جماعها وقالوا
لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا هو أنه صالح للجماع أو للعزم عليه أو لاستباحته
الآن الذي قاله الشافعي هو أقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لأنه هو الذي به يتحقق
مسمى العود وأما الباقي فزيادة لدليل عليه وأما الاحتمال الأول في قوله ثم يعودون أي يفعلون مثل ما فعلوه
فعلى هذا الاحتمال في الآية وجوه أيضاً الأول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الإسلام وتجب
الكفارة به والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون
بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الإسلام على خلاف حكمه عندهم فغنى ثم يعودون لما قالوا أي إلى الإسلام
فيقولون في الإسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قال أبو العالية
إذا كرر لفظ الظهار فقد عادوا إلى ما كان عوداً وهذا قول أهل الظاهر واحتجوا عليه بأن ظاهر قوله ثم
يعودون لما قالوا يدل على إعادة ما فعلوه وهذا لا يكون إلا بالتركير يروان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه
وقوله تعالى (فتحرير رقبة من قبل أن يتماساً) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي
ظاهر منها ما لم يكفر (ذلكم توعظون به) يعني أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا
تعاودوه (والله عما تعملون) أي من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى (فمن
لم يجد) أي الرقبة (فصيام شهرين) أي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماساً)
فمن لم يستطع) أي الصيام (ف) كفارته (اطعام ستين مسكيناً ذلك) أي الفرض الذي وصفناه (لتؤمنوا
بالله ورسوله) أي لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله تعالى
(وتلك حدود الله) يعني ما وصف من الكفارة في الظهار (وللكافرين) أي لمن سجد هذا وكذب به
(عذاب أليم) أي في نار جهنم يوم القيامة

فصل في أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسائل (المسألة الأولى) اختلفوا فيما يحرمه الظهار
فلا شافعي قولان أحدهما أنه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر أنه يحرم جميع جهات الاستمتاع
وهو قول أبي حنيفة (المسألة الثانية) اختلفوا فيمن ظاهر مراراً فقال الشافعي وأبو حنيفة كل ظهار

اطعام (ستين مسكيناً) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن كفارة
لا يستأنف أن جامع في خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للأحكام (لتؤمنوا) أي لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل بشرائعه التي شرعها
من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك) أي الأحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة (حدود الله) التي لا يجوز تعديها
(وللكافرين) الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم

كفارة الآن يكون في مجلس واحد وأراد التكرار للتأكد كيدفان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من أمراته في مجالس متفرقة فليس عليه إلا كفارة واحدة **(المسئلة الثالثة)** الآية تدل على إيجاب الكفارة قبل المماسسة سواء أراد التكفير بالاعتاق أو بالصيام أو بالطعام وعند مالك أن أراد التكفير بالطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من قبل أن يتماسا فدل على ذلك وعند الآخر ين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فإن جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه إلا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وسفيان وقال بعضهم إن واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي **(المسئلة الرابعة)** كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال أبو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة أو كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا أننا جمعنا على أن الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالإيمان فكذلك هنا وحمل المطلق على المقيد أولى **(المسئلة الخامسة)** الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فإن أفطر يوماً متعمداً أو نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين **(المسئلة السادسة)** إن عجز عن الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا كل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به أهل البلد من حنطة أو شعير أو أرز أو ذرة أو تمر أو نحو ذلك وقال أبو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع من تمر أو صاع من شعير ولو أطمع مسكينا واحداً استين جزأ لا يجزى به عند الشافعي وقال أبو حنيفة يجزى به حجة الشافعي ظاهر الآية وهو أن الله تعالى أوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة أبي حنيفة أن المقصود دفع الحاجة وهو حاصل وأجيب عنه بأن ادخال السرور على قلب ستين مسكينا أولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد **(المسئلة السابعة)** إذا كانت له رقبة إلا أنه محتاج إلى الخدمة أو له ثمن الرقبة لكنه محتاج إليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم وقال مالك والأوزاعي يلزمه الاعتاق إذا كان واجداً للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجاً إليه وقال أبو حنيفة إن كان واجداً العين الرقبة يجب عليه اعتاقها وإن كان محتاجاً إليها وإن كان واجداً لثمن الرقبة لكنه محتاج إليه فله أن يصوم **(المسئلة الثامنة)** قال أصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلبة الهاشجة عذر في الانتقال من الصيام إلى الاطعام والدليل عليه ما روى عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرأة أصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من أمر آتى شيئاً تتابع بي حتى أصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذا انكشف لي منها شيء فالبثت أن تزوت عليها فلما أصبحت خرجت إلى قومي فاخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال أنت بذلك ياسلمة قلت أنا بذلك يا رسول الله مرتين وأنا صابرة لا أمر الله فاحكم بما أمرك الله به قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق نبياً ما أملك رقبة غير ها وضربت صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام قال فاطم وسقام من تمر ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق نبياً لقد بنينا وحشين لأنك لنا طعاماً قال فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك فاطم ستين مسكينا وسقام من تمر وكل أنت وعيالك بقيتها فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي وقد أمر لي بصدقكم وبنو بياضة بطن من بني زريق أخرجه أبو داود وقوله نزوت عليها أي وثبت عليها وأراد به الجماع وقوله تتابع بي المتتابع الوقوع في الشر واللاجاج فيه والوسق

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادون ويشاقون (كتبوا) أخر واواهلكوا (كما كتب الذين من قبلهم) عن أعداء الرسل (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بهمين و باضمار إذ كرم عظيم لليوم (الله) (٢٥٦) جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما

عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يمتنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يقفه منه شيء (ونسوه) لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظم مات الامور (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه شيء (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون) من كان التامة أى ما يقع (من نجوى ثلاثة) النجوى التناجى وقد أضيفت الى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) أى الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقل (من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها زيات في المناقذين وكانوا يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العديدين وقيل ما تناجى منهم ثلاثة ولا خمسة

ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام وأوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت فحنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتق الله فإنه ابن عمك فابرحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجحد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني سأعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله أنا أعينه بعرق آخر قال قد أحسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجمي الى ابن عمك أخرجه أبو داود وفي رواية قالت ان أوسا ظاهرا منى وذكرت أن به لما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتكم الارحمة له ان له في منافع وذكرته نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لما اللهم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللهم هنا الجنون والخليل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شيء بل معنى اللهم ههنا الامام بالنساء وشدة الحرص والسبق والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما (كتبوا) أى ذلوا وأخروا وأهلكوا (كما كتب الذين من قبلهم) أى كما أخزى من كان قبلهم من أهل الشرك (وقد أنزلنا آيات بينات) يعنى فرائض وأحكاما (وللكافرين) أى الذين لم يعملوا بها وحدها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله) أى حفظ الله أعمالهم (ونسوه) أى نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا (والله على كل شيء شهيد) ﴿قوله تعالى﴾ (ألم تر) أى ألم تعلم (أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) يعنى ان الله سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات ثم أكد ذلك بتعديله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) أى من أسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة والمعنى ما من شيء يناجى به الرجل صاحبه وقيل له يكون من متناجين ثلاثة يسارر بعضهم بعضا (الاهورابعهم) بالعلم يعنى يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت أقل ما يكفى في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالتوسط الحاكم بينهما فيثبت محمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفردي أشرف من الزوج فلهاذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) يعنى ولا أقل من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد (الا هو معهم أى بالعلم والقدرة) (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) ﴿قوله عز وجل﴾ (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما رآهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم أن لا يتناجوا دون

عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يمتنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يقفه منه شيء (ونسوه) لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظم مات الامور (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه شيء (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون) من كان التامة أى ما يقع (من نجوى ثلاثة) النجوى التناجى وقد أضيفت الى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) أى الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقل (من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها زيات في المناقذين وكانوا يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العديدين وقيل ما تناجى منهم ثلاثة ولا خمسة

ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون ولان أهل التناجى في العادة طائفة من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال قد ذكر عز وجل الثلاثة والخمسة وقال لا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يقارب هذا العهد (أيضا كانوا ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجازيهم عليه (ان الله بكل شيء عليم) ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى

ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم -
إذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعادوا مثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو أثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية (٢٥٧) الرسول ومخالفته ويتنجون حجة

وهو بمعنى الاول (واذا جاؤك

حيوك بما لم يحيك به الله)
يعني انهم يقولون في تحييتك
السلام عليك يا محمد والاسلام
الموت والله تعالى يقول
وسلام على عباده الذين
اصطفى ويا ايها الرسول
ويا ايها النبي (ويقولون
في أنفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول) أي يقولون فيما
بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله
بما نقول فقال الله تعالى
(حسبهم جهنم) عذابا
(يصالونها) حال أي يدخلونها
(فبئس المصير) المرجع
(جهنم يا ايها الذين آمنوا)
بالسنتهم وهو خطاب
للمنافقين والظاهر انه
خطاب للمؤمنين (إذا
تناجيتهم فلا تناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية
الرسول) أي إذا تناجيتهم
فلا تشبهوا باليهود والمنافقين
في تناجيهم بالشر (وتناجوا
بالسر) باداء الفرائض
والطاعات (والتقوى)
وترك المعاصي (واتقوا الله
الذي اليه تحشرون)
للا حساب فيجازيكم بما
تناجون به من خيرا وشر
(انما النجوى) بالاثم

المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى أي عن المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لما نهوا
عنه) أي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعني ذلك السر الذي كان
ينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين أو شيء يسوءهم وكلاهما أثم وعدوان (ومعصية الرسول) وذلك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه بوصى بعضهم بعضا
بمعصية الرسول (واذا جاؤك) يعني اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السلام عليك والاسلام الموت وهم يوهمونهم بانهم يسلمون عليه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون في أنفسهم) يعني اذا خرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا
الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم
يصالونها فبئس المصير) المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة
والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافهم (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل
رهن من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السلام
واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول
الله ألم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري أن اليهود أدنوا النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا السلام عليك فقال وعليكم فقال عائشة السلام عليكم واعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا قال أولم تسمعي ما قلت
رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السلام الموت قال الخطابي عامة الحديثين يروون اذا سلم عليكم
أهل الكتاب فأنما يقولون السلام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة
يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا أثبت
الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردي عن القول
قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتهم فلا تناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) في مخاطبين
بهذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وذلك أنه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم وأن يفعلوا كفعلهم فقال
لا تناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا
عليه والقول الثاني وهو الاصح أنه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا
بزعمهم كانه قال لهم لا تناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بالطاعة وترك
المعصية (واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) أي من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم
به من الائم والعدوان ومعصية الرسول (ليحزن الذين آمنوا) أي انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن
عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن
مسعود في رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابي داود (وليس بضارهم شيئا) يعني ذلك التناجي وقيل
الشيطان ليس بضارهم شيئا (الاباذن الله) أي الا ما أراد الله تعالى وقيل الاباذن الله في الضر (وعلى الله
فليتوكل المؤمنون) أي فليكل المؤمنون أمرهم الى الله تعالى ويستعينوا به من الشيطان فان من توكل

(٣٣ - (خازن) - رابع) والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) أي الشيطان نافع بضم الياء (الذين
آمنوا وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيئا) الا بان الله (بعمه وقضائه وقدره) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي يكون أمرهم الى الله
ويستعينون به من الشيطان

(يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس) توسعوا فيه في المجلس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مرا كز الغزاة كقوله مقاعد للقتال مقاتل في صلاة الجمعة (فافسحوا) فوسعوا (٢٥٨) (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يقتضي الناس الفسيحة فيه من المكان والرزق

والصدر والقبر وغير ذلك (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرتم بالنهوض عنه أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدني وشامي وعاصم غير جاد (رفع الله الذين آمنوا منكم) بامثال أو أمراء وأوامر رسوله (والذين أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفي الدرجات قولان أحدهما في الدنيا في المرتبة والشرف والآخر في الآخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوم واحد تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه صلى

على الله لا يخيب أملة ولا يبطل سعيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا) الآية قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسأموهم فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فقام من المجلس بقدر أولئك نفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا في مجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والاقرب أن المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فأمر الله المؤمنين بالتواضع وإن يفسحوا في المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس في الأخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لأن لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه فافسحوا أي فأوسعوا في المجلس أمر وابتان يوسعوا في المجالس لغبرهم (يفسح الله لكم) أي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقمين أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقمين أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى مقعده فيقعده فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في أفراد مسلم موقوفا على جابر ورفع غير الحميدي وقيل في معنى الآية أن هذا في مجالس العرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فابتان يوسعون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فأمر وابتان يوسعوا لآخوانهم لأن الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الأول والحاجة داعية إلى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لأن كل من وسع على عباد الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة (واذا قيل انشزوا) أي إذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لآخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتناقلون عن الصلاة في الجماعة إذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى إذا نودي إلى الصلاة فانهضوا إليها وقيل إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى كل خير فانهضوا إليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أي بطاعتهم لله ورسوله وامثال أو أمراء في قيامهم من مجالسهم وتوسعهم لآخوانهم (والذين أوتوا العلم) أي ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل عملهم وسابقتهم (درجات) أي على من سواهم في الجنة قيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم إذا انتهى إلى باب الجنة أدخل ويقال للعالم قف فاشفع في الناس أخبر الله عز وجل أن رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما أتمروا وإن نفر من أهل بدر مستحقون لما عملوا به من الأكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه

بالله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم مرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة الآية شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أخبر سليمان عليه السلام بين العلم والمال والمال فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم اني أعم أحب كل علم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وعن الزبير بن العزم ذكر فلا يحببه إلا ذكر كورة الرجال والعلوم أنواع فاشرفها أشرفها ما

الآية وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعمله من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم في أقواله وفي أفعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي قال حديث بلغني انك تحذنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت في تجارة قال لا قال اما جئت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يتبعني فيه علم اسلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر أخرجه الترمذي ولا يابى داود نحوه (ق) عن معاوية ابن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من برد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده أحدهما المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهو لأفـضل وانما بعثت معلميهم جلس فيهم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) يعني اذا أردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا أمام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقـره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويشبـطهم عن ذلك فامرهم أن يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثر من مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيئا واما الاغنياء وأهل اليسرة فضنوا واستدل ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم ينالوا على بن أبي طالب تصدق بدينار ونالوا ثم نزلت الرخصة فكان على يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الآية قال في خفف الله عن هذه الامة أخرجه الترمذي قال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة أي وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها أحد غيره قلت هو كما قلت وايس فيها طعن من على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لاحتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة أولى بان

(يا أيها الذين آمنوا اذا
ناجيتم الرسول) اذا أردتم
مناجاته (فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة) أي
قبل نجواكم وهي استعارة
عن ليدان كقول عمر
رضي الله عنه أفضل ما
أوتيت العرب الشعر
يقدمه الرجل امام حاجته
فيستمطريه الكريم
ويستنزل به اللثيم يريد
قبل حاجته

(ذلك) التقديم (خير لكم) في دينكم (وأظهر) لأن الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ماتصدقون به (فان الله غفور رحيم) في ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفه فكننت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فاجابني عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقات وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه (فاذلم تفعلوا) ما أمرتم (٢٦٠) به وسق عليكم (وتاب الله عليكم) أى خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذه بترك

تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذه بالذنوب عن التائب عنه (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أى فلا تنفروا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خير بما تعملون) وهذا وعد ووعد (الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يقولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ما هم منكم) يامسأون (ولامنهم) ولا من اليهود كقوله مذبحين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أى ويقولون والله اننا لمسلمون لا منافقون

ترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم وقوله (ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله (وأظهر) أى لذنو بكم (فان لم تجدوا) يعنى الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعنى أنه تعالى رفع عنهم ذلك (أأشفقتم) قال ابن عباس أبخاتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله (أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا) أى ما أمرتم به (وتاب الله عليكم) أى تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبى ما كان الساعة من نهار ثم نسخ (فاقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكاة) أى الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله) أى فيما أمر ونهى (والله خير بما تعملون) أى انه محيط بأعمالكم ونياتكم قوله عز وجل (الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود ونصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين اليهم فاراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ما هم) يعنى المنافقين (منكم) أى من المؤمنين في الدين والولاء (ولامنهم) يعنى ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) أى انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فيبينار رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجرة من شجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك خلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فخلقوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الآية (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) يعنى الكاذبة (جنة) أى يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعنى انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذوا أموالهم بسبب إيمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذى هو الاسلام (فلهم عذاب مهين) يعنى في الآخرة (ان تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم) يوم القيامة (من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعنى كاذبين انهم ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) أى في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انه ينفع في الآخرة أيضا (ويحسبون أنهم على شئ) (وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقا (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى انهم كانوا في الزمان الماضى مصرين على سوء العمل أوهى حكاية ما يقال لهم في الآخرة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس في خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصددهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذاب الله (شيئا) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله في الآخرة انهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) في الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم) في الدنيا (على شئ) من النفع أو يحسبون انهم على شئ من النفع ثم بإيمانهم الكاذبة كما اتفقوا عليها

(وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقا (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى انهم كانوا في الزمان الماضى مصرين على سوء العمل أوهى حكاية ما يقال لهم في الآخرة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس في خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصددهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذاب الله (شيئا) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله في الآخرة انهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) في الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم) في الدنيا (على شئ) من النفع أو يحسبون انهم على شئ من النفع ثم بإيمانهم الكاذبة كما اتفقوا عليها

(ألا انهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فانساهم ذكر الله) قال شاه الكرمانى علامة استحوذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس و يشغل قلبه عن التفكير في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها و يشغل لسانه عن ذكره بالكذب والغيبة والبهتان و يشغل لبه عن التفكير والمراقبة بتدبير الدنيا وجعلها (أولئك حزب الشيطان) جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين) في جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) في اللوح (لا غلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو باحد هما (ان الله قوى) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب (لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم (٢٦١) الآخري وادون) هو مفعول ثان لتجد أو حال أو صفة لقوم ما وتجد بمعنى

تصادف على هذا (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) أى من الممتنع ان تجد قومًا مؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في التوصية بالتصليب في بجانب أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيذا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم) وبقوله (أولئك كتب في قلوبهم الایمان) أى أثبتته فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وأيدهم بروح منه) أى بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أى بروح من الإيمان على أنه في نفسه روح حياة القلوب به وعن الثورى انه

يعنى من أيمانهم الكاذبة (ألا انهم هم الكاذبون) يعنى في أقوالهم وأيمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب واستولى عليهم وملكهم (فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين) يعنى في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة لان ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثانى ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينارعه غير متناهية (كتب الله لا غلبن أنا ورسلى) أى قضى الله ذلك قضاءً ثابتاً قليل غلبة الرسل على نوعين ففهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوى) أى على نصر رسوله وأوليائه (عزيز) أى غالب على أعدائه قوله تعالى (لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أخبر الله تعالى ان إيمان المؤمنين يفسد بمواد الكافرين وان من كان مؤمناً لا يوالى من كفر لان من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه فان قلت قد أجمعت الامة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم واراادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظ فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم) يعنى ان الميل الى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية في حاطب بن أبى بلتعنة حين كتب الى اهل مكة وستأنى قصته في صورة الممتحنة وروى عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى أبابعبدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد وأبناءهم يعنى أبابكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا أبنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعنى أكن في الرعدة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبابكر وأخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير وأعشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحزرة وابابعبدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك كتب في قلوبهم الایمان) أى أثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقفه مخلص وقيل حكم لهم بالإيمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وأيدهم بروح منه) أى قواهم بنصر منه وانما سمي نصره اياهم روحا لان به حي أمرهم وقيل بالإيمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لأعداء الله سبحانه وتعالى فقال (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) والله أعلم بمراده

قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح إيمانه واخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالس ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدع اسلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعاً طلب عز الدنيا وغناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى ومن فحشك الى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بشوابه الجسيم في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا (أولئك حزب الله) أنصار حقه ودعاة خلقه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الباقيون في النعيم المقيم الفارزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

﴿سورة الحشر مدنية وهي

أربع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات

وما في الارض وهو العزيز

الحكيم) روى ان هذه

السورة نزلت باسمها في بني

النضير وذلك ان النبي صلى

الله عليه وسلم حين قدم

المدينة صالح بنو النضير

رسول الله صلى الله عليه

وسلم على ان لا يكونوا عليه

ولاله فلما ظهر يوم بدر

قالوا هذا النبي الذي نعتته في

التوراة فلما هزم المسلمون

يوم احدار تابوا ونكثوا

فخرج كعب بن الاشرف

في أربعين راكبا الى مكة

خالف أباسفیان عند

الكعبة فامر صلى الله

عليه وسلم محمد بن مسامة

الانصارى فقتل كعبا غيلة

ثم خرج صلى الله عليه وسلم

مع الجيش اليهم فحاصروهم

احدى وعشرين ليلة

وأمر بقطع نخيلهم فلما

قدف الله الرعب في قلوبهم

طلبوا الصلح فابى عليهم

الا الجلاء على ان يحمل كل

ثلاثة أليات على بعير ماشاؤا

من متاعهم فجاءوا الشام الى

اريماء واذرعات (هو

الذي أخرج الذين كفروا

من أهل الكتاب) يعنى

يهود بني النضير (من

ديارهم) بالمدينة واللام في

﴿تفسير سورة الحشر﴾

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية أربع وعشرون آية

وأربع مائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من

أهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان

النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول

الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه

النبي الامي الذي نحمد نعتته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدى اوهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وركب كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا خالفوهم وعاهدوهم على أن

تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبوسفيان في أربعين من قريش وكعب بن الاشرف

في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستاذ الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه

الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وأبوسفيان وأمره

بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسامة غيلة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله

عليه وسلم قد اطاع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين الذين قتلهم معا عمرو بن أمية

الضمري في منصرفه من برمعونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم

وأخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأمر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم

وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على أثروا عية وبأكية على أثر بأكية قال نعم

فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم أتمرأسرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب

الينا من ذلك ثم نادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهم أن لا يخرجوا

من الحصن فان قاتلوكم فخصم معكم ولا تخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدرؤوا على الازقة

وحصنوها ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فإرسلا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين رجلا

من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك

آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج اليه ثلاثون جبر من اليهود حتى كانوا في

براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب الموت

قبله ولكن أرسلا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا

فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنوا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه

وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فإرسلا امرأاة ناصحة من

بني النضير الى أخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله

عليه وسلم فاقبل أخوها سرى ما حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فسار به بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع

النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاتب فحاصروهم احدى

وعشرين ليلة فقتل الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصلح فابى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم

(الاول الحشر) تتعلق باخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ايها النبي قد امتحنت لحياتي وقوله جنته لوقت كذا أي أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر ان هذا أول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام وهذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خير الى الشام وآخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنهما من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثاني وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا امضوا فانكم أول الحشر ونحن على الاثر فتادة اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى أرض الشام وبها تقوم عليهم القيامة وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم (٢٦٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم

أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه أن في تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانها ومنعتها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجلة اليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم أو يطمع في مغازاتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم (فاتاهم الله) أي أمر الله وعقابه وفي الشواذ فاتاهم الله أي فاتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على

ما أقالت الابل من أموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ماشاؤا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حبي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قرية مر جعه من الاحزاب وبينهم ماسنتان (الاول الحشر) قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لأول الحشر لانهم كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خير وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام في أيام عمر وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ما ظننتم) يعني أيها المؤمنون (أن يخرجوا) أي من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فاتاهم الله) أي أتاهم أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخرجون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما أقالت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويحرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمود وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخرجون ما يليهم من ظاهرها ويخرج بها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون الى التي بعد ها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدأ خيبر ضاعا (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف (يخرجون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين) يخرجون أبو عمرو والتخريب والاحراب الفساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخرجون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواذ الازقة وأن لا يتحسروا بعد جلأهم على بقائهم مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فداعىهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى يخرجهم لها يدي المؤمنين انهم لما عرضوهم بشكك العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم أمرهم به وكفروهم اياه

(فاعتبروا يا أولي الابصار) أي فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي استحقوا به ذلك فاخذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الاهل والولد (لعذبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل بنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (٢٦٤) (في الآخرة عذاب النار) الذي لا أشد منه (ذلك بانهم) أي انما أصابهم ذلك بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله) ورسوله (فان الله شديد العقاب) ما قطعتم من ائمة (هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم) كأنه قيل أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع الى ما في قوله تعالى (أو تركتموها) لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (قائمة على أصولها فباذن الله) فقطعوا وتركها باذن الله (وليخزي الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها (وما أفاء الله على رسوله) جعله فيأله خاصة (منهم) من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بحاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم

(فاعتبروا) أي فاعتظوا وانظروا ما نزل بهم (يا أولي الابصار) أي ياذوي العقول والبصائر (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) يعني الخروج من الوطن (لعذبهم في الدنيا) يعني بالقتل والسبي كما فعل بنى قريظة (ولهم) في الآخرة عذاب النار ذلك) أي الذي لحقهم ونزل بهم (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) قوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) الآية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل بنى النضير وتحصنوا حصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فخرج أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهي البويرة فنزل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤي * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخيلهم الا العجوة وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه هي لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبهم أيهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف وأحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فاخبر الله أن قطعها كان باذنه (وليخزي الفاسقين) يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود أذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لا بأس ان تهدم وتحرق وترعى بالمجانيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها (قوله عز وجل) (وما أفاء الله على رسوله) أي ما راد الله على رسوله (منهم) أي من يهود بنى النضير (فما أوجفتم عليه) يعني أوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) يعني الابل التي تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تروا ركوب باعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى في هذه الآية انها لم يوجب للمسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها مشقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعني بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء) من أعدائه (والله على كل شيء قدير) أي فهي له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الا نصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانه سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحريث بن صمة (ق) عن مالك بن أوس النضري ان عمر دعه اذ جاء حاجبه يرفا فقال هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن مسعود أن يقولوا نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك في عباس

بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله) ورسوله (فان الله شديد العقاب) ما قطعتم من ائمة (هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم) كأنه قيل أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع الى ما في قوله تعالى (أو تركتموها) لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (قائمة على أصولها فباذن الله) فقطعوا وتركها باذن الله (وليخزي الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها (وما أفاء الله على رسوله) جعله فيأله خاصة (منهم) من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بحاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم

لانه على ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب (ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء) يعني ان ما خول الله رسوله من أموال بنى النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسوله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهر افقسمها بين المهاجرين ولم يعط الا بصر الا ثلاثة منهم لفقرهم (والله على كل شيء قدير)

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وأنما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها بل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة وزيف هذا القوم بعض المفسرين وقال الآية الأولى نزلت في أموال بني النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية في غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفي الآية بيان مصرف خمسها فهي مبتدأة (كيلا يكون دولة) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة ما يدول للإنسان أي يدور من الجدد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الأغنياء منكم) لا يكون النفي الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) أي ما أعطاكم من قسمة غنيمة أو فيء (تخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه (فاتهوا) عنه ولا تطلبوه

وعلى يستأذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخل قال العباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال مالك بن أوس يخيل إلي أنهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتشدوا أنشدكم بالله الذي بآذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلى قال أنشدكم بالله الذي بآذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قال نعم قال عمر إن الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخص بها أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بني النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقي يجعله مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذي بآذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليه مثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك قال نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتم حينئذ وأقبل على علي وعباس وقال تذكر أن أبا بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم أنه لصادق بارر أشد تابع للحق ثم توفي الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من أمارتي أعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله أعلم أني فيه لصادق بارر أشد تابع للحق ثم جئنا في كلاً كما وكلمتكما واحدة وأمر كما جيع فقلت لكما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قلتم ادفعها لينا فلما بدا لي أن أدفعها اليكما قلت ان شئنا دفعته اليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لئعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت والافلاتكمان فقاما ادفعه لينا بذلك فدفعته اليكما أقتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي بآذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتماعنه فادفعاه إلى فاني أكفيكماه قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعني من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هي قرى يطة والنضير وفدك وخيبر وقرى عربية (فله وللرسول ولذي القربى) يعني بني هاشم وبني المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم تفسيره في سورة الانفال في حكم الغنيمة وقسمتها وأما حكم النبي فإنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقي يجعله مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف النبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما أنه للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهل فالأهل من المصالح واختافوا في تخميس مال النبي فذهب قوم إلى أنه يخمس الخمس لأهل خمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة وللمصالح وذهب الآخرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد لجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين إلى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الأرض مسلم الا وله في هذا التي حق الاملاكت أيمانكم (كيلا يكون) التي (دولة) والدولة اسم الشيء الذي يتداوله القوم بينهم (بين الأغنياء منكم) يعني بين الرؤساء والاقوياء فيغالبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك أن أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المربع ثم يصطفي بعده ما يشاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمر به (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي من مال النبي والغنيمة (وما نهاكم عنه) أي من الغلول وغيره (فاتهوا) وهذا نازل في أموال النبي وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب

(واتقوا الله) ان تخالفوه وتهاونوا باوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود أن يكون عامي كل ما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر النفي داخل في عمومهم (للفقراء) بدل من قوله ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من الله وللرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يرفع برسول الله عن التسمية بالفقير (٢٦٦) وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل (المهاجرين

الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لان الله تعالى سمي المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار وأموال (يتغنون) حال (فضلا من الله ورضوانا) أي يطلبون الجنة ورضوان الله (وينصرون الله ورسوله) أي ينصرون دين الله ويعينون رسوله (أولئك هم الصادقون) في إيمانهم وجهادهم (والذين) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (تبوءوا الدار) توطنوا المدينة (والإيمان) وأخلصوا الإيمان كقوله * علفها تبنا وماء باردا * أو جعلوا الإيمان مستقرا ومتوطنهم لئلا يتركهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أردادار الهجرة ودار الإيمان فقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع

أونهى عن محرم فيدخل فيه النفي وغيره (ق) عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشيات والمستوصيات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وذكركه فقال عبد الله ومالي لألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوجي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فانتهوا عما نهاكم الله والوشم هو غرز العضوم من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل والمستوصمة هي التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكاف تفرج ما بين ثنابها بصناعة وقيل هي التي تنفلج في مشيتها فكل ذلك منهي عنه (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد عن أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لألفين أحدكم متمكنا على أريكته ياتي به أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن الا ريكة كل ما تركي عليه من سرير أو فراش أو منصة أو نحو ذلك (واتقوا الله) أي في أمر النفي (ان الله شديد العقاب) أي على ترك ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أنها كم عنه ثم بين من له الحق في النفي فقال عز وجل (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) يعني الجأهم كفار مكة الى الخروج (يتغنون فضلا من الله) أي رزقا وقيل ثوابا من الله (ورضوانا) أي خرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل (وينصرون الله ورسوله) أي بانفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته (أولئك هم الصادقون) أي في إيمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا احبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا وعن أنس سعيده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صاعا ليكم المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود وقوله عز وجل (والذين تبوءوا الدار والإيمان) يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا (من قبلهم) يعني انهم أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتغوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بستين والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الإيمان ليس بمكان يتبوء (يحبون من هاجر اليهم) وذلك انهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة) أي خرازة وغيظا وحسدا (مما أتوا) أي أعطى المهاجرون من النفي ودونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة قطابت أنفس الانصار بذلك (ويؤثرون

المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الدنيا والإيمان وقيل من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احدهما حتى تزوج بهارجل من المهاجرين (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا) ولا يعلمون في أنفسهم طلب محتاج اليه مما أتوا في المهاجرون من النفي وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعني ان نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شيء منه تحتاج اليه وقبل حاجة حسدا مما أعطى المهاجرون من النفي حيث خصهم النبي صلى الله عليه وسلم به وقيل لا يجدون في صدورهم مس حاجة من فقد ما أتوا وحذف المضافان (ويؤثرون

على أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) أي
 خصاصة (فقر وأصلها
 خصاص البيت وهي
 فروجه والجللة في موضع
 الحال أي معروضة خصاصتهم
 روى أنه نزل برجل منهم
 ضيف فنوم الصبية وقرب
 الطعام وأطفا المصباح
 لبشبع ضيفه ولا يا كل هو
 وعن أنس أهدى لبعضهم
 رأس مشوى وهو مجهود
 فوجهه إلى جاره فتداولته
 تسعة أنفس حتى عاد إلى
 الأول أبو يزيد قال لي
 شاب من أهل بلخ مال الزهد
 عندكم قلت إذا وجدنا أكلنا
 وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا
 عندنا كلاب بلخ بل إذا
 فقدنا صبرنا وإذا وجدنا
 آثرنا (ومن يوق شح
 نفسه فاولئك هم
 المفلحون) الظافرون بما
 أرادوا والشح اللؤم وأن
 تكون نفس الرجل كزة
 حريصة على المنع وأما
 البخل فهو المنع نفسه وقيل
 الشح أكل مال أخيك
 ظمأ والبخل منع مالك
 وعن كسرى الشح أضرم
 من الفقر لأن الفقير
 ينسع إذا وجد بخلاف
 الشحيح (والذين جاؤا
 من بعدهم) عطف
 أيضا على المهاجرين وهم
 الذين هاجروا من بعد
 وقيل التابعون باحسان
 وقيل من بعدهم إلى يوم
 القيامة قال عمر رضي الله

عنه (ولو كان بهم خصاصة) أي
 فاقة وحاجة إلى ما يؤثر به (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء ثم أرسل به إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرجه الله فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فقال أنيا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبيان قال فعاليهم بشئ ونومهم فاذا دخل ضيفنا فإياه انا نأكل فاذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلي فيه فاطفيه ففعلت ففقدوا وكل الضيف وبتا طاول بين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة زاد في رواية فانزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا وأطعنا (خ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا الا أن تقطع لآخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لا فاصبر واحتى تلقوني على الخوض فانه سيصيبكم أثره بعدى وفي رواية ستلقون بعدى أثره فاصبر واحتى تلقوني على الخوض الاثره بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول أشهر ومعناه الاستئثار وهو أن يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من آثر إذا أعطى أراد أنه يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الشيء والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل الاثره الشدة والاول أظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوم النصير للانصار ان شتمتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شتمتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم تقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) أي الفائزون بما أرادوا وروى أن رجلا قال لابن مسعود اني أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظمأ ولكن ذلك البخل وبشئ الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم * عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود اطلع أشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يحزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته أو يخرج من يده والخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزع * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمن في قلب عبد أبدا أخرجه النسائي قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم

عنه دخل في هذا النبي وكل من هو مولود الى يوم القيامة في الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون والانصار عائشة رضي الله عنها أمر وaban يستغفروا لهم فسيبوهم (ولا تجعل في قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعني الصحابة (٣٦٨) (ربنا انك رؤوف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وطلحة والزبير قال

أقول ما قولنيسه الله وتلا هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله (ألم تر الى الذين نافقوا) أي ألم تر يا محمد الى عبد الله ابن أبي وأشياعه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني بني النضير والمراد اخوة الكفر (لئن أخرجتم من دياركم) (لنخرجن معكم) روى ان ابن أبي وأصحابه دسوا الى بني النضير حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم لانخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لانخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم (ولا نطيع فيكم) في قتالكم (أحدا أبدا) من رسول الله والمسلمين ان جئنا عليه أو في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصر (وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم الكاذبون) في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون الادبار ثم لا

الى يوم القيامة) (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أخبرناهم بدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) فكل من كان في قلبه غل أو بغض لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناء الله به هذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين وليس له في المسلمين نصيب وقال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن أخي أمر و أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسيبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال مالك بن أنس من انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم الى رؤوف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمر و أن يستغفروا لهم فسيبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما وقدا نار الله الحرب أطفأها الله بسفك دماهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم أعاذنا الله وإياكم من الاهواء المضلة وروى عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبابكروهم وعمر فقالت وما تهجمون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله أن لا يقطع عنهم الاجر وروى ان ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له من المهاجرين الاولين أنت قال لا قال فمن الانصار أنت قال لا قال فانا أشهد بانك است من التابعين لهم باحسان قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نافقوا) يعني أظهر واخلاف ما أضر واهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود من بني قريظة وبني النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) أي من المدينة (لنخرجن معكم) أي منها (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) يعني ان سألنا أحد خلافكم وخذلناكم فلا نطيعه فيكم (وان قوتلتم لننصرنكم) أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم (والله يشهد انهم الكاذبون) أي فيما قالوا وعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فانهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم (ولئن نصروهم ليولن الادبار) يعني لو قدر وانصروهم أو لو قصد وانصر اليهود لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون)

ينصرون) وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزم المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أوليهم من اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين يعني

(لأنتم أشد رهبة) أى أشد مرهوبة مصدر رهب المبني للمفعول وقوله (فى صدورهم) دلالة على نفاقهم، أى أنهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم (من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون (٢٦٩) الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته

(لا يقاتلونكم) لا يقدر أن
على مقاتلتكم (جميعا)
مجمعين يعني اليهود
والمنافقين (الا) كائنين
(في قرى محصنة) بالخنادق
والدروب (أو من وراء
جدار) جدار مكي وأبو
عمرو (بأسهم بينهم
شديد) يعني أن البأس
الشديد الذي يوصفون به
إنما هو بينهم إذا قاتلوا ولو
قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس
والشدة لان الشجاع يجبن
عند محاربة الله ورسوله
(تحسبهم) أي اليهود
والمنافقين (جميعا) مجتمعين
ذوي ألفة واتحاد (وقلوبهم
شتى) متفرقة لألفه بينها
يعني أن بينهم أحناء وعاتات
فلا يتعاضدون حتى
التعاضد وهذا تجسير
للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم
على قتالهم (ذلك) التفرق
(بانهم قوم لا يعقلون) أن
تشتت القلوب مما يوهن
قواهم ويعين على أرواحهم
(كمثل الذين من قبلهم)
أي مثلهم كمثل أهل بدر
خذف المبتدا (قريباً)
أي استقر من قبلهم زمانا
قريباً (ذاقوا وبال أمرهم)
سوء عاقبة كفرهم
وعداوتهم لرسول الله صلى

يعني بنى النضير لا يصرون منصور بن اذا انهزم ناصر وهم (لأنهم) يعني يامعشر المساميين (أشد رهبة في صدورهم من الله) أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع خزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أي الخوف منكم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة) أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (أو من وراء جدار) وقرى جدر (بأسهم بينهم شديد) أي بعضهم فظ على بعض أو عداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله (تحسبهم جميعا وقلوا بهم شتى) أي متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق وقيل أراد أن دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا) يعني مشركي مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعني القتل بيدرو كان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بنى قينقاع وقيل مثل قرظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سستان (ولهم عذاب أليم) أي في الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) أي مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم إياهم كمثل الشيطان (اذ قال للإنسان اكفر) وذلك ما روى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وإن إبليس أعياء في أمره الحيل فجمع ذات يوم مرده الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عاياه السلام فدفعه إلى أقصى أرض الهند لا إبليس أنا كفيك أمره فانطلق فترين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينقل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام مرة فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل الصومعة فلما انتقل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائما يصلي في هيئة الرهبان فلما رأى ذلك في حاله ندم في نفسه أي لام نفسه حين لم يجبه فقال له أنك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فأحاجتك قال الأبيض حاجتي أني جئت لا كون معك فأنا أدب بآدابك وأقتبس من عملك ونجتمتع على العبادة فتدعولي وأدعوك قال برصيصا أني لفي شغل عنك فإن كنت مؤمنا فإن الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا إن استجاب لي ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوما فلما انتقل بعدها رأى قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الأبيض قال ما حاجتك قال له حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك فأذن له فارتفع إليه في صومعته فأقام حولا لا يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوما مرة ولا ينقل عن صلاته إلا كذلك ورمما إلى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا أني منطلق فإن لي صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وذكره مفارقتهم لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الأبيض قال له إن عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا أنا أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلا وإنني أخاف أن علم الناس شغلوني عن العبادة فلم يزل به الأبيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال قد والله أهلك الرجل قال فانطلق الأبيض فتعرض

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِمْ كَلَّا وَيَلَّيْ وَخَيْمِ سَيِّءِ الْعَاقِبَةِ يَعْنِي ذَا قَوَاعِدَابِ الْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)
عَذَابُ النَّارِ (كَثَلُ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ

لرجل خنقه ثم جاء في صورة رجل متطيب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا فاعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يندفع فقال
 لهم اني لا اقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده
 الاسم الذي اذا دعبه أجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعاه بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان
 الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعوهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من
 بنات ملوك بني اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عم تلك الجارية
 ملك بني اسرائيل خنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتي الناس في صورة متطيب فقال لهم اعالجهما قالوا نعم
 فقال ان الذي عرض لها ما رد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها
 دعاها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيئنا الى هذا
 وهو أعظم شأننا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا
 فضعوها في صومعتها وقولوا له هذه أمانة عندك فاحتسب أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فإني عليهم فبنوا
 صومعة على ما أمرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة
 عندك فاحتسب فيهم انصرفوا فلما انقفل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هي عليه من الجمال
 فوقع في قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان خنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان
 عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان خنقها فكانت تكشف عن نفسها وتعرض لبرصيصا فجاءه
 الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم يجد مثلها وستوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الأمر فلم يزل به حتى واقعها
 فلم يزل كذلك يأتيا حتى حلت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افترضت فهل لك أن تقتلها
 وتتبون فان سألوكم فقل ذهابها شيطانها فلم أقف عليها فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء
 الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل
 على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا
 يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم
 مكرويون جاء الشيطان الى أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في
 موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر
 به فانطلق الشيطان الى أوسطهم فقال الاوسط مثل ما قال الا أكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم بمثل
 ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله قد رأيت مثله فقال الا أكبر وأنا
 والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها
 فكانكم قد اتهمتموني فقالوا لا والله لانهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها
 مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم على مارأوه في النوم
 فشقوا في موااليهم وغلبانهم معهم الفؤوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا
 به للملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان أتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر بجمع عليك أمران
 قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا
 أنعرفني فقال لا قال أنا صاحبك الذي علمت الدعوات وكنت اذ ادعوت بهن يستجاب لك ويحك
 ما اتقيت الله في أمانتك خنت أهلها وانك زعمت انك أعبد بني اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه
 حتى قال في آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس وفضحت
 نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح أبدا ولن يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعني في
 خصله واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فاخذ باعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال

ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيما فقال يا برصيما هذا الذي أردت منك صارت عاقبة
 أمرك الى ان كفرت ببربك (فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين) قال الله تعالى (فكان
 عاقبتهم) يعني الشيطان وذلك الانسان (أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس
 ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله
 عليه وسلم باجلاء بني النضير فدرس المنافقون الى اليهود وقالوا لا نجيبوا محمدا الى مادعاكم ولا تخرجوا
 من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودر بوا على حصونهم وتحصنوا في
 ديارهم وجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيما وخذله فكان عاقبة
 الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني اسرائيل الا بالتقية والكتمان
 وطمع أهل الفسق والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من أمر جريج الراهب ما كان
 فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسط الرهبان بعده وظهر للناس وكانت قصة جريج على ما روى عن
 أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتمكم في المهدي الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب
 جريج وكان جريج رجلا صالحا عبدا فافتقد صومعة فكان فيها فاته امه وهو يصل فيها فقالت يا جريج
 فقال يا رب أمي وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت يا جريج فقال يا رب أمي
 وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فاقبل
 على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريج بجا وعبادته
 وكانت امرأة بني يثمل بحسنها معهم فقالت ان شئت لافتننكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فانت راعيا
 كان باوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاقوه فاستزلوه
 وهدمو صومعته وجعلوا يضربونه فقال ماشأنكم فقالوا زينت بهذه البغي فولدت منك فقال ابن الصبي
 جئاؤه فقال دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي قطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال
 فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج بقبولونه وتمسحون به وقالوا له بنى لك صومعتك من ذهب قال أعيدوها
 من طين كما كانت ففعلوا وبنوا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت
 أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثل هذا ثم أقبل على
 نديه فجعل يرضع قال فكان في أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة
 في فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زينت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم
 الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجع
 الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومر وابهذه
 الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها
 فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنت ولم تزن وسرقت ولم
 تسرق فقلت اللهم اجعاني مثلها أخرجه مسلم بتمامه وهذا الفظه وأخرجه البخاري مفرقا حديث جريج
 تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهي المرأة الفاجرة والبغي الزانية أيضا
 وقوله يثمل بحسنها أي يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة أي صاحب جمال ظاهر في الهيئة
 والملبس والركب ونحو ذلك والجبار العاني المتكبر القاهر للناس **قوله تعالى** (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أي لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه أم سيئا
 يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقر به على الناس كأن يوم القيامة يأتي غدا وكل ما هو آت فهو قريب **(واتقوا**

فلما كفر قال اني بريء
 منك اني أخاف الله رب
 العالمين) أي مثل المنافقين
 في اغرائهم اليهود على القتال
 ووعدهم اياهم النصر ثم
 متاركتهم لهم واخلافهم
 كمثل الشيطان اذا استغوى
 الانسان بكيدته ثم تبرأ منه
 في العاقبة وقيل المراد
 استغواؤه قريشا يوم بدر
 وقوله لهم لا غالب لكم اليوم
 من الناس واني جار لكم
 الى قوله اني بريء منكم
 (فكان عاقبتهم) عاقبة
 الانسان الكافر والشيطان
 (أنهما في النار خالدين فيها)
 عاقبتهم ما خبر كان مقدم
 وأن مع اسمها وخبرها
 أي في النار في موضع
 الرفع على الاسم وخالدين
 حال (وذلك جزاء الظالمين
 يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 الله) في أوامره فلا
 تخالفوها (ولتنظر نفس)
 نكر النفس تقبلا للأنفس
 النواظر فيما قدم من الآخرة
 (ما قدمت لغد) يعني يوم
 القيامة ساء باليوم الذي
 يلي يومك تقربا له أو عبر
 عن الآخرة بالغد كأن الدنيا
 والآخرة نهاران يوم وغد
 وتذكيره لتعظيم أمره أي
 لغد لا يعرف كنهه لعظمه
 وعن مالك بن دينار
 مكتوب على باب الجنة
 وجدنا ما عملنا من بحنا ما قدمنا
 خسرنا ما خلفنا (واتقوا

الله) كرا الامر بالتقوى تأ كيد أو اتقوا الله في أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد وقوله (ان الله خير بما تعملون) فيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يركب من الذنوب يمتنع عنه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكر الله عز وجل ومأمورهم به (فانساهم أنفسهم) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (٢٧٢) (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه

للناس وابدان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة ونهالكهم على ايشار العاجلة وانباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابها وان الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الاليم مع أصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعنى أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبه بذلك على حق الابوة الذي يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبناعن مثل هذا في أصول الفقه والكافي (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا من خشية الله) أى من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل في الجبل تمييز وانزل عليه القرآن لخضع ونطأطأ وتصدع أى تشقق

الله ان الله خير بما تعملون) قيل كرا الامر بالتقوى تأ كيد أو قيل معنى الاول اتقوا الله في أداء الواجبات ومعنى الثانى واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى تركوا أمر الله (فانساهم أنفسهم) أى أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده (أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لما أرشد المؤمنين الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت اغدو وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم أنفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوى أصحاب النار يعنى الذين هم في العذاب الدائم وأصحاب الجنة يعنى الذين هم في النعيم المقيم ثم أتبعه بقوله أصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما ﴿قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل في الجبل تميزا وعقلا كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخضع أى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزاقته مشفق من خشية الله وخذر من ان لا يؤدى حق الله تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام فانه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعود والوعيد وتميز الحق من الباطل والواجب من الالحجب باحسن بيان وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه أوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يصور منه الخشوع والخشية الا أن يخلق الله تعالى له تميزا وعقلا يدل على انه تمثيل قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناه مآذ والرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى في الدنيا يعم المؤمنين والكافرين والآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) أى المتصرف بالامر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذى كثرت بركته (السلام) أى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبق بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبق سليما وقيل السلام أى سلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به

من خشية الله وجائز أن يكون هذا تمثيلا كما في قوله انا عرضنا الامانة وبذل عليه قوله (وتلك الامثال نضربها

لنفس لعلهم يتفكرون) وهى اشارة الى هذا المثل والى أمثاله فى مواضع من التنزيل والمراد تو بيخ الانسان على فسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه ونزاجه ثم رد على من أشرك وشبهه بخلق فقال (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية أو الدنيا والآخرة أو المعدوم والموجود (الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبائح وفى تسبيح الملائكة سبعون قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (المؤمن) واهب الامن

من عذابه وقيل هو المصدق لرسوله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وما وعده الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس أى الشهيد على عباده باعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد في معناه

ألا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه في العرف والنكر

أى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الامين والمؤمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في أبيات منها حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء زانها النطق وقيل المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا في معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده * ولقد تعالى عن عقول أولى النهى

راموا بزعمهم صفات ما ليكمهم * والوصف يحجز عن ما ليك لا يرى

(العزیز) أى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمتة فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا أراد أمر افعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لا ينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كذابا فى فعله فكان مذموما فى حق الناس وأما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان أظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر برؤيته فلا شئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر الكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحانه الله عما يشركون أى من ادعاء الكبر لا أنفسهم (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجد فيه فهو سبحانه وتعالى قدراً فعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارى) أى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) أى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريد وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارى المنشئ لما يريد بخلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وأنشأه على صور مختلفة وأشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فالولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارى لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارى على المصور لان إيجاد الذات مقدم على إيجاد الصفات (له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله أعلم

﴿سورة الممتحنة مدنية﴾

وهى ثلاث عشرة آية وثلاثون حرفا وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

وعن الزجاج الذى أمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه من أطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له منفعيل من الامن الآن همزته قلبت هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه أو العظيم الشأن فى القدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزهاته عما يصف به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجد به (البارى) الموجد (المصور) فى الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك بأخر الحشر فأكثر قراءته فاعدت عليه فاعدت على فاعدت عليه فاعدت على ﴿سورة الممتحنة مدنية﴾ وهى ثلاث عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) روى ان مولاه لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال له سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها مسلمة جئت قالت لا قال أمها جرة جئت قالت لا قال فاجاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وحوّلوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاه عشرة دنانير وكساه بردا واستحمّلها كتابا إلى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة اعلّموا ان رسول الله يريدكم خذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير (٢٧٤) والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها

ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وحوّلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادرّكوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيل سيفه وقال لها أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك فخرجت بهن عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حلاك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمّون أهاليهم وأموالهم غيري نخبت على أهلي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) الآية (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا متعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت مامعي من كتاب فقلنا لخرجن الكتاب أولتقين الشيا ب فخرجت من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لاتجعل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمّون بها أهاليهم وأموالهم بمكة فاحببت اذ فاني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يد يحمّون بها قرابتي وما فعلته كفر ولا ارتدادا عن ديني ولا أرضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إلى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول أصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لئلا يمتها اليهودي والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك ان سارة مولاه لابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمة جئت قالت لا قال أمها جرة جئت قالت لا قال فاجاء بك قالت كنتم الال والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها أو أين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بنى عبدالمطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحوّلوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاه عشرة دنانير وكساه بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم خذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها وحوّلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدرّكوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله مامعها من كتاب فبحثوا وفتشوا امتاعها فلم يجدوا معها كتابا فامروا بالرجوع فقال على

والله

فأردت أن اتخذ عندهم يد او قد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه وقبل

عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ففاضت عيناهم رضي الله عنه فنزل (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) عدوي اتخذ إلى مفهولي وهما عدوي وأولياء والعدو فاعول من عداك فقوم من عفاوا كنه على زنة المصدر أو وقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان

(والله بما تعملون بصير) فيحازيكم على أعمالكم (فدكانت لكم أسوة) قدوة في التبري من الأهل (حسنة في إبراهيم) أي في أقواله وخطبه استثنى منها الأقوال إبراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (اذ قالوا لقومهم انابرآء منكم) جمع برى كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنابكم وبدايبننا وينسكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ نترك عداوتكم (الاقول إبراهيم لا يبه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها لياه أي اقتدوا به في أقواله ولا تناسوا به في الاستغفار لا يبه الكافر (بما أملك لك من الله من شيء) أي من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فن يملك لكم من الله شيئاً ولكن المراد استثناء جملة قوله لا يبه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من (٢٧٦) جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بان

يقولوه (واليك أنبنا) أقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أي الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) ثم كرر آية على النساء بإبراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به صدر بالقسم لانه الغاية في التأكيد وأبدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله أي نوابه أي يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فان الله هو الغني) عن الخلق (الحديد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات

أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) قوله تعالى (فدكانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) أي من أهل الإيمان (اذ قالوا لقومهم) يعني المشركين (انابرآء منكم) جمع برى (ومما تعبدون من دون الله كفرنابكم) أي نجحناكم وأنكرنا دينكم (وبدايبننا وينسكم العداوة والبغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده) والمعنى ان إبراهيم عليه السلام وأصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم (الاقول إبراهيم لا يبه لاستغفرن لك) يعني لكم ان تناسوا بإبراهيم في جميع أموره الا في الاستغفار لا يبه المشرك فلا تناسوا به فان إبراهيم كان قد قال لا يبه لاستغفرن لك فامتابين له اقامته على الكفر تبرأ منه (وما أملك لك من الله من شيء) هذا من قول إبراهيم لا يبه يعني ما أغنى عنك ولا أدفع عنك عذاب الله ان عصيته وأشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء إبراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) لقد كان لكم فيهم (أسوة حسنة) أي اقتداء حسن (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) أي يعرض عن الإيمان ويوال الكفار (فان الله هو الغني) أي عن خلقه (الحديد) أي الى أهل طاعته وأوليائه فلم يأمر الله المؤمنين بعبادة الكفار عادي المؤمنين أقرباءهم المشركين وأظهر وألهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فانزل الله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم) أي من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وأخوانا وخالطوهم وناكحوهم ونزوح النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله قدير) أي على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أي بان نأب منهم وأسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي وتعادلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحد افرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أمه وهي أسماء

وشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع أقاربهم من المشركين أطمعهم في تحول الحال الى خلافه فقال بنت (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم) أي من أهل مكة من أقرباءكم (مودة) بان يوفقههم للإيمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بامنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعدم من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الخواص عسى أولعل فلا تبقى شبهة للاحتجاج في تمام ذلك أو أربد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على قلب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتحسنوا اليهم) فعلا ومحل أن تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتغال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقسطوا اليهم بالمقسط ولا تظلموهم واذنهي عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم (ان الله يحب المقسطين)

بنت أبي بكر وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا ندخلي على بيتا حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فانزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قالت قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي راغبة أفأصلها قال نعم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهر واعي أخرجكم) وهم مشركوا مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمصور بن محزوم يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو وعلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك من أحد وإن كان على دينك إلا ردته إلينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل إلا ذلك فكانت النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسالما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق لجاء أهلها يسألون عنها النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله فيهن إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن إلى ولاهم يحلون لهن قال عروة فأخبرني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمكنهن بهذه الآية يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال طار رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كالأما يكامها والله ما مست يدها امرأة قط في المبايعة ولا بايعهن إلا بقوله وقال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى إذا كان بالحد بيبة صالحه مشركا ومكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى مكة من أصحابه لم يردوه إليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسامة بعد فراغ الكتاب وأقبل زوجها سافر من بني مخزوم وقيل هو صبي بن الرأب في طابها وهو كافر فقال يا محمد اردد علي امرأتى فانك قد شرطت أن ترد عليا من أتاك منا وهذه طيبة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحنها أن تستخلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس دنيا وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإذا حلفت على ذلك لم يردّها فاستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة خلفت فلم يردّها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي تولى امتحانهم بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطى أزواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلاف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا أو عمومًا فقبل قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحًا ففسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجال على ما كان في العقد وقبل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وإنما أطلق العهد فكان ظاهره العموم لا اشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم

انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهر واعي أخرجكم أن تولوهم هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولي غير موضعه (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) فامتحنوهن بالامتحان (مهاجرات) نصيب على الحال (فامتحنوهن) فامتحنوهن بالنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

(الله أعلم بما بينهم) منكم فانكم وان رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغائب بظهور الامارات وتسمية الظن علماً يؤذن بان الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تنقذ ما ليس لك به علم (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) أي لا حل بين المؤمنة والمشرک لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهن ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور نزلت الآية بعد صاحب الحديدية وكان (٢٧٨) الصلح قد وقع على أن يرد على مكة من جاء مؤمناً منهم فانزل الله هذه الآية ببيان

ان ذلك في الرجال لا في النساء لان المسامة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات (إذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن لان المهر أجر البضع وبه احتج أبو حنيفة رضي الله عنه على ان لا عدة على المهاجرة (ولا تمسكوا) ولا تمسكوا بصرى (بعصم الكوافر) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب الكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أي لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقه زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نساها لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (واسألوا ما أنفقتم) من مهور

(الله أعلم بما بينهم) أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بما بينهم (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) أي اذا أقررن بالايان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبع مؤمنة لكافر (وآتوهن) يعني أزواجهن (ما أنفقوا) أي عاين من المهر الذي دفعوه اليهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن أزواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدها فان أسلم الزوج قبل انقضاء عدها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي ما يعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين فريضة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية ابن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والآخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جزل الخزاعية وهي أم ابنه عبيد الله فتزوجها أبو جهل بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركاً ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسئلوا) أي أيها المؤمنون (ما أنفقتم) يعني ان لحقت امرأة منكم بالمشرکين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر اذا منعوها من تزوجها منهم (وليسئلوا) يعني المشرکين الذين لحقت أزواجهم بكم (ما أنفقوا) من المهر عن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله بحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاء من المسلمين قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله تعالى وأدوا ما مروا به من أداء نفقات المشرکين على نسايتهم وابتى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل (وان فاتكم) أيها المؤمنون (شيء من أزواجكم الى الكفار) أي فالحقن بهم مرتدات (فعاقبتهم) معناه غزوتهم فغنمتم وأصبتم من الكفار عقيب وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فاتوا الذين ذهبوا أزواجهم) أي الى الكفار (مثل ما أنفقوا) معناه أعطوا الذين ذهبوا أزواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشرکين من نساء المؤمنين

أزواجكم اللاحقات بالكفار من أزواجهن (وليسئلوا ما أنفقوا) من مهور نسايتهم المهاجرات عن أزواجهن (ذلكم حكم الله) أي جميع ما ذكر في هذه الآية (بحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم كما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لامتداد لا منهم (والله عليم حكيم) وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار وان انفلت أحد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أحد (فعاقبتهم) فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنتم عن الزجاج (فاتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا) فآطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة

المهاجر بن ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري ١ وفاطمة بنت
 أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وروع
 بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت
 أبي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن
 رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف
 القول في رد مهر من أسلمت من النساء الى زوجها هل كان واجبا أو مندوبا وأصل هذه المسئلة ان الصالح هل
 كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لا يأتيك
 من أحد الا ردته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد
 المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن علي انه قال لا يأتيك من رجل وان كان
 على دينك الا ردته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك
 اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت وأكرهت عليها الضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر
 باظهار كرامة الكفر مع التورية واضمار كرامة الايمان وطمانينة القلب عليها ولا يخشى ذلك على الرجل
 لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال
 اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال
 قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما أنفقوا ﴿ قوله تعالى ﴾ (واتقوا الله الذي أتم به المؤمنين يا أيها
 النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ
 من بيعة الرجال وهو على الصفات التي النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت
 عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعهن (على أن لا يشركن بالله شيئا) فرفعت هندا رأسها وقالت والله انك
 لتأخذ علينا امرأنا ايناك أخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت هندان أبو سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله
 هنات فلا أدري أيحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي
 صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال
 (ولا يزني) فقالت هند أوتزني الحرة فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغار او قتلتموهم
 كبار افا تم وهم أعلم وكان ابنه احنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن) فقالت هند والله ان البهتان
 لقبيح ومات امرأنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك في معروف) فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا
 وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجه له من أحصى من
 المبايعات أربع مائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يوافق في البيعة امرأة وانما يبايعهن بالكلام (ق) عن عائشة
 رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن
 لا يشركن بالله شيئا ومما استيدرس رسول الله صلى الله عليه وسلم به امرأة لا يملكها أو ماتت ففسر الآية فقوله تعالى
 ولا يقتلن أولادهن أراد به وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا
 يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجه غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط
 المولود فتقول لزوجه هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفتري وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي
 عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها وأرجلها ولا

(واتقوا الله الذي أتم به
 مؤمنون) وقيل هذا الحكم
 منسوخ أيضا (يا أيها النبي
 اذا جاءك المؤمنات يبايعنك)
 هو حال (على أن لا يشركن
 بالله شيئا ولا يسرقن ولا
 يزني ولا يقتلن أولادهن)
 يريد وأد البنات (ولا
 يأتين بهتان يفتريه بين
 أيديهن وأرجلهن) كانت
 المرأة تلتقط المولود فتقول
 لزوجه هو ولدي منك
 كني بالبهتان المفتري بين
 يديها وأرجلها عن الولد
 الذي تلصقه بزوجه
 كذبا لان بطنها الذي تحمله
 فيه بين اليدين وأرجلها
 الذي تلده به بين الرجلين
 (ولا يعصينك في معروف)
 طاعة الله ورسوله

١ قوله فاطمة تقدم ان
 اسمها قريبة فاعمل في اسمها
 خلافا وذكرا الخطيب أولا
 أن اسمها قريبة وثانيا
 فاطمة كما هنا والله أعلم اه

(فبايعهن واستغفرهن الله) عمما مضى (ان الله غفور) بتمحيق ما سلف (رحيم) بتوفيق ما ائتلف وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه فبايعهن عنه بأمره وبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متكررة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنع بحمزة فقال عليه السلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا فبايع عمر النساء على أن (٢٨٠) لا يشركن بالله شيئا فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هندان أبا سفيان رجل

شحيح وإنى أصبت من ماله هذات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله قال عفى الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أو تزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ريبناهم صغارا وقتاتهم كبارا فاتهم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين بهتان فقالت والله ان البهتان لا مرقبيح وماتنا مننا لا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا في أنفسنا ان نعصيك في شيء وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم السورة بمآبده قيل هم المشركون (قديشوا)

يعصينك في معروف أي في كل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه وقيل في كل أمر وافق طاعة الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر وتتفه وخش الوجه وان لا تحدث المرأة الرجال الا جانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء أخرجه البخاري (ق) عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا أريد أن أجزيها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منّا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن أسيد بن أسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذي أخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجهها ولا ندعوا ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا أخرجه أبو داود * عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحنن فقلن يا رسول الله نساء أسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعدنا في الاسلام أخرجه النسائي (م) عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تنب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه أبو داود * وقوله تعالى (فبايعهن) يعني اذا بايعتك على هذه الشروط فبايعهن (واستغفرهن لهن الله ان الله غفور رحيم) عن أمية بنت رقية قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطعتن قلنا الله ورسوله أرحم بنا منا بانفسنا قلنا قال سفيان يعني صاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولى لمائة امرأة كهولى لامرأة واحدة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قديشوا من الآخرة) يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيشسوا من أن يكون لهم ثواب أو خير في الآخرة (كباش الكفار من أصحاب القبور) يعني كباش الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كباش الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قديشوا من ثواب الآخرة كباش الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

* تفسير سورة الصف وفيها قولان أحدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان واحد وعشرون كلمة وتسعمائة حرف *

من الآخرة) من ثوابها لانهم يشكرون البعث (كباش الكفار) أي كباشوا الا أنه وضع الظاهر موضع الضمير (من بسم أصحاب القبور) ان يرجعوا اليهم أو كباش أسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة أي هؤلاء كسلهم وقيل هم اليهود أي لا تتولوا قوما مغضوبين عليهم قديشوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يش الكفار من موتاهم ان يشعروا يرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان لكفار أي كباش الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم * سورة الصف مدنية وهي أربع عشرة آية *

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) روى أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو تعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم لا تنفعون) لم هي لام الاضافة داخل على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام أو غيرها كشيء واحد وهو كثير الاستعمال في كلام المستفهم وقد جاء استعمال لاصل قليلا قال ﴿على ما قام يشتمني جرير﴾ والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن في الوصل فلا جرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله أن (٢٨١) تقولوا ما لا تنفعون) قصد في كبر التحجيب من غير لفظه كقوله

﴿غلت ناب كليب بواؤها﴾ ومعنى التحجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التحجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقتا خاص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم ما لا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فقال أنا مروني أن أقول ما لا أفعل فأستجمل مقت الله ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كانهم بنيان مرصوص) لاصق بعضه ببعض وقيل أريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم لا تنفعون ما لا تفعلون) قيل سبب نزولها ما روى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قد نانا نقرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو علم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم لا تنفعون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال المفسرون إن المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا ولبنانا فيها أموالنا وأفسنا فانزل الله عز وجل إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأنزل الله هل أدلكم على نجارة الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فلولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب أهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فغيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وأطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في المنافقين وذلك أنهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) أي عظم بغضا عند الله (أن تقولوا ما لا تفعلون) معناه أن يعدوا من أنفسهم شيئا ولم يفوا به (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أمانتهم (كانهم بنيان مرصوص) أي قد رص بعضه ببعض وألحق بعضه إلى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف ومعنى الآية إن الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبت البناء المرصوص ﴿قوله تعالى﴾ (واذ قال موسى لقومه) أي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل (يا قوم لما تؤذوني) قيل أنهم كانوا يؤذونه بأنواع من الأذى والتعنّت منها قولهم أرانا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها أنهم رموه الأذرة (وقد تعلمون أني رسول الله اليكم) يعني تؤذوني وأنتم علمون علمنا قطعيا أني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) أي عدلوا وما لوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أي أمله عن الحق إلى غيره (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه بأنه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم إيذاء الرسل حتى إن أذاهم يؤدى إلى الكفر وزيف القلوب عن الهدى (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم) أي اني رسول أرسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة (مصدق لما بين يدي من التوراة) أي اني مقرر معترف بأحكام التوراة وكتب الله وأنبيائه جميعا ممن قد تقدم (ومبشرا برسول يأتي من بعدي) أي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكانه قيل ما اسمه فقال (اسمه أحمد) عن أبي موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يأتوا النجاشي الذي رص بعضه إلى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب بأذكر (قال موسى لقومه يا قوم لما تؤذوني) بجحود الآيات والقذف بما ليس في (وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذوني علمين علمنا يقينا (أنى رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك توقير وتعظيمي لأن تؤذوني (فلما زاغوا) ما لوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) من الهداية وأملأهم نزع نور الإيمان من قلوبهم وأملأهم اختارا والزيف أزاغ الله قلوبهم أي خذلهم وحرهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (اني رسول الله اليكم) مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) أي أرسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني

(٣٦ - (خازن) - رابع)

الذي رص بعضه إلى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب بأذكر (قال موسى لقومه يا قوم لما تؤذوني) بجحود الآيات والقذف بما ليس في (وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذوني علمين علمنا يقينا (أنى رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك توقير وتعظيمي لأن تؤذوني (فلما زاغوا) ما لوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) من الهداية وأملأهم نزع نور الإيمان من قلوبهم وأملأهم اختارا والزيف أزاغ الله قلوبهم أي خذلهم وحرهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (اني رسول الله اليكم) مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) أي أرسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني

من التوراة وفي حال نبشيري بر رسول يأتي من بعدى يعنى ان ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا من تقدم وتاخر بعدى محجازى وأبو عمرو وأبو بكر وهو اختيار الخليل وسبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما في الرسول من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حزة وعلى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) وأى الناس أشد ظلاما ممن يدعوهم به على لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه (٢٨٢) الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب ونمويه (يريدون ليطفؤا

نور الله بافواههم) هذاتهم
بهم في ارادتهم ابطال
الاسلام بقولهم في القرآن
هذا سحر مثلت حالهم
بحال من ينفخ في نور
الشمس بفيه ليطفئه
والمفعول محذوف واللام
للتعليل والتقدير يريدون
الكذب ليطفؤا نور الله
بافواههم أى بكلامهم
(والله متم نوره)
وحزة وعلى وحفص متم
نوره غيرهم أى متم الحق
ومبلغه غايته (ولو كره
الكافرون هو الذى أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق)
أى الملة الحنيفية (ليظهره)
ليعليه (على الدين كله)
على جميع الاديان المخالفة له
ولعمري لقد فعل فباتى
دين من الاديان الا وهو
مغلوب مقهور بدين
الاسلام وعن مجاهد اذا
نزل عيسى لم يكن فى الارض
الا دين الاسلام (ولو كره
المشركون يأياها الذين
آمنوا هل أدلكم على تجارة

وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد أن محمدا رسول الله وأنه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لاتبته حتى أجل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال أبو داود المذنبى قد بقى فى البيت موضع قبر أخرجه الترمذى عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم يأتى بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كانهم فى الفقه أنبياء برضون من الله بالسير من الرزق ويرضى الله منهم بالسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماسح الذى بمحو الله فى الكفر وأنا الحاشى الذى يحشر الناس على قدمى يوم القيامة وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحىما وأحد يحتمل معنيين أحدهما أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الانبياء كلهم مجودون لله عز وجل وهو أكثر جد الله من غيره والثانى أنه مبالغة من المفعول ومعناه أن الانبياء كلهم مجودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحسن والاخلاق التى يحمد بها من غيره (فلما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أى ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أى ومن أقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه أن يكذب على الله وذلك أنهم علموا أن ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية أى الناس أشد ظلاما ممن يدعوهم به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم) يعنى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) قوله عز وجل (يأياها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لنعلم أى الاعمال أحب الى الله عز وجل لعلمنا وانما سماه تجارة لانهم يريدون بحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم) أى الذى أمركم به من الايمان والجهاد فى سبيله (ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله أى اذا فعلتم ذلك

تنجيكم من عذاب أليم) تنجيكم شامى (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو معنى آمنوا عند سبويه ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما سبى به على لفظ الخبر للآيدان بوجوب الامتنال وكأنه امثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم) أى ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم كان خير لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفعلون وتخلصون (يغفر لكم ذنوبكم)

٢ قوله قال نعم الخ كذا فى نسخة وفى أخرى قال نعم أمة أحد حكماء اه مصحح

ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن) أي إقامة وخلود يقال عدن بالمكان إذا أقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبية إليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على عجلة العاجل وقال صاحب الكشف معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم قال نصر أي هي نصر (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قيل آمنوا واجاهدوا بئسكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مراد قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار (٢٨٣) الله) أي أنصار دينه أنصار الله حجازي وأبو عمرو (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله ومعناه من جندى متوجه إلى نصره الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرته الله والحواريون أصفياؤهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخالصة من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (فآمنت طائفة من بني إسرائيل) بعيسى (وكفرت

عمر و) كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله ومعناه من جندى متوجه إلى نصره الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرته الله والحواريون أصفياؤهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخالصة من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (فآمنت طائفة من بني إسرائيل) بعيسى (وكفرت

يفسر لكم ذنوبكم) (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعني هذا الجزاء الذي ذكره الفوز العظيم (وأخرى تحبونها) أي ولكم تجارة أخرى وقيل لكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل ففتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) أي يا محمد بالنصر في الدنيا والآخرة في الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) أي مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وكانوا اثني عشر رجلا أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحواري الرجل صفيه وخالصة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حواري الزبير (فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم لم تظهر الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) أي غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى روح الله وكلمته والله أعلم برأيه وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الجمعة﴾

وهي مدنية واحدة عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبع مائة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (يسبح الله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين) يعني العرب وكانت العرب أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الأمي هو الذي على ما خلق عليه كأنه منسوب إلى أمه (رسولا منهم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل أميا مثلهم وإنما كان أميا لأن نعتة في كتب الأنبياء النبي الأمي وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب إلى صدقه (يتلو عليهم آياته) أي التي تبين رسالته وقيل آياته التي يتميز بها الحلال من الحرام

طائفة) به (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقومنا مؤمنهم على كفارهم (فاصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولي المؤمنين والله أعلم ﴿سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يسبح الله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح إما أن يكون تسبيح خاقعة يعني إذا نظرت إلى كل شيء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزهه عن الأشياء أو تسبيح معرفة بان يجعل الله باطنه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى وينزهه ألا ترى إلى قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بان يجري الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هو الذي بعث) أرسل (في الأميين رسولا منهم) أي بعث رجلا أميا في أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله والأمي منسوب إلى أمه العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائفة وهم أخذوها من أهل الخبرة وأهل الخبرة من أهل الأنبار (يتلو عليهم آياته) القرآن

(ويزكهم) ويظهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة والفقه في الدين (وان كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لأن ضلال مبين) كفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين منهم) مجرور معطوف على الاميين يعني انه بعث في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين (لما يباحقوا بهم) أي لم يباحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين وقيل هم العجم أو منصوب معطوف على المنصوب في ويعلمهم (٢٨٤) أي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى

أوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) في تمكينه رجلا أميا من ذلك الامر العظيم وتأيد عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذي أعطاه محمد وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغواير هو (فضل الله يؤتیه من يشاء) اعطاه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) أي كفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يعملوها (كمثل الجار يحمل أسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل في محل النصب على الحال أو الجر على الوصل لان الجار كالشيم في قوله ولقد أمر على الشيم بسبني شبه اليهود في أنهم حملوا التوراة وقراءها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم

والحق من الباطل (ويزكهم) أي يلهوهم من دنس الشرك (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن وقيل الفرائض (والحكمة) قيل هي السنة (وان كانوا من قبل) أي من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لأن ضلال مبين وآخرين منهم) أي من المؤمنين الذين ظهر وايدون بدینهم لانهم اذا أسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة وقيل أراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبيرة ورواية عن عن مجاهد يدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يباحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يباحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فيمنافو وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثر يا لثنا وله رجال من هؤلاء أخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة (لما يباحقوا بهم) لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يباحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأنا والصحابة (وهو العزيز) أي الغالب الذي قهر الجبابرة (الحكيم) أي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته (ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء) يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمد صلى الله عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) أي على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) يعني اليهود حيث كفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر وإنما هو من الجملة والجميل هو الكفيل (ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الجار يحمل أسفارا) جمع سفر وهي الكتب العظام من العلم سمى سفر لأنه يسافر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضرب به الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا اذ لم ينتفعوا بما في التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالجار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) أي بئس مثلامثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعني محمد صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب آيات الله وأنبيائه (قل) أي قل يا محمد (يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) أي من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) أي ادعوا على أنفسكم بالموت (ان كنتم صادقين) يعني

ينتفعوا بآياتها كذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالجار حمل كتبها كبارا فيما من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بهامه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس مثلامثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو بئس مثل القوم المكذبين منهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي رقت اختيارهم الظلم أو لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما (قل يا أيها الذين هادوا) هاديهود اذا هود (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يمتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي أعدها

لا ولياء ثم قال (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر (٢٨٥) ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة

منهما نفى للمستقبل الآن في لن تأكيذا وتشديدا ليس في لا فإني مرة بلفظ التأكيدي ولن يتمنونه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (والله أعلم بالظالمين) وعيد لهم (قل إن الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون أن تمننوه خيفة أن تؤخذوا وبوال كفركم (فانه ملائكم) لا محالة والجملة خبران ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) النداء الاذان ومن بيان لا إذا وتفسيره ويوم الجمعة سيد الأيام وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر (فاسعوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعي والمضي والذهاب واحد وليس المراد به السرعة في المشي (إلى ذكر الله) أي إلى الخطبة عبد الجهور وبه استدلال أبو حنيفة رضي الله عنه على أن الخطيب إذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) أراد ألا تربطكم ما يذهل عن ذكر الله من

فيما زعمتم أنكم أبناء الله وأحبوا هذه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه لأن الآخرة خير لا ولياء الله من الدنيا (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب (والله أعلم بالظالمين قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم) أي لا ينفعكم الفرار منه (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد بقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة) أي لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام إلى المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان إذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثير الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولا في داود قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لأن الله تعالى جمع فيه خاق آدم وقيل لأن الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمي هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمي الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سمو الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهدم فلما جعل يوما يجتمع فيه فذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة الآية عن كعب بن مالك انه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت اذا سمعت النداء ترحم لاسعد ابن زرارة قال لانه أول من جمع بني بني من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضبات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون أخرجه أبو داود وأما أول جمعة صلى الله عليه وسلم باصحابه فقد ذكر أصحاب السيران النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا إلى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واديهم وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) أي فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في المشي وإنما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا إلى ذكر الله وقال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا أن يأتوا إلى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الآية فاسعوا إلى ذكر الله قال السعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعي بقوله فلما مشى معه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فإدركتم فصلوا وما فاتكم فامضوا وفي رواية فإذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان أحكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا إلى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام (وذروا البيع) يعني البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من له يذمه وإنما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم

شواغل الدنيا وإنما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا بتجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأرجح وذروا البيع الذي تنفعه يسير

البيع والشراء (ذلكم) أي الذي ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء (خير لكم) من المبايع في ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أي مصالح أنفسكم والله تعالى أعلم

(فصل في فضل الجمعة وأحكامها وأثم تاركها) وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) في فضلها (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها زادني رواية ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله فيها شيئا الا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكا من اقرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكا من اقرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكا من اقرب كبش اقرب ومن راح في الساعة الرابعة فكا من اقرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكا من اقرب بيضة فاذا أحرم الامام حضرت الملائكة يستمعون في الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسل كغسل الجنابة (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوضأ فحسن الوضوء ثم أتى بالجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام بفعله كاللغو (خ) عن عبادة قال أدركني أبو عيسى وأنا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت الى الطور فראيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلعت حته الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه تب عليه وفيه تقرأ الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس تنقاس من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيئا الا أعطاه إياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة قرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجالي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أي ساعة هي قال أبو هريرة فقلت أخبرني بها ولا تكن عني وفي رواية ترض علي قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها قال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس محاسبا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطأ والنسائي (خ) عن سامان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور وروى بدهن من دهنه ويمس من طيب يتيه ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الاغفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى * عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يبلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه أبو داود والنسائي قال أبو داود وسئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده * (المسئلة الثانية) في اثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات وليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين * عن أبي

(ذلكم) أي السعي
الى ذكر الله (خير لكم)
من البيع والشراء (ان
كنتم تعلمون

الحمد الضمري وكان له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت أن أمر رجلا أن يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم **(المسئلة الثالثة)** في تأكيده وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكرا مقيما إذا لم يكن له عذر في تركها أو من تركها من غير عذر استحق الوعيد أما الصبي والمجنون فلا الجمعة عليهما لانهم ليسا من أهل الفرض ولا الجمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روى عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الأعلى أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض أخرجه أبو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء أخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وإنما أسنده قبيصة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل إلى أهله أخرجه الترمذي ولا تجب على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المالك وعنه أحمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي إذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وإن لم يسمعوا فلا الجمعة عليهم - م - وبه قال الشافعي وأحمد واسحق والشرط أن يبلغهم - م - نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا الجمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قرية أو بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس قال إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجوآثي من البحرين ولأبي داود نحوه وفيه بجوآثي قرية من قرى البحرين **(المسئلة الرابعة)** في تركها العذر كل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جازله ترك الجمعة وكذلك تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس أنه خطب في يوم ذي ردغ فامر المؤذن فلما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرجال فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم أنكروا ذلك فقال كأنكم أنكرتم هذا إن هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وإنما عزمة وإني كرهت أن أخرجكم زاد في رواية فتمشون في الطين والدحض والزلق أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فإذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة إلا صاحب العذر فإنه إذا حضر كمل به العدد **(المسئلة الخامسة)** في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقل لا تنعقد بأقل من أربعين رجلا وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلا من أهل الكمال وذلك بأن يكونوا أحرار بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا لا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز أن يكون فيهم والوالى غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب لا الجمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد باربعة والوالى شرط عنده وقال الاوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد إلا في موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك وأبو يوسف وقال أحمد تصح بموضعين إذا كثرت الناس وضاق الجامع **(المسئلة السادسة)**

فإذا قضيت الصلوة) أي
أديت (فانتشروا في
الأرض) أمر أباحه
(وابتغوا من فضل الله)
الرزق أو طلب العلم أو عيادة
المريض أو زيارة أخ في
الله (واذكروا الله كثيرا)
واشكروه على ما وفقكم
لأداء فرضه (لعلكم
تفلحون) واذاروا تجارة
أولها انفضوا إليها
تفرقوا عنك إليها وتقديره
وذاروا تجارة انفضوا إليها
أولها انفضوا إليه خذف
أحد همال دلالة المذكور عليه
وإنما خص التجارة لأنها
كانت أهم عندهم روى أن
أهل المدينة أصابهم جوع
وغلاء فقدم دحية بن
خليفة بتجارة من زيت
الشام والنبي صلى الله عليه
وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا
إليه فماتى معه الأثمانية
أو اثنا عشر فقال صلى الله
عليه وسلم والذي نفس محمد
بيده لو خرجوا جميعا
لاضرم الله عليهم الوادي
نارا وكانوا إذا أقبلت
الغير استقبلوها بالطبل
والتصفيق فهو المراد باللهو
(وتركوك) على المنبر
(قائما) يخطب وفيه دليل
على أن الخطيب ينبغي أن
يخطب قائما

لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا
كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فإنه يجوز غير أنه يكره إلا أن
يكون سفره سفر طاعة كحج أو غزو وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقبلا يسافر حتى يصلي الجمعة
يدل على جوازه ما روى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية
فوافق ذلك يوم الجمعة فعد أصحابه وقال أتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألقهم فلم اصلي
مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك أن تغدوم مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك ثم أتبعهم فقال
لوا نقت ما في الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم أخرجه الترمذي وروى أن عمر رأى رجلا عليه أهبة
السفر وسمعه يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر أخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة
شروط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (فإذا
قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض) أي إذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف
في حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعني الرزق وهذا أمر أباحه قال ابن عباس إن شئت فخرج وإن شئت
فأقعد وإن شئت فصل إلى العصر وقيل قوله فانتشروا في الأرض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض
وحضور جنازة أو زيارة أخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك أنه كان إذا
صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما
أمرتني فأرزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) أي إذا فرغتم من الصلاة ورجعتم إلى
التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لا تكون من الذاكرين الله كثيرا
حتى تذكره قائما وقاعد أو مضطجعا (لعلكم تفلحون) ﴿قوله تعالى﴾ (واذاروا تجارة أولها انفضوا إليها
وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبلت غير تحمل طعاما
فانفتلوا إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذاروا تجارة أولها
انفضوا إليها وتركوك قائما وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت غير من الشام وذكر
نحوه وفيه الاثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر ولمسلم كأمع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة
قال فخرج الناس إليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا فافهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثني عشر
رجلا وأجيب عنه بأنه ليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن
عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء
سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رآوه
بالبقيع قاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت
هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تبايعتم حتى لا يبق منكم أحد لاسال بكم الوادي
نارا وقال مقاتل ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذا قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام
بالتجارة وكان إذا قدم لم يبق عائق بالمدينة الا أنه وكان يقدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وروزيت وغيره
و ينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالنبل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج إليه
الناس ليلتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب
فخرج إليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد
فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء اسومت لهم الحجارة من السماء فانزل
الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل وكانت العير إذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا
أي تفرقوا وذهبوا وانحوها والضمير في اليها راجع إلى التجارة لأنها أهم إليهم وتركوك قائما انفضوا على أن

هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعوداً كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً أوقاعدا قال أما تقرأون وتركوك قائماً قال العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب أن يخطب الإمام قائماً خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشرط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعاً ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولوترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو ما روي بالخطبة والسنة للإمام إذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافاً لابن حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والأصح أنه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب أن يصلي تحية المسجد إذا دخل والإمام يخطب خلافاً لابن حنيفة ومالك

﴿ ذكر الأحاديث الواردة الدالة على هذه الأحكام ﴾

(ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالساً فقال انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً وقد قال الله تعالى وإذا راوا تجارة أو طهوا انفضوا البهاون تركوك قائماً (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً إذا بوداود ويقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أخرجه أبو داود والترمذي ولا في داود عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شر ما نؤذي به الله فهو المهتد ومن يصل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيراً بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما لا يضره الله ولا يضر الله شيئاً وفي رواية أن يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوي ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويحجب عنه سخطه انما نحن به وله أخرجه أبو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويشني عليه بما هو أهله ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساءكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خيراً الحديث كتاب الله وخيراً الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك ما فلاه له ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلى وعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد اغتوت عن نافع ابن عمر رأى رجلين يتحدثن والإمام يخطب يوم الجمعة فخصهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب خروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فامصصة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس

(قل ما عند الله) من الثواب (خير من الله ومن التجارة والله خير الرازقين) أي لا يفونهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله أعلم ﴿سورة المنافقين إحدى عشرة﴾ (٢٩٠) آية مدنية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (إذا جاءك المنافقون قالوا

نشهد أنك لرسول الله) أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم (والله يعلم أنك لرسوله) أي والله يعلم أن الأمر كما يدل عليه قولهم أنك لرسول الله (والله يشهد أن المنافقين لكاذبون) في ادعاء المواطأة وأنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة وأنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم أنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا أيمانهم جنة) وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على أن أشهد بيمين (فصدوا) الناس (عن سبيل الله) عن الإسلام بالتغيير والقاء الشبه (أنهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصددهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالاً (بأنهم بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا)

شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الإقامة فإن فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب أن يصلي ظهراً ولا يجوز للامام أن يتدبّر الخطبة قبل تمام العدد وهو أربعون بعون عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انقضوا قبل افتتاح الصلاة وانقض واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انقضوا فاصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل أن يسلم الامام يجب على الباقي أن يصلوها ظهراً وفيه قول آخر وهو أنه ان بقي معه اثنان أتمها جماعة وقيل ان بقي معه واحد أتمها جماعة وعند المزني ان انقضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة أتمها جماعة وان بقي وحده وان كان في الركعة الأولى يتمها أربعون وان انقض من العدد واحد به قال أبو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق إذا أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فذا سلم الامام أتمها جماعة وان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعين (خ) عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن أبي رافع قال استخلف مروان أباه ريرة على المدينة وخرج إلى مكة فصلى بنا أبوهريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة في الأولى وإذا جاءك المنافقون في الثانية قال فادركت أباه ريرة حين انصرف فقلت له أنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة فقال أبوهريرة إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين ﴿عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبو داود والنسائي ﴿وقوله تعالى﴾ (قل ما عند الله) أي ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم (خير من الله ومن التجارة) الذي جاء بهما دحية (والله خير الرازقين) يعني أنه تعالى موجد الرزاق وأصلها منه فأياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة المنافقين﴾

وهي مدنية واحدة عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (إذا جاءك المنافقون) يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه (قالوا نشهد أنك لرسول الله) وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم أنك لرسوله) أي هو الذي أرسلك فهو عالم بك (والله يشهد أن المنافقين لكاذبون) يعني في قولهم نشهد أنك لرسول الله لأنهم أضمر وأخلاف ما ظهر وأوذلك لان حقيقة الايمان أن يواطىء اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شيء واعتقد خلافه أو أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد أنك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم جنة) أي ستر يستترون به من القتل ومعنى أيمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم أنهم لمنكم وقولهم نشهد أنك لرسول الله (فصدوا عن سبيل الله) أي أعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (أنهم ساء ما كانوا يعملون) يعني حيث آثروا الكفر على الايمان (ذلك بأنهم آمنوا) أي في الظاهر وذلك إذا رأوا المؤمنين أقرؤا بالايمان (ثم كفروا) أي في السر وذلك إذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيده لقوله والله يشهد أنهم

أولاً ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستعجان بالايمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا أي نطقوا لكاذبون بكامة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقاً فنحن حبيرون نحو

ذلك أو نطقوا بالآيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع الله على قلوبهم) نفختم عليها حتى لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لا يفقهون) لا يتدبرن أولا يعرفون صحة الايمان والخطاب في (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لرسول الله أو لكل من يخاطب (وان يقولوا تسمع لقولهم) كان ابن أبي رجا جسيما صبيحا فصيحاً وقوم من المنافقين في مثل صفته فكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة اللسان فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع (كانهم خشب) رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له (مسندة) في الحائط شبهوا في استنادهم وما هم الا جرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متر وكا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع أولانهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام خشب أبو عمرو وغير عباس وعلى جمع خشبة كبذنة وبدن وخشب كشمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول أول والمفعول الثاني عليهم وتم الكلام أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم خيفة لهم ورعبهم يعني اذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضاله ظنوه إيقاعاً بهم ثم قال (هم العدو) أي هم الكاملون في العداوة لان أعدى الأعداء العدو والمداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغتر بظواهرهم (قاتلهم الله) دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعووا عليهم بذلك (أني يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجباً من (٢٩١) جهالهم وضلالهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفروا لكم رسول الله لوها رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضاً عن ذلك واستكباراً للووا بالتخفيف نافع (ورأيهم يصدون) يعرضون (وهـم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجبر عمرو و سنان الجهني

الكاذبون (فطبع الله على قلوبهم) أي بالكفر (فهم لا يفقهون) أي الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن (واذا رأيتهم) يعني المنافقين مثل عبد الله بن أبي بن سلول (تعجبك أجسامهم) يعني ان لهم أجساماً ومناظر حسنة (وان يقولوا تسمع لقولهم) أي فتعجب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبي ابن سلول جسيماً فصيحاً ذاق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله (كانهم خشب مسندة) أي أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام شبههم بالخشب المسندة الى جدار وليست بأشجار مثمرة ينتفع بها (يحسبون كل صيحة عليهم) يعني انهم لا يسمعون صوتاً في العسكر بان ينادى مناداً وتنفلت دابة أو تنشد ضاله الاظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد أتوا الماني قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف وجل من أن ينزل فيهم أمر يهلك أستارهم ويبح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتداء فقال تعالى (هم العدو فاحذرهم) أي لا تأمنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك أعداء لك فاحذرهم ولا تأمنهم على شرك لانهم عيون لأعدائك من الكفار ينقلون اليهم أسرارك (قاتلهم الله) أي لعنهم الله (أني يؤفكون) أي يصرفون عن الحق ﴿قوله تعالى﴾ (واذا قيل لهم تعالوا يستغفروا لكم رسول الله لوها رؤسهم) أي أمالوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار (ورأيهم يصدون) أي يعرضون عمداً دعوا اليه (وهم مستكبرون) أي عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم

حليف لابن أبي واقتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا لالأصاف عان جهجاه جعل من فقراء المهاجرين واطم سنانا فقال عبد الله لجعل وأنت هناك قال ما صحبتنا محمد الا لناظم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يا كلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجننا الا عز منها الاذل عني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لو أمسكنكم عن جعل وذو به فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفذوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فأنما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة يثر ب قال فان كرهت أن يقتله مهاجر فأمر به انصار يا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه كلام غلام عسي أن يكون قدوهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتوني أن أومن فأمنت وأمرتوني أن أزكي مالي فزكيت وما بقي لي الا أن أسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا يستغفروا لكم رسول الله ولم يلبث الا أياماً حتى اشتكى ومات

(سواء عليهم أستغفرت لهم) أي يا محمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين)
 ذكر القصة في سبب نزول هذه الآية

قال محمد بن اسحق وغيره من أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون
 لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بذلك خرج إليهم حتى لقبهم على ماء من مياههم يقال له المر يسيع من ناحية قديد إلى الساحل
 فزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بني المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفأها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس
 ومعهم عمر بن الخطاب أجبره من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه
 وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ
 الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جمال وكان فقيرا فقال عبد الله بن
 أبي لجمال وانك هناك فقال جمال وما يمنعني أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبي وعندده هظمن قومه فبهم
 زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي أفعلوها قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا والله مامثلنا
 ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يا كلك أما والله ان رجعتنا إلى المدينة ليخرجننا الا عزمنا الاذل ثم أقبل
 على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتهم ووهبهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم أما والله لو
 أمسكتهم عن جمال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم واتحولوا إلى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفقوا
 من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عزم من
 الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبي اسكت لقد كنت ألعب فشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعندده عمر بن الخطاب فقال دعني أضرب عنقه
 يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن
 أبي فاته فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد الله بن أبي والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت
 شيئا من ذلك وان زيد الكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من أصحابه
 يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت
 الملامة في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم والناس مقتوك وكان زيد يسار النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله
 عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم
 قال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أو ما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أبي فقال أسيد وما قال قال يزعم انه ان رجعت إلى المدينة
 أخرج الا عزمنا الاذل فقال أسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال
 يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته
 ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
 انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فرفني به فانا أحمل اليك رأسه فوالله لقد
 علمت الخرز ما كان بهارجل أبر بوالديه مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن
 أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي على الأرض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافرا فدخل النار فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك

(سواء عليهم أستغفرت لهم)
 أم لم تستغفر لهم لن يغفر
 الله لهم) أي ماداموا على
 النفاق والمعنى سواء عليهم
 الاستغفار وعدمه لانهم
 لا يلتفتون اليه ولا يعتدون
 به لكفرهم أولان الله
 لا يغفر لهم وقرئ استغفرت
 على حذف حرف الاستفهام
 لان أم المعادلة تدل عليه
 (ان الله لا يهدي القوم
 الفاسقين)

حتى أمسى وليته حتى أصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا من
الارض فوقوا نياما واءا فاعل ذلك يشغل الناس عن حديث عبد الله بن أبي الذي كان منه بالامس ثم
راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فوق البقيع يقال لها نعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم ونحو فوها
وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا
فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة فقيل من هو قال رفاعه بن زيد بن التابوت فقال
رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحى فاتاه جبريل عليه
الصلاة والسلام فاخبره بقول المنافق و بمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال
ما زعم اني أعلم الغيب ولا أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق و بمكان ناقتي هي في الشعب وقد تعلق
زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤا بها فاما من ذلك المنافق وحسن ايمانه
فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعه بن زيد بن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا
للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست في البيت لما بي من الهم
والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن أرقم وتكذيب عبد الله بن أبي فلما نزلت أخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله قد صدقك وأوفى باذالك (ق) عن زيد بن أرقم
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لا تنفقوا على
من عند رسول الله حتى ينفذوا من حوله وقال اثنان رجعا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل قال فانتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا
كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوق في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله بتصديقي اذا جاءك
المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلو وارؤسهم وقوله كانهم خشب مسندة
قال كانوا رجالا أجل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بات معهن ناس من
المهاجر بن حتى كثروا وكان من المهاجر بن رجل لعاب فكسع انصار يا فغضب الانصارى غضبا شديدا حتى
تداعوا وقال الانصارى يا لانا انصار وقال المهاجر باللمهاجر بن فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال
دعوى الجاهلية ثم قال ما شأنهم فاخبر بكسعة المهاجر الانصارى فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن أبي
ابن سلول أقدم تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل قال عمر ألا قتل يا نبي الله هذا
الخبث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل أصحابه ولم يسم رواية وفيها فقال
لابأس ولينصر الرجل أخاه ظالما كان أو مظلوما ان كان ظالما فلينه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره
وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقرأ نك أنت الدليل و رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم العزيز ففعل قال أصحاب السيرة وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد
الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لا والله
لا تدخلها أبدا الا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكاه عبد الله
ابن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل
عنه يدخل فقال عبد الله أما اذ جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنع فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة
وتبين كذب المنافقين قيل يا أبا حباب انه قد نزل فيك آى شدا فاذ هب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتموني ان أو من فأمنت وأمرتموني ان أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما
بقي الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو وارؤسهم
الآية ونزل (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفذوا) أى يتفرقوا عنه (ولله

هم الذين يقولون لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى
ينفذوا) يتفرقوا (ولله

خزائن السموات والارض) أى وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة ان ينفقوا عليهم - (ولكن المنافقين لا ينفقون) ولكن عبد الله واضربه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهدون بما يزين لهم الشيطان (يقولون لن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) أى الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولما أعزه الله وأيده من رسله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألت على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك نبيها قال ايس بنيه ولكنه عزة وتلا (٢٩٤) هذه الآية (ولكن المنافقين لا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) لا تشغلكم

خزائن السموات والارض) يعنى بيده مفاتيح الرزق فلا يعطى أحداً شيئاً الا باذنه ولا يمنع الا بمشيئته (ولكن المنافقين لا يفقهون) يعنى ان أمر الله اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (يقولون لن رجعنا الى المدينة) يعنى من غزوة بنى المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل) فرد الله عليهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) أى ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبى بن سلول لم يلبث الا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) أى لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) يعنى عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أى ومن شغل ماله وولده عن ذكر الله (فاولئك هم الخاسرون) أى فى تجارتهم حيث آثروا القانى على الباقي (وأنفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتنى) أى هلا أمهلتنى وقيل لو أخرت أجلي (الى أجل قريب فاصدق) أى فازكى مالى (وأكون) وقرئ وأكن (من الصالحين) أى من المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية فى المنافقين ويدل على هذا أن المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل نزلت فى المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من أحد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته أو أطاق الحج ولم يحج الاسأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين أى أحج رازكى (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها) يعنى انه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته (والله خبير بما تعملون) يعنى انه لورد الى الدنيا وأجيب الى ما سأل ما حج ومازكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملاً من خيراً أو شراً والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة التغابن﴾

وهى مدنية فى قول الاكثر وقيل هى مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحد واربعون كلمة وألف وسبعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد) يعنى انه تعالى متصرف فى ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان أصول النعم كلها منه وهو الذى يحمد على كل حال فلا محمود فى جميع الاحوال الا هو (وهو على كل شئ قدير) يعنى انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا

(أموالكم) هو التصرف فيها والسعى فى تدبير أمرها بالنماء وطلب النجاج (ولا أولادكم) وسروركم وشغقتكم عليهم والقيام بتوهمهم (عن ذكر الله) أى عن الصلوات الخمس وعن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدينا عن الدين وقيل من يشتغل بتدبير أمواله عن تدبير أحواله وبمراضة أولاده عن اصلاح معاده (فاولئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا الباقي بالقانى (وأنفقوا مما رزقناكم) من للتبعض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما يئأس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أخرت موتى (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فاصدق)

فاتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون مانع أبو عمرو بالنصب عطف على اللفظ والجزم على موضع فاصدق كانه قيل ان أخرتني أصدق وأكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا جاء أجلها) لمكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد ويحجب المعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة والله عليم باعمالكم فجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب ﴿سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير﴾ قدم الطرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على

الحقيقة له لانه مبدى كل شئ والقائم به وكذا الجدلان أصول النعم وفر وعها منه وأما ملك غيره فتسايط منه واسترعاء وحمد غيره محتداً بان
نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أى فنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمن وفاعل له ويدل عليه قوله
(والله بما تعملون بصير) أى عالم وبصير بكفركم وإيمانكم الذين هم امن عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم باصل النعم الذى هو الخلق
والايجاد عن العدم وكان يجب أن تكونوا باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أنما فنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب
عليهم والا كثرت فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به
(خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار (٢٩٥) المكافين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فاحسن
صوركم) أى جعلكم أحسن

الحيوان كله وأبهاه بدليل
أن الانسان لا يتمنى أن
تكون صورته على خلاف
ما يرى من سائر الصور
ومن أحسن صورته ان
خلقه منتصباً غير منكسب
ومن كان دميماً مشوه
الصورة سمح الخلقة فلا
سماجة ثم ولكن الحسن
على طبقات فلا تحطاطها
عما فوقها لا تستملح ولكنها
غير خارجة عن حد الحسن
وقالت الحكماء شيئاً
لا غاية لهما الجمال والبيان
(واليه المصير) فاحسنوا
سرائرهم كما أحسن صورهم
(يعلم ما فى السموات
والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم بذات
الصدور) نبه بعلمه ما فى
السموات والارض ثم
بعلمه بما يسره العباد
ويعلنونه ثم بعلمه بذات

مانع ولا مدافع (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس ان الله تعالى خلق نبي آدم مؤمناً
وكافراً ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها
وهم فى أصلاب آبائهم (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكاً
فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال يارب أذكراً أم أنثى أشقى
أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك وهو فى بطن أمه وقال جماعة فى معنى الآية ان الله تعالى خلق
الخلق ثم كفر واوآمنوا لان الله ذكرا الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا فى
تاويلها فروى عن أبى سعيد الخدرى انه قال فنكم كافر حيانه مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن حيانه كافر
فى العاقبة وقال عطاء بن أبى رباح فنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب
وقيل فنكم كافر أى بان الله خلقه وهم الدهرية وأصحاب الطبائع ومنكم مؤمن أى بان الله خلقه وجاة
القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبه واوآمنوا مؤمن وإيمانه فعلا له وكسبه بافلكل
واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالؤمن بعد خلق الله اياه يختار
الايمن لان الله أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى
قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية
والقدرية (والله بما تعملون بصير) أى انه عالم بكفر الكافر وإيمان المؤمن (خلق السموات والارض بالحق
وصوركم فاحسن صوركم) أى انه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله فى الحسن والمنظر من حسن
القامة والمناسبة فى الاعضاء وقد علم بهذا أن صورة الانسان أحسن صورة وأكملها (واليه المصير) أى المرجع
فى القيامة (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) معناه انه لا
تخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ﴿قوله تعالى﴾ (الم يأتكم) يخاطب كفار
مكة (نبا الذين كفروا من قبل) يعنى خبر الامم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) أى جزاء أعمالهم وهو ما لحقها
من العذاب فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى فى الآخرة (ذلك) أى الذى نزل بهم من العذاب (بانه كانت
آياتهم رسالهم بالبينات فقالوا ابشر يهودنا) معناه انهم أنكروا أن يكون الرسول بشراً وذلك لقلّة عقولهم
وسخافتهم أحلامهم ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجراً (فكفروا) أى تجحدوا وأنكروا (وتولوا) أى
أعرضوا (واستغنى الله) أى عن إيمانهم وعبادتهم (والله غنى) أى عن خلقه (حميد) أى فى أفعاله ثم

الصدور ان شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه أن يتق ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخاف رضاه وتكرير العلم فى معنى
تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته
(الم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبا الذين كفروا من قبل) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا وبال
كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى العقبى (ذلك) إشارة الى ما ذكر من الوال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة
(بانه) بان الشأن والحديث (كانت آياتهم رسالهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا ابشر يهودنا) أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة
للحجر (فكفروا) بالرسول (وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شئ ومن جلته إيمانهم وطاعتهم (والله غنى) عن خلقه
(حميد) على صنعه

(زعم الذين كفروا) أي أهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (أن لن يبعثوا) أن مع ما في حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره أنهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعدان وهو البعث (وربي لتبعثن) أكد الاخبار باليمين فإن قلت ما معنى اليمين على شيء أنكره قلت هو جائز لأن التهدد به أعظم موقعا في القلب فكانه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث على الله (يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) يعني القرآن لأنه يبين حقيقة كل شيء فيهدي به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو باضمار اذكر (ليوم يجمع فيه الاولون والآخرين) (ذلك يوم التغابن) وهو (٢٩٦) مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغيب بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل

الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد في الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر أي عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته ويدخله) وبالنون فيهما مدني وشامي (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل أو شيء يقتضي

أخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) أي قل لهم يا محمد (بلى وربى لتبعثن) أي يوم القيامة (ثم لتنبؤن) أي لتخبرن (بما عملتم وذلك على الله يسير) أي أمر البعث والحساب يوم القيامة (فآمنوا بالله ورسوله) لما ذكر حال الأمم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أتم بالله ورسوله لما نزل بكم ما نزل بهم من العقوبة (والنور الذي أنزلنا) يعني القرآن سماه نور لأنه يهدي به في ظلمات الضلال كما يهدي بالنور في الظلمة (والله بما تعملون خبير) يعني أنه مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغيب وهو فوت الحظ والمراد في المجازاة والتجارة وذلك أنه إذا أخذ الشيء بدون قيمته فقد غيب والمغيبون من غيب أهلهم ومنازلهم في الجنة وذلك لأن كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غيب كل كافر بتركه الايمان ويظهر غيب كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غيب أعظم من هذا وقيل هو غيب المظلوم للظالم لان المظلوم مغيبون في الدنيا فصار في الآخرة غابنا الظالم وأصل الغيب في البيع والشراء وقد ذكر الله في حق الكافرين أنهم خسروا وغبنوا في شرايتهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المؤمنين هل أدلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فخرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) أي في ايمانه الى أن يموت على ذلك (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) أي بقضاء الله وقدره وادته (ومن يؤمن بالله) أي يصدق أنه لا يصيبه مصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره وادته (يهد قلبه) أي يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله) أي فيما أمر (وأطيعوا الرسول) أي فيما جاء به عن الله وما أمركم به (فان توليتهم) أي عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه (فإنما على رسوانا البلاغ المبين الله لا اله الا هو) أي لا معبود ولا مقصود الا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا

هماء (الاباذن الله) بعامه وموت دبره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد

من قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول ان الله وانا اليه راجعون أو يشرحه للازدى من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكروا ان ظلم غفر (والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتهم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإنما على رسوانا البلاغ المبين) أي عليه التبليغ وقد فعل (والله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) أي ان من الأزواج أزواج اعداء بعوانتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد أولاد اعداء من آباءهم ويعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو وللأزواج والأولاد جميعه أي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم

(وان تغفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بثلاث (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) وتسترؤا ذنوبهم (فان الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فنبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا انطلقون وتضيءموننا فارقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد دفعوهم في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو (انما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الآثم والعقوبة ولا بلاء (٢٩٧) أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أي في الآخرة وذلك أعظم من

منفعتكم بأموالكم وأولادكم ولم يدخل فيه من كافي العداوة لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فاتقوا الله ما استطعتم) جهلكم ووسعكم قيل هو نفسه لقوله حق تقانه (واسمعوا) ما نوحون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها (خير الانفسكم) أي انفاقا خيرا لانفسكم وقال الكسائي يكن الانفاق خيرا لانفسكم والاصح ان تقديره اتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للبحث على امثال هذه الامور وبيان لان هذه الامور خيرا لانفسكم من الاموال والاولاد وما اتمعا كفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) أي البخيل بالزكاة والصدقة الواجبة (فاولئك هم المفلحون) ان ترضوا

من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأتوا أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد دفعوهم في الدين فهموا أن يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبرنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم أي ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تغفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد دفعوهم في الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامر الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وكان ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو بكوا عليه ووقفوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدو لكم يحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أي ان تقبلوا منهم وان تغفوا وتصفحوا وتغفروا أي فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظام ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده أجر عظيم) يعني الجنة والمعنى لا تبشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثرهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبعض فقال ان من أزواجكم وأولادكم عدو لكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكروا في قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم اني أعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع الى أهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقول اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن عن بر يدرى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحماههما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أي ما أطقتهم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقانه (واسمعوا وأطيعوا) أي لله ولرسوله فيما أمركم به وينهاكم عنه (وأنفقوا) أي من أموالكم حتى الله الذي أمركم به (خير الانفسكم) أي ما أنفقتم في طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان ترضوا الله قرض حسنا) القرض الحسن هو الصدق من الحلال مع طيبة نفس يعني ان ترضوا أي تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه بالانفاق (يضاعف لكم) أي يجزكم بالضعف الى سبع مائة الى ما يشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعني يحب المتقربين اليه (حليم) أي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم

تفسير سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(٣٨ - (خازن) - رابع) الله قرض حسنا بنية وإخلاص وذكر القرض تلطفا في الاستدعاء (يضاعف لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرة أو سبع مائة الى ما شاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطي الجزيل (حليم) يقبل الجليل من ذنب البخيل أو يضاعف الصدقة لدافعها ولا يجعل العقوبة لما نفعها (عالم الغيب) أي يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أي ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) في الاخبار عن الغيوب والله أعلم سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) خص النبي صلى الله عليه وسلم بالبنداء وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا (٢٩٨) اظهار التقدم واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده في حكم كلامهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لأنه المقدم عليهم فاذا خطب خطاب الجمع كانت أمته داخله في ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لامتك فاضمر القول إذا طلقتم النساء أي إذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) أي لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بداله أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة خسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طاق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ولمسلم من حديث أبي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل ابن عمر وأبوا الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال إذا طهرت فليطلق أو لممسك قال ابن عمر وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن ٢ في قبل عدتهن

(فصل) اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعه وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل أن يمس والطلاق السني أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امرأة نلزمها العدة بالأقراء فاما إذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلق الصغيرة التي لم تحض أو الأيسة بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها وطلق التي لم تر الدم لا يكون بدعيًا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيًا لان النبي صلى الله عليه وسلم أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل أن يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الأحوال لامره أن يتعرف الحال ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصدا عصي الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة وإذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولوا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحب تأخير الطلاق إلى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته إياها بالطلاق كما أنه يكره النكاح لالطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيًا وهو قول الشافعي وأحمد وذهب بعضهم إلى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأي قوله تعالى (وأحصوا العدة) أي عدة أقراها فاحفظوها قليل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) أي واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به (لا تخرجوهن من بيوتهن) يعني إذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج له بملك أو كراء وإن كان عارية

وصاد امتد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبي والمؤمنين ومعنى إذا طلقتم النساء إذا أردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلًا فله سلبه ومنه كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفي قراءة قرسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقراء الأول من أقراها فقد طلقت مستقبل لعدتها والمراد أن تطليق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامع فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق (وأحصوا العدة) واضطبوها بالحفظ أو كملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لانقصان فيهن وخطوب الأزواج اغفلة النساء (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الأزواج

وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على أن السكنى واجبة ٢ قوله في قبل عدتهن قال فارجمت في مخرج مسلم هي قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة لا تثبت قرآنًا بالاجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اه

وان الحث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيها اذا حلف لا يدخل داره ومعنى الاخراج أن لا يخرج من البعولة غضبا عليهن وكراهة
لما كنهن أو الحاجة لهم الى المساكن وان لا يذنوا لمن في الخروج اذا طلب ذلك ايذانان اذ منهم لا أثر له في رفع الخطر (ولا يخرجن)
بأنفسهن ان أردن ذلك (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) قيل هي الزنا الا أن يزني فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء
العدة فاحشة في نفسه (وتلك حدود الله) أي الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري) أيها

(٢٩٩)

المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها أو من الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) قاربن آخر العدة (فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أي فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرر وهو أن يراجعها في آخر عدتهن يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعديبا لها (وأشهرها) يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه للتلايق بينهما التجاحد (ذوي عدل منكم) من المسلمين (وأقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لالامشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض

فارتفعت كان على الزوج أن يكرى لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذي طلقها فيه (ولا يخرجن) يعني ولا يجوز للمرأة أن تخرج ما لم تنقض عدتها حتى الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة أتمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدم ما أو غرقا جاز لها أن تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورة من بيع غزل أو شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا لا يدل على ذلك ان رجلا استشهدوا بأحد فقالت نساؤه هم نستوحش في بيوتنا فإذا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عن أحد احدها فان كان وقت النوم تاوى كل امرأة الى بيتها وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها أن تخرج لجدار نخلة فاذا لزمها العدة في السفر تعدت في أهلها ذاهبة وراجعة والبدوية تنبوا حيث ينبوا أهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالأقامة في حق المقيم وقوله تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاتها على أهل زوجها فيحل آخرها السوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة (وتلك حدود الله) يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) أي فطلق لغير السنة أو تجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) أي ضر نفسه (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أي يقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلاقين وهذا يدل على ان المستحب أن يفرق الطلقات ولا يقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنه المراجعة عن محارب بن دينار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق أخرجه أبو داود وصلاؤه في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس به حرم عليها رجعة أخرجه أبو داود والترمذي في قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أي اذا قربن من انقضاء عدتهن (فامسكوهن) أي راجعوهن (بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم (وأشهدوا ذوي عدل منكم) أي على الرجعة وعلى الفراق أمر بالشهادة على الرجعة وعلى الطلاق * عن عمران بن حصين أنه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عاها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقتا غير سنة وراجعتا غير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد أخرجه أبو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة كما في قوله وأشهدوا اذا تباعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها وان لا يموت أحد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل أمر بالشهادة لاحتياط مخافة أن تنكر الزوجة المراجعة فتتنقض العدة وتنكح زوجا غيره (وأقيموا الشهادة) يعني أيها الشهود (لله) أي طلب المرادة الله وقيام بوصيته والمعنى أشهدوا بالحق وأدوها على الصحة (ذلكم بوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك أمير ابن له يسمى مالكا

سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (بوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي انما ينتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلاق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتياط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الزوج من الغموم والوقوع في المضائق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص

(ویرزفه من حیث لا یجذب) من وجه لا یحظر بیاله ولا یحسبه ویجوز أن یجاء بها علی سبیل الاستطراد عند ذکر قوله ذلکم یوعظ به ائمه
ومن یتق الله یجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنیا والآخرة وعن النبی صلی الله علیه وسلم أنه قرأها فقل مخرجا من شبهات الدنیا ومن غمرات
الموت ومن شدائد یوم القیامة وقال صلی الله علیه وسلم انی لاعلم آیه لو أخذ الناس بها لکفهم ومن یتق الله فإزال یقرؤها ویعیدها وروی أن
عوف بن مالک أسرا المشرکون ابنه فأتی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال أسرا بنی وشکا الیه الفاقة فقال ما أمسی عند آل محمد الا مدقات
الله واصبروا کثر من قول لاحول ولا (۳۰۰) قوة الا بالله العلی العظیم فعاد الی بیته وقال لامرأته ان رسول الله أمرنی وایاک أن

نستكثر من قول لاجول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فقات نعم ما أمرنا به فجعلنا
يقولان ذلك فيينا هو في
بيته اذ قرع ابنه الباب
ومعه مائة من الابل تغفل
عنها العدو فاستاقها فترت
هذه الآية (ومن يتوكل على
الله) بكل أمره اليه عن
طمع غيره وتدبير نفسه (فهو
حسبه) كافيه في الدارين
(ان الله بالغ أمره) حفص
منفذا أمره غيره بالغ أمره
أى يبلغ ما يريد لا يفوته
مراد ولا يجهزه مطلوب
(قد جعل الله لكل شئ
قدرا) تقديره وتوقيتا
وهذا بيان لوجود التوكل
على الله وتفويض الامر
اليه لانه اذ علم ان كل شئ
من الرزق ونحوه لا يكون
الا بتقديره وتوقيته لم يبق
الا التسليم للقدر والتوكل
(واللأى يشن من المحيض
من نساكم) روى ان
ناسا قالوا قد عرفنا عدة
ذوات الاقراء فاعدة
اللأى لم يحض فترت (ان

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أسرا العدو وأنى وشكك إليه أيضا فاقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أتق الله واصبروا أكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذا أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى أبيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزات ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ ويرزقه من حيث لا يحتسب) يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى أبيه فانطلق أبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أي حمل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزات الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم أنه من قبل الله وإن الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يعني من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصا وتروح بطانا (ان الله بالغ أمره) أي منفذا أمره ومحض في خلقه ما قضاه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) أي جعل لكل شئ من شدة أو رخاء أجلا ينتهي اليه وقال مسروق في هذه الآية ان الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجر الله قوله عز وجل (واللأني يسنن من المحيض من نسائكم) قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن الزعمان بن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلي فانزل الله عز وجل واللأني يسنن من المحيض من نسائكم يعني القواعد اللاتي قعدن عن الحيض فلا يرجي أن يحضن وهن الحجايز الآيات من الحيض (ان ارنتم) أي شككن في حكمهن ولم تدرن واما عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللأني لم يحضن) يعني الصغائر اللاتي لم يحضن بعد فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيات فذهب أكثر أهل العلم الى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وحكى عن عمر انها تتربص تسعة أشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كله في عدة الطلاق وأما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى (وأولات الاحمال أجاهن أن يضعن حملهن) (ق) عن سبعة الاسامية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنسب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما نعت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل ابن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وأنت والله ما أنت

ارتبتم) أى أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعددن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أى فهذا حكمهن وقيل إن
ارتبتم فى دم البالغات مبالغ اليأس وقد قدره بستين سنة أو بخمسة وخمسين أهودم حيض أو استعاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت
هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر خذفت الجملة
للدلالة المذكوورة عليها (وأولات الاحمال أجلهن) عدتهن (أن يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وعن على
وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بعد الاجلين

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) يسره من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) أي ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (أنزله إليكم) من اللوح المحفوظ (ومن يتق الله) في العمل بما أنزله من (٣٠١) هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه

(ي كفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) ثم بين التقوى في قوله ومن يتق الله فكأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هي من التبعية مبعضا محذوف أي أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكنكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ونفسه يرله كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي لانفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها طلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لاندع كتاب ربنا وسنة نبينا قول امرأة اعلمها نسبت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولانضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرر

بنا كح حتى عمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جفت على ثيابي حين أمسيت وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت عن ذلك فافتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج ان بد لي لفظ البضاري ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى بأسا ان تزوج حين وضعت وان كانت في دمه ما غير انه لا يقر بهاز وجهها حتى تطهر (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أي ذلك الذي ذكر من الأحكام (أمر الله أنزله إليكم أي لتعملوا به) (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) قوله تعالى (أسكنوهن) يعني مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم من وجدكم) أي من سكنكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فاعلى قدر الطاقة (ولانضاروهن) أي لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعني في مساكنهن فيخرجن (وان كن أولات حل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أي فيخرجن من عدتهن

(فصل في حكم الآية) اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكثرى لها دارا تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها إلا أن تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق النفقة إلا أن تكون حاملا لقوله تعالى وان كن أولات حل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وأما الدليل على ذلك من السنة فما روى عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل اليها وكيله شعيبر فسخطته فقال والله مالك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عايه نفقة وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعشى تضعين ثيابك عنده فاذا حلت فاذهبي قالت فلما حلت ذكرت له ان معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بوجههم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحى اسامة بن زيد وكرهته ثم قال انكحى اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في بيت عمرو بن أم مكتوم ولا حجة له فيه لما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش خيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على اجاتها وكان في لسانها ذرابة وأما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا وأما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروى عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكنها وللشافعي فيه قولان أحدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمرو وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن

(لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الأسباب من انزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) أي المطلقات (أولات حل) ذوات أحمال (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة شرط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل ففني ذلك الوهم

(فان أرضعن لكم) يعني هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من ظنهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فأَن توهن أجورهن) حكمنهن في ذلك حكم لا طأر ولا يجوز الاستنجار اذا كان الولد منهن ما لم ين خلافا للشافعي رحمه الله (وأتموا بينكم) أي تشاوروا على التراضي في الاجرة أو ليا من بعضكم ضاوا الخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن في المروءة فلا يما كس الاب ولا تعاسر الام لانه ولد هما وهما شر كان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتن فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك (فسترضع له أخرى) فتوجد (٣٠٢) ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من عاقبة الام على المعاسرة وقوله له أي

للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق أي رزقه الله على قدر قوته (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أعطائها من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق في المعيشة سعة وهذا وعد لدى العسر باليسر (وكاين من قرية) من أهل قرية (عتت) أي عصت (عن أمر ربها ورسله) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (لحاسبنها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبنا هاعذابا نكرا) نكرامدني وأبو بكر منكر اعظما (فذاقت وبال أمرها) وكان عاقبة أمرها خسرا (أي خسار او هلاكا والمراد حساب الآخرة

عمر وبه قال مالك والثوري وأحمد واسحق واحتج من أوجب لها السكنى بما روى عن الفريضة بنت مالك ابن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته أن ترجع الى أهلها في بني خديرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع الى أهلي في بني خديرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل الى فسألتني عن ذلك فاخبرته فانبعه وقضى به أخرجه أبو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريرة أو بالرجوع صار منسوخا بقوله آخر امكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخر استحبها بالاوجوب ﴿قوله عز وجل﴾ (فان أرضعن لكم) يعني أولادكم (فأَن توهن أجورهن) يعني على ارضاعهن وفيه دليل على أن اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والام يكن لها أن تأخذ عليه أجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الزوج في حق الاولاد (وأتموا بينكم بمعروف) أي ليقبل بعضكم من بعض اذا أمره بالمعروف وقيل يترضى الاب والام على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا أمرهم ان يأتمروا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرر وقيل المعروف ههنا أن لا يقصر الرجل في حق المرأة فنفقتها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) أي في حق الولد وأجرة الرضاع فاني الزوج أن يعطى المرأة أجرة رضاعها وأبت الام أن ترضعه فليس له اكرامها على ارضاعه بل يستأجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته) أي على قدر غناه (ومن قدر) أي ضيق (عليه رزقه) فكان بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه الله) أي على قدر ما آتاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) أي في النفقة (الا ما آتاها) يعني من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أي بعد ضيق وشدة غنى وسعة ﴿قوله تعالى﴾ (وكاين من قرية عتت) أي عصت وطغت والمراد أهل القرية (عن أمر ربها ورسله) (لحاسبنها حسابا شديدا) أي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها في الكفر فجزاها النار وهو قوله (وعذبنا هاعذابا نكرا) أي منكر افظيعا وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازا فعدبنا هاعذابا في الدنيا بالجوع والقحط والسيوف وسائر أنواع البلاء وحاسبنا هاعذابا في الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال أمرها) أي شدة أمرها وجزاء كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي خسرا في الدنيا والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا) يخوف كفار مكة أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية (فانقوا الله يا أولي الالباب) أي ياذوى العقول ثم نعمهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعني القرآن (رسولا) أي وأرسل اليكم

وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسروحيء به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله ووعيده رسولا ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد كان (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرر للوعيد وبيان اسكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فانقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولي الالباب من المؤمنين لطفافي تقوى الله وحذر عاقبته ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصاء ما عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظ وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عنت وما عطف عليه صفة لامرية وأعد الله لهم جوابا بالكافين (قد أنزل الله اليكم ذكرا) أي القرآن واتصّب (رسولا) بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا أو بطل

من ذكر كانه في نفسه ذكر أو على تقدير حذف المضاف أي قد أنزل الله اليكم ذاك كر رسولاً أو أريد بالذ كر الشرف كقوله وانه لذ كر لك
ولقومك أي ذا شرف ومحمد عند الله وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام (يأولوا) أي الرسول أو الله عز وجل (عليكم آيات الله مبينات
ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي ليحصل لهم ما هم عليه السابعة من الايمان والعمل الصالح أو ليهخرج الذين علم انهم يؤمنون
(من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان أو العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يزدك الله ثواباً كثيراً) وبالنون مدني وشامي
(جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً) وجمع جلا على لفظ من ومعناه (قد أحسن الله له رزقاً) فيه معنى التعجب والتعظيم لما
رزق المؤمنين من الثواب (الله الذي خلق سبع سموات) (٣٠٣) أجمع المفسرون على ان السموات سبع (ومن

الارض مثلهن) بالنصب
عطفاً على سبع سموات
قيل ما في القرآن آية تدل
على ان الارضين سبع الا
هذه الآية وبين كل سماء من
مسيرة خمسمائة عام وغلط كل
سما كذا والارضون
مثل السموات وقيل
الارض واحدة الا ان
الاقليم سبعة (يتنزل الامر
بينهن) أي يجري أمر الله
وحكمه بينهن وملكه ينفذ
فيهن (تعليموا أن الله على
كل شيء قدير) اللام يتعلق
بخلق (وأن الله قد أحاط
بكل شيء علماً) هو تميز أو
مصدر من غير لفظ الاول
أي قد علم كل شيء علماً وهو
علام الغيوب
* (سورة التحريم مدنية
وهي اثنتا عشرة آية) *
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل
الله لك) روى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خلا

رسولاً (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات بالخفض أي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي
وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحة (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أي
من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يزدك الله ثواباً كثيراً)
يجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً (قد أحسن الله له رزقاً) يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل برزقون
طاعة في الدنيا وثواب في الآخرة (الله الذي خلق سبع سموات) يعني بعضها فوق بعض (ومن الارض
مثلهن) أي في العدد (يتنزل الامر بينهن) أي الوحي الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو
ما يدبر فيهن من عجائب تدبره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق
الحیوان على اختلاف هياكله وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك
هذا وقيل في كل سماء من سمواته وأرض من أرضه به خالق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه
(تعليموا أن الله على كل شيء قدير) وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى
عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخله في علمه والله تعالى أعلم

* تفسير سورة التحريم *

* وهي مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفاً *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* قوله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)

* (ذكر سبب نزولها) *

(ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والعسل وكان اذا انصرف
من العصر دخل على نسائه فيدنون من احدهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها كثيراً كان
يحتبس ففرت فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله
عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتال له فذكرت ذلك لسودة وقالت اذا دخل عليك فانه سيد نومك
فقولي له يا رسول الله أكلت مغاير فانه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي أجد وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرت نحل العرقل
وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد
كدت أباديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقامك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغاير

بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكنمي على وقد حرمت مارية على نفسي وأبشر ان أبا بكر وعمر عليهما السلام
بعدى أمرأتي فاخبرت به عائشة وكاتمتا متصادقتين وقيل خلاهما في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمتا فلما تكتما فطلقها واعتزل نساءه
ومكث تسعة عشر ليلة في بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نساك في الجنة وروى انه شرب
عسلاً في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقال له انا نشتم منك ريح المغاير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم
العسل فعنه لم تحرم ما حل الله لك من ملاك اليمين أو من العسل (تبتغي مرضات أزواجك) تفسير لتحريم أو حال أو استئناف وكان هذا إزالة
منه لانه ليس لاحد أن يحرم ما حل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زلت فيه (رحيم) قدر حرك

قال لا قالت فما هذه الريح التي أجدمنك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرت نخله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت أنا وحفصة ان أئنة ادخل عليهما النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له اني أجدمنك ربح مغافيراً كانت مغافير قد دخل على احدهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت بأيهما النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله ان تتوا بالي الله لعائشة وحفصة واذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وان أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحد ازا في رواية يبتغي بذلك مرضاة أزواجه **شرح غريب** ألفاظ الحديثين وما يتعاق بهما **قوله** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والعسل الخلاء بالمد وهو كل شيء حل ووذ كر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الخلاء تنبيه على شرفه ومزيتته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام **قوله** في الحديث الثاني فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية وأصلها فتواطيت أي اتفقت أنا وحفصة **قوله** اني لا جدمنك ربح مغافير هو بغير منجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلوا كالناطف وله رائحة كريهة ينضج شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الأرض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاة وهو كل شجر له شوكة وقيل رائحته كريهة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة **قوله** جرت نخله العرفط هو بالجيم والراء بالسين المهملتين ومعناه أ كانت نخله العرفط فصار منه العسل **قوله** في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الأول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الأول قال النسائي اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله وأكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه وهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسيأتي الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الأول الذي فيه أن الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي أيضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة أيها فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريتها مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا جلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ووقعت عليها في يومى وعلى فراشي أمارأت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا امرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي اسكتي فهي على حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا بشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمة مارية وقد أراحنا الله منها وأخذت عائشة بمارأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ففضبت عائشة فلم تزل بنى الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرما على نفسه فانزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية

فلم يؤخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وقد قدر الله لكم ما تحلون به أيمانكم وهي الكفار أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلال فلان في يمينه إذا استثنى فيها (٣٠٥) وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحث وتحريم الحلال يمين

عندنا وعن مقاتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيبته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرع لكم (الحكيم) فيما أحل وحرم (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه) يعني حفصة (حديثا) حديث مارية وإمامة الشيخين (فلما نبأت به) أفشته إلى عائشة رضي الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على إفشاء الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) أي أعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به نكرا ما قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أي جاز عليه من قولك للمسيء لا عرفن لك ذلك وقيل

وخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لافي قصة مارية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية * وأما التفسير فقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك أي من العسل أو ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الاتضاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الاتضاع بذلك مع اعتقاده أن ذلك حلال بتبني مرضات أزواجك أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أي غفر لك ذلك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي بين أوجب لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المائدة فامر الله أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته فاعتق رقبة (والله مولاكم) أي وليكم وناصركم (وهو العليم) أي بخلقه (الحكيم) أي فيما فرض من حكمه * (فصل) * اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو يمين فإن قال لزوجته أنت على حرام أو قال حرمتك فإن نوى طلاق فهو طلاق وإن نوى ظهارا فظهار وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقا عتقت وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وإن قال لطعام حرمة على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين وإليه ذهب الشافعي وإن لم ينوشا ففيه قولان للشافعي أحدهما أنه يلزمه كفارة اليمين الثاني لا شيء عليه وأنه لغو فلا يترتب عليه شيء من الأحكام وذهب جماعة إلى أنه يمين فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف أنه لا يطؤها وإن حرم طعاما فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وفي رواية إذا حرم امرأته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لفظ الجيد * قوله تعالى (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) يعني ما أسرا إلى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك أحد أو قال ابن عباس أسرا أمر الخلافة بعده فحدث به حفصة قال السكابي أسرا إليها أن أباك وأبأ عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدى وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة أراد أن يرضيها فسر لها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وإن الخلافة بعده في أبي بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به) أي أخبرت بذلك حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) أي أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء أي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب من إفشاء سره وحازها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعة ما قيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وإنما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامه وإنها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) أي لم يعرفها إياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض والمعنى إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الامة وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه صلى الله عليه وسلم كره أن ينتشر ذلك في الناس (فلما نبأها به) أي أخبر حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) يعني حفصة (من أنباك هذا) أي من أخبرك بأنني أفشيت السر (قال نبأني العليم) أي بما تكنه الضمائر (الخبير) أي بخفيات الأمور * قوله عز وجل (ان تتوبا

(٣٩ - (خازن) - رابع) المعروف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لها ألم

أقول لك اكنمي على قالت والذي بعثك مملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله بها أباه (فلما نبأها به) نبأ النبي حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة (قالت) حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم (من أنباك هذا قال نبأني العليم) بالسراثر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا

الى الله) يخاطب عائشة وحفصة أي من التماون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والابذاء له (فقد صغت قلوبكما) أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتا أن تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال لم أزل حرصا على أن أسأل عمر ابن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر بيهض الطريق عدل عمر وعدت معه بالاداة فتميز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر وعجبالك يا ابن العباس قال الزهري كره والله ما سأله عنه ولم يكتبه قال هما عائشة وحفصة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنامعشر قریش قوم انقلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قومنا تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم قال وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فأتكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا تراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقالت أنت هجره فانطلقت فدخلت على حفصة فقالت أراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقالت أنت هجره احدا كن اليوم الى الليل قالت نعم قالت لقد خاب من فعلت ذلك منك وخسرت أفتا من احدا كن أن يغضب الله عايم الغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدالك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما ويأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحب الانصار يوم نوبته ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قالت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقك كن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فانيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرك لك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فانيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرك لك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما أجد فانيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرك لك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلعت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه الى وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنامعشر قریش تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قومنا تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فأتكرت اذراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا تراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتميز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله أن يوسع علي أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أو أمك قوم عجبت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن

الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معانيهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقد صغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكره ما يكره

(وان تظاهر اعليه) بالتخفيف كوفي وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه) وليه وناصره وز ياداه
هو ايدان بانه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) ايضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين أى كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برى
من النفاق وقيل اصحابه وقيل واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح (٣٠٧) من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو

المؤمنين خذفت الواو من
الخط موافقة للفظ وقوله
(والملائكة) على تكاثر
عددهم (بعد ذلك) بعد
نصرة الله وجبريل وصالحى
المؤمنين (ظهير) فوج
مظاهرة فبايبلغ تظاهر
امراتين على من هؤلاء
ظهوراؤه ولما كانت مظاهرة
الملائكة من جلة نصرة
الله قال بعد ذلك تعظيما
لنصرتهم ومظاهرتهم
(عسى ربه ان يطلعك ان
يبدله) يبدله مدنى وأبو
عمرو فالتشديد للكثرة
(أزواج خيرا منك) فان
قلت كيف تكون المبدلات
خيرا منهن ولم يكن على
وجه الارض نساء خيرا من
أمهات المؤمنين قلت اذا
طلقهن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يذاهن اياه لم
يبقين على تلك الصفة وكان
غيرهن من الموصوفات
بهذه الاوصاف خيرا منهن
(مسلمات مؤمنات)
مقرات مخلصات (قاتات)
مطيعات فالقنوت هو
القيام بطاعة الله وطاعة الله
في طاعة رسوله (نائبات)
من الذنوب أو راجعات
الى الله والى أمر رسوله

شهر من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال
الزهرى فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ
بى فقلت يا رسول الله انك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال
ان الشهر يكون تسعا وعشرين زادا في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة انى ذا كر
لك أمر افلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك ثم قال يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم والله أن أبوى لم يكونا ليا مرامى بفراقه فقلت
فى هذا استأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة زادنى رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك أنى
اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلنى مبلغا ولم يرسلنى متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن
عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فان كنت تطلقهن فان الله
معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقامات كلمت وأحمد الله بكلام الا
رجوت أن يكون الله يصدق قولى الذى أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان يطلعك ان يبدله أزواجا خيرا
منك وان تظاهر اعليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه أنه
استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فاذن له وأنه قام على باب المسجد
فنادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

(شرح بعض ألفاظه) قوله فعدلت معه بالاداة أى فلت معه بالركوة فتبرزأى أتى البراز وهو الفضاء
من الارض لقضاء الحاجة العوالى جمع عالية وهى أما كن باعلى أراضى المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت
جارتك يريد بها الضررة وهى عائشة أو سم منك أى أكثر حسنا وجالا منك قوله فكنا نتناوب النزول
التناوب هو أن يفعل الانسان مرة ويفعله الآخر بعده المشرية بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكى
على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرت به ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى
الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الأهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد قوله من شدة
موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى (وان تظاهر اعليه) أى تعاونا على ايداء النبي صلى الله عليه وسلم (فان
الله هو مولاه) أى وليه وناصره (وجبريل) يعنى وجبريل وليه وناصره أيضا وانما أفردوه وان كان دخلا فى
جلة الملائكة تعظيما له وتنبيه على علو منزلته ومكانته (وصالح المؤمنين) روى عن ابن مسعود وأبى بن
كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء
(والملائكة بعد ذلك) أى بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أى أعوان للنبي صلى الله عليه
وسلم ينصرونه (عسى ربه) أى واجب من الله (ان يطلعك) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبدله
أزواجا خيرا منك) ثم وصف الأزواج اللواتى كان بزواجهن فقال (مسلمات) أى خاضعات لله
بالطاعة (مؤمنات) أى مصدقات بتوحيد الله تعالى (قاتات) أى طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات
بالليل (نائبات) أى تاركات للذنوب لقبحها أو كثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادة (سائحات)
أى صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (نبيات) جمع نيب وهى التى تزوجت ثم بان
توجه من الوجوه (وأبكارا) أى عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه
قال ان يطلعك وقد علم أنه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته أنه انطلقهن أبدا أزواجا خيرا منهن تخويفا

(عابدات) لله (سائحات) مهاجرات أو صائمات وقيل للصام سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال مسكالا أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم
فى امساكه الى ان يحى وقت افطاره (نبيات وأبكارا) انما وسط العاطف بين النبيات والا بكار دون سائر الصفات لانها صفتان
متنافيتان بخلاف سائر الصفات

(يا أيها الذين آمنوا أقوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهلّكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرهما من النيران بالخطب (عليها) يلي أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعني الزبانية التسعة عشر وأعوأهم (غلاظ شداد) في (٣٠٨) احرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الاقوال شداد الافعال (لا يعصون الله) في موضع الرفع

على النعت (ما أمرهم) في محل نصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله أف عصيت أمري أولا يعصونه فيما أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون) وليست الجملتان في معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون أوامرهم ويلتزمون بها ومعنى الثانية انهم يؤدّون ما يؤمرون به ولا يتناقضون عنه ولا يتوانون فيه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم اذ (يا أيها الذين آمنوا اتوبوا الى الله توبة نصوحا) صادقة عن الاخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال غسل ناصح اذا خلاص من الشمع وقيل نصوحا من بصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خلقك ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجدة والعزيمة في العمل على

لمن قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أقوا أنفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (وأهلّكم) يعني مروهم بالخير وانهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك (نارا وقودها الناس والحجارة) يعني الكبريت لانه أشد الاشياء حرا وأسرع ايقادا (عليها ملائكة) يعني خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) أي فظاظ على أهل النار (شداد) يعني أقويا يدفع الواحد منهم بالدفع الواحدة سبعين ألفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما أمرهم) أي لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه (ويفعلون ما يؤمرون) أي لا تأخذهم رافة في تنفيذ أوامره والانتقام من أعدائه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) أي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدة حرها لانه قد قدم اليهم الإنذار والاعتذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار (انما تجزون ما كنتم تعملون) يعني ان أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب قوله (يا أيها الذين آمنوا اتوبوا الى الله توبة نصوحا) أي ذات نصوح تنصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللابن الى الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادما على ماضى مجعما على أن لا يعود اليه وقال الكبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح بجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان

فصل وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقطع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم على أن لا يعود اليها أبدا فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حاد قذف أو نحوه مكنه من نفسه أو طاب عفوّه وان كانت غيبة استعمله منها ويجب أن يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة (م) عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة الحديث (م) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغتر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) هذا اطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكراما لا وجوبا عليه

مقتضياتها وبضم الذون حاد ويحي وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا وجاء مر فوعا أن التوبة النصوح (ويدخلكم) ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب الى أن يعود اللابن في الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الاستغفار باللسان والندم بالجنان والاقلاع بالاركان (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت

(وبدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) ونصب (يوم) بيد خلكم (لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) فيه تعريض من أخزاهم الله من أهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين أيديهم وبايمانهم) في موضع الخبر (يقولون ربنا أتم لنا نورنا) يقولون ذلك إذا انطفأ نور المنافقين (واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) على الفر يقين فيما تجاهد ههنا به من القتال والحاجة باللسان (وما أواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرات لوط كاتتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخثتاهما فلم (٣٠٩) يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار

مع الداخلين) مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محابة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما ناقتا وخاتا الرسولين بافشاء أسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أي عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخلها من أخوانكم من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هي آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون باللاتاد الأربعة (اذ قالت) وهي تعذب

(وبدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أي لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم) يعني على الصراط (يقولون ربنا) يعني إذا انطفأ نور المنافقين (أتم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وما أواهم جهنم وبئس المصير) تقدم تفسيره قوله تعالى (ضرب الله مثلا) أي بين شها وحالا (للذين كفروا امرأت نوح) واسمها واهلة (وامرأة لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والعلة واهلة (كاتتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا إضافة تشريف وتعظيم (فخثتاهما) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خياتهما انهما كاتتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت الجبابرة من قومها وأما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أو قدت النار وإذا نزل به ضيف بالنهار دخت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما اسرنا النفاق وظهرتا بالإيمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أي لم يدفع عن امرأتيهما مع نبوتيهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضرب به الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وأنه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وإن كانت القرابة متصلة بينهم وإن القريب كالأجانب بل أبعد وإن كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خاتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيئا فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكلم على صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بامى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشد * ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره إذا كان مطيعا وإن وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلم تبين لفرعون اسلامها وتديدها ورجلها بأربعة أو تادوا لقها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فإذا انصرفوا عنها أظلمت الملائكة (اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء وانزعرت روحها فالتقت الصخرة على جسد لاروح فيه ولم تجد لها وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهي تأكل وتشرب فيها (ونجني من فرعون وعمله) يعني وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه (ونجني من القوم الظالمين) يعني الكافرين (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) أي عن الفواحش والمحصنة العفيفة (ففخنا فيه) أي في جيب درعها ولذلك ذكر الكاية (من روحنا) إضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه (وكتبه) يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القاتنتين) يعني كانت من

(رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكانتها أرادت الدرجة العالية لأنه تعالى منزله عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (ونجني من فرعون وعمله) أي من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والاتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) من الرجال (ففخنا) ففخ جبريل بامرنا (فيه) في الفرج (من روحنا) المخوفة لنا (وصدقت بكلمات ربها) أي بصحفه التي أنزلها على ادريس وغيره (وكتبه) بصرى وحفص يعني الكتب الأربعة (وكانت من القاتنتين)

لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على انثائه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القاتنين لانها من أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أُوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض باي المؤمنين المذكورين في أول السورة وما فرط منهم من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير طمعا على أغلاظ وجه وإشارة الى أن من حقهما أن يكونا في الاخلاص كهاتين المؤمتين وأن (٣١٠) لا يتكلا على أنهما زو جارسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية﴾

وتسمى الواقعة والمنجية لانها تقي قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها في ليلة كثر وأطيب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) تعالى وتعظيم عن صفات المخلوقين (الذي بيده الملك) أي بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتية من يشاء وينزعه ممن يشاء (وهو على كل شيء)

من المقددورات أو من الانعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال (الذي خلق الموت) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الذي قبله (والحيوة) أي ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت

والحياة إيجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خالق موتكم وحياتكم أيها المكافون (ليبلوكم) ليمتحنكم بأمره ونهييه فيما

القوم القاتنين أي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة لله ﴿عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الملك﴾

مكية وهي ثلاثون آية وثلاثون كلمة وألف وثلاثون وثلاثون حرفا

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولا يابى داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها ﴿عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر انسان وأنا لأحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (تبارك الذي بيده الملك) أي له الامر والنهي والسلطان فيعز من يشاء وبذل من يشاء (وهو على كل شيء قدير) أي من الممكنات (الذي خلق الموت والحيوة) قيل أراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه أقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه أقدم وذلك لان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الموتى كالتراب والنفقة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجدر به شيء الامات وخلقت الحياة على صورة فرس بقاء وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجدر بها شيء الاحي وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فالتقاها في الجبل فخاروحي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة أيضا نعمة اذ لا الهالم يتنعم أحد في الدنيا ولم يصل اليه الثواب في الآخرة (ليبلوكم) أي ليمتحنكم فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلاه وأصوبه وقال أيضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان

الله

بين الموت الذي يعم الامير والاسير والحياة التي لاتعنى بعامل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) أي أخلاه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فإوراءه الا البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عيفيه فقدم لانه فيما يرجع الى السوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله

(وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يجزه من أساء العمل (الغفور) السطور الذي لا يئأس منه أهل الاساءة والزال (الذي خلق سبع سموات طباقا) مطبقة بعضها فوق بعض من طباق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب في (ما ترى في خلق الرحمن) للرسول أو لكل مخاطب (من تفاوت) تفاوتت حزة وعلى ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد أي من اختلاف واضطراب وعن السدي من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضها ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبهنا على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بياهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) رده الى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعينة فلا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطور وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين أي كرتين مع الاولى وقيل سوى الاولى (٣١١) فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على

مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أي كرر نظرك ودققه هل ترى خلافا أو عيبا وجواب الامر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا أو بعيدا ما تريد وهو حال من البصر (وهو حسير) كليل معي ولم ترفيها خلافا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى أي السماء الدنيا منكم (بمصابيح) بكواكب مضيئة كضاءة الصبح والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزنون مساجدهم ودورهم بايقاد المصابيح فليل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة (وجعلناها رجوما

للشياطين) أي لا أعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات للشياطين) قال ابن عباس يرمي بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمي الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهاب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها (وأعدنا لهم) أي وأعدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا (عذاب السعير) أي في الآخرة وهي النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) أي ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم) وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا ألقتوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق الجار وذلك أقبح الاصوات (وهي نفور) أي تغلي بهم كغلي الرجل وقيل نفور بهم كما نفور الماء الكثير بالحب القليل (نكادتهم) أي تنقطع (من الغيظ) من تغيطها عليهم (كأما ألقى فيها فوج) أي جماعة (سألهم

للشياطين) أي لا أعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات للشياطين) قال ابن عباس يرمي بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمي الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهاب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها (وأعدنا لهم) أي وأعدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا (عذاب السعير) أي في الآخرة وهي النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) أي ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم) وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا ألقتوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق الجار وذلك أقبح الاصوات (وهي نفور) أي تغلي بهم كغلي الرجل وقيل نفور بهم كما نفور الماء الكثير بالحب القليل (نكادتهم) أي تنقطع (من الغيظ) من تغيطها عليهم (كأما ألقى فيها فوج) أي جماعة (سألهم

خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخا لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله وقراره بأنه تعالى أزاح عنهم ما وقعوا فيه (فكذبنا) أي فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شيء) مما تقولون من وعد ووعد وغير ذلك (إن أأنتم إلا في ضلال كبير) أي قال الكفار للمندرين ما أنتم إلا في خطأ عظيم فالنذير بمعنى الإنذار ثم وصف به منذروهم أغلوهم في الإنذار كأنهم لبسوا الإنذار أوجازاً أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على إرادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو سمو أجزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان أو كلام الرسل لهم حكمه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الإنذار لسمع طالب الحق (أو نعقل) عقل متأمل (ما كنا في أصحاب السعير) في جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم في تكذيبهم الرسل (فسحقنا أصحاب السعير) وبضم (٣١٢) الحاء يزيدو على فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو حجدوا فان ذلك

لا ينفعهم واتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أي الجنة (وأسرأقولكم أواجهوا به) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الأسرار والاجهار ومعناه ليستوعبكم أسراركم واجهاركم في علم الله بهما روى أن مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لتلاسمع الله محمد فنزلت ثم علله بقوله (أنه علم بذات الصدور) أي بضمائرها قبل أن تترجم الالسنه عنها كيف لا يعلم ما تكلم به (ألا يعلم من خلق) من في موضع رفع بأنه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) أي باستخراج ما في الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة (وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً) الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزوتها وغلظها (فامشوا في مناكبها) أمر بأحدها وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أي مما خلقه الله لكم في الأرض (والله النور) أي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أأمنتم من في السماء) قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) أي تتحرك بأهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى يقلبهم إلى أسفل وتعلو الأرض عليهم وتمور فوقهم أي تجي وتذهب (أم أمنتم من في السماء أن يرسل

لا ينفعهم واتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أي الجنة (وأسرأقولكم أواجهوا به) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الأسرار والاجهار ومعناه ليستوعبكم أسراركم واجهاركم في علم الله بهما روى أن مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لتلاسمع الله محمد فنزلت ثم علله بقوله (أنه علم بذات الصدور) أي بضمائرها قبل أن تترجم الالسنه عنها كيف لا يعلم ما تكلم به (ألا يعلم من خلق) من في موضع رفع بأنه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) أي باستخراج ما في الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة (وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً) الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزوتها وغلظها (فامشوا في مناكبها) أمر بأحدها وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أي مما خلقه الله لكم في الأرض (والله النور) أي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أأمنتم من في السماء) قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) أي تتحرك بأهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى يقلبهم إلى أسفل وتعلو الأرض عليهم وتمور فوقهم أي تجي وتذهب (أم أمنتم من في السماء أن يرسل

ما تكلم به (ألا يعلم من خلق) من في موضع رفع بأنه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) أي باستخراج ما في الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة (وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً) الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزوتها وغلظها (فامشوا في مناكبها) أمر بأحدها وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أي مما خلقه الله لكم في الأرض (والله النور) أي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أأمنتم من في السماء) قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) أي تتحرك بأهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى يقلبهم إلى أسفل وتعلو الأرض عليهم وتمور فوقهم أي تجي وتذهب (أم أمنتم من في السماء أن يرسل

عليكم حاصبا) حجارة أن يرسل بدل من من بدل الاشتغال وكذا ان يخسف (فستعلمون كيف نذير) أي اذارأيتم المذنب به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان تكبير) أي انكارى عليهم اذا هلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسل الحاصب بقوله (أولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) في الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل جلا على المعنى أي يصفقن ويقبضن أو صافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو وصف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والهواء للطائر كالماء للسباح والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطاريء على البسط للاستظهار به على التحرك فجاء بما هو طاريء بلفظ الفعل على معنى أنهم صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السباح (ما يمكنهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الارجن) بقدرته والافال ثقيل يتسفل طبعها ولا يعلا وكذا الوأمسك حفظه (٣١٣) وتديره عن العالم اتمها فتت الافلاك وما يمكنهن مستأنف وان جعل حالا

من الضمير في يقبضن يجوز (انه بكل شيء بصير) يعلم كيف يخاف وكيف يدبر الهجاب (أمن) مبتدأ خبره (هذا) ويبدل من هذا (الذي هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (ان الكافرون الا في غرور) أي ما هم الا في غرور (أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه) أم من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون

عليكم حاصبا) يعني ريح حافات حجارة كما فعل يقوم لوط (فستعلمون) أي عند الموت في الآخرة (كيف نذير) أي انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (فكيف كان تكبير) أي انكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا؟ قوله عز وجل (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أي باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها (ويقبضن) أي يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن بعد البسط (ما يمكنهن) أي حال القبض والبسط (الارجن) والمعنى أن الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاءها وثبوتها في الجو الا بامساك الله عز وجل ايها وحفظها لها (انه بكل شيء بصير) يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية (أمن هذا الذي هو جند لكم) استفهام انكارى لا جند لكم (ينصركم) أي يمنعكم (من دون الرحمن) أي من عذاب الله قال ابن عباس أي من ينصركم مني ان أردت عذابكم (ان الكافرون الا في غرور) أي من الشيطان يغره ان العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه) يعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان أمسكه الله عنكم (بل لجوا) أي تمادوا (في عتو) أي نبؤوا تكبر (ونفور) أي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أي كالأرأس في الضلالة والجهالة أعشى القلب والعين لا يبصر ويمينا ولا شمالا وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فخره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى) أي هو أهدى (أمن يمشى سويا) أي قائما معتد لا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعني المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذي أنشأكم) أي خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني أنه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتوه ولا تأملتم ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت لها فلهذا قال (قليل ما تشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها في وجهه مرضاته فلما صرفتموها في غير مرضاته فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذي ذرأكم) أي خلقكم وبشكم (في الارض واليه تحشرون) أي يوم القيامة والمعنى أن القادر على الابداء قادر على الاعادة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) هذا سؤال يحتمل وجهين أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثاني أنه

(٤٠ - (خازن) - رابع) بركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (في عتو) استبكار عن الحق (ونفور) وشراذمه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أي ساقطا على وجهه يمشى كل ساعة ويمشى معسفا وخبر من (أهدى) أرشدا كعب مطاوع كعب يقال كعبته فاكب (أمن يمشى سويا) مستويا منتصبا سالما من العنور والحرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة هدى عليه وعن الكلبي يعني بالمشى أباجهل وبالسوى النبي عليه السلام (قل هو الذي أنشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لآلات العلم (قليل ما تشكرون) هذه النعم لانكم تشكرون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذي ذرأكم) خلقكم (في الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) أي الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذي تعدون تنابه يعني العذاب (ان كنتم صادقين) في كونه فاعلموا نازماته

(قل إنما العلم) أي علم وقت العذاب (عند الله وإنما أنا نذير) مخوف (مبين) أي بين لكم الشرائع (فلم أرأوه) أي الوعد يعني العذاب الموعود (زلفه) قريباً منهم واتصافها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) أي سأست رؤيتهم الوجوه بان علته الكآبة والمساءة وغشيتها الفترة والسواد (وقيل هذا الذي) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أي تسألون تهجيلة وتقولون اننا بما تعدنا أوهو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون (٣١٤) انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل أرأيتم ان أهلكني الله) أي أمانني الله

كقوله ان امرؤ هلك (ومن مـ) من أصحابي (أو رحناً) أو آخر في آجالنا (فن يجير) ينجي (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متر بصون لاحدى الحسين امان نهلك كما تتمنون فنقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو وفاتم ما تصنعون من مجيركم وأتم كفرون من عذاب النار لا بد لكم منه (قل هو الرحمن) أي الذي أدعوكم اليه الرحمن (آمنابه) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه أمورنا (فستعلمون) اذ انزل بكم العذاب وبالآلاء على (من هو في ضلال مبين) نحن أم أتم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً) غائراً ذاهباً في الارض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر

سؤال عن يوم القيامة فاجاب الله عن ذلك بقوله (قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين) أمره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما أوحى اليه (فلم أرأوه) يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين وقيل يعني العذاب ببدر (زلفه) أي قريباً (سيئت وجوه الذين كفروا) أي اسودت وعانتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد (وقيل) لهم أي وقالت لهم الحزنة (هذا الذي كنتم به تدعون) من الدعاء أي تتمنون وتطلبون أن يجعله لكم (وقيل من الدعوى أي تدعون أنه باطل (قل) يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك (أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي) أي من المؤمنين (أو رحناً) أي فابقنا وأخر في آجالنا (فن يجير الكافرين من عذاب أليم) أي انه واقع بهم لاحالة وقيل في معنى الآية قل أرأيتم ان أهلكني الله أي فعذبني ومن معي أو رحناً أي فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فن يجيركم أو يمنعكم من عذاب أليم وأتم كفرون وهذا قول ابن عباس (قل) أي قل لهم في انكارك عليهم وتوحيك لهم (هو الرحمن آمنابه وعليه توكلنا) أي نحن آمنابه وعبدناه وأتم كفرتم به (فستعلمون) أي عند معاينة العذاب (من هو في ضلال مبين) أي نحن أم أتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم) قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه (غوراً) أي غائراً ذاهباً في الارض لا تناله الايدي ولا الدلاء (فن ياتيكم بماء معين) أي ظاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلاء وقال ابن عباس معين أي جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريههم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبروني ان صار ماؤكم ذاهباً في الارض فن ياتيكم بماء معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شيء أصلاً شريكاً له في العبودية فهذا محال والله أعلم

﴿تفسير سورة ن﴾

مكية وهي اثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه أن أول ما خلق الله القلم فخرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فادت الارض فأنبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليونا وقيل لوثيا وعن علي بلهوت قال أصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكاً فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فاخذ الله ياقوته خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقر عليها قدم الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخاره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفساً فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فذاق

الله

كعدل بمعنى عادل (فن ياتيكم بماء معين) جار يصل اليه من أرادته وتليت عند ملحد فقال يأتي بالمعول والمعن

فذهب ماء عينه في تلك الليلة وعنى وقيل انه محمد بن زكريا المتطرب زادنا الله بصيرة ﴿سورة ن مكية وهي اثنان وخمسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ن) الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذي عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لا بد له من الاعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم

(والقلم) أى ما كتب به

اللوحة أو قلم الملائكة والذي يكتب به الناس أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) أى ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة أو مصدرية وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) أى بانهامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما أخبروها (بمجنون) وبنعمة ربك اعترض بين الاسم والخبر والباء في بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيده النفي وهو جواب يأيها الذي نزل عليك الذكر انك لمجنون (وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع أو غير ممنون عليك به (وانك لعلی خلق عظيم) قيل هو ما أمره الله تعالى به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن أى ما فيه من مكارم الاخلاق وإنما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما

الله تعالى صخرة كغياض سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده داخل والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال ط الجبار سبب حياته وتعالى وتنزهه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغلى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له أتدرى ما على ظهرك يا ليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه ففجع الحوت الى الله تعالى منها فاذن طان فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر اذا ما الشوق برح بي اليهم * ألت النون بالدمع السحاج

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة (والقلم) هو القلم الذي كتب الله به الذكرو وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجري على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على أمر قد فرغ منه (وما يسطرون) أى وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع (ما أنت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم بأياها الذي نزل عليه الذكرا انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والخلق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينبغي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون (وان لك لاجر غير ممنون) أى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول البيهقي عيسى كواسب ما بمن طعامها * أى ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافتراءهم عليك أجزا عظيمة دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجزا عظيمة فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلی خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وأفعاله المرضية الجميلة وافرة ووصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التعجب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلی خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم

لادين أحب الى ولا أرضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأمر به من أوامر الله وينهى عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وقيل سمي الله خلقه عظيما لانه امتثل ناديب الله اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل بين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ من ذلك ما روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس * عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم أخرجه أبو داود * وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقا وأطفهم باهله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أحبك الى الله وأقر بكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحسنكم أخلاقا (ق) عن أنس رضى الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لى أف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا ولا فعلت كذا زاد الترمذى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خراقة ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شمت مسكا قط ولا عطر اكان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسو الله صلى الله عليه وسلم فتنتلق به حيث شاءت زاد فى رواية ويجيب اذا دعى * وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصاحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ولم يرمقه * ما ركبه بين يدي جليس له أخرجه الترمذى (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شئ قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط يده ولا امرأة ولا خادما الا أن يجاهد فى سبيل الله تعالى (ق) عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادره أعرابى فجذبه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحى عنك وأمره بعتاء (ق) عنه رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان فطيا كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير النغير كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور الا أنه أحر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فى بيته قالت كان يكون فى مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى

(فستبصرو ويصرون) أى عن قرىب ترى ويرون وهذا وعد له ووعد لهم (بأيكم المفتون) المجنون لانه فتن أى محن بالجنون والباه مزيدنا والمفتون مصدر كالمعقول أى بأيكم الجند ون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا او تقديره فى أىكم المفتون أى فى أى الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام أو فريق الكفر (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أى هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهيبج للتصميم على معاصاتهم وقد أرادوا أن يعبدوا الله مدة وآلهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لودهن) (٣١٧) لوتلين لهم (فيدهنون) فيلينون لك ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التثنية لانه عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف أى فهم يدهنون أى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به منجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير فى الرأى والتميز من المهانة وهى القلة والحقارة أو كذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) يقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والتميم والتميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخبر المال أو مناع أهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من

الله عليه وسلم أخرجه الترمذى قوله تعالى (فستبصرو) أى يا محمد (ويصرون) يعنى أهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قال ابن عباس معناه بأيكم المجنون وقيل الباء بمعنى فى معناه فستبصرو ويصرون فى أى الفريقين المجنون فى فريقك أو فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذى فتن بالجنون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعنى مشركى مكة وذلك انهم دعوا الى دين آباءه فنهاه الله أن يطيعهم (ودوا لودهن فידهنون) أصل الادهان الابن والمصانعة والمقاربة فى الكلام وقيل ادهن الرجل فى دينه وداهن فى أمره خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية انهم تمنوا أن تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لودهم فكفروا وهو أن تعبد آلهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) أى كثير الحلف بالباطل (مهين) أى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهى قلة الرأى والتميز وقال ابن عباس كذاب وهو قرىب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق (هماز) أى مغتاب أى كل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذى يغمز باخيه فى المجلس (مشاء بنميم) أى فتان يسمى بالتميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) أى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أى يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) أى ظالم يتعدى الحق (أثيم) أى فاجر يتعاطى الاثم (عتل) أى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيئ الخلق وقيل هو الشديد فى الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد فى كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوى الشديد ولا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا فى النار دفعة واحدة (بعد ذلك زعيم) أى مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زعيم وهو الدعى الملقب فى القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قيل انما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزعيم هو الذى له زعنة كزعم الشاة وقال ابن عباس فى هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زعيم فعرف وكانت له زعنة فى عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشرك كما تعرف الشاة بزعمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة (أن كان ذامال وبنين) قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذامال وبنين أى لا تطع له وبنيه وقرئ أن كان ذامال وبنين بالاستفهام ومعناه ألا ان كان ذامال وبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال

أسلم منكم منعتهم فدى (معتد) مجاوز فى الظلم حده (أثيم) كثير الاثم (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثال (زعيم) دعى وكان الوليد دعى فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبئت خبت الناشئ منها روى انه دخل على أمه وقال ان محمد اوصفنى بعشر صفات وجدت تسعا فى فاما الزعيم فلا علم لى به فان أخبرتنى بحقيقته والاضر بت عنقك فقالت ان أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى (أن كان ذامال) متعلق بقوله ولا تطع أى ولا تطعه مع هذه المثال لان كان ذامال أى ليساره وحفظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده أى لان كان ذامال (و بنين) كذب باياتنا يدل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال

أساطير الأولين) ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أن جزءه وأبو بكرى لان كان ذامال كذب ان شامى ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فان كان من عدله أن يجزى المسمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فضله ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرة (سنسمه) سنكويه (على الخرطوم) على أنفه مهانة له وعلمها يعرف به وتخصيص الانف بالذكرك لان الوسم عليه أشبع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة على خرطومهم (انا بلوناهم) امتحننا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف (٣١٨) (كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من أهل الصلاة كانت لا يهتم هذه الجنة بقرية يقال

أساطير الأولين) أى جعل مجازاة النعم التى خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لان كان ذامال وبنين تطيعه ثم أوعدته فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) أى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به فى الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سندحق به شينا لا يفارقه أى سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه كما ان ان السمة لا تمحى ولا يعفى أثرها وقد ألحق الله به بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوصم على الخرطوم الذى لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه وقوله تعالى (انا بلوناهم) أى اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) روى عن ابن عباس فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو أيضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينثرا أيضا فلعمامات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع أن نفعل فتحالفوا بينهم يوما أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصر من نخلهم فذلك قوله تعالى (اذا قسموا) أى تحالفوا (ليصر منها) أى ليقطعن ثمرها (مصبحين) أى اذا أصبحوا قبل أن يخرج اليهم المساكين وقبل أن يعلم بها المساكين (ولا يستثنون) أى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل لا يستثنون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طاف من ربك) أى عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطائف نار انزلت من السماء فاحرقته وهو قوله تعالى (فاصبحت) أى الجنة (كالصريم) أى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة (فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما أصبحوا (أن اغدوا على حزنكم) يعنى الثمار والزروع والاعناب (ان كنتم صارمين) أى قاطعين ثماركم (فانطلقوا) أى مشوا اليها (وهم يتخافتون) أى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) أى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهه وقيل على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) أى عند أنفسهم على جنتهم

لها ضرران وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي على الفقراء فلعمامات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال خلفوا ليصر منها مصبحين فى السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا فى بينهم فاحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (اذا اقساموا) حلفوا (ليصر منها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصر منها (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وسمى استثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤد مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله لاأخرج الا أن يشاء الله

(فطاف عليها طاف من ربك) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها ناراً فأخرقتها (وهم نائمون) أى فى حال نومهم (فاصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) أى كالليل المظلم أى احترقت فأسودت أو كالصبح أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر وقيل كالصرومة أى كانتا صرمت هلاك ثمرها فتنادوا مصبحين نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حزنكم) ولم يقل الى حزنكم لان الغدوا اليه ليصرموه كان غدوا عليه أو ضمن الغدومعنى الاقبال أى فاقبلوا على حزنكم باكرين (ان كنتم صارمين) يريدون صرامه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلنها) أى الجنة وان مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها (اليوم عليكم مسكين) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمسكين أى لا تمسكنوا من الدخول (وغدوا على حرد) على جد فى المنع (قادرين) عند أنفسهم على المنع كذا عن نقطويه وألحرد القصد والسرعة أى وغدوا قاصدين الى

جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين أو هو علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم (فلمارأوها) أى جنتهم محترقة (قالوا) فى بدية وصولهم (اناضالون) أى ضللتنا وناوما على المارأوا من هلا كهافلها ناملوا وعرفوا انها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمانا خيرها الجنائتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أعد لهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تستنئون اذا الاستثناء التسبيح لالتقاءها فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أولولان ذكر ون الله وتوبون اليه من خبت نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله واتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فغيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به أولى وأقر واعلى أنفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن أن يكون ظالما (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فاعلوا من الهرب (٣١٩) من المساكين ويحمل كل واحد منهم اللائمة

على الآخر ثم اعترفوا جميعا باتهم تجاوزا الحد بقوله (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا) وبالتشديد مدنى وأبو عمرو (خيرا منها) من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجعون لعفوه عن مجاهد تابوا فايدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى انهم اخلصوا فابدهم بهاجنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه

أعمارها لا يحول بينهم وبينها أحد (فلمارأوها) أى رأوا الجنة محترقة (قالوا انا لاضالون) أى لخطئون الطريق وأضللتنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) أى قال بعضهم قد حرمانا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) أى أعد لهم وأعقلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تستنئون أنكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصر منها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لا يقدر أحد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى ان الاستثناء بمعنى لا يتركون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون أى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتقرى بكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناء وهم سبحانه الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعلوا وأقر واعلى أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) أى بمنعنا المساكين حقوقهم (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا (قالوا يا ويلنا) دعوا على أنفسهم بالويل (انا كنا طاغين) أى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغنى أن القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدهم بهاجنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) أى عند ربهم فى الآخرة وما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطي فى الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذبا للمشركين (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل أو يعطى أفضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات (مالكم كيف تحكمون) يعنى هذا الحكم المعوج (أم لكم كتاب) أى نزل من عند الله (فيه) أى فى ذلك الكتاب (تدرسون) أى تقرؤن (ان لكم فيه) أى فى ذلك الكتاب (لما تخبرون) أى تخبرون وتشتبهون (أم لكم إيمان علينا بالغة) معناه لكم عهد وموآثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا

(لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يضمنى الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا النعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطي فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقل لهم أنخيف فى الحكم أفنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كأن أمرا الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن فى ذلك الكتاب (ان لكم فيه لما تخبرون) أى ان ما تختارونه وتشتبهونه لكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخبرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام فى خبرها ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقولوه وتركنا عليه فى الآخرة بن سلام على نوح ونخبر الشئ واختاره أخذ خيره (أم لكم إيمان علينا) عهد مؤكدة بالإيمان (بالغة) نعت إيمان ويتعلق (٧) قوله وانما كسرت اللام لعل المحيى اللام اه

وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لا يشبه شيئا من مخلوقاته وقد علموا أنه لا يشبه شيئا من مخلوقاته فيعلمون بذلك أنه ربهم فيقولون أنت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشايتها اياها ولجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث أبي سعيد أناهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها معنى رأوه فيها أي علموها صفة المعلومة للمؤمنين وهي أنه لا يشبهه شيء وقولهم نعوذ بالله منك لا نشارك بالله انما استعاذوا منه لما قدمنا وهي من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال أبو سليمان الخطابي فيحتمل أن يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه أي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي يأتي باحاديث منكورة لا يتابع عليها وموالي عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي اسناده مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضي عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقه عظيمة وقد تكون ساق مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وإزالة الرعب عنهم وما كان غاب على عقولهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي هي في الجنة كرامة أولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه إلا أذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة أي فقارة واحدة كالصفحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسر هاء الغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة يؤذن فيها قوله دحض مزلة أي تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء وكلايب جمع كلوب وهو الحديد التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكر دس في نار جهنم معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا وقسم يخذش ثم يرسل فيخلص وقسم يكر دس أي يلقي ويسقط في جهنم وفي هذا اثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة وأهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم وأعمالهم والآخرون يسقطون في جهنم أعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار شفاعتهم لهم وقوله فن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضي عياض قيل معني الخير اليقين قال والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لان الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذكرك خفي وعمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى أو نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك أقل المقادير وقول المؤمنين لم نذرفها خيرا أي صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوم لم يعملوا خيرا قط

كأزعم المشبه لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة عنده (ويدعون) أى الكفار ثمة (الى السجود) لا تكليفاً ولكن
 تو بيخاً على تركهم السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصيصى البقر لانتثنى عند الخفض والرفع (خاشعة)
 ذليلة حال من الضمير فى يدعون (أبصارهم) أى يدعون فى حال خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا يدعون) على
 أسن الرسل (الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) أى وهم أصحاب فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثم (فذرني) يقال ذرني وإياه
 أى كله الى فاني أ كفيك (ومن يكذب) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كل أمره الى وخل بيني وبينه
 فاني عالم بما ينبغي أن يفعل به مطبق له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على في الانتقام منه تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديداً للمكذبين
 (سند درجهم) سند نبيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا (٣٢٣) أى استنزله اليه درجة درجة حتى يورطه

فيه واستدرج الله تعالى
 العصاة أن يرزقهم الصحة
 والنعمة فيجعلون رزق الله
 ذريعة الى ازدياد المعاصي
 (من حيث لا يعلمون) من
 الجهة التي لا يشعرون أنه
 استدرج قيل كلما جدوا
 معصية جددنا لهم نعمة
 وأنسيناهم شكرها قال
 عليه السلام اذا رأيت الله
 تعالى ينعم على عبد وهو
 مقيم على معصيته فاعلم أنه
 مستدرج ونلا الآية (وأملئ
 لهم) وأملئهم (ان كيدى
 متين) قوى شديد فسمى
 احسانه ونمكينه كيدا كما
 سماه استدرجاً لكونه فى
 صورة الكيد حيث كان
 سبيلاً للهلاك والاصل ان
 معنى الكيد والمكر
 والاستدرج هو الاخذ
 من جهة الامن ولا يجوز

هو لاءهم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيراً قط وتفرد الله تعالى به لم ماتكنه القلوب فالرحمة لمن
 ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة أى جمع جماعة قوله قد عادوا حملاً أى صاروا خفاً فيلقبهم
 في نهر في أفواه الجنة جمع فوهة وهى أول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ أى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيد
 معناه انه يعلق فى رقابهم أشياء من ذهب وغير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (ويدعون الى
 السجود فلا يستطيعون) السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير اصلاهم كصيصى البقر أو كصفيحة نحاس
 فلا يستطيعون السجود (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود
 ووجوههم أشد بياضاً من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل
 وخسران وندامة (وقد كانوا يدعون الى السجود) يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة
 بالاذان والاقامة وذلك أنهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) يعنى
 أنهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم أصحاب فلا ياتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين
 يتخلفون عن الجماعة ﴿قوله عز وجل﴾ (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) أى دعنى والمكذبين بالقرآن
 وخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الى فاني أ كفيك اياهم (سند درجهم) أى سنأخذهم
 بالعذاب (من حيث لا يعلمون) فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما أذنبوا جددنا
 لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدرج لانهم يحسبونه تفضيلاً لهم على المؤمنين وهو
 فى الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر واذا أذنب ذنباً أن
 يعاجله بالاستغفار والتوبة (وأملئ لهم) أى أمهلهم وأطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم الى الموت فلا
 أعجلهم بالعقوبة (ان كيدى متين) أى عذابى شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى
 الاستدرج المؤدى الى العذاب (أم تسألهم أجراً) أى على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم
 الغرامة والمعنى أطلب منهم أجر فيثقل عليهم حل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم
 عندهم الغيب فهم يكتبون) أى أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على
 سبيل الانكار (فأصبر لحكم ربك) أى اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف
 (ولا تكن) فى الضجر والمجالة (كصاحب الحوت) يعنى يونس بن متى (اذ نادى) ربه أى فى بطن الحوت
 (وهو مكظوم) أى مملوء غماً (لولا أن تداركه نعمة من ربه) أى حين رحمه وتاب عليه (لنبد بالعراء) أى

أن يسمى الله كأندا وما كرا ومستدرجا (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرافهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استفهام
 بمعنى النفي أى لست تطلب أجر على تبليغ الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ عند الجمهور
 (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فأصبر لحكم ربك) وهو أمهلهم وتأخير نصرتك عليهم لانهم وان أمهلوا لم يهلوا (ولا تكن كصاحب
 الحوت) كيونس عليه السلام فى المجلة والغضب على القوم حتى لا تبلى ببلائه والوقف على الحوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء
 طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أى اذكر (اذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بلاله الا أنت سمع حالك انى كنت من الظالمين (وهو
 مكظوم) مملوء غيظاً من كظم السقاء اذ أملاًه (لولا أن تداركه نعمة) رحة (من ربه) أى لولا أن الله أنعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره
 (لنبد بالعراء) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء

(وهو مذموم) معاتب بزلة الكثرة رحم فنبذ غير مذموم (فاجتبه به) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من (٣٢٤) الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبياقبله لقوله تعالى

وان يونس لمن المرسلين اذا بقى الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وفتح الياء مدني ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه أي قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شذرا يعيرون العداوة أن يزيلوك بابصارهم عن مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أركاليوم مثله الاهلك فاريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم أركاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة في أمره وتنفير عنه (وما هو) أي القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعني انهم جنوه لاجل القرآن وما

ا طرح بالقضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) أي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الآية لولا تداركته نعمة من ربه لبقى في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينفذ بعراء القيامة أي بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها ان كلمة لولادت على أنه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابراشيات المقر بين الثالثة لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتبه به) والفاء للتعقيب أي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه (فجعله من الصالحين) أي النبيين ﷺ قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قریش اليه وقالوا مارأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى ان كانت الناقة أو البقرة لتمر بأحدهم فيعابنها ثم يقول لجار يته خذي المكمل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه فأتبرح حتى تقع بالوت فتتحرك وقيل كان رجل من العرب يكثر لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أركاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه فأتذهب الا قليلا حتى يسقط ما عناءه فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين و يفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يحجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وانما أراد أنهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعني أو يكاد يهلكني يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) لانهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء (ويقولون انه لمجنون) أي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى رداعليهم (وما هو) يعني القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من أصابته العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقى ان أسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفاسترقى لهم قال نعم ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جاهر العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفافي نفسه ولا يؤدي الى قاب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة أن العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدره الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى أن الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شيء الا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدره الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله أعلم

(تفسير سورة الحاقة)

مكية وهي اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربع وثلاثون حرفا

القرآن الامو عظة للعالمين فكيف يحزن من جاء به مثله وقيل لما سمعوا الذكر أي ذكره عليه السلام (بسم) وما هو أي محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله أعلم (سورة الحاقة احدي وخمسون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر رأى وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهم ما خبر الحاقة والاصل الحاقة ما هي أي شيء هي تفخيها شأنها وتعظيها لعلها أي حقها أن يستفهم عنها عظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما أدراك) وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده في موضع نصب لانها مفعول ثان لا درى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من أسماء القيامة وسميت (٣٢٥) بها لانها انقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحاقة) يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال أي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم أي تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى أي شيء هي الحاقة (وما أدراك ما الحاقة) أي أنك لا تعلمها اذ لم تعانها ولم ترم فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة أمر لا تبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي أعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها انقرع قلوب العباد بالخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم ففرع قلوبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) أي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة للحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عانية) أي عنت على خزنها فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها وقيل عنت على عاد فلم يقدر واعلى دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) أي أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية أيام) ذات برد وريح شديدة قال وهب هي الايام التي سماها العرب المعجوز لانها أيام ذات برد وريح شديدة وسميت معجوزا لانها تأتي في عجز الشتاء وقيل لان معجوزا من قوم عاد دخلت سر بها فاتبعها الريح حتى قتلتها (حسوما) أي متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابع عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما مشؤما وقيل لهذه الايام حسوم لانها تحسم الخير عن أهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم يبق منهم أحدا (فترى القوم فيها) أي في تلك الليالي والايام (صرعى) أي هلكي جمع صريع قد صرعهم الموت (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) أي من نفس باقية قيل انهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالتهم في البحر فلم يبق منهم أحد ﴿قوله تعالى﴾ (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء أي ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعني قرى قوم لوط ويريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين اتفكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) أي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعضوا

ذ كرها وخمها أتبع ذكر ذلك ذ كرم من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذ كبر الاهل مكة ونحو يفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعاقبة أي بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح) أي بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عانية) شديدة العصف أو عنت على خزائنها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على أعداء الله (سخرها) سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام وكان ابتداء

العذاب يوم الاربعاء آخر الشهر الى الاربعاء الاخرى (حسوما) أي متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لمتابعتها بتتابع فعل الحاسم في اعادة السكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) أي المخاطب (القوم فيها) في مهاجها وفي الليالي والايام (صرعى) حال جمع صريع (كأنهم) حال أخرى (أعجاز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة أو بالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصرى وعلى أي ومن عنده من أتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط فهي اتفكت أي انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعل أو بالافعال ذات الخطا العظيم (فعضوا) أي قوم لوط

(رسول ٣٣) لوطا (فاخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة في الشدة كزادت قبائحهم في القبح (انما طغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا (٣٢٦) (جلناكم) أي آباءكم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) أي الفعلة

وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعبيها) وتحفظها (أذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهي أذن عالت عن الله وانتفعت بما سمعت (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) هي النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون (وحملت الارض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكتا دكة واحدة) دقتا وكسرتا أي ضرب بعضهما ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيبا وهباء منبثا (فيؤمئذ) خيفة مؤذ وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهي القيامة وجواب اذا وقعت ويؤمئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) فتحت أبوابا (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو أعظم من الملائكة (على أرجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهي مسكن الملائكة فليجئون الى أطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك

(رسول ٣٣) قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما للتقدم ذكر الامتين جميعا (فاخذهم أخذة رابية) يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انما طغى الماء) أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان (جلناكم في الجارية) يعني جلنا آباءكم وأتم في أصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية أي السفينة التي تجري في الماء (لنجعلها) أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من جلنا معه (لكم تذكرة) أي عبرة وموعظة (وتعبيها) أي تحفظها (أذن واعية) أي حافظة لما جاء من عند الله وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) يعني النفخة الاولى (وحملت الارض والجبال) أي رفعت من أماكنها (فدكتا دكة واحدة) أي كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فغير عنهما بلفظ الاثنين (فيؤمئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) أي ضعيفة تشققها (والملك) يعني الملائكة (على أرجائها) يعني نواحيها وأقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتيها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي فوق رؤسهم يعني الجلة (يومئذ) أي يوم القيامة (ثمانية) يعني ثمانية أملاك وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاعدال بين أظلافهم هم الى ربهم كما بين سماء الى سماء الاعدال نبوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه انسان ووجه أسد ووجه نور ووجه نسرفهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حلة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت في شيء من الشعر فقال

رجل ونور تحت رجل يمينه * والنسر للآخرى وليث يرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وباسناد صحيح غريب * عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورؤسهم فيهم اذمرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عد هن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وربهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك أخرجه الترمذي وأبو داود زاد في رواية وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء * عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض

(يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا وبالباء كوفي غير عاصم وفي الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدا ومعاذير وأما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهاالك كتابه بشماله (فاما) تفصيل للعرض (من أوتي كتابه بيمينه فيقول) سرور به لما يرى فيه من الخيرات خطابا للجماعة (هاؤم) اسم للفعل أي خذوا (٣٢٧) (اقرأ كتابيه) تقديره هاؤم كتابي اقرأ كتابيه فذف

مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحلة العرش قرون ما بين أخص أحداهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحداهم إلى مؤخر غيبه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال لحلة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوكم بعد قدرتك وروى عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) أي على الله تعالى للحساب (لا تخفى منكم خافية) أي فعلة خافية والمعنى أنه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وإن عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فإنه يظهر أحوال الخلاق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باسائهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدا ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (فاما من أوتي) أي أعطى (كتابا بيمينه فيقول هاؤم) أي تعالوا (اقرأ كتابيه) والمعنى أنه لما بلغ الغاية في السرور وعلم أنه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا به وقيل يقول ذلك لاهله وأقربائه (أني ظننت) أي علمت وأيقنت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والأحكام (أني ملاق حسابيه) أي في الآخرة والمعنى أني كنت في الدنيا أستيقن أني أحاسب في الآخرة (فهو في عيشة راضية) أي في حالة من العيش مرضية وذلك بأنه لقي الثواب وأمن من العقاب (في جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) أي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا (كلوا) أي يقال لهم كلوا (واشربوا هنيا) بما أسلفتم أي بما قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) أي الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتي كتابه بشماله) قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه تمنى أنه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح (ولم أدر ما حسابيه) أي لم أدر أي شيء حسابي لأنه لا طائل ولا حاصل له وإنما كله عليه لاله (يا ليتها كانت القاضية) تمنى أنه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة أي ما أحيا

اقرأ كتابيه فذف الاول لدلالة الثاني عليه والعامل في كتابيه اقرأ عند البصريين لأنهم يعملون الأقرب والهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحققها أن ثبتت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استعجب ايشار الوقف ايشار الثباتها لثبوتها في المصحف (أني ظننت) علمت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والأحكام ولأن ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهي تفضي إلى الظنون فجاز إطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (أني ملاق حسابيه) معان حسابي (فهو في عيشة راضية) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (في جنة عالية) رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور وهو خير بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من مردها ينالها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم

(كلوا واشربوا هنيا) أكلا وشربا هنيا لا مكروه فيهما ولا أذى أو هنتم هنيا على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هي في الصائم أي كلوا واشربوا بابل ما مسكتكم عن الأكل والشرب لوجه الله (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) لما يرى فيها من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) أي ياليتني لم أعلم ما حسابي (يا ليتها ياليت الموتة التي متها) كانت القاضية أي القاطعة لاصري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى

(ما أغنى عنى ماله) أى لم ينفعنى ما جعلته فى الدنيا فأتى بالمفعول محذوف أى شياً (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلم على الناس و بقيت فقيراً ذليلاً وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى أى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى خزنة جهنم (خذوه فغلوه) أى اجعوا أيديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى ادخلوه يعنى ثم لا تصالوه الا الجحيم وهى النار العظمى أو نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثم فى سلسلة ذرعتها) طولها (سبعون ذراعاً) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله (فاسلكوه) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى (٣٢٨) تقديم الجحيم على التصلية (انه) تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب

بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده أكره منه اليه أى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من الموت (ما أغنى عنى ماله) أى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شياً (هلك عنى سلطانيه) أى ضلت عنى حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجتى حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلم على الناس و بقيت ذليلاً حقيراً فقيراً (خذوه) أى يقول الله تعالى خزنة جهنم خذوه (فغلوه) أى اجعوا أيديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاطم فى الدنيا (ثم فى سلسلة) وهى حلقى منتظمة كل حلقة منها فى حلقة (ذرعتها) أى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها (سبعون ذراعاً) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوفل البكالى سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعده مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعاً وقال الحسن الله أعلم أى ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن روضة مثل هذه وأشار الى مثل الجحمة أرسلت من السماء الى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبغيت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت فى رأس السلسلة لسارت أر بعين خريف الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها وأصلها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرضا الضاحى الصغار وقوله مثل هذه وأشار الى مثل الجحمة الجحمة قدح من خشب وجعه جاجم والجحمة الرأس وهو أشرف الاعضاء وقال وهب لوجع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ﴿ وقوله تعالى (فاسلكوه) أى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) أى لا يصدق بوحداية الله وعظمته (ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يبحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية أدركت أقواماً يعزمون على أهلهم أن لا يردوا سائلاً وعن بعضهم انه كان يامر أهله بتكثير المرقعة لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الثانى بالاطعام (فليس له اليوم ههنا جحيم) أى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه ويشفع له (ولا طعام الا من غسلين) يعنى صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجراً كله أهل النار (لا يأكله الا الخاطئون) أى الكافرون ﴿ وقوله عز وجل (فلا أقسم) قيل ان لاصلة والمعنى أقسم وقيل لارد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى أقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا أقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم ﴿ وقوله (بما تبصرون وما لا تبصرون) يعنى بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون وما لا تشاهدون أقسم بالاشياء كلها فيدخل

بانه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم أى انه مع كفره لا يحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلاً عليه وقرينه له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أنى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فأنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة

على ان المؤمنين يرحمون جميعاً والكافرين لا يرحمون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفاً منهم أهل اليمين ووصفهم فيه بالايمان فحسب بقوله انى ظننت أنى ملاق حسابه وصنفاً منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجازان الذى يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه (فليس له اليوم ههنا جحيم) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (ولا طعام الا من غسلين) غسالة أهل النار فعلى من الغسل والنون زائدة وأريد به ههنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم (لا يأكله الا الخاطئون) الكافرون أصحاب الخطايا وخطيئ الرجل اذا عمده الذنب (فلا أقسم بما تبصرون) من الاجسام والأرض والسماء (وما لا تبصرون) من الملائكة والارواح فالخاصل انه أقسم بجميع الاشياء

(انه) أى ان القرآن (لقول رسول كريم) أى محمد صلى الله عليه وسلم أوجبر بل عليه السلام أى يقول ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) كما تدعون (قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن) (٣٢٩) كما تقولون (قليلا ما تدكرون) وبالياء فيهما

مكى وشامى ويعقوب وسهل وبتخفيف الذال كوفى غير أبى بكر والقلة فى معنى العدم يقال هذه أرض قلما تنبت أى لا تنبت أصلا والمعنى لا تؤمنون ولاندكرون البتة (تنزيل) هو تنزيل بيانا لأنه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين) ولو تقول علينا

بعض الاقويل (ولو ادعى علينا شيئا لم نقله) (لاخذنا منه باليمين) لقتلناه صبورا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ يساره واذا أراد أن يوقعه فى جبهته وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو مناط القلب اذا قطع مات صاحبه (فما منكم) الخطاب للناس أو للمسلمين (من أحد) من زائدة

فيه جميع المكنونات والموجودات وقيل أقسم بالدين والآخر وقيل بما تبصرون يعنى على ظهر الارض وما لا تبصرون أى ما فى بطنها وقيل بما تبصرون يعنى الاجسام وما لا تبصرون يعنى الارواح وقيل بما تبصرون يعنى الانس وما لا تبصرون يعنى الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما أظهره الله من مكنون غيبه للملائكة والروح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما ستر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحد من خلقه ﴿ ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول أصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وإنما وصفوا بما محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الأمة وهم أهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت أما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به وأما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما أوحى اليه ولهذا أكد بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وإنما أراد انه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفى الرسول ما يدل على ذلك فاكتمى به عن ان يقول عن الله تعالى ﴿ وقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) يعنى أن هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه (قليلا ما تؤمنون) أراد بالقليل عدم إيمانهم أصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن) أى وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليلا ما تدكرون) يعنى لا تتدكرون البتة (تنزيل) أى هو تنزيل يعنى القرآن (من رب العالمين) وذلك لما قال انه لقول رسول كريم أتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال ﴿ قوله تعالى (ولو تقول علينا) أى اختلق علينا محمد (بعض الاقويل) يعنى أتى بشئ من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه (لاخذنا منه باليمين) أى لأخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين أى بالحق قال ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ مدح عرابه ملك اليمين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابه باليمين

أى بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامينه والمعنى لاخذنا منه اليمين أى سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذلناه وأهناه كفعل السلطان بمن يريد أن يهينه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فاقه وإنما خص اليمين بالذكر لانه أشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعنى نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجري فى الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد أن نأخذ منه بعينه بل المراد منه أنه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى أنه لو كذب علينا وتقول علينا قولاً لم نقله لمتناه من ذلك أما بواسطة اقامة الحجج عليه بان تقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه وأما أن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب وأما أن نميته (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى أن محمد لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه أنه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وإنما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد ردا على معناه (وانه) يعنى القرآن وذلك أنه لما وصفه بأنه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى (لندكرة) أى لعظة (للمتقين) أى لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم أن منكم

(٤٢) - (خازن) - (رابع) (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين) وان كان وصف أحد لانه فى معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله (وانه) وان القرآن (لندكرة) لعظة (للمتقين) وانا لنعلم أن منكم

مكذبين وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذاراً واثواب المصدقين به (وانه) وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بك كراسمه العظيم وهو قوله سبحانه الله (سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أو هو النبي (٣٣٠) صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه

قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همزة مدني وشامي وهو من السؤال أيضا لأنه خفف بالتلين وسائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب أي بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع أي واقع من عنده أو بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذی المعارج) أي مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعدها في العلو والارتفاع فقال (تعرج) تصعد وبالياء على (الملائكة والروح) أي جبريل عليه السلام خصه بالذكور بعد العموم لفضله وشرفه أو خالقهم حفظه على الملائكة كما أن الملائكة حفظه علينا وأرواح المؤمنين عند

مكذبين) فيه وعيد لمن كذب بالقرآن وانه يعنى القرآن (لحسرة على الكافرين) يعنى يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه أنه حق معين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أي زهر بك العظيم واشكره على أن جعلك أهلاً لا يحائن اليك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة سأل سائل﴾

وتسمى المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول أنه لغة في السؤال والثاني أنه من السيل ومعناه اندفع عليهم وادبعذاب وقيل سال وادمن أودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمزة من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن أي عن عذاب (واقع) أي نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيباً لذلك السؤال (للكافرين) وذلك ان أهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولمن هو سألوا عنه محمد افسألوه فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أي هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذاباً واقعاً للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبراً وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) أي ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة لان العذاب واقع بهم في الآخرة لا يدفعه عنهم دافع (من الله) أي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذی المعارج) قال ابن عباس ذی السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذی الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة فيها وقيل ذی القواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام وانما أفرد به بالذكور وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التخويف والتهويل أفرد الروح بالذكور وهذا يقتضي أن الروح أعظم الملائكة (اليه) أي الى الله عز وجل (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أي من سني الدنيا والمعنى أنه لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة الى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لم يصعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة أو أقل من ذلك وذلك أن مقدار ما بين الأرض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون

غيره

الموت (اليه) الى عرشه ومهبط أمره (في يوم) من صلاة تعرج (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني

الدنيا لو صعد فيه غير الملك أو من صلاة واقع أي يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما أن يكون استطالة له لشدة الكفار ولأنه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطناً لكل موطن ألف سنة وقد ردد ذلك على المؤمنين الا كباين

الظاهر والعصر

(فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استجبال النصر بالعباد انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه (صبراجيلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (برونه) أى العذاب أو يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعد من الامكان وبالقريب القرب منه نصب (يوم تكون السماء) بقربا أى يمكن فى ذلك اليوم أو هو يدل عن فى يوم (٣٣١) فيمن علقه بواقع (كالهمل) كدردى الزيت أو كالفضة المذابة فى تلونها

(وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرايب سود فاذا بست وطبرت فى الجواشيت العهن المنفوش اذا طبرته الريح (ولا يسأل جيم جيم) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزى والبرجى بضم اياه أى لا يستل قريب عن قريب أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة أى جيم مبصرين معرفين اياهم أو مستأنف كانه لما قال ولا يسأل جيم جيم قيل لعله لا يبصره فليل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الجيم الاول وهو ضمير الجيم الثانى أى يبصر الاحياء الاجزاء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتسمى المشرک وهو مستأنف أو حال من الضمير

غيره من الايام لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم عود لا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعاً وهذا الطول فى حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافر بن مقدار خمسين ألف سنة وروى البغوى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فى أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلها فى الدنيا وقال ابن عباس معناه لو لولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين ألف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها فى مقدار نصف يوم من يوم الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو لولى حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه فى ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خسون موطن كل موطن ألف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفيه تقديم وتأخير (فاصبر) أى يا محمد على تكذيبهم اياك (صبراجيلا) أى لا جزع فيه وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (انهم برونه) أى العذاب (بعيدا) أى غير كائن (ونراه قريبا) أى كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير فى برونه بعيد ايعود الى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا فى قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا مكانه (يوم تكون السماء كالهمل) أى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) أى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات ألوان أجروا بيض وغرايب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش اذا طبرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال نصير ملامهيا ثم عنها منقوشا ثم نصير هباء منثورا (ولا يسأل جيم جيم) أى لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الجيم جيمه كيف حاله ولا يكلمه طوله ذلك اليوم وشده وقيل لا يسأله الشفاعة أو لا يسأله الاحسان اليه ولا الفرق به كما كان يسأله فى الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) أى برونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن أو انس الا وهو نصب عين صاحبه أفيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر جيمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الجيم جيمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم أى يعرفونهم أما المؤمن فيعرف بيباض وجهه وأما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) أى يتمنى المشرک (لو يفترى من عذاب يومئذ) أى عذاب يوم القيامة (بينه وصاحبه) أى زوجته (وأخيه وفصيلته) أى عشيرته وقيل قبيلته وقيل أقربائه الاقربين (التي تؤويه) أى تضمه وباوى اليها (ومن فى الارض جميعا) يعنى انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفترى بهم جميعا (ثم ينجيهم) أى ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) أى لا ينجيهم من عذاب الله شئ ثم ابتداء فقال تعالى (انها

المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم) لو يفترى من عذاب يومئذ وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (بينه وصاحبه) وزوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الدينين (التي تؤويه) تضمه انما اليها وبغير همز يزيد (ومن فى الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيهم) الافتداء عطف على يفترى (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبه عن أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيهم من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها وهو ضمير مبهم ترجع عنه الخبر أو ضمير القصة

(لظى) علم النار (نزاعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة وعلى الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان أو على هي نزاعة (لشوى) لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزاعاً فتفرقها ثم تعود إلى ما كانت (ندعو) باسمائهم يا كافر يا منافق إلى أو تهلك من قولهم دعاك (٣٣٢) الله أي أهلكك أولاً كان مصيره اليه جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق

(وتولى) عن الطاعة (وجع) المال (فاوعى) فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) أر يذبه الجنس ليصح استثناء المصالح منه (خاق) هالوعا) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (اذا مسه الشر جزوعا) واذا مسه الخير منوعا) والطلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد ابن عبد الله بن طاهر تعليقا عن الطلع فقال قد فسر الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي اذا اناله شر أظهر شدة الجزع واذا اناله الخير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأثور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلواتهم) أي صلواتهم الخمس (دائمون) أي يحافظون عليها في مواقينها عن ابن مسعود رضى الله عنه

(لظى) يعني النار ولظى اسم من أسماؤها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تلتظى أي تلتهب (نزاعة للشوى) يعني الأطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الأطراف فلا تترك عليها الجلا ولا جلد او قال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه (ندعو) يعني النار إلى نفسها (من أدبر) أي عن الايمان (وتولى) أي عن الحق فتقول له إلى يا مشرك إلى يا منافق إلى إلى قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمائهم باسمان فصيح ثم تأتقظهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو أي تعذب قال اعرابي لا خردعك الله أي عذبك الله (وجع فاوعى) يعني وتدعو من جع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هالوعا) قال ابن عباس اهلوع الحر يص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والطلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعني اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خاق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبد بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره قيل أراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومته ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى (الا المصلين) وهذا استثناء بالجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع (الذين هم على صلواتهم دائمون) يعني بقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض فان قلت كيف قال على صلواتهم دائمون ثم قال بعده على صلواتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بها وهو أن يأتي بها العبد على أكل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفرغ عنه عن الوسواس والالتفات إلى ما سوى الله عز وجل وأما الامور المقارنة للصلاة فهي أن لا يلتفت في الصلاة يميناً ولا شمالاً وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف وانما ركوعها وسجودها وأما الامور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترز عن الرياء والسمعة وخوف أن لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع إلى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمدائمة على الصلاة ترجع إلى نفسها والمحافظة عليها ترجع إلى أحوالها وهيأتها وروى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألتنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلواتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه (والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجها على سبيل الندب في أوقات معلومة (للسائل) يعني الذي يسأل الناس (والمحروم) يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أي خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات

(والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى أبي عمرو أي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه ويذنب أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء كما

(والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) نسائهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي اماءهم (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فن ابتغى) طلب منكحاً (وراء ذلك) أي غير الزوجات والمملوكات (فاولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال الى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهايم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لاماتهم مكى وهي تناول امانات الشرع وأمانات العباد (وعهدهم) أي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاتهم) حفص وبالف سهل ويعقوب (فائون) يقيمونها عند الحكم بلاميل الى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف اظهار الصلابة في الدين (٣٣٣) ورغبة في احياء حقوق المساكين (والذين هم على صلواتهم يحافظون) كرر

كما ينبغي ولا اجتناب المحظورات بالسكينة كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي أن يكون العبد بين الخوف والرجاء وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره في سورة المؤمنين ﴿قوله تعالى (والذين بشهادتهم قائمون) أي يقومون فيها عند الحكم ولا يكتُمونها ولا يغبرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالدكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها موت وتضيع وقيل أراد بالشهادة الشهادته بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ثم ذكر ما أعده لهم فقال تعالى (اولئك) يعني من هذه صفته (في جنات مكرمون) ﴿قوله تعالى (فإل الذين كفروا) أي فإبائهم (قبلك مهطعين) أي مسرعين مقبلين اليك مادي أعناقهم ومدى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهنون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزين) يعني هم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات في تفرقة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذبوا نبي (كلا) أي لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال تعالى (انا خلقناهم مما يعلمون أي من الاشياء المستقدرة من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وشئ واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوي باسناد الثعلبي عن يشر بن حجاج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و بصرى يوماني كفه ووضع عليها أصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم نى تهجرنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومثيت بين يدي والارض منك وثيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أو ان الصدقة وأخرجه ابن الحوزى في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الآية انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهايم بلا علم ولا عقل (فلا أقسم) يعني وأقسم وقد تقدم بيانه (رب المشارق والمغارب) يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربيه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربيه (انا القادرون على أن نبدل خيرامنهم) معناه انا القادرون على اهلا كههم وعلى أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) أي بما غلوبين عاجزين عن اهلا كههم وابدالهم بمن

ذ كر الصلاة لبيان انها لهم أولان احداهما للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام علمها الاستكثار منها والمحافظة عليها لان تضيع عن موافقتها أو الدوام عليها أداؤها في أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسنتها وآدابها (اولئك) أصحاب هذه الصفات (في جنات مكرمون) هم اخبران (فإل) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك معمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال أي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كان كل فرقة تعزى الى غير من تعزى اليه الاخرى فهم مفترقون

كان المشركون يختفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستهنون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كاللؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعلمون) أي من النطفة المدرة ولذلك أبهم اشعارا بانها منصب يستحى من ذكره فن أبين بتسرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخل الجنة قبلهم أو معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل أحد الجنة الا بايمان فلم بطمع أن يدخلها من لا بايمان له (فلا أقسم رب المشارق) مطالع الشمس (والمغارب) ومغاربها (انا القادرون على أن نبدل خيرامنهم) على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين

أطوارا) في موضع الحال أي مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به لانه خلقكم أطوارا أي تارات وكرات خلقكم أولانظفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحانهم أولاعلى النظر في أنفسهم لانهم أقرب ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أي في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابس من حيث انها طباق فإزان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مائل إلى السموات وظهورهما مائل إلى الارض فيكون نور القمر محيط بجميع السموات لانها لطيفة لا تحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا يبصر أهل الدنيا في ضوءها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج (٣٣٦) ما يحتاجون إلى ابصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر وأجمعوا على أن الشمس

في السماء الرابعة (والله أنبتكم من الارض) أنشأكم استعير الانبات للانشاء (نباتا) فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة (اخراجا) أ كد بالمصدر أي أي اخراج (والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فاجا) واسعة أو مختلفة (قال نوح رب انهم عصوني) فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار (واتبعوا) أي السفلة والفقراء (من لم يزدده ماله وولده) أي الرؤساء وأصحاب الاموال والاولاد وولده مكى وعراقى غير عاصم وهو جمع ولد كاسد وأسود (الاخسارا) في الآخرة (ومكروا) معطوف على

أطوارا) يعني تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم أصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا ما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعني في سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بني تميم وانما أتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما إلى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا وأقفيتهما إلى الارض ويرى هذا عن ابن عباس أيضا (والله أنبتكم من الارض نباتا) أراد مبدأ خلق آدم وأصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر أي انباتا وقيل تقديره أنبتكم فنبتم نباتا وفيه دققة لطيفة وهي انه لو قال أنبتكم انباتا كان المعنى أنبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني أولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لانا فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الابواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة إلى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) أي في الارض بعد الموت (ويخرجكم) أي منها يوم البعث (اخراجا) يعني اخراجا حقا لا محالة (والله جعل لكم الارض بساطا) أي فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها سبلا فاجا) أي طرقا واسعة ﴿قوله تعالى﴾ (قال نوح رب انهم عصوني) أي لم يحجبوا دعوتي (واتبعوا من لم يزدده ماله وولده الاخسارا) يعني اتبع السفلة والفقراء والرؤساء الذين لم تزددهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة (ومكروا مكرا كبيرا) يعني كبيرا وعظيما يقال كبير او كبارا بالتشديد والتخفيف والتشديد أشد وأعظم في المبالغة والمالكرون هم الرؤساء القادة ومكروا احتياهم في الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام ونحريش السفلة على أذاهم وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكروا هو قولهم لا تذرنا آلهتكم وتعبدوا له نوح وقال ابن عباس في مكروهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله (وقالوا) يعني القادة للاتباع (لا تذرنا آلهتكم) أي لا تترك عبادتها (ولا تذرنا ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء آلهتهم وانما أفرد بها بالذكريان كانت داخلية في جملة قوله لا تذرنا آلهتكم لانهم كانت لهم أصنام هذه الخسة المذكرة هي أعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم الصالحين كانوا بين آدم ونوح فلما

لم يزددهم جمع الضمير وهو راجع إلى من لانه في معنى الجمع والمالكرون هم الرؤساء ومكروهم احتياهم في الدين وكيدهم لنوح ماتوا ونحريش الناس على أذاهم وصدهم عن الميل اليه (مكرا كبيرا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير (وقالوا) أي الرؤساء لسفلتهم (لا تذرنا آلهتكم) على العموم أي عبادتها (ولا تذرنا ودا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان ضم على صورة رجل (ولا سواها) هو على صورة امرأة (ولا يغوث) هو على صورة أسد (ويعوق) هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل ان كانا غير بين وللتعريف والجمعة ان كانا أعجميين (ونسرا) هو على صورة نسر أي هذه الاصنام الخسة على الخصوص وكانها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ودل كلب وسواع لهما مدان ويغوث لمدحج ويعوق لمراد ونسر لحميم وقيل هي أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صورهم ليكون

ذلك ادعى لهم الى العبادۃ فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وقد أضلوا) أي الاصنام كقوله انهم أضلن (كثيرا) من الناس أو الرؤساء (ولا تزد الظالمين) عطف على رب انهم عصوني على (٣٣٧) حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو

النائب عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال (الاضلالا) هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين الاتبارا (مما خطيئاتهم) خطاياهم أبو عمرو أي ذنوبهم (أغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) عظيمة وتقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغرقهم بالطوفان وادخلهم في النيران الا من أجل خطيئاتهم وأكدها المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء في فادخلوا لا لبيان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تدر على الارض من الكافرين ديارا) أي احدى دور في الارض وهو فيه ال من

ما تواركان أتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم في العبادۃ فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم وأشوق الى العبادۃ ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادۃ الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد ما ودف كانت لكب دومة الجندل وأماسواع فكانت هذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطفان بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لعمدان وأما نسر فكانت لجيرال ذي الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس في قوله ولا تدرن وداد ولا سواع ولا يغوث ويعوق ونسر قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى محاسنهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تنزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب أصنام آخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد وأساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب أنفسهم بعبد وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء (وقد أضلوا كثيرا) أي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل أضل كبراء قوم نوح كثير من الناس (ولا تزد الظالمين الاضلالا) يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الاضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوح عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغیظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بزيادة الضلال وانما يصر فهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان أعامه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انما أراد بالضلال في أمر الدنيا وما يتعلق بها لا في أمر الآخرة (مما خطيئاهم أغرقوا) أي بالطوفان (فادخلوا نارا) أي في حالة واحدة وذلك في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضي التعقيب في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا في الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول أصح (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يعني تنصرهم ومنعهم من العذاب الذي نزل بهم (وقال نوح رب لا تدر على الارض من الكافرين ديارا) يعني احدى دور في الارض فيذهب ويحجى من الدوران وقيل أصله من الدار أي نازل دار (انك ان تدرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان أبي حذرني فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) انما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم واعقم بعد ذلك أرحام النساء وأبى أصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة وأخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا خفيئند دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى أعقمهم قبل العذاب (رب اغفر لي) وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل وقيل يحتمل أنه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب ناذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالاتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس أولانه

(٤٣ - (خازن) - رابع) الدور وهو من الاسماء المستعملة في النفي العام (انك ان تدرهم) ولا تلهكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) الا من اذبلخ فجرو كفر وانما قال ذلك لان الله تعالى أخبره بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب اغفر لي

ولوالدي) وكان اسماهما واسم أبيه ملك واسم أمه شمعاء قيل هما آدم وحواء وقرئ لوالدي يريد ساما وحماما (ولمن دخل بيتي) منزلي أو مسجدي أو سفيني (مؤمنا) لأنه علم أنه من دخل بيته مؤمنا لا يعود إلى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة خص أولاد من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم (٣٣٨) المؤمنين والمؤمنات (ولا تزد الظالمين) أي الكافرين (الانبارا) هلاكا فاهلكوا

قال ابن عباس رضي الله عنهما دعائو ح عليه السلام بدعوتين أحدهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافر بالتباروقه أجيبت دعوته في حق الكفار بالتبارق استحال أن لا تستجاب دعوته في حق المؤمنين واختلف في صبيانهم حين أغرقوا فقل أعظم الله أرحام نساءهم قبل الطوفان باربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا فقل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب والله أعلم ﴿سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل) يا محمد (أوحى إلى) أنه ان الأمر والشأن أجمعوا على فتح أنه لأنه فاعل أوحى وأن لو استقاموا وأن المساجد لا تعطف على أنه استمع فان مخفقة من النقيضة وأن قد أبغوا لتعدي يعلم اليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا اناسه من لأنه مبتدأ محكي بعد القول واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جدر بنا إلى

ترك الاحتمال (ولوالدي) وكان اسم أبيه ملك بن متوشلخ واسم أمه شمعاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهم السلام من آباءه كافر وكان بينهما عشرة آباء (ولمن دخل بيتي مؤمنا) أي داري وقيل مسجدي وقيل سفيني (وللمؤمنين والمؤمنات) وهذا عام في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لأنها أولى بالتخصيص والتقديم ثم نفي بالمتصفين به لأنهم أحق بدعائه من غيرهم ثم عم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ في الدعاء (ولا تزد الظالمين الانبارا) أي هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم جميعا والله أعلم

﴿تفسير سورة الجن﴾

﴿وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) اختلف الناس قد بما وحدثنا في ثبوت وجود الجن فانكرو وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا أنهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية الا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل وهم أتباع الرسل والشرايع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست بأجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خبيثة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم الا الله تعالى وقيل انهم أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهي كونهم ٨ حاصلون في الخيزموصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون إلى لطيف وكثيف وعلاوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لساائر أنواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة أو شاقة يجزأ البشر عن مثلها وقد يتشككون بأشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى إياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرط للحياة وهذا قول الاشعرى وجهور اتباعه وشذوئيل المعزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وأنه لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الأفعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

﴿فصل﴾ اختلف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فأنبأها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذا صرنا إليك نفر من الجن وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم فليل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسل علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها ففر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخله عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما

وأننا المسلمون ففتحها شامى وكوفي غير أبي بكر عطفوا على أنه استمع أو على محل الجار والمجرور في آياته تقديره صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدر بنا وأنه كان يقول سفينا إلى آخرها وكسرها غيرهم عطفوا على اناسه منا وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة إلى العشرة (من الجن) جن نصيبين

(فقالوا) لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر (اناسمعا قرأنا عجبا) عجبا بديها مابيننا لساير الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو (٣٣٩) مصدر وضع موضع العجيب (يهدي الى

الرشد) يدعو الى الصواب
أوالى التوحيد والايان
(فآمنابه) بالقرآن ولما
كان الايمان به ايمانا بالله
وبوحدانيته وبرأه من
الشرك قالوا (ولن نشرك
بربنا أحدا) من خلقه وراز
أن يكون الضمير في به لله
تعالى لان قوله بر بما يفسره
(وأنه تعالى جدر بنا)
عظمته يقال جد فلان في
عيني اذا عظم ومنه قول
عمر وأانس كان الرجل اذا
قرأ البقرة وآل عمران
جدفينا أي عظم في عيوننا
(ما اتخذ صاحبة) زوجة
(ولا ولدا) كما يقول كفار
الجن والانس (وانه كان
يقول سفهنا) جاهلنا أو
ابليس اذ ليس فوقه سفه
(على الله شططا) كفرا
بعده عن الصواب من
شطط الدار أي بعدت أو
قولا يجوز فيه عن الحق
وهو نسبة صاحبة والولد
اليه والشطط مجاوزة الحد
في الظلم وغيره (وأنا ظننا
أن لن نقول الانس والجن
على الله كذبا) قولا كذبا
أو مكذوبا فيه أو نصب على
المصدر اذ الكذب نوع
من القول أي كان في ظننا
ان أحدا لن يكذب على

فما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا
اناسمعا قرأنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنابه وان نشرك بربنا أحدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن زادي رواية وانما أوحى اليه قول الجن أخرجاه في الصحيحين قال
القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصد بهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر
الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء نفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى
هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما أعلمه الله عز وجل بما أوحى اليه من قوله قل
أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب
والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق
بخلقهم ومحاطهم وان النبي صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين
ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقرة وهذا
الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان
لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبي والله أعلم عكاظ
سوية معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية وأول الاسلام ونهاية كل
ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوأها ومكة من تهامة معدودة ونحلة وادم من أودية مكة
قريب منها وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل أوحى الى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر لاصحابه
واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو أيضا مبعوث الى الجن لتعلم قریش ان الجن مع تردادهم لما سمعوا
القرآن عرفوا اعجازهم فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن نفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة
من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (فقالوا) أي لما رجعوا الى قومهم (انا
سمعنا قرأنا عجبا) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بلغنا أي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدي الى
الرشد) أي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايان (فآمنابه) أي بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا)
أي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا
وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وأنه تعالى جدر بنا) أي جلال ربنا وعظمته ومنه قول
انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدفينا أي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع
ذا الجد منك الجد أي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظم قدره بنا وقيل أمر ربنا وقيل فعله
وقيل آلاؤه ونعمائوه على خلقه وقيل علام ملك ربنا (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي انه تعالى جلال ربنا
وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لان صاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزّه عن
كل نقص (وانه كان يقول سفهنا) يعني جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) أي كذبا وعدوانا وهو
صفه تعالى بالشر يك والولد أو الشطط مجاوزة الحد في كل شيء (وأنا ظننا أن لن نقول الانس والجن
على الله كذبا) أي كنا نظن ان الانس والجن صادقون في قولهم ان لله صاحبة ولدا وانهم لا يكذبون على الله
في ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله وقوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسى في أرض قفر قال أعوذ بسيد
هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوارهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن
كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى

الله بنسبة صاحبة والولد اليه فكأصدهم فيما أضافوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من
الارض قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

فراذوهم) أي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها وكبرا بان قالوا سدنا الجن والانس أوفزاد الجن الانس رهقا ثما لاستعاذتهم بهم وأصل الرهق غشيان المحذور (وانهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم) يأهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أي ان الجن كانوا ينكرون البعث كانوا يكفرون بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقروا كما أقروا (وأنا لمسننا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها واللمس المس فاستعير للطلب (٣٤٠) لان الناس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) جمعا قويا من

الله عليه وسلم بمكة فآ وانا المبيت الى راحي غنم فلما اتصف الليل جاء ذئب فاخذ حلاما من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا تراه يا سرحان أرسله فاني الجمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمته فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن (فراذوهم رهقا) وذ كره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس انما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظمة الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الائم وغشيان المحارم (وانهم ظنوا) يعني الجن (كما ظننتم) أي يامعشر الكفار من الانس (أن لن يبعث الله أحدا) يعني بعد الموت (وأنا) يعني تقول الجن وانا (لمسننا السماء) أي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام أهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعني من الملائكة (شديدا وشبها) أي من النجوم (وانا كنا نقعد منها) أي من السماء (مقاعد) المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فن يستمع الآن يجده شهابا رصدا) أي أرصده ليرى به وقيل شهابا من الكواكب ورصد من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الامن أمر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبليين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث في الارض أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكاية (وانا لا ندري أشرا ريد بمن في الارض) أي برمي الشهب (أم أراد بهم رهم رشدا) ومعنى الآية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شرار يدب اهل الارض أم أراد بهم صلاح وخير (وانا منا الصالحون) أي المؤمنون المخلصون (ومنادون ذلك) أي الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك أن الجن فيهم القدرة والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الأهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا أي سنصب طرائق قددا وهو بيان للقسم المذكورة أي كنادوى مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي علمنا وأيقنا (أن لن نجز الله في الارض) أي ان نفوته

الملائكة بحرسون جمع حارس ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقليل شدا (وشبها) جمع شهاب أي كواكب مضيئة (وانا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فن يستمع) برد الاستماع (الآن) بعد المبعث (بجدله) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أي يجده شهابا راصدا له ولا جله أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجونهم بالشهب وينعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في

بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وانا لا ندري

أشر) عذاب (أريد بمن في الارض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم رهم رشدا) خبرا ورجة (وانا منا الصالحون) الابرار المتقون (ومنا) قوم (دون ذلك) خذف الموصوف وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسم المذكورة أي كنادوى مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة والقدة جمع قدوة وهي القطعة من قدت السيراى قطعته (وانا ظننا) أيقنا (أن لن نجز الله) حال أي ان نجزه كائنين في الارض أنما كنا فيها

(ولن نجزه هربا) مصدر في موضع الحال أي ولن نجزه هاربين منها إلى السماء وهذه صفة الجن وما لهم عليه من أحوالهم وعملهم (وأنما لماسمعنا الهدى) القرآن (آمنابه) بالقرآن أو بالله (فمن يؤمن بر به فلا يخاف) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بخسا) نقصان من ثوابه (ولا رهقا) أي ولا نرهقه ذلة من قوله وترهقه ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر (٣٤١) ولا ذلة وفيه دليل على أن العمل ليس من الإيمان (وأنما المسلمون)

المؤمنون (ومن القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (فكانوا الجنة حطبا) يعني وقود النار يوم القيامة فإن قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى للمؤمنين الجن ثوابا وذلك لأن الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله أعلم وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فإن قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وإن خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر أن يعذب النار بالنار ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير إليه فقيل هو راجع إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لأنهم كانوا على أنواعا قبل استماع القرآن ولم يسلموا (لا سقيناهم ماء غدقا) أي لو سعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع إلى الأنس وتم الخبر عن الجن ثم رجع إلى خطاب الأنس فقال تعالى وأن لو استقاموا يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريق الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لا سقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا الوسعنا عليهم في الدنيا ولا عطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وإنما ذكر الماء الغدق مثلا لأن الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا أي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لا عطيناهم مالا كثيرا ولو سعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدرأ جالهم حتى يفتنوا به فنعتناهم والقول الأول أصح لأن الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بأن الآية في الأنس أولى لأن الأنس هم الذين ينتفعون بالمطر (ومن يعرض عن ذكر ربه) أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (نسلكه) أي ندخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لراحة فيه وقيل لا يزداد الاشد ﴿ قوله تعالى ﴾ (وأن المساجد لله) يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى (فلاندعوا مع الله أحدا) قال قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله إذا دخلوا المساجد كما هو قيل أراد بالمساجد بقاع الأرض كلها لأن الأرض كلها جعلت لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الأرض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبيرة قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن نأون عنك فنزلت وأن المساجد لله وروى عنه أيضا أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة الجبهة واليدين والركبتان والقدمان والمعنى أن هذه الأعضاء التي

فوصف به العذاب لأنه يتصعد العذاب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح أي ماشق على (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أي أوحى إلى أن المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بلاندعوا أي (فلاندعوا مع الله أحدا) في المساجد لأنها خالصة لله وعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهي الجبهة واليدين والركبتان والقدمان

فوصف به العذاب لأنه يتصعد العذاب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح أي ماشق على (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أي أوحى إلى أن المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بلاندعوا أي (فلاندعوا مع الله أحدا) في المساجد لأنها خالصة لله وعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهي الجبهة واليدين والركبتان والقدمان

وغاية تطول مدتها والمعنى إن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل (عالم الغيب) أى هو عالم ما غاب عن العباد (فلا يظهر) أى فلا يطلع (على غيبه) أى الغيب الذى يعلمه وانقر دبه (أحدا) أى من الناس ثم استثنى فقال تعالى (الامن ارتضى من رسول) يعنى الامن يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهم ما أبعد شئ من الارضاء وأدخله في السخط قال الواحدى وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما فى القرآن فاما الزمخشري فذكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهب في الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام نحر الدين ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغى أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لا دلالة فيها على شئ من ذلك الذى تدل عليه أن قوله فلا يظهر على غيبه أحد البس فيه صيغة عموم فيكفى في العمل بمقتضاه أن لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الآية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيب لاحد ثم انه يجوز أن يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذ كر ما يدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب أهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا لما معتزلة وانه يجوز أن يلهم الله بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك وبدل على صحة ذلك ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وان يكن في أمتى أحد فانه عمر بن الخطاب أخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتى منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لوجازات الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولا نسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولى ان المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولا يجوز للولى أن يدعى خرق العادة مع التحدى اذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى أمر خارق للعادة من غير دعواه وهذا أيضا يدل على ثبوت نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه وأما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى أعلم ﴿وقوله تعالى﴾ (فانه يسالك من بين يديه ومن خلفه) أى من بين يدي الرسول ومن خلفه من البعض دال على جميع الجهات (رصدا) أى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان أن يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحي فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا أتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رسدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذروه وان جاء ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم) أى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم (أن) أى ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربّه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد بلغوا رسالات ربهم وأن الله قد

(عالم الغيب) هو خبر مبتدا
أى هو عالم الغيب (فلا
يظهر) فلا يطلع (على غيبه
أحدا) من خلقه (الامن
ارتضى من رسول) الا
رسولا قد ارتضاه لعلم بعض
الغيب ليكون اخباره عن
الغيب معجزة له فانه يطلعه
على غيبه ما شاء ومن رسول
بيان لمن ارتضى والولى اذا
أخبر بشئ فظهر فهو غير
جازم عليه ولكنه أخبر بناء
على رؤياه أو بالفراسة على
ان كل كرامة للولى فهي
معجزة للرسول وذ كر في
التأويلات قال بعضهم في
هذه الآية دلالة تكذيب
المنجمة وليس كذلك فان
فيهم من يصدق خبره
وكذلك المتطبعة يعرفون
طبائع النبات وذا لا يعرف
بالتأمل فعلم بانهم وقفوا على
علمه من جهة رسول انقطع
أثره وبقي علمه في الخلق
(فانه يسالك) يدخل (من
بين يديه) يدى الرسول
(ومن خلفه رسدا) حفظة
من الملائكة يحفظونه من
الشياطين ويعصونه من
وساوسهم وتخاليطهم حتى
يباغ الوحي (ليعلم) الله (أن)

قد أبلغوا) أي الرسل (رسالاتهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم أي ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد وحد الضمير في من بين يديه للفظ من وجع في أبلغوا المعناه (وأحاط) الله (بمآلديهم) بمآل الرسل من العلم (وأحصى كل شيء عددا) من القطر والرمل وورق الأشجار (٣٤٤) وزبد البحر فكيف لا يحيط بمآل الرسل من وحيه وكلامه وعدد أحوال أي

وعلم كل شيء معدودا محصورا
أو مصدر في معنى احصاء
والله أعلم
﴿سورة المزمل صلى الله
عليه وسلم مكية﴾ وهي تسع
عشرة آية بصرية وثمان
عشرة شامي

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يا أيها المزمّل) أي المتزمل
وهو الذي تزمل في ثيابه
أي تلفف بها بادغام التاء في
الزاي وكان النبي صلى الله
عليه وسلم نائماً بالليل متزماً
في ثيابه فامر بالقيام للصلاة
بقوله (قم الليل الا قليلاً
نصفه) بدل من الليل والا
قليلاً استثناء من قوله نصفه
تقديره قم نصف الليل الا
قليلاً من نصف الليل (أو
انقص منه) من النصف
بضم الواو غير عاصم وحزة
(قليلاً) الى الثلث (أورد
عليه) على النصف الى
الثلثين والمراد التخيير بين
أمرين بين أن يقوم أقل
من نصف الليل على البت
وبين أن يختار أحد
الأمرين وهم النقصان
من النصف والزيادة عليه
وان جعلت نصفه بدلاً من
قائلاً كان مخيراً بين ثلاثة

حفظهم ودفع عنهم وقيل لمعناه ليعلم الله أن الرسل (قد بلغوا رسالات ربهم) فيعلم الله ذلك ظاهرا
موجودا فيوجب فيه الثواب (وأحاط بما لديهم) أي علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شيء من أمورهم
(وأحصى كل شيء عددا) قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى مناقيل الذر والخردل
والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة المزمل﴾
﴿هي مكية قيل غير آيتين، نها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير آية وهي ان ربك يعلم أنك
تقوم الآية وهي عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها المزمل) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصله المزمل وهو الذي تزمّل في ثيابه أي تآلف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يترمل في ثيابه أول ما جاءه جبريل فرقامنه فكان يقول زمّلوني زمّلوني حتى أنس به وقيل خرج يومًا من البيت وقد لبس ثيابه فتداه جبريل يا أيها المزمل وقيل معناه مترمل النبوة أي حاملها والمعنى زمّلت هذا الأمر فقم به واحمله فانه أمر عظيم وانما لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان في أول الأمر ومبدئه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو مترمل في ثوبه فنودي يا أيها المزمل (قم الليل) أي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الإسلام (الاقبلا) أي صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى (نصفه) أي قم نصف الليل (أو انقص منه قليلا) أي الى الثلث (أورد عليه) أي على النصف الى الثلثين خبره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل أو متى نصفه أو متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ الفجر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقروا ما ينسر منه قيل ليس في القرآن سورة نسخ آخرها وأولها الا هذه السورة وكان بين نزول أولها ونزول آخرها سنة وفيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الأمة بالصلوات الخمس وثبت فريضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألتستقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يا أم المؤمنين قالت ألتستقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهرا في السماء ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة ﴿قوله تعالى﴾ (ورتل القرآن ترتيلا) قال ابن عباس بيّنه بيانا وعنه أيضا قرأه على هيفتك ثلاث آيات وأربعها وخسا وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا أثره في أثر بعض بلد والاشباع والتحقيق وقرئ لا تأكيد في الأمر به وانه لا بد للقرآن منه وقيل ان الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتأمل والفكر في حقائق الآيات ومعانيها فعند

الوصول

أشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة

الى الكل والافاط سلاق لفظا قليل ينطق على ما دون النصف ولهذا قلنا اذا قرأ أن افلان عليه ألف درهم الا قيل انه يلزمه أكثر من نصف
الالف (ورتل القرآن) بين وفصل من الثغر المرتل أى المفلج الاسنان وكلام رتل بالتعريك أى مرتل وتغر رتل أيضا اذا كان مستوى
البنيان أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات (ترتيلا) هونا كيد فى إيجاب الامر به وانه لا بد منه للقارئ

الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع في القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة

(فصل خ) عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بيسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم * عن أم سلمة رضي الله عنها وقد سألتها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعت قراءته فاذا هي نعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً أخرجه النسائي * وللازمدي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالكم يوم الدين ثم يقف وفي رواية أبي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالكم يوم الدين يقطع قراءة آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته (ق) عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال اني لاقرأ الفصل في ركعة قال عبد الله هذا كهذا الشعر ان أقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان أفضل الصلاة الركوع والسجود اني لا عرف النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهما سورتين في كل ركعة وفي رواية قد كر عشر بن سورة من الفصل لهذا سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والمجمل فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل * عن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي ذر نحوه وزاد الآية ان تعذبهم فاعذبهم عذابك وان تغفر لهم فاعفهم فانك أنت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد فيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل ان يقرأه أقوام يقيمونه كما يقيم السهم يتجمل لقراءته ولا يتأجله أخرجه أبو داود وزاد غيره في رواية لا يجاوز تراقيهم * عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفيما العري والعجمي فقال اقرؤا فكل حسن وسبيحى أقوام يقيمونه كما يقيم القدح يتجملونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود * عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ﴿قوله تعالى﴾ (اناسنلق عليك قولاً ثقيلاً) قال ابن عباس شديداً وقيل ثقيلاً يعني كلاماً عظيماً جليلاً اذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقیل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلاً لما فيه من الاوامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة على النفس وقيل ثقيلاً لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلاً على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالآلة ثقیل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلاً أى ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجده وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلاً لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلاً في الوحي وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحي يجده مشقة (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي

(اناسنلق عليك) ستنزل عليك (قولاً ثقيلاً) أى القرآن لما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين أو ثقيلاً على المنافقين أو كلام له وزن ور حجان ليس بالسفساف الخفيف

(ان ناشئة الليل) بالهمزة سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية والعبادة التي تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل (٣٤٦) لانها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول

هذه ناشئة الليل (هى أشد وطاء) وفاقاشامى وأبو عمرو أى بواطى فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلاق غيرهما وطأ أى أثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشد وطأتك على مضمر (وأقوم قايلا) وأشد مقالا وأثبت قراءة طردو الاصوات وانقطاع الحركات (ان لك فى النهار سبعا طويلا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك أو فراغا طويلا لنومك وراحتك (واذ كراهم ربك) ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكرا لله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل اليه) انقطع الى عبادته عن كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله (تبتيلا) فى اختلاف المصدر زيادة

ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتر بدله وجهه وفى رواية كان اذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك فى فيه ونمض عينييه وتر بدوجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم أى ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت ما قال أى حفظت وقولها ليتفصد عرقا أى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد قوله تر بدوجهه الر بدة فى الالوان غبرة مع سواد ﴿ وقوله تعالى (ان ناشئة الليل) أى ساعاتها كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن أبى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنهما فقالا الليل كله ناشئة وهى عبارة عن الأمور التي تحدث وتنشأ فى الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هى قيام آخر الليل وقيل أوله وقيل أى ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين على بن الحسين أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه (هى أشد وطأ) قرئ بكسر الواو مع المديعنى من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل أكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء أى أشد على المصلى وأثقل من صلاة النهار ولان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هى أشد وطأ يقول هى أجدر أن يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ وقيل أثبت للخير وأحفظ للقراءة من النهار وقيل هى أوطأ للقيام وأسهل على المصلى من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل أفرغ للقلب من النهار ولا يعرض له فى الليل حوائج وموانع مثل النهار وأمنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى (وأقوم قايلا) أى أصوب قراءة وأصح قولاً من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه أبين قولاً بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل أشد نشاطاً وأتم اخلاصاً وأبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ فى الثواب وأدخل فى القبول (ان لك فى النهار سبعا طويلا) أى تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فى حوائجك وأشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك أفضل من الليل (واذ كراهم ربك) أى بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح (وتبتل اليه تبتيلا) قال ابن عباس أخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شئ سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه توكل عليه توكلوا واجتهد فى العبادة وقيل يقال للعباد اذا نرك كل شئ وأقبل على العبادة قد تبتل أى انقطع عن كل شئ الا من عبادة لله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يحجى على مصدره قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه فى المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك لحي به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل فى تبتل أن يقال تبتل تبتيلا وتبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً اليه الا أنه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر أولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانياً لشعاراً بأنه لا بد منه (رب المشرق والمغرب) يعنى ان التبتل والانقطاع لا يليق الا بالله تعالى الذى هو رب المشرق والمغرب (لا اله الا هو فاتخذوه وكايلا) أى فوض أمرك

اليه

تأكيد أى بتلك الله فتبتل تبتيلا أو جى به مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع أو هو رب

أو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهم على القسم باضمار حرف القسم نحو الله لا فعلن وجوابه لا اله الا هو كقوله والله لا أحد فى الدار الا زيد (فاتخذوه وكايلا) وليا وكفيلاً بما وعدك من النصر وأذا علمت انه

ملك المشرق والمغرب وأن لا اله الا هو فاتخذ كافي الامور وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد ان عرفت في تفويض الامور الى الواحد القهار إذ لا عذر لك في الانتظار بعد الاقرار (واصبر على ما يقولون) على ما يقولون في من صاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجر اجيالا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافاة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وذرنى) أى كلهم الى فانا كافهم (والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرنى أى دعنى وإياهم (أولى النعمة) التمتع بالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) امهالا (قليلا) الى يوم بدر أو الى يوم القيامة (ان لدينا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيمنا) نارا محرقة (وطعاما ذاغصة) أى الذى ينشب فى الحلق فلا ينساع يعنى الضريع (٣٤٧) والزقوم (وعذابا ألما) بخلص وجعه الى

القلب وردى انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه و وضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر بآيات البنى وغيره فجاء فلم يز الوابه حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما فى لدينا من معنى الفعل أى استقر للكفار لدينا كذا وكذا (ترجف الارض والجبال) أى تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كنيبا) رملا محتجا معامن كذب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول (مهिला) سائلا بعد اجتماعه (انا أرسلنا اليكم رسولا) يعنى محمد عليه السلام (شاهدا عايكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم

اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء (واصبر على ما يقولون) أى من التكذيب لك والاذى (واهجرهم هجر اجيالا) أى واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال (وذرنى والمكذبين) أى دعنى ومن كذبك لانهم به فانى أى كفيك (أولى النعمة) أى أصحاب النعم أو الترفه نزلت فى صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت فى المطعمين ببدر (ومهلهم قليلا) يعنى الى يوم بدر فلم يكن الا يسير حتى قتلوا ببدر وقيل أراد بالقليل أيام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى (ان لدينا) أى عندنا فى الآخرة (أنكالا) يعنى قيودا عظاما ثقالا لا تنفك أبدا وقيل أغلالا من حديد (وجحيمنا وطعاما ذاغصة) أى غير سائغ فى الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا ألما) أى وجيعا (يوم ترجف الارض والجبال) أى تزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة (وكانت الجبال كنيبا مهيلا) يعنى رملا سائلا وهو الذى اذا أخذت منه شيا تبعك مابعده (انا أرسلنا اليكم) يعنى يا أهل مكة (رسولا) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أى بالتبليغ وإيمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكور من بين سائر الامم والرسول لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه أهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدري بموسى وآذاه لانه رباه (فعصى فرعون الرسول فاخذناه) أى فرعون (أخذنا وبيلنا) أى شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم أى فى الدنيا المعنى لاسبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأى شئ تحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم فى الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعنى شيوخا شمطاً من هول ذلك اليوم وشدة ذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول ابيك وسعديك زادنى رواية والخير فى يدك فينادى بصوت ان الله يا مارك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فينثد تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعا وتسعين ومنكم واحد ثم قال أتم فى الناس كالشجرة السوداء فى جنب الشور

(كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) أى ذلك الرسول اذا النكرة اذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الاول (فاخذناه أخذنا وبيلنا) شديدا غليظا وانما خص موسى وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون ان كفرتم يوما) هو مفعول تتقون أى كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم أو ظرف أى فكيف لكم التقوى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أى كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوم ما والعائد محذوف أى فيه (شيبا) من هوله وشدة ذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديدة يوم يشيب نواصى الاطفال

(السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضاً أي السماء على عظمها واحكامها تنفطر به أي تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذ كبر على تأويل السماء بالسقف أو السماء شيء منفطر وقوله به أي يوم القيامة يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهو له كما ينفطر الشيء بما يفطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم أو الى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولاً) كأننا (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً) أي (٣٤٨) فن شاء أن يعظ بها واتخذ سبيلاً الى الله بالتقوى والخشية (ان ربك يعلم أنك

تقوم أدنى) أقل فاستعبر الأدنى وهو الأقرب للأقل لان المسافة بين الشيتين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثي الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على أدنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثي (وطائفة) عطف على الضمير في تقوم وجاز بلا وكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) أي ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أي ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبني عليه يقدر هو الدال على انه مختص بالتقدير ثم انهم قاموا حتى اتفخت أقدامهم فنزل (علم أن لن نحصوه) لن نطبقوا قيامه على هذه المقادير الاشدة ومشقة وفي ذلك حرج

الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقعة في ذراع الحمار وانى لارجوان تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من ذر يتك بعث النار فعناهم ميز أهل الجنة من أهل النار وأما الرقعة بفتح الفراء واسكان القاف فهي الاثر في باطن عضد الحمار وقوله انى لارجوان تكونوا ربع أهل الجنة وثلث أهل الجنة وشرط أهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع أهل الجنة أولاً ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهي ان ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به وداوم ملاحظة وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضاً جملهم على تجديد شكر الله وحده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم بما يجعل الولدان شيباً وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني انه في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازاً لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان أسرع فيه الشيب قال المتنبي والهم يخترم الجسم مخافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم * فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهلول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيباً حقيقة لان الطفل لا يميز له وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يباغون سن الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضاً وان السماء مع عظمها تنفطر به وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لتزوله الملائكة وقيل به أي بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى أي بامر الله وهيبته (كان وعده مفعولاً) أي كأننا لا محالة فيه ولا خلف (ان هذه) أي آيات القرآن (تذكرة) أي موعظة يتذكرونها (فن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً) بالابحان والطاعة وقوله تعالى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أي أقل من ثلثي الليل (ونصفه وثلثه) أي تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعني ان العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائها وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذي يقومون من الليل والذي ينامون منه (علم أن لن نحصوه) يعني أن لن نطبقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى اتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن نحصوه أي لن نطبقوه قيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالى علم أن لن نحصوه أي لن نطبقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) أي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفانكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة وذلك

(فتاب عليكم) تخفف عليكم وأسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) في الصلاة والامر للوجوب وذلك أو في غيرها والامر للسبب (ما تيسر) عليكم (من القرآن) روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من قرأ مائتي آية في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لانه بعض أركانها أي فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذروا من صلاة الليل وهذا نسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة في النسخ وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين

(علم أن سيكون منكم) أن مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون في الأرض) يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه (٣٤٩) بالتجارة أو طلب العلم (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) سوى بين

وذلك لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال إن الله تعالى يقول فاقروا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الأمة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتعبدوا لله نافذة لك القول الثاني أن المراد بقوله فاقروا ما تيسر من القرآن دراسة وتحصيل حفظه وإن لا يعرض للنسيان فقليل بقراءة آية ونحوها وقيل إن قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوي بإسناده عن أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أو ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيي الدين في كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم اقال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم أرد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقراء القرآن في كل شهر مرة قال قلت يا نبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال فاقراء في كل عشر قال قلت يا نبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال فاقراء في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى) يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل يخفف الله عز وجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه (وآخرون يضربون في الأرض) يعني المسافرين للتجارة (يبتغون من فضل الله) أي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لأن المجاهد والمسافر مشغول في النهار بالاعمال الشاقة فلولا نيم الليل اتوات عليه أسباب المشقة خفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله (فاقروا ما تيسر منه) أي من القرآن وانما أعاده للتأكيد (واقوموا الصلاة) يعني المفروضة (وآتوا الزكاة) أي الواجبة (واقضوا) بالنوافل والقروض لغة القطع فالمقروض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القرية فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وماتقدموا)

المجاهدين والمكاتب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الى من أن أموت بين شعبتي رجل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله (فاقروا ما تيسر منه) كرر الامر بالتيسير لشدّة احتياطهم (واقوموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة (واقضوا الله) بالنوافل والقروض لغة القطع فالمقروض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القرية فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وماتقدموا)

لانفسكم من خير تجوده) أي ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجوده خيرا وهو فصل وجاز ان لم يقع بين معرفتين لان افعال من أشبه المعرفة لا متناعه من حرف التعريف (وأعظم أجرا) وأجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيئات والتصبر في الحسنات (ان الله غفور رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدبر والله أعلم

تفسير سورة المدثر

وهي مكية قيل غير آية من آخرها وهي ست وخسون آية ومائتان وخمس وخسون كلمة وألف حرف وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها المدثر) (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت أبا سامة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سامة سألت جابراً عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهر فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء بارداً فزات يا أيها المدثر قم فانذروا ربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فاخذتني رجفة شديدة (ق) عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن أبي سامة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فيينا أنا مشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض فجثت منه رعباً فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا أيها المدثر إلى والرجز فاهجر وفي رواية فجثت منه حتى هويت إلى الأرض فجثت إلى أهلي وذكره وفيه قال أبو سامة الرجز الاوان قال ثم حي الوحي بعد وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين أيضاً في بدء الوحي وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وفيه فغطت الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة وقول من قال إن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ضعيف لا يعتد به وإنما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سامة عن جابر ويدل عليه أيضاً قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه أيضاً قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وأيضاً قوله ثم حي الوحي بعد وتتابع فالصواب أن أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وإن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجثت منه روي بحجم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم ثاء الضمير وروي بشاء من مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله حي الوحي بعد وتتابع أي كثير نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حيت الشمس والنار إذا ازداد حرها وقوله وصبوا علي ماء فيه أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سماه مدثر القول صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل معناه يا أيها المدثر بدنا النبوته والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوته كاللباس واللباس مجازاً (قم فانذر) أي حذرهم من عذاب ربك إن لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعتك ودنارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحمته (وربك فكبر) أي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوان (وثيابك

عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم أر شيئاً فنظرت فوق فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة وقلت دثريني دثريني فدثروني خديجة فجاء جبريل وقرأ (يا أيها المدثر) أي المتألف بثيابه من الدنار وكل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الذي يلي الجسد وأصله المتدثر فاذا غم (قم) من مضجعتك أو قم قيام عزم ونصميم (فانذر) فخذ رقومك من عذاب الله إن لم تؤمنوا أو فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قریش ما كرهه فأنغم فتعطى بثوبه مكرراً كما يفعل المغموم فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالنار قم فاشتغل بالانذار وإن آذاك الفجار (وربك فكبر) واختص ربك بالكبر وهو التعظيم أي لا يكبر في عينك غيره وقل عند ما يعرفوك من غير الله أكبر وروي أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلان دع تكبيره (وثيابك

فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى في غير الصلاة وفقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرحهم الذبول اذ لا يؤمن معه اصابة النجاسة وطهر نفسك مما يستقدر من الافعال يقال (٣٥١) فلان طاهر الثياب اذا وصفوه بالنقاء من المعايير

وفلان دنس الثياب للغادر
ولان من طهر باطنه يطهر
ظاهرة ظاهره (والرجز)
بضم الراء يعقوب وسهل
وحفص وغيرهم بالكسر
العذاب والمراد ما يؤدى اليه
(فاهجر) أى اثبت على
هجره لانه كان يرثامنه
(ولا تمنن تستكثر) بالرفع
وهو منصوب المحل على
الحال أى لا تعط مستكثرا
رائيا لما تعطيه كثيرا أو
طالباً أكثر مما أعطيت
فانك مأمور باجل الاخلاق
وأشرف الآداب وهو من
من عليه اذا أنعم عليه وقرأ
الحسن تستكثر بالسكون
جواباً للنهي (ولربك
فاصبر) ولوجه الله فاستعمل
الصبر على أمره ونواهيه
وكل مصبور عليه ومصبور
عنه (فاذا نقر في الناقور)
نفخ في الصور وهي النفخة
الاولى وقيل الثانية
(فذلك) اشارة الى وقت
النقر وهو مبتدأ (يومئذ)
مرفوع المحل بدل من
ذلك (يوم عسير) خبر
كانه قيل فيوم النقر يوم
عسير والفاء في فاذا للتسبيح
وفي فذلك للجزاء كانه
قيل اصبر على أذا هم فيبين
أيديهم يوم عسير يلقون
فيه عاقبة أمرهم وتلقى

فطهر) فيه أربعة أوجه أحدها أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثاني أن ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن ينزل لفظ الثياب على المجاز وأما الوجه الاول فعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقدرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني فعناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب ^{حلال} الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنتره

وشككت بالريح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القناب محرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لانها اشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقل معناه وقبلك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدرأما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك أن الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوا له كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره ^و وقوله تعالى (والرجز فاهجر) يعنى اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال (ولا تمنن تستكثر) يعنى لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيهاً لمنصب النبوة لان من أعطى شيئا لغيره يطلب منه الزيادة عليه لا بد وأن يتواضع لذلك الذى أعطاه ومنصب النبوة يجعل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل همار بأآن حلال وحرام فالللال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه أكثر منها وأما الحرام فالر بالمحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا أعط الله وأردبه وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك في عينك فانه فيما أنعم الله به عليك وأعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على أصحابك بما نعمة عليهم من أمر الدين وتبلغهم من أمر الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبيوتك فتأخذ منهم على ذلك أجر تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لانضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما نعم عليهم وتعطيهم استكثر اامنك لتلك العطية فان المن يحبط العمل (ولربك فاصبر) أى على طاعته وأمره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما أوديت فيه وقيل معناه انك حلت أمر اعظما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله (فاذا نقر في الناقور) أى نفخ في الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح (فذلك يومئذ) يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة (يوم عسير) أى شديد (على الكافرين) يعنى يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائهم وتسود وجوههم (غير يسير) أى هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة عاقبة صبرك عليه والعامل في فاذا ما دل عليه الجزاء أى فاذا نقر في الناقور عسر الامر (على الكافرين غير يسير) وأكذب قوله غير يسير

ليؤذن بانه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجي أن يرجع يسيرا كما يرجي تبسر العسير من أمور الدنيا

(ذرنى ومن خلقت) أى كله الى يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وحيدا) حال من الياء فى ذرنى أى ذرنى وحدى معه فأتى كفيك أمره أو من التاء فى خلقت أى خلقتة وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحدا ومن الهاء المحذوفة أو من أى خلقته منفردا بلا أهل ولا مال (٣٥٢) ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا موددا) مبسوطا كثيرا أو موددا بالتماء وكان له

الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فأنعمت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا (ثم يطمع أن أزيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحوصه فيرجو أن أزيد فى ماله وولده من غير شكر وقال الحسن أن أزيد أى أدخله الجنة فأتى به مالا وولدا كما قال لاثنين مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتى هلك (انه كان لا يتنا) للقرآن (عنيدا) معاندا جاهدا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزد فقل انه حجة آيات المنع وكفر بذلك نعمته والكافر

التكرار التأكيد كقوله أنا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافر من غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسرف فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين ﴿قوله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خلقته فى بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد والمعنى ذرنى وإياه فانأ كفيك نزلات هذه الآية فى الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا موددا) أى كثيرا يمد بعضه به ضادا ثم اغيظ منقطع وقيل ما يمد بالتماء كالزرع والضرع والتجارة واختلغا فى مبلغه فقل كان ألف دينار وقيل أربعة آلاف درهم وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) أى حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا أغنياء غير محتاجين الى الغيبة اطلب الكسب وقيل معنى شهودا أى رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش وطول العمر سطا مع الجاه العريض والرياسة فى قومه وكان الوليد من أكابر قريش وكان يدعى ربحانة قريش (ثم يطمع) أى يرجو (أن أزيد) أى أزيد ماله وولدا وتمهيدا (كلا) أى لا أفعل ولا أزيد قالوا فزال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله وولده حتى هلك (انه كان لا يتنا عنيدا) أى معاندا والمعنى انه كان معاندا فى جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكرا لكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأخشه (سأرهقه صعودا) يعنى سأكلفه مشقة من العذاب لاراحته فيها وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة فى النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك أبدا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس فى صعوده يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خافه بمقامع من حديد فيصعدها فى أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أهدر الى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها يجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا ﴿قوله عز وجل (انه فكر وقدر) أى فكر فى الامر الذى يرى ويطرف فيه وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهياها لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر أى وقدر ذلك الكلام فى قلبه وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آتفا كلاما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له حلاوة وان عليه طلاوة وان أعلاه أثر وان أسفله لصدق وانه يعاين وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال أبو جهل أنا كفيكم مودة فانطلق حتى جاس الى

لا يستحق المزيد (سأرهقه) صعودا) عقبة شاقة المصعد وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد جنب فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل لا وعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز اعناده ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غاية وتسميته القرآن سحرا يعنى انه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه ليقول وهياها

(فقتل) لعن (كيف قدر) نهجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيـد ونم يشعر بان الدعاء الثاني أبلغ من الاول (ثم نظر) في رجوه الناس أو فيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (و بسر) زاد في التقبض والكبح (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أو عن مقامه وفي مقاله و ثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وإيراد ثم في المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخيا (فقال ان هذا) ما هذا (الاسحر يؤثر) يروي عن السحرة روى ان الوليد قال لبني مخزوم والله (٣٥٣) لقد سمعت من محمد أنفا كلاما هو من

كلام الانس ولا من كلام الجن ان له الخلاوة وان عليه اطلاوة وان أعلاه لمنمر وان أسفله لغدق وانه يعلم وما يعلمي فقالت قريش صبا والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أما أ كفيكموه فقعد اليه خزينا وكامه بما أجهه فقام الوليد فاتاهم فقال تزعمون ان محمد المجنون فـهل رأيتموه يخفق وتقولون انه كاهن فـهل رأيتموه قـل يتكهن وتزعمون انه شاعر فـهل رأيتموه يتعاطى شعرا قـل وتزعمون انه كذاب فـهل جر بتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فـما هو فـكر فـقال ما هو الا ساحر أمارأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكرأى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ما ذا يمكنه أن يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيـد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام (ثم نظر) أي في طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس و بسر) أي كاح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر في شيء يدبره (ثم أدبر) أي عن الایمان (واستكبر) أي حين دعي اليه (فقال ان هذا) أي الذي يقوله محمد ويقرؤه (الاسحر يؤثر) يروي ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعني يسار او جبرافهو يآثره عنهم قال الله تعالى (سأصليه) أي سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما أدراك ما سقر) أي وما أعلمك أي شيء هي سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لاتبقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صدعني وأعرض عني وقيل لا بد من الفرق والالزم التكرار فقيل معناه لاتبقى أحدا من المستحقين للعذاب الا أخذته ثم لاتذر من لحوم أولئك شيئا الا أكلته وأهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيا أي لاتبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لاتبقى لهم لحا ولا تذر منهم عظاما وقيل لكل شيء ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لاتبقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أي مغبرة للجلد حتى تجعله أسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل ألوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنبياهم كالصياح يخرج طلب النار من أفواههم ما بين منكب أحدهم مسيرة سنة قد نزع منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان أحدهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل اقر يش تكلمكم أمهاتكم اسمع من ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأتم الدهم يعني الشجعان أفتعجز كل عشر منكم أن تبطش بواحد منهم يعني خزنة

جنب الوليد خزينا فقال له الوليد مالي أراك خزينا يا ابن أخي فقال وما يعني أن لا أخزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك و يزعمون أنك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي خاقعة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل شـبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمد المجنون فـهل رأيتموه يخفق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فـهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فـهل رأيتموه ينطق بشعر فـقالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فـهل جر بتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فـما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر أمارأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكرأى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ما ذا يمكنه أن يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيـد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام (ثم نظر) أي في طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس و بسر) أي كاح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر في شيء يدبره (ثم أدبر) أي عن الایمان (واستكبر) أي حين دعي اليه (فقال ان هذا) أي الذي يقوله محمد ويقرؤه (الاسحر يؤثر) يروي ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعني يسار او جبرافهو يآثره عنهم قال الله تعالى (سأصليه) أي سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما أدراك ما سقر) أي وما أعلمك أي شيء هي سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لاتبقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صدعني وأعرض عني وقيل لا بد من الفرق والالزم التكرار فقيل معناه لاتبقى أحدا من المستحقين للعذاب الا أخذته ثم لاتذر من لحوم أولئك شيئا الا أكلته وأهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيا أي لاتبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لاتبقى لهم لحا ولا تذر منهم عظاما وقيل لكل شيء ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لاتبقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أي مغبرة للجلد حتى تجعله أسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل ألوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنبياهم كالصياح يخرج طلب النار من أفواههم ما بين منكب أحدهم مسيرة سنة قد نزع منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان أحدهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل اقر يش تكلمكم أمهاتكم اسمع من ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأتم الدهم يعني الشجعان أفتعجز كل عشر منكم أن تبطش بواحد منهم يعني خزنة

(٤٥ - (خازن) - رابع) (ان هذا الا قول البشر) لم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى التوكيد الأولى (سأصليه) سأدخله بدل من سارهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما أدراك ما سقر) تهويل لسانها (لاتبقى) أي هي لاتبقى لحا (ولاتذر) عظما ولا تبقى شيئا يبقى فيها الا أهلكته ولا تذر هال كابل يعود كما كان (لواحة) خير مبتدأ محذوف أي هي لواحة (للبشر) جمع بشرة وهي ظاهر الجلد أي مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) (تسعة عشر) أي على سقر (أي على أمهات) تسعة عشر ملـ كما عند الجمهور وقيل صنفان من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا

(وما جعلنا أصحاب النار) أي خزنها (الاملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لانهم أشد الخلق بأسا فلا واحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الافتنة) أي ابتلاء واختبار (للاذين كفروا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليه تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحدا منهم وأتم اللههم فقال أبو الاشود وكان شديد البطش أنا كفيتكم سبعة عشر فافقوني أتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة أي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب في الاعداد العال ان ستة منهم يقودون الكفرة الى (٣٥٤) النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو

الا كبر وقيل في سقر تسعة عشر دركا وقد ساط على كل درك ملك وقيل جند فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهي تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الان غير هاشع عنها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمنزلها في القرآن أيقنوا انه من الله (وزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايما) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا وفيه تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دالان

جهنم فقال أبو الاشود بن أسيد بن كادة بن خلف الجحى أما كفيتكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني وا كفوني أتم اثنين ويروى عنه أنه قال أنا مشى بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي اليمين وتسعة بمنكبي اليسر في النار ونمضي فتدخل الجنة فانزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة) يعني لارجالا آدميين فمن ذايغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وما جعلنا عدتهم) أي عددهم في القلة (الافتنة للذين كفروا) أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هي قولهم لم يكونوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هي قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار وأجيب عن قولهم لم يكونوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لا تعمل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لا مراقتضته الحكمه وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الأحاد أقل الاعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل هذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدر ما يقدر به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وأنه على كل شيء قدير وان أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكمية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) يعني أن هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل أنهم تسعة عشر (وزداد الذين آمنوا ايما) يعني من آمن من أهل الكتاب يزادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن العدد كان موجودا في كتابهم وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايما وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) أي ولا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) يعني في عددهم وانما قال لا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك أبلغ وأكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والكافرون) أي مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا نصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض أهل مكة لان فيهم من هو شك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعني أي شيء أراد الله بهذا المثل العجيب وانما سمي مثلا لانه

استعارة

على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن أيضا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون)

المشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبار بالغيوب وهذا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا يميز لهذا أحوال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بان تسيير به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره أصلا وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص

(كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقهم ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبو جهل لعنه الله أما رب محمد أعوان الانسعة عشر نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الاهو) فلا يعز عليه تنعيم الخزنة عشر بن ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لاتعلمونها (وماهى) متصل بوصف (٣٥٥) سقروهى ضميرهاهى وما سقرو وصفها

(الاذ كرى للبشر) أى تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد ان جعلها ذكرا ان تكون لهم ذكرا لانهم لا يتذكرون (والقمر) أقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحزمة ويعقوب وخلف وغيرهم اذ أدبر ودبر بمعنى أدبر ومعناهاولى وذهب وقيل أدبرولى ومعنى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) أضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هى جمع الكبرى أى لحدى البليات والدواهى الكبرى ومعنى كونها احداهن أنها من ينهن واحدة فى العظم لانظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء (نذيرا) تميز من احدى أى انها لا احد الدواهى انذارا كقولك هى احدى النساء عفا

استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابهم لهذا العدد واستبعاد الـ والمعنى أى غرض قصدي جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من أصله وانه ليس من عند الله فلهذا اسموه مثلا (كذلك) أى كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال (وما يعلم جنود ربك الاهو) هذا جواب لابي جهل حين قال أما محمد أعوان الانسعة عشر والمعنى ان الخزانة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وماهى) يعنى النار (الاذ كرى للبشر) أى الاتذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الاتذكرة للناس يتعظون بها (كلا) أى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم أنه يكفى أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذ أدبر) أى ولى ذاهبا وقيل أدبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرنى فلان أى جاء خلفى فالليل ياتى خلف النهار (والصبح اذا أسفر) أى أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبر) يعنى ان سقرا لحدى الامور العظام وقيل أراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم واطى والخطمة والسير وسقر والجحيم والهاوية (نذير للبشر) قيل يحتمل أن يكون نذير اصفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما نذر بشئ أدهى من النار وقيل يجوز أن يكون نذير اصفة لله تعالى والمعنى أنكم منها نذير فانقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يأبى المذتر قم نذير للبشر فانذر (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى يتقدم فى الخير والطاعة أو يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد من آمن أو كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وأجيب عنه بان مشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى ان شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴿ قوله تعالى ﴾ (كل نفس بما كسبت رهينة) أى مرهنة فى النار بكسبها أو مأخوذة بعملها (الأصحاب اليمين) فأنهم غير مرتهنين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوارقاب أنفسهم بأعمالهم الحسنة كما يفك الرهن رهنه باداء الحق الذى عليه واختلفوا فى أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بإيمانهم وقيل هم الذين كانوا على عهد آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين كانوا يمين أى مباركين على أنفسهم وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا انما يرتعون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (فى جنات) أى هم

وأبدل من (البشر ان شاء منكم) باعادة الجار (أن يتقدم) الى الخير (أو يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ما أمر وعما نهى (كل نفس بما سبت رهينة) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقل رهين لان فعلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهين والمعنى كل نفس رهين بكسبها عند الله غير مفكوك (الأصحاب اليمين) أى أطفال المسلمين لانهم لأعمالهم يرتعون بها والأطفال المسلمين فانهم فكوارقابهم بالطاعة كما تخاكص الرهن رهنه باداء الحق (فى جنات) أى هم فى جنات لا يكتنه وصفها

أدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به (٣٥٨) من الجنة وجواب القسم محذوف أي لتبعن دليله (أي بحسب الانسان) أي الكافر

وقيل انه تعالى أقسم بيوم القيامة ولم قسم بالنفس الواوامة فكانه قال أقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا أقسم بالنفس الواوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة أو الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم ربها في الحقيقة فكانه قال أقسم رب القيامة وقيل لله تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعن ثم لتحاسبين يدل عليه قوله تعالى (أي بحسب الانسان أن لن نجتمع عظامه) وقيل جواب القسم قوله (بلى قادر بن علي أن نسوي بنانه) ومعنى أي بحسب الانسان أيظن هذا الكافر أن العظام بعد تفرقها ورجوعها رماور فانا مختلطة بالتراب وبعد منسفتها الريح فطيرتها في أبعاد الارض أن لن نجتمع عظامه أي لا يمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم أن القادر على الابداء قادر على الاعادة نزلات هذه الآية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك أن عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل أي بحسب الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجتمع عظامه يعني بعد التفرق والبلى فنحبيه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام وأراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفوس ولا يستوى الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر أو يجمع الله العظام بلى قادر بن يعني على جمع عظامه وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو أعظم من ذلك وهو أن نسوي بنانه يعني أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتقى بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه أظن الكافر أن لن تقدر على جمع عظامه بل تقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صفرها الى أما كنها ونواف ينها حتى تستوى البنان فن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها أقدر وهذا القول أقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكور لانه آخر ما يتم به الخلق في قوله تعالى (بلى يريد الانسان ليفجرا مامه) أي أيديهم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب وقال سعيد بن جبيرة قدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف أتوب سوف أعمل حتى بانيه الموت وهو على سوء حاله وشرا أعماله وقيل هو طول الامل يقول أعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسفى الكافر والفاسق فاجر الميله عن الحق (يسئل أيان يوم القيامة) أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى (فاذا برق البصر) أي شخص البصر عند الموت فلا يظرف مما يرى من المجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تهرق أبصار الكفار عند رؤيته جهنم وقيل برق اذا فزع وتغير لما يرى من المجائب وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أي أظلم وذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) يعني أسودين مكورين كأنهما نوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم ينفذان في البحر فهناك نار الله الكبرى (يقول الانسان) الكافر المكذب (يومئذ) أي يوم القيامة (أين المفر) أي المهرب وهو موضع الفرار (كلا) أي لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله (لاوزر) أي لا حوز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا الى الجبل فتحصنوا به فقبل لهم لا جبل لكم يومئذ تحصنوا به وأصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

المنكر للبعث (أن ان نجتمع عظامه) بعد تفرقها ورجوعها رفا تاختلطا بالتراب (بلى) أوجبت ما بعد النفي أي بلى نجتمعها (قادر بن) حال من الضمير في يجمع أي نجتمعها قادر بن على جمعها واعادتها كما كانت (على أن نسوي بنانه) أصابعه كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صفرها فكيف بكبارها العظام (بلى يريد الانسان) عطف على أي بحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما (ليفجرا مامه) أي يدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فاذا برق البصر) تحير فزعوا بفتح الراء مدني شخص (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه أو غاب من قوله نخسفناه وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) أي جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو جمعا في ذهاب الضوء أو يجمعان فيقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى (يقول الانسان) الكافر (يومئذ أين المفر) هو مصدر أي الفرار من النار أو المؤمن

أيضاً من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لاوزر) لا ملجأ الناس

(الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد أو موضع قرارهم من جنة (٣٥٩) أو نار مفوض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة

ومن شاء أدخله النار (ينبأ
الانسان يومئذ) يخبر (بما
قدم) من عمل عمله (وأخر)
مالم يعمل (بل الانسان
على نفسه بصيرة) شاهد
والهاء للمبالغة كعلامة
أو أنه لأنه أراد به جوارحه
اذ جوارحه تشهد عليه أو
هو حجة على نفسه والبصيرة
الحجة قال الله تعالى قد جاءكم
بصائر من ربكم وتقول
اغفرك أنت حجة على نفسك
و بصيرة رفع بالابتداء
وخبره على نفسه تقديم
عائيه والجملة خبر الانسان
كقولك زيد على رأسه
عمامة والبصيرة على هذا
يجوز أن يكون الملك الموكل
عليه (ولو ألقى معاذيره)
ولو ألقى ستوره والمعدار
الستر وقيل ولوجاء بكل
معدرة ما قبلت منه فعليه
من يكذب عذره والمعاذير
ليس بجمع معدرة لأن
جمعها معاذير بل هي اسم
جمع لها ونحوه المناكير في
المنكر (لا تحرك به) بالقرآن
(لسانك لتجمل به) وكان
صلى الله عليه وسلم
يأخذ في القراءة قبل فراغ
جبريل كراهة أن ينفلت
منه فقبل له لا تحرك لسانك
بقراءة الوحي مادام جبريل
يقرا لتجمل به لتأخذه
على عجلة ولئلا ينفلت منك

الناس البعلينا فيك ليس لنا * الا السيوف وأطراف القناويز

ومعنى الآية انه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون اليه من النار (الى
ربك يومئذ المستقر) يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو معنى الاستقرار
وقيل الى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة
رحته ومن شاء أدخله النار بعدله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم
قبل موته من عمل صالح أو سيئ وما أخر بعده موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما
قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله وآخره
وهو ما عمله في أول عمره وفي آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته (بل الانسان
على نفسه بصيرة) أي بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه
و بصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان
على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة
(ولو ألقى معاذيره) يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه
وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره وقيل ان أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمع معاذير
معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ألقى الستور وأغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا
في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا قوله عز وجل (لا تحرك به
لسانك لتجمل به) (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتجمل به قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس أنا أحرهما
كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فخر كشافته فأنزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتجمل به
ان علينا جمعه وقرأناه قال جمعه في صدره ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنت ثم ان علينا أن
تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي
صلى الله عليه وسلم كما قرأه في رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى وقال
فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان
يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتجمل به ان علينا جمعه
وقرأناه قال ان علينا أن نجمله في صدره وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا أنزلناه فاستمع ثم ان علينا
بيناه علينا أن نبينه بلسانك قال فكان اذا أتاه جبريل بطريق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفي رواية
كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه فقبل له لا تحرك به لسانك لتجمل به ان علينا جمعه
وقرأناه أي نجمله في صدره وقرأناه أي تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار
وان لم يجز له ذكر دلالة الحالة عليه لتجمل به أي يأخذه (ان علينا جمعه) أي جمعه في صدره وحفظك آياه
(وقرأناه) أي وقرأناه علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصبر لاتنسأ (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي
لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من
القراءة تخذأت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامر نزل بالوحي ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله
وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول أولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه
وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا
نزل عليه جبريل بالوحي أصفى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاء النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه (ثم ان علينا

ثم عمل الهى عن المجلة بقوله (ان علينا جمعه) في صدره (وقرأناه) وثبت قراءته في لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تجمل بالقرآن من
قبل أن يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) أي قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) أي قراءته عليك (ثم ان علينا

بيانه) أي أن نبينه بأسانك فتقرأه كما قرأك جبريل وقيل إذا أشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الأحكام والحلال والحرام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه اغابة حوصه على العلم فقل له نحن نبينه لك ﴿قوله تعالى﴾ (كلا) أي حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة (وجوه يومئذ) أي يوم القيامة (ناصرة) من النضارة وهي الحسن وقال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضينة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (إلى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثرا المفسرين تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق أن تنظر هي تنظر إلى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وأبي صالح أنهم أفادوا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها قال الأزهرى ومن قال إن معنى قوله إلى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لأن العرب لا تقول نظرت إلى شيء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ومنه قول الخطيب

وقد نظرتكم أعشاء صادرة * للورد طال بها حورى وتنسأسى

فإذا قلت نظرت إليه لم يكن إلا بالعين وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكر فيه وتدبر بالقاب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع إلى كقوله انظروا نأقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون إلا تأويله هل ينظرون إلا أن أتيتهم الله والوجه إذا وصف بالنظر وعدى إلى لم يحتمل غير الرؤية وأما قوله أنظر إلى الله ثم إليك على معنى أتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب إنما يجوز هذا إذا لم يسند إلى الوجه فإذا أسند النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار وإذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وإن شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسند كرها أن شاء الله تعالى

﴿فصل في إثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة﴾ قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا على وقوعها في الآخرة وإن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وإن رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى وقدرها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وأجوبتهم مشهورة مستفظة في كتب الكلام وأيس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعها الله في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك وأما الأحاديث الواردة في إثبات الرؤية فهم ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل الجنة منزلة أن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمته وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمدهم بك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضهم إلى بعض ولا تزددون

بيانه) إذا أشكل عليك شيء من معانيه (كلا) ردع عن انكار البعث أو ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المجاملة وانكار لها عليه وأكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قيل بل أتم يا بني آدم لأنكم خلقتهم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيها بالناء مدنى وكوفى (وجوه) هي وجوه المؤمنين (يومئذ) ناضرة) حسنة ناعمة (إلى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا تبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لا ممر بها أو ثوابه لا يصح لأنه قال نظرت فيه أي تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى إلى الأبعدى الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار في دار القرار

(ووجوه يومئذ بأسرة) كالحة شديدة العبوسة وهي وجود الكفار (نظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو في شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (٣٦١) كانه قيل ارتدعوا عن ذلك واتنبهوا

على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتمتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين (اذ بلغت) أي الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الآية تدل عليها (التراقي) العظام المكتشفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق) يقف حفص على من وقيفة أي قال حاضر والمختضر بعضهم لبعض أيكم برقيه مما به من الرقية من حد ضرب أو هو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقي من حد علم (وظن) أيقن المختضر (أنه الفراق) ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أ كفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هما همان هم الامل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (الى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه أي مساق العباد الى حيث أمر الله الى الجنة أو الى النار (فلا صدق) بالرسول

وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي * عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان أناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي وليس عنده في أوله ان أناسا قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذي وقد روى مثل هذا الحديث عن أبي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد * عن أبي رز بن العقيلى قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخلصا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال يا أبا رز بن أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخايبه فأت بلى قال فالله أعظم انما هو خاق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم أخرجه أبو داود (م) عن صهيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله أعلم بقوله عز وجل (ووجوه يومئذ بأسرة) أي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت ألوانها وهدمت آثار النعمة والسرور منها ما أدر كهان من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين أهل الجنة والنار (نظن) أي تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (أن يفعل بها فاقرة) أن يفعل بها أمر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هي أن تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) أي حقا (اذ بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقي) جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعائق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

ورب عزيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقي

(وقيل) يعنى وقال من حضره (من راق) أي هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) أي أيقن الذي بلغت روحه التراقي (أنه الفراق) يعنى الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد (والتفت) أي اجتمعت (الساق بالساق) أي الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكرهه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابع عليه الشدة لا يخرج من كرب الاجاء ما هو أشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت ألا تراه كيف يضرب باحدى رجله على الاخرى عند النزاع وقيل اذا مات يست ساقاه فالتفت احدهما بالآخرى (الى ربك يومئذ المساق) أي مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم ﴿قوله تعالى﴾ (فلا صدق ولا صلى) يعنى أبا جهل لم يصدق بالقرآن

(ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان أو فلاحه ما له يعني فلازكاه (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر وأصله يتمط أى يتمدد لان التبختر يتمد خطاه فابدات (٣٦٢) الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء

عليه بان يليه ما يكره (فاولى ثم أولى لك فاولى) كرر للتأكيده كأنه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار (أبحسب الانسان أن يترك سدى) أبحسب الكافر أن يترك مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (ألم يك نطفة من منى) بالياء ابن عامر وحفص أى يراق المنى فى الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقه) أى صار المنى قطعة دم جامد بعد أربعين يوماً (خلق فسوى) خلق الله منه بشراً سوياً (جعل منه) من الانسان (الزوجين الذكور والانثى) أى من المنى الصنفين (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) أليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول سبحانك بلى والله أعلم ﴿سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتى) قدم مضى (على

ولم يصل لله تعالى) (ولكن كذب وتولى) أى أعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل أصله يتمط أى يتمدد من المطو قيل من المطا وهو الظهر لانه يلو به (أولى لك فاولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لآبى جهل وهى كلمة موضوعه للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يابه ما يكرهه وقيل معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكرهه يستوجهه قال قتادة ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فاولى (ثم أولى لك فاولى) قال فقال أبوجهل أتتوعدنى يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل لى شيئاً وإنى لأعزم من مشى بين جبليهما فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله أشد قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة فرعوناً وان فرعون هذه الامة أبوجهل (أبحسب الانسان أن يترك سدى) أى هملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب فى الآخرة (ألم يك نطفة) أى ماء قليلاً (من منى) أى يصب فى الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قدر مستقذراً أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقه) أى صار الانسان علقه بعد النطفة (خلق فسوى) أى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضائه (جعل منه) أى من الانسان (الزوجين) أى الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكور والانثى) أى خلق من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً (أليس ذلك) أى الذى فعل هذا وأنشأ الاشياء أول مرة (بقادر على أن يحيى الموتى) أى بقادر على اعادته بعد الموت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانهى الى آخرها أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ الأقسام بيوم القيامة فانهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمناً بالله أخرجه أبو داود ^{١٢٠٠} وله عن موسى بن أبى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى قال سبحانك بلى فسأله عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضاً﴾

وهى مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالسكى منها قوله ولا تطع منهم آثماً وكفوراً وابقىها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدنى من أولها الى قوله تعالى ان نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ومن هذه الآية الى آخرها مكي حكاه الماوردى وهى احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وخمسون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (هل أتى) أى قد أتى (على الانسان) أى آدم عليه الصلاة والسلام (حين من الدهر) أى مدته أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم فى الجنة تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل ابليس لطيف به وينظر اليه فامسأه أجوف عرفه انه خلق لا يتمالك قوله لطيف به أى يدور حوله فلمسأه أجوف أى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك أى لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروى فى تفسير الآية ان آدم بقى أربعين سنة طيناً وأربعين سنة حملاً مسنوناً وأربعين سنة صلباً كالنخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة (لم يكن شيئاً مذكوراً) أى لا يذكروا

الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة مصوراً قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيئاً مذكوراً) لم يذكر اسمه ولم يذكر ما برأه لانه كان طيناً لم يكن غير موجود لم يوصف بانه قد أتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيئاً مذكوراً النصب على الحال من الانسان أى أتى عليه حين من الدهر غير مذكور يعرف

(انا خلقنا الانسان) أى ولد آدم وقيل الاول ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هذا مدة لبثه في بطن أمه الى أن صار شيئا مذكورا بين الناس
(من نطفة أمشاج) بعث أو بدل منها أى من نطفة قد امتزج فيها الماء (٣٦٣) ومشجت ومنجبت بمعنى ونطفة أمشاج كبرمة

أعشار فهو مفرد غير جمع
ولذا وقع صفة للمفرد
(نبتليه) حال أى خلقناه
مبتلين أى صريدين ابتلاءه
بالامر والنهي له (جعلناه
سميعا بصيرا) ذاسم
وبصر (أنا هديناه السبيل)
بيناه طريق الهدى بادلة
العقل والسمع (أما
شاكرا) مؤمنا (وأما
كفورا) كافرا حال من
الهاء في هديناه أى إن
شكرا وكفرا فقد هديناه
السبيل في الحالين أو من
السبيل أى عرفناه السبيل
أما سبيلا شاكرا وأما سبيلا
كفورا ووصف السبيل
بالشكر والكفر مجاز ولما
ذكر الفريقين أتبعهما ما
أعد لهما فقال (أنا أعتدنا
للكافرين سلاسل) جمع
سلسلة بغير تنوين حفص
ومكي وأبو عمرو وحزرة به
ليناسب أغلالا وسعيرا إذ
يجوز صرف غير المنصرف
للتناسب وغيرهم (وأغلالا)
جمع غل (وسعيرا) نارا
موقدة وقال (إن الأبرار)
جمع برأ وبارك ب وأرباب
وشاهدوا شهداء وهم
الصادقون في الإيمان أو
الذين لا يؤذون الذر ولا
يضمرون الشر (يشربون

يعرف ولا يدري ما اسمه ولا يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا يذكر روى عن عمر
أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر أيتها الميتة بقى على ما كان عليه و يروى
نحوه عن أبى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا
لانسان) فالانسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير
مقدرة لم يكن شيئا مذكورا يعنى انهم كانوا نطفة في الاصلاب ثم علقوا ومضغوا في الارحام لم يذكروا بشيئا انا خلقنا
لانسان يعنى ولد آدم (من نطفة) أى من منى الرجل ومنى المرأة (أمشاج) أى اخلاط قال ابن عباس وغيره
يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر
رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر
فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين
اختلطا فهو أمشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت أى خلطت
بدم وهو دم الحيض فاذا حبلى المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون
في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج
(نبتليه) أى لتتخبره بالامر والنهي (جعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره جعلناه سميعا
بصيرا نبتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذا الامشاج لا ابتلاء
والامتحان ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنياتان عن الفهم والتمييز
وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وإنما خصهما بالذكر لانهما أعظم الحواس وأشرفها (أنا
هديناه السبيل) أى بيناه سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه
أرشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل
وانزال الكتب (أما شاكرا وأما كفورا) يعنى اماما موحدانا تعالى الله وامام مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله
تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الآية اماما مؤمنا
سعيدا وأما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء أى بيناه الطريق ان شكرا أو كفر وقيل المراد من الشاكرا الذي
يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقرب بوجوب
الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعدا الشاكروا ووعدا الكافر فقال تعالى (أنا أعتدنا) أى هيأنا في جهنم
(للكافرين سلاسل) أى يشدون بها (وأغلالا) أى في أيديهم تغل بها الى أعناقهم (وسعيرا) يعنى وقودا
لا توصف شدته وهذا من أعظم أنواع التهيب والخوف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى
(إن الأبرار) يعنى المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لأمرهم واحدهم بار وبر وأصله اتوسع فعنى البر
المتوسع في الطاعة (يشربون من كأس) يعنى فيها شراب (كان مزاجها كافورا) قيل يمزج لهم شرابهم
بالكافور ويختتم بالمسك فان قلت ان الكافور غير لذىذ وشر به مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال أهل
المعاني أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه و برده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في
الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان
أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيم يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذىذ طيب الطعم ليس فيه مضرة ولبس

(من كأس) خمر ففس الخمر تسمى كأسا وقيل الكأس الزجاجة اذا كان فيها خمر (كان مزاجها) يمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم
عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورأى تحت و برده

لم أو السقاة جعلوها على قدر رى شار بها فهي الذلم وأحف عابهم وعن مجاهد لا تفيض ولا تفيض (ويسقون) أى البرار (فيها) في الجنة (كأسا) خرا (كان مزاجها زنجبيلا عينا) بدل من زنجبيلا (فيها) في الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا سلاسة انحدرها في الحلق وسهولة مساغها قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أى عذب طيب (ويطوف عابهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لأهل الجنة (مخلدون) لا يموتون (إذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم (٣٦٦) وانبثا في مجالسهم (لؤلؤا منشورا) وتخصيص المنشور لأنه أزين في النظر من المنظوم

(وإذا رأيت ثم) ظرف
أى في الجنة وليس لرأيت
مفعول ظاهر ولا مقدر
ليشيع في كل مرئى تقديره
وإذا كتبت الرؤية في
الجنة (رأيت نعما) كثيرا
(وملكا كبيرا) واسعا
يروى أن أدنى أهل الجنة
منزلة ينظر في ملكه مسيرة
ألف عام يرى أقصاه كما يرى
أدناه وقيل ملك لا يعقبه
هالك أو لم فيها ما يشاؤون
أو تسلم عليهم الملائكة
ويستأذنون في الدخول
عليهم (عابهم) بالنصب
على أنه حال من الضمير في
أنه يطوف عابهم أى
يطوف عابهم ولدان عاليا
للمعطوف عليهم ثياب
وبالسكون مدنى وحجرة
على أنه مبتدأ خبره (ثياب
سندس) أى ما يعلوهم من
ملابسهم ثياب سندس
رقيق الديباج (خضر)
جمع أخضر (واستبرق)
غليظ برفعهما حلا على

تر بدولا تنقص والمعنى أن السقاة والخدم الذين يطوفون عابهم يقدر ونها لهم ثم يسقونهم (ويسقون فيها)
أى في الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قيل أن الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها البرار يوجد منها
طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وقيل هو النبات المعروف والعرب كانوا
يجعلون الزنجبيل في شرابهم لأنه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الأعشى
كان القرنفل والزنجبية * لى باتا بفيها وأريامشورا
الارى العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس
فكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب أهل الجنة بذلك وقيل أن شراب أهل الجنة
على رد الكافور وطعم الزنجبيل ويرى المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة
وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لأن زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أى
سلاسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا وقيل حديدية الجزية وقيل سميت سلسبيلا لأنها تسيل عابهم في
طرقهم ومنازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لأنها في غاية
السلاسة تنسلسل في الحلق ومعنى تسمى أى توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلا صفة لا اسم
(ويطوف عابهم ولدان مخلدون) أى في الخدمة وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون (إذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منشورا) يعنى في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفاته واللؤلؤ إذا انتثر على البساط كان أصفى منه
منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانقذارهم في الخدمة ﴿ قوله عز وجل (وإذا رأيت) قيل الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وقيل لكل واحد من يدخل الجنة والمعنى إذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثم) يعنى إلى الجنة
(رأيت نعما) أى لا بوصف عظمه (وملكا كبيرا) قيل هو أن أدناه من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام
يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بأذنه وهو استئذان
الملائكة عليهم وقيل معناه ملك لا زال له ولا انتقال (عابهم) أى فوقهم (ثياب سندس خضر) وهو مارق
من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير (وحلوا أساور من فضة وسقاهم
ربهم شرابا طهورا) يعنى طاهر من الاقدار والادراة لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل
أنه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في أبدانهم كرشح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام ثم من بعده
يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما كأوارشحا يخرج من جلودهم أطيب
من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من
شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد (ان هذا كان لكم جزاء) أى يقال لأهل الجنة بعد

التياب نافع وحفص وبجرهما حجرة وعلى حلا على سندس و برفع الأول وجر الثاني أو عكسه غيرهم
(وحلوا) عطف على ويطوف (أساور من فضة) وفي سورة الملائكة يحلون فيها من أساور من ذهب وأؤلوا قال ابن المسيب لأحد من
أهل الجنة الا في يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ (وسقاهم ربهم) أضيف اليه تعالى للتشريف
والتخصيص وقيل أن الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط فاذا هم بكاسات تلاقى
أفواههم بغيرا كف من غيب إلى عبد (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولأن كليف ثم أولانه لم
يعصر فتمسه الايدي الوضوء وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لأهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لأعمالكم

(وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مر ضيا عنده ناحيت قلتم للمسكين واليتيم والاسير لا تر يد منكم جزاء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) نكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تاكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيلا مفرقا لاحكامه وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتأخير نضرتك على أعدائك من أهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة (٣٦٧) للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما

هو آثم داعيا لك اليه (أو كفورا) فاعلاما هو كفر داعيا لك اليه لانهم ما أن يدعوه على مساعدهتهم على فعل ما هو آثم أو كفر أو غير آثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الآثم عتبه لانه كان ركا بالآثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غالبا في الكفر والجود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعته - مامعا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لان الواو للجمع فيكون منها عن طاعته مالا عن طاعة أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعته - ما جيعا نهى وقيل أو بمعنى ولا أي ولا تطع آثما ولا كفورا (واذ كر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر - والعصر (ومن

دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد أعد الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد أعد لهم في الآخرة (وكان سعيكم مشكورا) أي شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل (انا نحن نزلنا عليك) أي يا محمد (القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزله جملة واحدة والمعنى أنزلنا عليك القرآن متفرقا للحكمة بالغلة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي أنزله اليه وحى منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر أو كهانة (فاصبر لحكم ربك) أي لعبادته فنهى من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تأخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكليف أي فاصبر لحكم ربك في كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات أو عامات معلقا بالغير كالتبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) يعني وكفور اقل أراد به أباجهه وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمد يصلي لأطأن عنقه وقيل أراد بالآثم عتبه بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك أنهم ما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبه أنا زوجك ابنتي وأسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيتك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المتقدم على المعاصي أي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفورا آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وبجده نعمه عليه (واذ كر اسم ربك بكرة وأصيلا) قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس (وسبحه ليلا طويلا) يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذك باللسان والمقصود ان يكون ذا كر الله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه وبلسانه قوله عز وجل (ان هؤلاء) يعني كفار مكة (يحبون العاجلة) يعني الدار العاجلة وهي الدنيا (ويذرون وراءهم) يعني أماتهم (يومئذ) يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) أي قوينا وأحكمنا (أسرهم) أي خلقهم وقيل أوصاهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الأسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي اذا شئنا أهل كنههم وأتينا بأشباهم فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه) أي السورة (تذكورة) أي تذكروا عظمت (فن شاء انخذ) أي لنفسه في الدنيا (الى ربه سبيلا) أي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدرية يقولون اتخذوا السبيل هو عبارة

الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا طويلا) أي تهجد له هز يعاطو بيل من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (ويذرون وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم (يومئذ) شديدا لا يعيئون به وهو يوم القيامة لان شدائده تشغل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) أحكمنا (أسرهم) أي خلقهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والفراء (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي اذا شئنا أهلا كهم أهل كنههم وبدلنا أمثالهم في الخلقة ممن يطيع (ان هذه) السورة (تذكورة) عظمت (فن شاء انخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له واتباع رسوله

(وما تشاؤون) اتخذ السبيل الى الله وبالإيمان مكى وشامى وأبو عمرو ومجل (الأن يشاء الله) النصب على الظرف أى الوقت مشيئة الله وإنما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو اعموم المشيئة فى الطاعة والعيصان والكفر والايان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليهما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيماً) مصيباً فى الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمة) جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم (٣٦٨) يقولون قد شاء أن يدخل كلاً فى رحمة لانه شاء إيمان الكل والله تعالى أن يدخل من

يشاء فى رحمة وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل مضمير يفسره (أعد لهم عذاباً أليماً) نحو وعد وكافاً
* سورة المرسلات مكية
وهى خمسون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *
(والمرسلات عرفاً)
فالعاصفات عصفاً
والناشرات نشرات
فرقا فالملقيات ذكراً
أؤذرا أقسم سبحانه
وتعالى بطوائف من
الملائكة أرسلهن بأوامره
فعصفن فى مضيهن
وبطوائف منهم نشرن
أجنحنهن فى الجو عند
انحطاطهن بالوحي أو نشرن
الشرايع أو نشرن النفوس
الموتى بالكفر والجهل بما
ان وحين ففرقن بين الحق
والباطل فالقن ذكراً الى
الانبياء عليهم السلام عذرا
للمحققين أو نذر الله بطلان
أو أقسم برىح عذاب
أرسلهن فعصفن وبرىح
رحمة نشرن السحاب فى

عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيتته قال أهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل فى سياق الآية (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) أى لستم تشاؤون إلا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد بجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه (ان الله كان عليهما) أى باحوال خلقه وما يكون منهم (حكيماً) أى حيث خلقهم مع علمهم بهم (يدخل من يشاء فى رحمة) أى فى دينه وقيل فى جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق (والظالمين) يعنى المشركين (أعد لهم عذاباً أليماً) أى مؤلماً والله سبحانه وتعالى أعلم

* تفسير سورة المرسلات *

مكية وهى خمسون آية ومائة وثمانون كلمة ومائة وستة عشر حرفاً

* بسم الله الرحمن الرحيم *

فوله عز وجل (والمرسلات عرفاً) فالعاصفات عصفاً والناشرات نشرات نشرات فرقا فالملقيات ذكراً عذرا (أؤذرا) أعلم أن المفسرين ذكروا فى هذه الكلمات الخمس وجوهاً * الاول أن المراد بأسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفاً الرياح أرسلت متتابعة كعصف الفرس وقيل عرفاً أى كثير فالعاصفات عصفاً يعنى الرياح الشديدة الطوب والناشرات نشرات نشرات يعنى الرياح اللينة وقيل هى الرياح التى أرسلها نشرات بين يدي رحمة وقيل هى الرياح التى تنشر السحاب وتأتى بالمطر فالفرقات فرقاً يعنى الرياح التى تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكراً يعنى أن الرياح اذا أرسلت عاصفة شديدة قلع الأشجار وخرت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد فى القلوب فياجئون الى الله تعالى ويدكرونه فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والمعرفة فى القلوب عند هبوبها الوجه الثانى ان المراد بأسرها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفاً الملائكة الذين أرسلوا بالمعروف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفاً يعنى الملائكة تعصف فى طيراتهم ونزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرات يعنى أنهم اذا نزلوا الى الارض نشروا أجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفرقات فرقاً قال ابن عباس يعنى الملائكة تاتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكراً يعنى الملائكة تاتى الذكر الى الانبياء وقيل يجوز أن يكون الذكراً هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقى هو جبريل وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم * الوجه الثالث أن المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى المرسلات عرفاً آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفاً يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرات نشرات يعنى أن آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفرقات فرقاً يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكراً يعنى آيات القرآن وهى الذكراً الحكيم الذى يلقى الإيمان والنور فى قلوب المؤمنين * الوجه الرابع أنه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيئاً واحداً

بعينه

الجوف فرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقن ذكراً اما عذر الذين يعتدون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا

رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها واما انذار الذين لا يشكرون وينسبون ذلك الى الانواء وجعلان ملقيات بالذكراً باعتبار السببية عرفاً حال أى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً ومفعول له أى أرسلان للاحسان والمعروف وعصفاً ونشرامصدران أو نذرأبو عمرو وكوفى غيرأبى بكر وحامد والعذر والنذر مصدران من عذرا اذا محال لاساءة ومن أنذرا اذا خوف على فعل كالكفر والشكر واتصباها على البذل من

ذكرنا أو على المفعول له (ان ما توعدون) ان الذي توعدونه من محيى يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصول الجواب بالقسم (فاذا النجوم طمست) محيت أو ذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (واذا السماء فرجت) فتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) قلعت من أما كنها (واذا الرسل أقتت) أى وقتت كقراءة أنى عمرو وأبدات الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أمهم (لاى يوم أجلت) أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (ليوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره وهو بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين (٣٦٩) الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل) تعجيب آخر

وتعظيم لامره (ويل) مبتدأ وان كان نكرة لانه فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه نحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (الم نهلك الاولين) الامم الخالية المكذبة (ثم تتبعهم الآخريين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة أى ثم نفعل بامثالهم من الآخريين ما فعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) من ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالجرمين) بكل من أكرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما أوعدنا (الم نخلقكم من ماء مهين) نحلقكم من ماء مهين (حقير وهو النطفة) جعلناه أى الماء (فى قرار مكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم

بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفاء والناشرات نشر الرياح ويكون المراد بقوله فالفرقات فرقا فالملقيات ذكر الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب اطافهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهم ما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم ما فى القسم عذرا أو نذرا أى للاعذار والانداز من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى (ان ما توعدون) أى من أمر الساعة ومحيتها (لواقع) أى لكائن نازل لا محالة وقيل معناه ان ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) أى محيى نورها وقيل محقت (واذا السماء فرجت) أى شقت وقيل فتحت (واذا الجبال نسفت) أى قلعت من أما كنها (واذا الرسل أقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعناها واحدا أى جعلت لوقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم (لاى يوم أجلت) أى أخرت وضرب الاجل لجميعهم كأنه تعالى يجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جعلت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وهو لا فقال تعالى (وما أدراك ما يوم الفصل) أى وما أعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) أى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب ﴿ قوله تعالى (الم نهلك الاولين) يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم تتبعهم الآخريين) يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قرىش أى نهلكهم بتكذيبهم محمد صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالجرمين) أى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين) الم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (جعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (الى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره (فقد رنا) قرئ بالتشديد من التقدير أى قدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) أى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة أى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه فى أحسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) أى المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (الم نجعل الارض كفانا) يعنى وعاء وأصله الضم والجمع (أحياء وأمواتا) يعنى تكفهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفهم أمواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسمى الارض امانها تضم الناس كالام تضم ولدها (وجعلنا فيها) أى فى الارض (رواسى شاححات) يعنى جبالا عاليا (واسقيناكم ماء فراتا) يعنى عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى ان هذا كله أعجب من البعث فالقادر عليه

(٤٧ - (خازن) - رابع) ومحل (الى قدر معلوم) الحال أى مؤخر الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر وأما فوقها وأما دونها (فقد رنا) فقد رنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) نحن أو فقد رنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقد رنا (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (الم نجعل الارض كفانا) هو من كفت الشئ اذا ضمه وجعه وهو اسم ما يكفت كقوله الضم لما يضم وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافت أحياء وأمواتا أو بقل مضمر بدل عليه كفانا وهو تكفت أى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها والتكفير فيها للتفخيم أى تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون (وجعلنا فيها رواسى) جبالا ثوابت (شاححات) عاليا (واسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة

(والجبال أوتادا) للارض لئلا يمد بكم (وخلقناكم أزواجا) ذكر أو أنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم والسبت القطع (وجعلنا الليل لباسا) ستر يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تنقلبوا في حوائجكم ومكاسبكم (وبيننا فوقكم سبعاً) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجاً وهاجاً) مضيئاً وقادراً أى جامعاً للنور والحرارة والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) أى السحاب إذا أعصر أى شارفت أن تعصرها الرياح (٣٧٢) فتمطر ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو الرياح لأنها تنفش السحاب

و بساتين (ألفافا) ملتفة الاشجار واحد هالف كجذع واجذاع أولفيف كشرىف وأشرف أولا واحد له كاوزاع أو هي جمع الجمع فهي جمع لف واللف جمع لقاء وهي شجرة مجتمعة ولا وقف من ألم نجعل إلى ألفافا والوقف الضرورى على أوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمطل (كان ميقاتا) وقتا محددا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للشواب والعقاب (يوم ينفع) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (في الصور) في القرن (فتأتون) أفواجا) أى صبايا بدرار امتتاعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث أفضل الحج العج والشج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى (لنخرج به) أى بذلك الماء (حبا) أى ما ياكله الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) أى ما ينبت في الارض من الحشيش مما ياكل منه الانعام (وجنات ألفافا) أى ملتفة بالشجر ليس بينها خلل فدل على البعث بدكر ابتداء الخلق ثم أخبر عنه بقوله تعالى (ان يوم الفصل) أى الحساب (كان ميقاتا) أى لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا مجتمع فيه الخلائق ليقضى بينهم (يوم ينفع في الصور) يعنى النفخة الأخيرة (فتأتون أفواجا) يعنى زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت أبوابا) يعنى فكانت ذوات أبواب انزول الملائكة وقيل تنحل وتنثر حتى يصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) أى عن وجه الارض (فكانت سرايا) أى هباء منبثا كالسراب في عين الناظر (ان جهنم كانت مرصادا) أى طريقا وممرافلا سبيل لا حاد إلى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان جسر جهنم سبع محابس يستل العبد عند أولها عن شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز إلى الثاني فيستل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيستل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيستل عن الصوم فان جاء به تامة جاز إلى الخامس فيستل عن الحج فان جاء به تامة جاز إلى السادس فيستل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز إلى السابع فيستل عن المظالم فان خرج منها والا يقال

وتدرا أخلافه فيصح أن يجعل مبدأ الانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب (ماء نجا) منصبا بكثرة (لنخرج به) بالماء (حبا) كالبر والشعير (ونباتا) وكلا (وجنات) بساتين (ألفافا) ملتفة الاشجار واحد هالف كجذع واجذاع أولفيف كشرىف وأشرف أولا واحد له كاوزاع أو هي جمع الجمع فهي جمع لف واللف جمع لقاء وهي شجرة مجتمعة ولا وقف من ألم نجعل إلى ألفافا والوقف الضرورى على أوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمطل (كان ميقاتا) وقتا محددا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للشواب والعقاب (يوم ينفع) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (في الصور) في القرن (فتأتون)

أفواجا) حال أى جماعات مختلفة أو مما كل أمة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفي أى شقت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرايا) أى هباء نخل الشمس أنه ماء (ان جهنم كانت مرصادا) طريقا عليه ممر الخلق والمؤمن يمرعابها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد أى هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه لالعذاب وهي مأبهم أو هي مرصاد لاهل الجنة ترصد هم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها

(لطاغين ما با) للكافرين مرجعا (لابئين) ما كثر حال مقدرة من الضمير في اللطاغين حزة لبئين واللبث أقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شأنه اللبث والمقام في المكان (فيها) في جهنم (أحقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابل كما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فاجاب بعد عشرين سنة لابئين فيها أحقابا (لا يدقون فيها بردا ولا شرابا) أي غير ذائقين حال من ضمير لابئين فاذا انقضت هذه الاحقاب الذي عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا باحقاب (٣٧٣) آخر فيها عذاب آخر وهي أحقاب بعد

أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطاه الرزق فهو حقب وجعه أحقاب فينتصب حالا عنهم أي لابئين فيها حقبين جهدين ولا يدقون فيها بردا ولا شرابا تفسيره وقوله (الاجيما وغساقا) استثناء منقطع أي لا يدقون في جهنم أو في الاحقاب بردا وروحا ينفس عنهم حر النار أو نومًا ومنه منع البرد والبرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يدقون فيها جيماما حارا يحرق ما يأتي عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم وبالتشديد كوفي غير أي بكر (جزاء) جوز وجزاء (وفاقا) موافقا لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف معلا فقال (انهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون محاسبة الله اياهم ولم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا (وكذبوا

انظروا فان كان له تطوع أكملت به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصدا أي معدة لهم وقيل هو من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار أي تنتظرهم (لطاغين) أي الكافرين (ما با) أي مرجعا يرجعون اليها (لابئين فيها) أي في جهنم (أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن علي بن أبي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فسامعني قوله أحقابا قلت ذكر وافي وجوها * أحدها ما روى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابئين فيها أحقابا فوالله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبد الله بن مسعود قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي الدنيا لحزنوا * الوجه الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا لا يدقون فيها أي في تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الاجيما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبهنم فيها الوجه الثالث أن الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لا يدقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا أي روحا وراحة وقيل لا يدقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) أي يعينهم عن عطش (الاجيما وغساقا) أي لكن يشربون جيماقيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الفساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أي جزيناهم جزاء وافق أعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أي التي جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) أي تكذبا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال وقد سألت اعرابي منهم يستفتيني الخلق أحب اليك أم القصار يريد التقصير (وكل شيء) أي من الاعمال (أحصيناه) أي بيناه وأثبتناه (كتابا) أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شيء علمناه علمه لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى أنا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر وأجازهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه الآية أشد آية في القرآن على أهل النار كما استغاثوا من نوع العذاب أغيثوا بأشد منه قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) أي فوزا أي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل أن يفسر الفوز بالامر بين جميع الانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون (وأعنابا) التنكير يدل على

بآياتنا كذابا) تكديبا وفعال في معنى فعل كله فاش (وكل شيء) نصب بضمير يفسره (أحصيناه كتابا) مكتوبا في اللوح بالحساب أو حال أو مصدر في موضع احصاء أو أحصيناه في معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أي فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم الا عذابا) في الحديث هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) مفعول من الفوز يصلح مصدرا أي نجاة من كل مكروه وظفر بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل عنه بدل البعض من الكل فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المنزرعة جمع حديقة (وأعنابا)

كروما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لدات مستويات في السن (وكأسا دهاقا) ملوأة (لا يسمعون فيها) في الجنة حال من ضمير خبران (لغوا) باطلا (ولا كذا) الكسائي خفيف بمعنى مكاذبة أي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكاذبه (جزاء) مصدر أي جزاهم جزاء (من ربك عطاء) مصدرا وبديل من جزاء (حسابا) صفة يعني كافيا أو على حسب أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) بحرهما ابن عامر وعاصم بدل من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن أو الرحمن صفة ولا يملكون خبرا وهما خبران والضمير في (لا يملكون) لاهل السموات (٢٧٤) والارض وفي (منه خطابا) لله تعالى أي لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا

بأذنه أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفا (يوم يقوم) ان جعلته ظرفا لا يملكون لا تقف على خطابا وان جعلته ظرفا لا يتكلمون تقف (الروح) جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه (والملائكة صفا) حال أي مصطفين (لا يتكلمون) أي الخلائق ثم خوفا (الامن أذن له الرحمن) في الكلام أو الشفاعة (وقال صوابا) حقا بان قال المشفوع له لا اله الا الله في الدنيا ولا يؤذن الا لمن يتكلم بالصواب في أمر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ الى ربه ما بآ) مرجعا بالعمل الصالح (انا أنذرناكم) أيها الكفار (عذابا قريبا) في الآخرة لان ما هوات قريب (يوم ينظر المرء) الكافر لقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا

تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعني جوارى نواهد قد تكعبت نديمهن (أترابا) يعني مستويات في السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس ملوأة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية (لا يسمعون) أي في الجنة وقيل في حالة شر بهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شر بهم (لغوا) أي باطلا من الكلام (ولا كذا) أي تكذيبا والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي جزاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) لا يملكون منه خطابا أي لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب الا بأذنه وقيل لا يملكون منه خطابا أي لا يملكون شفاعته الا بأذنه في ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثاهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم أعظم من السموات والارض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يحيى يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هو لا جند وهو لا جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك الاومعه واحد منهم وعنه أنهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سمطان سماط من الروح وسماط من الملائكة (لا يتكلمون) يعني الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (الامن أذن له الرحمن) أي في الكلام (وقال صوابا) أي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لا يشفعون الا في شخص أذن الرحمن في الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله (ذلك اليوم الحق) أي الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه ما بآ) أي سبيلا يرجع اليه هو طاعة الله وما يتقرب به اليه (انا أنذرناكم) أي خوفناكم في الدنيا (عذابا قريبا) أي في الآخرة وكل ما هوات قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) يعني من خيرا وشر متبنا في صحيفته ينظر اليه يوم القيامة (ويقول الكافر باليتنى كنت ترابا) قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مدا لاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجاء من الشاة القرناء نطحتا فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر باليتنى كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص اما خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين لهم أيام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال باليتنى كنت في الدنيا في صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر باهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار وقيل

(ما قدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتخصيص الايدي لان أكثر الأعمال تقع بها وان احتمل أن لا يكون للايدي مدخل فيما ارتكب من الآثام (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الدم أو المرء عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خيرا وشر أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خيرا وما استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعني نظرت اليه والراجع في الصلة محذوف أي ما قدمت (باليتنى كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكاف أوليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المسكاف حتى يقتص للجما من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يمتنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليناب نواب أولاده المؤمنين والله أعلم

لسائر الامم سوى الناس والجن عود و اترابا فيعودون ترابا فينشذ يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقيل
معناه أن الكافر اذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال ياليتني كنت ترابا يعني متواضعا
في طاعة الله في الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك أنه عاب آدم وكونه
خلق من تراب وافتخر عليه بأنه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه آدم وبنوه المؤمنون
من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال ياليتني كنت ترابا قال أبو هريرة رضي الله عنه
يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة النازعات مكية﴾

هي ست وقيل خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سباحا والساقيات سباقا) اختلفت عبارات
المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد أم لاشياء مختلفة على أوجه وانفقوا على أن المراد
بقوله (فالمدبرات أمرا) وصف لشيء واحد وهم الملائكة * الوجه الاول قوله تعالى والنازعات غرقا يعني
الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق
من الاغراق أي والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع
السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء والناشطات نشطا
الملائكة تنشط نفس المؤمن أي تسلمها سلا رقيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع
بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات
سبحا يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها سلا رقيقا ثم بدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها
كالسباح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس
الجواد اذا أسرع في جريه يقال له ساجح فالسابقات سباقا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل
الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس
حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المؤمنين تنشط
للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل ان يموت وقال علي
ابن أبي طالب هي أرواح الكفار تنشط بين الجلد والظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم
والسباحات سبحا يعني أرواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت فالسابقات سباقا يعني استباقها الى الحضرة
المقدسة الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب
والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس
والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سباقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير الوجه الرابع في قوله
تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في أعنتها وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج
بسرعة الى ميدانها وهي السابحات في جريها وهي السابقات سباقا لانها تستباقها الى الغاية الوجه الخامس في
قوله والنازعات غرقا يعني الغزاة حين تنزع قسيها في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا
أي السهام في الرمي والسابحات سباحا فالسابقات سباقا يعني الخيل والابل حين يخرجها أصحابها الى الغزو
الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا
حتى بلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من المقدمين بمعنى تجذب والسابحات سبحا يعني
السفن والسابقات سباقا يعني مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات * أما قوله فالمدبرات أمرا

﴿سورة النازعات ست﴾

وأربعون آية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات

نشطا والسابحات سباحا

فالسابقات سباقا فالدبرات

أمرا) لا وقف الى هنا ولزم

هنا لانه لو وصل لصار يوم

ظرف المدبرات وقد انقضى

تدبير الملائكة في ذلك

اليوم أقسم سبحانه

بطوائف الملائكة التي تنزع

الارواح من الاجساد

غرقا أي اغراقا في النزع

أي تنزعها من أقاصي

الاجساد من أناملها

ومواضع أظفارها

و بالطوائف التي تنشطها

أي تخرجها من نشط الدلو

من البئر اذا أخرجها

و بالطوائف التي تسبح في

مضيها أي تسرع فتسبق

الى ما أمر وابه فتدبر أمرا

من أمور العباد مما يصلحهم

في دينهم أو دنياهم كما رسم

لهم أو بخيل الغزاة التي

تنزع في أعنتها نزعاً تغرق

فيه الاعنة لطول أعناقها

لانها عراب والتي تخرج

من دار الاسلام الى دار

الحرب من قولك نور

ناشط اذا خرج من بلد الى

بلد التي تسبح في جريها

فتسبق الى الغاية فتدبر

أمر العلبه والظفر واسناد الدبر اليها لانها من أسبابه أو بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واعرافها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسيح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبراً من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعد عليه من ذكر القيامة (يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجعة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجعة (الرادفة) النفخة الثانية لانها تردف الاولى بينهما أربعون سنة والاولى تمت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكرو البعث (راجعة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب (٣٧٦) واتصاب يوم ترجف بمادل عليه قلوب يومئذ واجفة أي يوم ترجف وجفت

القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (أبصارها) أي أبصار أصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ما ترى خبرها (يقولون) أي منكرو البعث في الدنيا استهزاء وانكار البعث (أثنا) المردودون في الحافرة استفهام بمعنى الإنكار أي أنرد بعد موتنا الى أول الامر فنعود أحياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرة أي الى حالته الاولى ويقال النقد عند الحافرة أي عند الحالة الاولى وهي الصفقة أنكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقال (أنذا كنا عظاما نخرة) بالية نخرة كوفي غير حفص وفعل أبلغ من فاعل يقال نخر العظام فهو نخر ونخرة والمعنى أنرد الى الحياة بعد ان صرنا عظاما بالية واذ منصوب

فاجعوا على أنهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعين أملاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى أقسم الله بهذه الاشياء لشرفها والله أن يقسم بما يشاء من خلقه أو يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الراجعة) يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية ردت الاولى و بينهما أربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تمت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله عز وجل وقيل الراجعة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة التي تشق السماء وقيل الراجعة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجعة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قوله عز وجل (قلوب يومئذ واجفة) أي خافضة قلق مضطربة وقيل وجلة زائلة عن أما كنا (أبصارها خاشعة) أي أبصار أهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (أنتم المردودون في الحافرة) يعني أنرد الى أول الحال وابتداء الامر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجع فلان في حافرة أي رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لا ابتداء الشيء وأول الشيء ويقال رجع فلان في حافرة أي في طريقه الذي جاء منه يحفره بمشيئته فحصل بأثر قدميه حفرة فهي محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى أنتم المردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار (أنذا كنا عظاما نخرة) أي بالية وقرئ نخرة وهما بمعنى وقيل النخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر أي تصوت (قالوا) يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا أهوال القيامة (تلك اذا كرة خامرة) أي رجعة غائبة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فأما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) أي صيحة واحدة يجمعون بها جميعا (فاذا هم بالساهرة) يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثرت الوطاء عليها كأنها سهرت والمعنى أنهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي أرض الشام وقيل أرض القيامة وقيل هي أرض جهنم قوله عز وجل (هل أتاك حديث موسى) يعني أتاك حديث موسى

بمحدوف وهو نبعث (قالوا) أي منكرو البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خامرة) رجعة ذات خسران أو خاسر يا محمد أصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خسروا لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فأما هي زجرة واحدة) متعلق بمحدوف أي لانحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته فأما الصيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم أحياء على وجه الارض بعدما كانوا أمواتا في جوفها وقيل الساهرة أرض بعينها بالشام الى حب بيت المقدس وأرض مكة أو جهنم (هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا ما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به

(اذناداه ربه) حين ناداه (بالوادمقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طوى) تجاوز الحد في الكفر والفساد (فقل هل لك الى أن تزكى) هل لك ميل الى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمن وبتشديد الزاى عجزاى (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفة الله بذ كصفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وعن بعض الحكماء عرف الله فن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفه عين فالخشية ملاك الامر من خشى الله أنى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف أدج و من أدج بلغ المنزل بدأ مخاطبة بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطاف (٣٧٧) فى القول ويستنزه بالمداراة عن عتوه كما أمر

بذلك فى قوله تعالى فقلوا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) أى فذهب فأرى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لانهم فى حكم آية واحدة (فكذب) فرعون موسى والآية الكبرى وسماها سحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد فى مكايده أو لما رأى الثعبان ادبر مرءى وبأسرع فى مشيته وكان طياشا خفيفا (فخسر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه (فقال أنار بكم الاعلى) لارب فوقى وكانت لهم أصنام يعبدونها (فاخذ الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التذكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان أخذ بمعنى نكل كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة أى الاحراق

يا محمد وذلك أنه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به (اذناداه ربه بالوادمقدس) أى المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب الى فرعون انه طوى) أى علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الا أن تزكى) أى تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد أن لا اله الا الله (واهديك الى ربك) أى أدعوك الى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعنى عقابه وانما خص فرعون بالذكور وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فأراه) أى أرى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعنى اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعنى فرعون بانها من الله (وعصى) أى تمرد وأظهر التجبر (ثم أدبر) أى أعرض عن الايمان (يسعى) يعمل الفساد فى الارض (فخسر) أى فجع قومه وجنوده (فنادى) أى لما اجتمعوا (فقال) يعنى فرعون لقومه (أنار بكم الاعلى) أى لارب فوقى وقيل أراد أن الاصنام أرباب وهور بهاور بهم (فاخذ الله نكال الآخرة والاولى) أى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان أغرقه فى الدنيا ويدخله فى النار فى الآخرة وقيل أراد بالآخرة والاولى كلمتى فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله أنار بكم الاعلى وكان بينهما أربعون سنة (ان فى ذلك) أى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى (عبرة) أى عظة (لمن يخشى) أى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) معناه أخلقكم بعد الموت أشد أم خالق السماء عندكم فى تقديركم فان كلا الأمرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا أضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيرا فبين تعالى أن خلق السماء أعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خالق السموات والارض ولاتنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى (رفع سمكها) يعنى علوسمتهما وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) أى أنقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (وأغطش) أى أظلم (ليلها) والغطش الظلمة (وأخرج) أى وأظهر وأبرز (ضحاهها) أى نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه أكمل أجزاء النهار فى النور والضوء وانما أضاف الليل والنهار الى السماء لانهم ما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) أى بسطها ومدّها قال أمية بن أبى الصلت دحوت البلاد فسوّيتها * وأنت على طبيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى أن الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما قات خالق الله الارض أولا مجتمعة ثم

(٤٨ - (خازن) - رابع) (والاولى) أى الاغراق أو نكال كلمته الآخرة وهى أنار بكم الاعلى والاولى وهى ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما أربعون سنة أو ثلاثون أو عشرون (ان فى ذلك) المذكور (عبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) يا منكرى البعث (أشد خلقا) أصعب خلقا وانشاء (أم السماء) مبتدأ محذوف الخبر أى أم السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) أى الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلور فيعامسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدّلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمها (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس سراجها (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها كانت مخلوقة غير مدحمة وقد حوت من كثر خلقها السماء ما لا تحتمل

(أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلاًها ولذا لم يدخل العاطف على أخرج وأخرج حال باضمار قد (والجبال أرساها) أثبتتها وانتصاب الأرض والجبال باضمار دحا وأرسي على شريطة التفسير (متاعا لكم ولا نعماكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولا نعماكم (فإذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التي نظم على الدواهي أي تعلو وتغلب وهي النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار (يوم يتذكر الإنسان) بدل من إذا جاءت أي إذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ماسعي) مصدر به أي سعيه أو موصولة (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء لظهورها وظهورا بيننا (فاما) جواب فادا أي إذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك (من طغي) جاوز الحد فكفر (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فإن الجحيم هي المأوى) المرجع أي مأواه والالام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هي المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) أي علم أن له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (٣٧٨) (ونهي النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤذي أي زجرها عن اتباع

شهووات وقيل هو الرجل سمك السماء ثانيا ثم دحا الأرض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك وقيل معناه والأرض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زعيم أي مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي فجر من الأرض عيونها ومرعاها أي رعيها وهو ما يأكله الناس والأنعام واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوز (والجبال أرساها) أي أثبتتها (متاعا لكم ولا نعماكم) أي الذي أخرج من الأرض هو بقلع لكم ولا نعماكم ﴿قوله عز وجل﴾ (فإذا جاءت الطامة الكبرى) يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لأنها تظم على كل شيء فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع (يوم يتذكر الإنسان ماسعي) أي ما عمل في الدنيا من خير أو شر (وبرزت الجحيم لمن يرى) يعني أنه ينكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق (فاما من طغي) أي كفر (وآثر الحياة الدنيا) أي على الآخرة (فإن الجحيم هي المأوى) أي لمن هذه صفته (وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى) أي المحارم التي يشبهها وقيل هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فإن الجنة هي المأوى) أي لمن هذه صفته ﴿قوله عز وجل﴾ (يسألونك) أي يا محمد (عن الساعة أيان مرساها) أي متى ظهورها وقيامها (فيم أنت من ذكرها) أي لست في شيء من علمها وذكرا حتى تهتم لها وتذكر وقتها (إلى ربك منتهاها) أي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة إلا هو وقيل معنى فيم انكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت يا محمد من ذكرها أي من علامتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (انما أنت منذر من يخشاها) أي انما ينفع انذارك من يخافها (كانهم) يعني الكفار (يوم يرونها) أي يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) أي في الدنيا وقيل في قبورهم (الاعشى أو صحاها) فإن قلت العشى ليس لها ضحى فما معنى قوله أوضحاها قلت قيل إن الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الاعشى أو ضحى وقيل اضافة الضحى إلى العشى اضافة إلى يومها كأنه قيل الاعشى أو ضحى يومها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

الشهووات وقيل هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس إلى شهواتها (فإن الجنة هي المأوى) أي المرجع (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) متى أرساها أي أقامتها يعني متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم أنت من ذكرها) في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم ونعلمهم به أي ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها في شيء كقولك ليس فلان من العلم في شيء أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكرها أي أنهم يسألونك عنها فلا حرجك

على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (إلى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره أو فيم انكار لسؤالهم عنها أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكرها أي أرسالك وأنت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها ولا يبعد أن يوقف على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكرها متصل بالسؤال أي يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكرها هم استأنف فقال إلى ربك منتهاها (انما أنت منذر من يخشاها) أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر من أهواها من يخاف شدائد ما منذر منون يزيد وعباس (كانهم يوم يرونها) أي الساعة (لم يلبثوا) في الدنيا (الاعشى أو صحاها) أي ضحى العشى استقروا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا البشنا يوما أو بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى إلى العشى للملازمة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوما كاملا ولكن أحد طرفي النهار عشيته أو صحاها والله أعلم

تفسير

﴿سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (عبس) كالح أي النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لأن جاءه ومحله نصب لأنه مفعول له والعامل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو وأشرف قریش الى الاسلام فقال يا رسول الله عاينى مما عاملك الله وكر ذلك وهو لا يعلم تشاغل بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول مر حبا بمن عابنى فيهرى (٣٧٩) واستخلفه على المدينة مرتين (وما يدريك)

وأى شئ يجعلك داريا محال

هذا الاعمى (لعله يزكى)

لعل الاعمى يتطهر بما يسمع

منك من دنس الجهل

وأصله يتزكى وأدغمت التاء

في الزاى وكذا (أو يذكرك)

يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم

غير الاعمى جوابا لعل

وغيره رفعه عطفًا على

يذكر (الذكرى) ذكر ك

أى موعظة لك أى انك

لا تدري ما هو مترقب منه

من ترك أو تذكر ولو

دريت ما فرط ذلك منك

(أما من استغنى) أى من

كان غنيا بالمال (فانت له

تصدى) تتعرض بالاقبال

عليه حرصا على إيمانه

تصدى بادغام التاء فى الصاد

نحازى (وما عليك ألا

يزكى) وابس عليك بأس

فى أن لا يتزكى بالاسلام ان

عليك الا البلاغ (وأما من

جاءك يسعى) يسرع فى

طلب الخير (وهو يخشى)

الله أو الكفار أى إذا هم

فى اتيانك أو الكبوة كعادة

العميان (فانت عنه تلهى)

﴿تفسير سورة عبس مكية﴾

وهى احدى وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (عبس وتولى) أى كالح وقطب وجهه وتولى أى أعرض بوجهه (أن جاءه الاعمى) يعنى ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشى الفهرى من بنى عامر بن اوى واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وذلك أنه أتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة ابن ربيعة وأباجهمل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبى بن خلف وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجوا سلامهم فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله اقرئنى وعامنى مما عاملك الله وجعل بناديه ويكر النداء وهو لا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مر حبا بمن عابنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيت يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الاعمى أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قریش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا فى هذا أنزلت أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (وما يدريك) أى أى شئ يجعلك داريا (لعله يزكى) أى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعامه منك (أو يذكرك) أى يتعظ (فتنفعه الذكرى) أى الموعظة (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال (فانت له تصدى) أى تتعرض له وتقبل عليه ونصنى الى كلامه (وما عليك ألا يزكى) أى لا يؤمن ولا يهتدى وانما عليك البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يعنى يسعى يعنى ابن أم مكتوم (وهو يخشى) أى الله عز وجل (فانت عنه تلهى) أى تشاغل وتعرض عنه (كلا) أى لا تفعل بعدها مثلهما (انها) يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) أى موعظة للخلق (فن شاء) أى من عباد الله (ذكره) أى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل (فى صحف مكرمة) يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ (مرفوعة) أى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السماء السابعة (مطهرة) يعنى الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بايدى سفرة) قال ابن عباس يعنى كتبه وهم الملائكة الكرام

تشاغل وأصله تلهى وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قطولا تصدى اغنى وروى ان الفقراء فى مجلس الشورى كانوا أمراء (كلا) ردع أى لا تعد الى مثله (انها) ان السورة والآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فن شاء ذكره) فن شاء أن يذكركه ذكره وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكروا الوعظ والمعنى فن شاء الذكرا لهم الله تعالى اياه (فى صحف) صفة التذكرة أى انها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر مبتدأ محذوف أى هى فى صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء أو مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة أو عما ليس من كلام الله (بايدى سفرة) كتبه جمع سافر أى الملائكة ينسخون الكتب من اللوح

(كرام) على الله أو عن المعاصي (بررة) أتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر أو هو أمية أو عتبة (مأ كفرة) استفهام توبيخ أى أى شئ حمله على الكفر أو هو تعجب أى ما أشد كفره (من أى شئ خلقه) من أى حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشئ فقال (من نطفة خلقه فقدره) على (٣٨٠) ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسرى ثم سهل له سبيل

الخروج من بطن أمه أو بين له سبيل الخير والنشر (ثم أماته فاقبره) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له فبرالميت دفنه وأقبر الميت أمره بان يقبره وممكنه منه (ثم اذا شاء أنشره) أحياء بعد موته (كلا) ردع للانسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الايمان ولما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوته الى أن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الذي يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أبا) بالفتح كوفي على أنه بدل اشتغال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صينا الماء صبا) يعنى المطر من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات (فانبثنا فيها) أى بذلك الماء (عبا) يعنى الحبوب التى يتغذى بها الانسان (وعنبا) يعنى انه غذاء من وجهه وفا كهة من وجهه فلهذا أتبعه الحب (وقضبا) يعنى القث وهو الرطب سمي بذلك لانه يقتضب أى يقطع في كل الايام وقيل القضب هو العلف كالهذى تعلف به الدواب (وزيتونا ونخلًا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعنى غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفا كهة) يعنى جميع ألوان الفا كهة (وأبا) يعنى الكلا والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل الفا كهة ما يأكله الناس والاب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما أنبت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمي ان أبا بكر سئل عن قوله وفا كهة وأبا فقال أى سماء تظلى وأى أرض تقانى اذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم (خ) عن أنس ان عمر قرأ وفا كهة وأبا قال فما الاب ثم قال ما كافنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ البخارى وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم) يعنى الفواكه والحب والعشب منفعلة لكم (ولا انعامكم) ثم ذكر أهوال القيامة فقال تعالى (فاذا جاءت الصاخة) يعنى صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصح أسمع الخلق أى تبالغ فى أسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأبيه وصاحبته وبنيه) أى انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد

(وزيتونا ونخلًا وحدائق) بساين (غلبا) غلاظ الاشجار جمع غلباء (وفا كهة) لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا) والسبب معدر أى منفعلة (لكم ولا انعامكم فاذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لانها تصح الأذان أى تصمها وجوابه محذوف لظهوره (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لتبعات يئنه وبينهم أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه) بدأ بالاخ ثم بالابوين لانهم ما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أحب قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح رلوط ومن ابنه نوح

(الكل امرئ منهم يومئذ شأن) في نفسه (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به ويشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضبئة من قيام الليل أو من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) أي أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون (٣٨١) ضاحكون مسرورون (وجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها فترة) يعاها الغبرة سواد كالسخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) في حقوق الله (الفجرة) في حقوق العباد ولما جمعوا الفجور إلى الكفر جمع إلى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم ﴿سورة التكويد مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فلا يخ قول ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفي حق والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفرها بيل من أخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من أمه وإبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه ولوط من صاحبه ونوح من أبيه وقيل يفر المؤمن من موالة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقر بونهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرّون منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لانهم ما أقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقهم بهم أشد من تعلقه بالابوين (الكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحشرون حفاة عراة غرلا فتألت امرأة أي بصرا أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكافين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مشرقة مضبئة من أسفر الصبح اذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من أثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله (ضاحكة) أي عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى (وجوه يومئذ عليها غبرة) أي سواد وكا به لاهم الذي نزل بهم (ترهقها فترة) أي علوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والفترة ان الغبرة ما كان أسفل في الارض والفترة ما ارتفع من الغبار فلهذا حق بالسما (أولئك) أي الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة التكويد مكية﴾

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسة مائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه الترمذي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (اذا الشمس كورت) قال ابن عباس أظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة وأصل التكويد جمع بعض الشيء إلى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فاذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحاً بوراً فتضربها فتصير ناراً (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جادان فاقاؤهما في النار يكون سبباً لزيادة الحرف في جهنم (واذا النجوم انكدرت) أي تهاثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكبي وعطاء تظلمت السماء يومئذ نجومها فلا يبقى نجم الا وقع (واذا الجبال سيرت) أي عن وجه الارض فصارت هباء منثوراً (واذا العشار عطلت) يعني النوق الخوامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدها عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي أنفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملابلا راع أهملها أهلها وقد كانوا لازمين لادانها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعني من دواب البر (حشرت) أي جعت يوم القيامة ليقص بعضها من بعض وقال ابن عباس حشروا موتها

وكانوا يحسبونها اذا بلغت هذه الحالة لمزتها عندهم ويعطون ما دونها عطلت بالتخفيف عن اليزيدي (واذا الوحوش حشرت) جعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينهاردت تراباً فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشروا موتها يقال اذا أجمعت السنة بالناس وأموا لهم حشرتهم السنة

غبار (ترهقها فترة) يعاها الغبرة سواد كالسخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) في حقوق الله (الفجرة) في حقوق العباد ولما جمعوا الفجور إلى الكفر جمع إلى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم ﴿سورة التكويد مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

(واذا البحار سجرت) سجرت مكي وبصري من سجر التنور اذا ملاء بالخطب أي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل مائت نيرا بالتعذيب أهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكائها الصالح مع الصالح في الجنة والطالح مع الطالح في النار وقرنت الارواح بالاجساد أو بكتبها أو أعماطها أو (٣٨٢) نفوس المؤمنين بالخور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموءدة) المدفونة

قال وحشر كل شيء موته غير الجن والانس فانهم ما يوقفان يوم القيامة (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس أوقدت فصارت نار انضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم أهل النار وقيل سجرت أي يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال أبي بن كعب ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم اذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينما هم كذلك اذ تناسرت النجوم فتحركت واضطربت وفزع الانس والجن واختلفت الدواب والطيور والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العرش عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فينثد تقول الجن للانس نحن نأتىكم بالخير فينثد تقولون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذا تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى (واذا النفوس زوجت) روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس أعماطها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالخور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد (واذا الموءدة سئلت) يعني الجارية الذي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يشقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت وكان أو ان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد بقاءها حية ألبسها حبة صوف أو شعر وتركها ترعى الابل والغنم في البادية واذا أراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينها حتى أذهب بها الى اجائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها من وراءها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموءدة في النار أخرجه أبو داود وكان صعصة بن ناجية ممن منع الوائد ولم يثد فافتخر به الفرزدق في شعره فقال

ومنا الذي منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم توأد

(بأي ذنب قتلت) معناه تسئل الموءدة فيقال لها بأي ذنب قتلت ومعنى سؤالها تو بيبخ قائلها لانها قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كشطت) أي نزع وتطويت وقيل قاعت كما يقلع السقف وقيل كسفت وأزيلت عمن فيها (واذا الجحيم سعرت) أوقدت لاعداء الله تعالى (واذا الجنة أزلقت) أي قربت لاولياء الله (علمت نفس ما أحضرت) يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من خير أو شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله عز وجل (فلا أقسم) لازائدة والمعنى أقسم وقد تقدم ذلك في قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعني النجوم تبدو بالليل فتظهر

حية وكانت العرب تشد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق (سئلت) سؤال تطف لتقول بلا ذنب قتلت أو لتدل على قائلها وهو تو بيبخ لقائلها بصرف الخطاب عنه كقوله أنت قلت للناس الآية (بأي ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بلا ذنب (واذا الصحف نشرت) فتحت وبالتخفيف مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم (واذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) أوقدت ايقاد اشديد او بالتشديد شامي ومدني وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (واذا الجنة أزلقت) أدنيت من المتقين كقوله وأزلقت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة

سته منها في الدنيا والباقي ستة في الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة الى ما أحضرت لان عامل

وتخمس

النصب في اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) أي كل نفس وضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (ما أحضرت) من خير أو شر (فلا أقسم) لازائدة (بالخنس) بالرواجع بينا ترى النجوم في آخر البرج اذ كرراجعا الى أوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجرى مع الشمس

والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب (والليل اذا سعت) اقبل بظلامه أو أدبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس) (٣٨٣) امتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح يلازمه

الروح والنسيم جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم (انه) أي القرآن (لقول رسول) أي جبريل عليه السلام وانما أضيف القرآن اليه لانه هو الذي نزل به (كريم) عند ربه (ذی قوة) قدرة على ما يكاف لا يهجز عنه ولا يضعف (عند ذی العرش) عند الله (مكين) ذی جاه ومنزلة ولما كانت حال المكنة على حسب حال المكين قال عند ذی العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) أي في السموات يطيعه من فيها وعند ذی العرش أو عند الله يطيعه ملائكته والمقربون يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه (أمين) على الوحي (وما صاحبكم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) صورته (بالافق المبين) بمطلع الشمس (وما هو على الغيب) وما محمد على الوحي (بضنين) ببخيل من الضن وهو البخيل لا يبخل بالوحي

وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن علي بن أبي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها أي ترجع وراءها في الفلك وتكنس أي تستتر وقت اختفائها وقيل انها تخنس أي تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الطبء وهي رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو أن تأوى الى كناسها وهو الموضع الذي يأوى اليه الوحش (والليل اذا سعت) أي اقبل بظلامه وقيل أدبر والعسعة رقة الظلام وذلك يكون في طرف الليل (والصبح اذا تنفس) أي اقبل وبدا أوله وقيل أسفرو في تنفسه قولان أحدهما أن في اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني أنه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبّر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عز وجل (ذی قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفضه بجناحه نفخة ألقيه الى أقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة ثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف (عند ذی العرش مكين) أي في المنزلة والجاه (مطاع ثم) أي في السموات تطيعه الملائكة من طاعة الملائكة له أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) يعني على وحي الله تعالى الى أنبيائه (وما صاحبكم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن محمد صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول أهل مكة وذلك أنهم قالوا انه مجنون وأن ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التي خلق فيها (بالافق المبين) يعني بالافق الأعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام اني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال ان تقوى على ذلك قال بلى قال فاین تشاء ان أتخيل لك قال بالا بطح قال لا يسعني ذلك قال فبمى قال لا يسعني ذلك ٣ قال فبعرفات قال لا يسعني ذلك قال بحراء قال ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من حيال عرفات بنحش خشة وكلاهما قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لورأت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعل كاهله وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله جل جلاله وعلاؤه وشأنه حتى يصير كالصعوي يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الاعظمته (وما هو) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء (بظنين) قرى بالظاء ومعناه بمتهم والمظنة التهمة وقرى بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو أجرة الكاهن وقراءة الطاء أولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله

كما يبخل الكهان رغبة في الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئا مما علم بظنين مكى وأبو عمرو وعلى أي بتمهم فينقص شيئا مما أوحى اليه أو يزيد فيه من الظنة وهي التهمة

٣ قوله فبعرفات الخ كذا بالنسخ بايدنا وفي الخطيب قال فبعرفات قال ذلك بالخرى ان يسعني اه مصحح

(وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) طر يدوهو كقوله وما نزلت به الشيطان أى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحهم الى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الحادة اعتسافاً وذهاباً في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدوهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلكون أين من هذه الطريق التي بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون أعناوان من شئ الا عندنا (٣٨٤) (ان هو الاذ كر للعالمين) ما القرآن الاعطة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (أن

يستقيم) أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذ كر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعظين جميعا (وما تشاؤون) الاستقامة (الا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم (إذا السماء انقطرت) انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) تساقطت (وإذا البحار فجرت) فخرجت (وإذا القبور انقطرت) تساقطت (وإذا البحار فجرت) فخرجت بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (وإذا القبور بعثرت) بخرجت وأخرج موتاهم وجواب اذا (علمت نفس) أى كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) عملت من الطاعة (وأخرت) وتركت ولم تعمل أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميسرات (يا أيها الانسان) قيل الخطاب لمنكري البعث (ماغرك

عنه تلك النعمة ولو أراد البخل لقال وما هو بالغيب (وما هو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) يعنى أن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفي الله ذلك عنه (فأين تذهبون) فأين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه أى طريق تسلكون أين من هذه الطريق التي قد بينت لكم (ان هو) يعنى ما في القرآن (الاذ كر للعالمين) أى موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين أن مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) أعلمهم الله أن المشيئة في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يتدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان أحد الا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولاشرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا السماء انقطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت (وإذا البحار فجرت) أى فخرجت بعضها الى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (وإذا القبور بعثرت) أى بخرجت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء (علمت نفس ما قدمت وأخرت) يعنى علمت في ذلك اليوم ما قدمت من عمل صالح أو سيئ وأخرت بعدها من حسنة أو سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات وأخرت من الزكوات وهذه أحوال يوم القيامة قوله عز وجل (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم) أى ما خدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ما صنعت وضيعت ما أوجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في أبي الشرايق واسمه أسيد بن كلفة وقيل كلفة بن خلف وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وأنزل الله هذه الآية وقيل الآية عامة في كل كافر وعاص يقول ما لذي غرك قيل غره حقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة في أول مرة بربك الكريم أى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من أحد الا سيخلكم الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ماغرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبته المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامنى بين يديه وقال ماغرك بى أقول غرني برك بى سالفوا نفا وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض أهل الإشارة وإنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجة في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم (الذى خلقك) أى أوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) أى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) أى عدل خلقك في مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها أطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن

بربك الكريم الذى خلقك) أى شئ خدعك حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم بربك حيث أنعم عليك بالخلق

والنسوية والتعديلات وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضى الله عنه غره حقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لو خطبت أقول غرني ستورك المرخاة وعن يحيى بن معاذ أقول غرني برك بى سالفوا نفا (فسواك) جعلك مستويا الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصبرك معتدلا متناسبا الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء

من الناس ا كتيه الايضرهم ويتحمل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعاقى على يستوفون و يقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصة وقال القراء من وعلى بعقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال ا كتلت عليك فكانه قال أخذت ما عليك واذا قال ا كتلت منك فكانه قال استوفيت منك والضمير المنصوب في (واذا كالوهم أو وزنوهم) راجع الى الناس أى كالوهم أو وزنوهم فحذف (٣٨٦) الجار وأوصل الفعل وانما لم يقل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم ا كشفاء ويحتمل ان

المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالكمال لم تكنهم بالا كتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعون ويحتالون في الملاء واذا أعطوا كالوا أو وزنوا لم تكنهم من البخس في النوعين (يخسرون) ينقصون يقال خسرا الميزان وأخسره (الأيظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة أدخل همزة الاستفهام على لا النافية تو ييخاولست ألا هذه للتنبيه وفيه انكار وتجب عظيم من حالهم في الاجترار على التطفيف كأنهم لا يخطررون بباهلهم ولا يضمنون تخمينانهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا أنهم يبعثون ما نقصوا في الكيل والوزن وعن عبد الملك بن مروان أن اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك ان المطفف قد تو جه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به ففاظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا

يعنى أنهم اذا ا كتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا ا كتالوا من الناس أى اشترى واشيا استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم أو وزنوهم) يعنى واذا كالوهم أو وزنوهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) أى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من البكائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يا جمهم العرق وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وقال الفضيل بن عيسى الميزان سواد يوم القيامة (الأيظن) أى ألا يعلم ويستيقن (أولئك) أى الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعنى من قبورهم (رب العالمين) أى لامرءه وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا الأيظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس رب العالمين قال يقوم أحدهم فى رشحه الى انصاف أذنيه وروى مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى أو ميلين قال سليم بن عامر والله ما درى ما يعنى بالميل مسافة الارض أو الميل تكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجمام وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه ﴿قوله عز وجل﴾ (كلا) قيل انه ردع وتنبيه أى ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فايرتد عوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) أى الذى كتبت فيه أعمالهم (لنى سجين) قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها أرواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراءة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال أخبرنى عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لنى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سبعين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سبعين رق فيرقم ويختتم ويوضع تحت جند ابليس يعرفها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقاب ويحمل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لنى سجين لنى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لنى حبس وضيق شديد (وما أدراك ما سجين) أى ايس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين (كتاب

كيل ولا وزن ونصب (يوم يقوم الناس) (رب العالمين) لامرءه وجزائه وعن ابن عمر أنه قرأ هذه مرقوم
السورة فلما بلغ هذا بكي تحيا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) ردع وتنبيه أى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) صحائف أعمالهم (لنى سجين وما أدراك ما سجين كتاب

مرفوم) فان قلت قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجيناً بكتاب مرفوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرفوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشرذون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرفوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمى سجيناً فعيلاً من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم أولانه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كاتم منصرف (٣٨٧) لوجود سبب واحد وهو العلمية فاسب

(وبل يومئذ) يوم يخرج المكتوب (للمكذبين) الذين يكذبون يوم الدين (الجزاء والحساب) وما يكذب به) بذلك اليوم (الا كل معتد) مجاوز للحد (أنهم) مكذب يومئذ (اذ اتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير الاولين) أي أحاديث المتقدمين وقال الزجاج أساطير أباطيل واحداً أسطورة مثل أحداثثة وأحاديث (كلا) ردع للمعتدي الاثيم عن هذا القول (بل) نفي لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم أي غلب على قلوبهم حتى غمها ما كانوا يكسبون من المعاصي وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبي سايان الرين والقسوة زمام الغفلة ودواؤها

ليس هذا تفسير السجين وإنما هو بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرفوم أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالمرفوم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرفوم رقم عليهم بشر كانه علم به لامة يعرف بها انه كافر وقيل مرفوم أي محتوم وهو بالغة خير (وبل يومئذ للمكذبين) وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية وبل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرفوم معناه مرفوم بالشقاوة ثم قال وبل يومئذ للمكذبين أي في ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرفوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون يوم الدين) أي يوم القيامة لانه يوم الجزاء (وما يكذب به) أي يوم القيامة (الا كل معتد) أي متجاوز عن نهج الحق (أنهم) هو مبالغة في الاثم وهو المرتكب الاثم والمعاصي (اذ اتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أي أكاذيب الاولين ﴿قوله عز وجل﴾ (كلا) أي لا يؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عازر يد فيها حتى تغلق قلبه وهو الران الذي قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع الله على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شيء كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم في الآخرة خيراً ثم استأنف فقال تعالى (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يذكركم وهذا التفسير فيه ضعف أما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يذكركه والذي ذهب اليه أكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيداً وتهديداً للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيدهم حجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقال الشافعي في قوله كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان أولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوماً بالسخط دل على ان قوماً يرونه بالرضا ثم أخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون

ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك فسوة فليترك الادام (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (انهم على ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) ممنوعون والحجب المنع قال الزجاج في الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والا لا يكون التخصيص مفيداً وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيدهم في العقبى عن رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامتهم ربهم لانهم في الدنيا لم يشكروا نعمه فيشوا في الآخرة عن كرامته مجازة والاول أصح لان الرؤية أقوى الكرامات والحجب عنها دليل الحجب عن غيرها

(ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتذكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) ما كتب من أعمالهم والابرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر في مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذي لا يؤذي الذر (ان عليين) هو علم لديوان (٣٨٨) الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلاح الثقلين منقول من جمع على فعيل من

العلو سمي به لانه سبب الارتفاع الى أعلى الدرجات في الجنة اولانه مرفوع في السماء السابعة حيث تسكن الكروبيسون تكرر بماله (وما أدراك) ما الذي أعلمك يا محمد (ما عليون) أي شيء هو (كتاب مرفوع) يشهده المقربون (تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقر بوكل سماء اذا رفع (ان الابرار اني نعيم) تنعم في الجنان (على الارائك) الاسرة في الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى أعدائهم كيف يعذبون (تعرف في وجوههم نظرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم) ختامه مسك) نختم أوانيه بمسك بدل الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا أمر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه أو ختامه مسك مقطعه رائحة مسك أي توجد رائحة المسك عند خاتمة شرابه خاتمة على (وفي ذلك) الرحيق أو

النار فقال عز من قائل (ثم انهم لصالوا الجحيم) أي لداخلوا النار (ثم يقال) أي تقولوا لهم الخزنة (هذا) أي هذا العذاب (الذي كنتم به تكذبون) يعني في الدنيا (كلا) أي ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا أي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار اني عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على دفقة الجمع لا واحدا من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قاعة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) تنبيهه على عظم شأنه (كتاب مرفوع) ليس تفسيره العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرفوع في عليين فيه ما أعد الله لهم في الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعاليون محل الملائكة وضده ساجدين وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقربون) يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون أي يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمنين ﴿قوله تعالى (ان الابرار) يعني المطيعين لله (انني نعيم) يعني نعيم الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهي الاسرة في الحجال (ينظرون) أي الى ما أعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى أعدائهم كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف في وجوههم نظرة النعيم) يعني انك اذا رأيتهم تعرف أنهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النظر في الوجه والسرور في القلب (يسقون من رحيق) يعني الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم) يعني ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الايدي الى أن يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خرو والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل أن يكون المذكور في هذه الآية في أوان مختوم عليها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها لشرها ونفاسها (ختامه مسك) أي طينته التي ختم عليها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختمها طين وقال ابن مسعود مختوم أي بمزج ختامه أي آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل بمزج لهم بالكافور ويختتم لهم بالمسك (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريد كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي يرضى ويبتذل (ومزاجه من تسنيم) أي شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهواء مستنفا فيصب في أواني أهل الجنة على قدر ملأها فاذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه أعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقر بين يشر بونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا ما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (عينا يشرب بها) أي منها (المقربون) أي صرفا ﴿وقوله عز وجل﴾

النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والالتها عن السيئات (ان)

(ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسليم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها أرفع شراب في الجنة اولانها تأتيهم من فوق وتنصب في أوانيهم (عينا) حال أو نصب على المدح (يشرب بها) أي منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لاصحاب البعير

(ان الذين أجمعوا) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) في الدنيا استهزاء بهم (واذا هم يتغامزون) يشيروا بعضهم الى بعض بالعين طعنا ففهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الاصلح فترأت قبل أن يصل دلي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهلهم) أى اذا رجع الكفار الى منازلهم (انقلبوا فكهمين) يتلذذون بكبرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فأكهمين أى فرحين (واذا رآهم) واذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضلووا وتركوا المذات لما يرجونه في الآخرة (٣٨٩) من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما

أرسلوا) وما أرسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا باصلاح أنفسهم فاشتغلوا بذلك أولى بهم من تبع غيرهم وتسفيه أحلامهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما يضحكون منهم هنا مجازاة (على الارائك ينظرون) حال أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان واصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح باب للكفار الى الجنة فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جـوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا اذا فعل بهم ما ذكر والله أعلم

(ان الذين أجمعوا) أى أئمر كوايعنى كفار قريش أباجهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من . ترفى أهل مكة (كانوا من الذين آمنوا) أى من عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أى منهم ويستزقون بهم (واذا هموا بهم) يعنى مر المؤمنين الفقراء بالكفار الاغنياء (يتغامزون) يعنى يتغامز الكفار والغمز الاشارة باللفظ والحاجب أى يشيرون اليهم بالعين استهزاء بهم (واذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهمين) أى محجبين بما هم فيه وقيل يلقبون بكبرهم كأنهم يتكلمون بحديثهم (واذا رآهم) يعنى رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ان هؤلاء ضالون) أى هم في ضلال ياتون محمدا ويرون انهم على شئ قال الله عز وجل (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) أى لا عمالهم والمعنى أنهم لم يتركوا بحفظ أعمالهم قوله عز وجل (فاليوم) يعنى في الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك أن الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فاما أفضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون في السرور والنعيم وصار الكفار في العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال أبو صالح تفتح للكافرين أبواب النار وهم فيها ويقول لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه في الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) جمع أريكة وهو السرير ويتخذ في الحجة وهى الكعبة يز بن بها البيت وأرائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى اليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أى جوزى الكفار (ما كانوا يفعلون) أى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستهزاء يعنى التقرير وثوب وأثيب بمعنى قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عنى منوب * وحسبك أن يشنى عليك ونحمدي

والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿تفسير سورة الانشقاق وهى مكية﴾

وخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربع مائة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اذا السماء انشقت) يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها (وأذنت لربها) أى سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع (وحقت) أى حق لها أن تطيع أمر ربها (واذا الارض مدت) يعنى مدا لديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل (وألق ما فيها) أى أخرجت ما فى بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) أى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا فى جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه

﴿سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت) تصدعت وانشقت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها الى الانشقاق ولم تناب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله اذ هى مصنوعة من ربه لله تعالى (واذا الارض مدت) بسطت وسويت باندكك جبالها وكل أمت فيها (وألق ما فيها) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غابة الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو يقال نكرم الكرم اذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما فى طبعه

(وأذنت لربها) في القاء ما في بطنها وتخليها (وحقت) وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب اذا اليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم بمثلها من سورة التكوير والانفطار وجوابه ما دل عليه فلاقية أي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه (يا أيها الانسان) خطاب للجنس (انك كادح الى ربك كدحا) جاهد الى اقاء ربك وهو الموت وما بهد من الحال الممثلة باللقاء (فلاقية) الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكدح فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خير نفيروا شرفا شرو وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (٣٩٠) (فاما من أوتى كتابه بيمينه) أي كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا)

الاشياء يرى الانسان الثواب أو العقاب وقيل جوابه يا أيها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء اتى كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) أي ساع اليه في عمالك سعيًا والكدح عمل الانسان وجهده في الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح في اقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح في دنياك كدحا تصير به الى ربك (فلاقية) أي فلاق جزاء عمالك خيرا كان أو شرا وقيل فلاق ربك (فاما من أوتى كتابه بيمينه) يعني ديوان عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يناب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعدر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طوبى بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن أبي مائة ان عائشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال فاما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب (وينقلب الى أهله) يعني في الجنة من الخور العين والآدميات (مسرورا) أي بما أوتى من الخير والكرامة (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعني أنه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تلخع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعو ثورا) يعني عند اعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم أنه من أهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويله يا ثور اراه (و يصلى سعييرا) أي ويقاسى النهاب النار وحرها (انه كان في أهله) يعني في الدنيا (مسرورا) يعني باتباع هواه وركوب شهواته (انه ظن أن ان يحور) أي ان يرجع اليها ولن يبعث والخور الرجوع (بلى) أي ليس الامر كما ظن بل يحور اليها ويبعث ويحاسب (ان ربه كان به بصيرا) أي من يوم خلقه الى أن يبعثه ﴿قوله عز وجل﴾ (فلا أقسم بالشفق) تقدم الكلام في تفسيره لا أقسم في سورة القيامة وأما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك أنه عطف عايه الليل فيجب أن يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس وأكثرا المفسرين هو الحجر التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحجرة وهو مذهب أبي حنيفة (والليل وما وسق) أي جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والحوام وذلك ان الليل اذا أقبل أوى كل شيء الى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد فيجوز أن يقسم به (والقمر اذا اتسق) أي اجتمع وتم نوره وذلك في الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى

سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات وفي الحديث من يحاسب يعذب فقبل فابن قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا - برأى قال ذلكم العرض ومن نوقش في الحساب عذب (وينقلب الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله في الجنة من الخور العين (مسرورا) فرحا (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) قيل تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تلخع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعو ثورا) يقول يا ثور اراه (و يصلى) عراقي غير على (سعييرا) أي ويدخل جهنم (انه كان) في الدنيا (في أهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك من آمن بالبعث قيل كان لنفسه متاعا وفي مرانع هواه واقعا (انه ظن

أن ان يحور) ان يرجع الى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبلتها حوري أي ارجعي (بلى) ايجاب لما بعد النفي في ان يحور أي بلى ليحورن (ان ربه كان به) وباعماله (بصيرا) لا يخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عايبها (فلا أقسم بالشفق) فاقسم بالبياض بعد الحجرة أو الحجرة (والليل وما وسق) جمع وضم والمراد ما جعه من الظلمة والنجم أو ما عمل فيه من التهجد وغيره (واقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا فتعمل من الوسق (لتركن) أيها الناس على ارادة الجنس

(طبقات طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختلافها في الشدة والهول والطبق ما طبق غيره يقال ما هذا طبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبقة ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات أي لتركبن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها ومحل عن طبق نصب على أنه صفة لطبق أي طبقاً مجاوزاً للطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقاً مجاوزاً عن طبق وقال مكحول في كل عشرين (٣٩١) عاماً يجدون أمراً لم تكونوا عليه وافتتح

الباء مكي وعلى وحجرة والخطاب له عليه السلام أي طبقاً من طباق السماء بعد طبق أي في المعراج (فألهم لا يؤمنون) فألهم في أن لا يؤمنوا (واذا قرئ) عليهم القرآن لا يسجدون (بل الذين لا يخضعون) كفروا يكذبون (بالبعث والقرآن) (والله أعلم بما يجمعون) بما يجمعون في صدورهم ويضرون من الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وبما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب (فبشرهم بعذاب أليم) أخبرهم خبراً يظهر أثره على بشرتهم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع أو غير منصوص والله أعلم

لتركبن يا محمد (طبقات طبق) يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة أسري به فاصعد سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقاً حالا بعد حال هذا النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بحمائل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم ونمادهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال وأمر بعد أمر وذلك في موقف القيامة تتقلب بهم الأحوال فيصيبون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الإنسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنين من كان قبلكم وأحوالهم (ق) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتبعن سنين من كان قبلكم وأحوالهم شرباً بعد شرب وذراعاً بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن وقيل في معنى الآية أنه أراد به السماء تنفـير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدخان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى أخرى (فألهم لا يؤمنون) يعني بالبعث والحساب وهو استفهام إنكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعني لا يصلون فعبير بالسجود عن الصلاة لأنه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة أحد سجودات القرآن عند الشافعي ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت فسجدت فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا زال أسجد فيها حتى ألقاه ولمسلم عنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرأ بأمر ربك وإذا السماء انشقت (بل الذين كفروا يكذبون) يعني بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يجمعون) يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب أليم) يعني على عنادهم وكفرهم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة البروج﴾

﴿وهي مكية واثنان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربع مائة وخمسة وستون حرفاً﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والسماء ذات البروج)﴾ يعني البروج الاثنى عشر وإنما أحسن القسم بها لما فيها من عجب حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجاً لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد وشهود) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ولا يستعين من شر إلا أعاده الله منه أخرجه الترمذي وضمف أحده وأنه من

النجوم أو عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد وشهود) أي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهد وفيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما لما في قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل ما أفرطت كثرة من شاهد ومشهود وأما اللابها في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفها وقد كثرت أقوال المفسرين فيهما فقيل محمد يوم القيامة أو عيسى وأمه لقوله وكنت عليهم شهيداً ما كنت فيهم أو أمة محمد وسائر الأمم أو الحجر الأسود والحجيج أو الأيام والليالي وبنو آدم للحديث ما من يوم إلا وينادي أنا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد فاعنمني ولو غابت شمس لم تدركني

الى يوم القيامة والحفظة وبنو آدم أو الله تعالى والحق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا والأنبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل أصحاب الاخدود) أي (٣٩٢) لمن كانه قيل أقسم بهذه الاشياء أنهم ملعونون يعني كفار قر يش كما عن أصحاب الاخدود

وهو جمع خدأى شق عظيم في الارض روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما يعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حست الناس فاخذ حجر فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فاقتلها فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكمة والابرص وعمرى جليس للملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمشاروا في الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقرور فلججوابه ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة ففرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجتمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذسهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوق في صدغه فوضع

قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود أي عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أي عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرها وعظمتها وجواب القسم قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أي لمن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعت الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فـ كان اذا أتى الساحر من الراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر فجمع من الساحر فجمع من الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضر به فوشكى ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذا أتى على دابة عظيمة قد حست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فاخذ حجرًا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فاخبره فقال له الراهب أي بني أنت أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يرى الأكمة والابرص ويدأى الناس من سائر الادواء فسمع جالس للملك كان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان أنت شفيتني قال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فأمن به فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي فقال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجاء الغلام فقال له الملك أي بني انه قد بلغ من سحر ك ما تبرئ الأكمة والابرص وتفضل وتفضل فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجاء الراهب فقيل له ارجع عن دينك فأتى فدعا بالمشار فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جىء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأتى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغت ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم كفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء عشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقرور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا فقال اللهم كفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء عشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخل ثم خذسهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني به فانك ان فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم

يده عليه فمات فقال الناس أما رب الغلام فقيل للملك تزل بك ما كنت تحذره فخذ اخذوا ملاحا نارا فم لم يرجع قال عن دينه طرحة فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتعاسست ان تقع فيها فقال الصبي يا أماء اصبري فانك على الحق فالتقى الصبي وأمه فيها

قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فبات فقال الناس
 آمنابرب الغلام ثلاثا فأتى الملك ففعل له رأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذر ك قد آمن الناس فامر
 بالاخذود في أفواه السكك فحدث وأضرهم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقموه فيها ففعلوا ذلك حتى
 جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصيري ولا تقاعسي فانك على الحق
 هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وفي هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة
 ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك والا كما هو الذي خلق أعشى والمبشار بالياء وتخفيف الهمزة
 وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر أعلاه ورجف نحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى
 السفينة الصغيرة وانكفات انقلب والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق والاخذود الشق العظيم
 في الارض وأقموه أي ارموه فيها وتقاعست أي تأخرت وكرهت الدخول في النار وقال ابن عباس كان
 بنجران ملك من ملوك حير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي صلى
 الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر
 فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة
 حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى
 فوقع الى نجران فاحبوه فسار اليه ذونواس اليهودي بجنوده من حير وخبرهم بين النار واليهودية فابوا عليه
 فخذ الاخذود وحرق اثني عشر ألفا ثم غلب رباط على اليمن فخرج ذونواس هاربا فقتلهم البحر بفرسه ففرق
 وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله
 ابن تامر واضعا يده على ضربه رأسه اذا أميطت يده عنها انبعث دما واذا تركت ارتدت مكاه وفي يده خاتم
 حديد فيه مكتوب ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير
 وابن أبي نعيم لما نهزم أهل اسفند هارقال عمر بن الخطاب أي شيء يجري على المجوس من الاحكام فاهم ليسوا
 باهل كتاب فقال علي بن أبي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت النار قد أحلت لهم فتدوا لها ملك من ملوكهم
 فغلبت على عقله فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه
 قالت المخرج منه أنك تخطب الناس وتقول ان الله قد أحل لكاح الاخوات فاذا ذهب في الناس وتناسوه
 خطبتهم فخرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله
 ان تؤمن بهذا أو تقر به ما جاء به من نبي ولا أنزل علينا في كتاب فبسط فيهم الصوت فابوا أن يقرروا فجرد
 فيهم السيف فابوا أن يقرروا به فخذ لهم الاخذود وأوقد فيها النيران وعرضهم عليها فن أبى قذفه في النار ومن
 أجاب أطلقه وروى عن علي قال كان أصحاب الاخذود نبيهم حبشي بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد
 أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه أناس فقتلهم
 الكفار فقتل أصحابه وأخذ من انفلت منهم فاقنوه ثم خذوا له الاخذود فلقوا نارافن تبع ذلك النبي رعى في
 النار ومن تابعهم تركوه فجاءوا امرأة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا أمه قعي ولا تقاعسي وقيل كانت
 الاخذود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فالما التي بالشام فهو
 ابطاموس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون انهم أصحاب دانيال وأما التي باليمن فذونواس
 يوسف فالما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وأنزل في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة
 كانت مشهورة عند أهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحملهم بذلك
 على الصبر وتحمل المكاره في الدين ﷻ وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع
 ابن أنس نجي الله المؤمنين الذين القوا في النار بقبض أرواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى

(النار) بدل اشتعال من
 الاخذود (ذات الوقود)
 وصف لها بانها عظيمة لها
 ما يرتفع به طيها من الحطب
 الكثير وأبد ان الناس

(اذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعد بن حوطها (هم عليها) أى الكفار على ما يدنو منها من حافات الاخدود (فعود) جلوس على الكراسى (وهم) أى الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وما تقوموا منهم الا أن يؤمنوا) وما عابوا منهم وما أنكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وقوله ما تقوموا من بنى أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا وقرئ تقوموا بالكسر والفصح هو الفتح (بأنه العزيز الحميد) ذكر الاوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه جيدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (٣٩٤) (الذي له ملك السموات والارض) فكل من فيهم ما نحق عليه عبادته والخشوع

من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم (اذهم عليها فعود) أى جلوس عند الاخدود (وهم) يعنى الملك الذى خد الاخدود وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) أى من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم (شهود) أى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما تقوموا منهم) قال ابن عباس ما كرهوا منهم (الا أن يؤمنوا بالله) وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله (العزيز) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لا يغالب ولا يدافع (الحميد) يعنى الذى يستحق أن يحمده ويثنى عليه وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذى له ملك السموات والارض) أى فهو المستحق للعبادة (والله على كل شئ) أى من أفعاله بالمؤمنين (شهود) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعد عظيم للكافرين قوله عز وجل (ان الذين فتنوا) أى عذبوا وأحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) أى بالنار (ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الآخرة ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) قوله عز وجل (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان أخذ به العذاب اذا أخذ الظلمة لشديد (انه هو يبدى ويعيد) أى يخلقهم أولا في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم في القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) أى المحب لهم وقيل المحبوب أى يوده وأولياؤه ويحبونه وقيل يغفرو يودأن يغفر وقيل هو المتودد الى أوليائه بالمغفرة (ذوالعرش) أى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات تعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش أى السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش أحسن الاجسام ثم قال الله تعالى (فعال لما يريد) يعنى انه لا يجهز شئ ولا يمنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنع من ذلك مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر (هل أذاك) أى قد أذاك (حديث الجنود) أى خبر الجنود الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (وثمود) وكانت قصتهم

له تقرير الان ما تقوموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل وان النافين أهل الانتقام الله منهم بعذاب عظيم (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطر وحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لما روى ان النار انقلب عليهم فاحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان لافثنين عذابين فى الآخرة

لكفرهم ولفتنهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) أى الذين صبروا على عند تعذيب الاخدود وهو عام (ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد أخذ الظلمة والجبار بالعذاب والانتقام (انه هو يبدى ويعيد) أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صبرهم ترابا بل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه أو أعد الكفرة بانه يعيدهم كما أبدأهم ليطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (الودود) المحب لا وليائه وقيل الفاعل لاهل الطاعة ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا (ذوالعرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر حزة وعلى على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فعال) خبر مبتدأ محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق أفعال العباد (هل أذاك حديث الجنود) أى قد أذاك خبر الجنود الطاغية فى الامم الحالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد

بفرعون اباه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسول وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (في تكذيب) واستيجاب العذاب ولا يعتبرون بالجنود لالخفاء حال الجنود عنهم اكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) أى عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يحجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف على الطبقة فى الكتب وفى نظمه وعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه أساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة للقرآن أى من التغيير والتبديل واللوح (٣٩٥) عند الحسن شئ بلوح للملائكة فيقرؤنه وعند ابن عباس رضى الله

وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شئ فيه مسطور مقاتل هو على عرش العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم ﴿سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والسما والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء فى أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فاقسم بها بالطارق والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرحم بها لعظم منفعتها فسمه بالنجم الثاقب أى المضى كأنه يثقب الظلام فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أولانه يطرق الجنى

عند أهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) أى من قومك يا محمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن أهلكنا من قبلهم (والله من ورائهم محيط) أى عالم بهم لا يخفى عليه شئ من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) أى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون أنه شعير وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحرير وقريء محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو نسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن عرش العرش وروى البغوى بسند الثعلبى عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسوله أدخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافته الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الطارق﴾

وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والسما والطارق) قيل نزلت فى أنى طالب وذلك انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بنجربوا بن فينما هو جالس يأكل اذا انحط نجم فامتلا ماء ثم نار افزع أبوطالب وقال أى شئ هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله تعالى فحجب أبوطالب فانزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالسماء والسماء النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند نحن بنات طارق نمشى على النار﴾

تريد أن أباهم نجم فى علوه وشرفه (وما أدراك ما الطارق) قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) أى المضى المنير وقيل المتوهج وقيل المرفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه أى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريالان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه أقسام أقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عايمها ما تكسب من خير أو شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعالها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يحل عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها ﴿قوله عز وجل (فلينظر الانسان) يعنى نظر تفكر واعتبار (مم خلق) أى

أى يصكه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) لما ان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحزرة وان عامر فتكون ان نافية أى ما كل نفس الاعلى حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة أى ان كل نفس اعلى حافظ يحفظها من الأفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فإزائده واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيتهما كانت فهى مما يتعلق به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لماذا كر ان على كل نفس حافظا أمره بالنظر فى اول أمره ليعلم ان من أشاء قادر على اعادته وجزائه فيعمل اليوم الجزاء ولا يعمل على حافظه الا ما يسره فى عاقبته ومم خلق استفهام أى من أى شئ خلقة حواه

(خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع والدفق في الحقيقة لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا صبيته ودفق الماء بنفسه أي انصب ولم يقل من ماء من لا متزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذي (٣٩٦) خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يجهز عنه كقوله

انني لفقير أي لبين الفقر ونصب (يوم تبلى) أي تكشف برجعه أو بمضمر دل عليه قوله رجعه أي يعني يوم تبلى (السرائر) مأمرا في القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الاعمال (فاله) فما للانسان (من قوة) في نفسه على دفع ما حل به (ولاناصر) يعينه ويدفع عنه (والسما ذات الرجع) أي المطر وسمى به اعوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ما تنصدع عنه الارض من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل يعني أنه جدك له ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يرتفع به قارنه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح (انهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعملون المكيد في

من أي شيء خلقه به ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعني من منى (دافق) أي مدفوق مصبوب في الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما (يخرج) يعني ذلك الماء وهو المنى (من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وعنه أنها بين الثدي المرأة قيل ان المنى يخرج من جميع أعضاء الانسان وأكثر ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر (انه على رجعه لقادر) يعني ان الله تعالى قادر على أن يرد النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه وان الذي قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو أهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الاعمال كاصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدئ الله تعالى يوم القيامة كل سرفيكون زينا في وجوه وشين في وجوه يعني من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها أو اتقص منها كان وجهه أغبر (فاله) أي لهذا الانسان المنكر البعث (من قوة) أي يتمتع بها من عذاب الله (ولاناصر) أي ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى (والسما ذات الرجع) أي ذات المطر وسمى به لانه يحيى ويرجع ويتكرر (والارض ذات الصدع) أي تنصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعني القرآن (لقول فصل) أي انه الحق وجد يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) أي باللعب والباطل (انهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعني يحتالون بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه (وأكيد كيدا) يعني أجازيهم على كيدهم بان استدريجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار (فهل الكافرين) أي لا تستجبل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لم يأمرهم بالمهاطمة بين أن ذلك الامهال قليل فقال تعالى (أمهلهم رويدا) يعني قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الاعلى)

وهي مكية وتسع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة ومائتان واحد وتسعون حرفا

ابطال أمر الله واطفاء نور الحق (وأكيد كيدا) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون (بسم) فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمي جزاء الاعتداء والسبئية اعتداء وسبئية وان لم يكن اعتداء وسبئية ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الاعلى وجه الجزاء كقوله نسوا الله فانساهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فهل الكافرين) أي لا تدع بهلاكهم ولا تستجبل به (أمهلهم) انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصيير (رويدا) مهلا يسيرا ولا يتسكلم بها المصغرة وهي من

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبح اسم ربك الأعلى) نزهة ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والافتدار لا بمعنى العلو في المكان وقيل قل سبحان ربى الأعلى وفي الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم (الذي خلق فسوى) أى خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم حكيم أو سواه على ما فيه منفعة ومصلحة (والذى قدر فهدى) أى قدر لكل حيوان (٣٩٧) ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانفاع به أو

فهدى وأضل ولكن حذف وأضل اكتفاء بقوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قدر على (والذى أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب (جعله غشاء) يابس هشيم (أحوى) أسود فاحوى صفة لغشاء (سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (الامشاء الله) أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شيء الامشاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على التهمى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيل أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتدأه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وفي نفسك مما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح اسم ربك الأعلى) أى قل سبحان ربى الأعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربى الأعلى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزهة ربك الأعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزهة تسمية ربك الأعلى بان تذكرة وأنت له معظّم ولد ذكره محترم وقال ابن عباس سبح أى صل بامر ربك الأعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح اسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم أجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال أجعلوها في سجودكم أخرجه أبو داود (الذى خلق فسوى) أى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة (والذى قدر فهدى) قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى أى عرف كيف يأتى الذكر الاتى وقيل قدر مودة الجنين فى الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر أى أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيتها وهو قوله تعالى (والذى أخرج المرعى) أى أنبت العشب وما ترعاه الانعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك (جعله) يعنى المرعى بعد الخضرة (غشاء) أى هشيم يابس باليا كالغشاء الذى تراه فوق السبيل (أحوى) أى أسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويابس أسود ﴿قوله عز وجل (سنقرئك) أى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعنى ما يقرأ عليك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحي لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك (الامشاء الله) يعنى أن تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الامشاء الله أن تنساه ثم ذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحم الله لقد أذكركنى كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت أسقطهن من سورة كذا أخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسيه شيئا (انه يعلم الجهر) يعنى من القول والفعل (وما يخفى) يعنى من ما لا يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) أى نهون عليك أن تعمل خيرا ونسهل عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للسريرة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى أنه يعلم الجهر بما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤن فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أى نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) أى فحفظ بالقرآن (ان نفعك الذكري) أى مدة نفع الموعظة والتذكير والمعنى عطاك أنت وذكران نفعك الذكري أو لم تنفع انما عليك البلاغ (سيد كرى من يخشى) أى سيتعظ من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) أى

يدعوك الى الجهر أو ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان أو يعلم ما أسررت وما أعلنت من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحي وقيل للسريرة السمحة التى هى أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة (فذكر) عظم بالقرآن (ان نفعك الذكري) جواب ان مدلول قوله قد كرى قىل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكري فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على الاطلاق كقوله قد كرى انما أنت مذ كرى غير مشروط بالنفع (سيد كرى) سيتعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعد عن الذكري فلا يقبلها

(الاشقي) الكافر أو الذي هو أشقي الكفرة لتوغلته في عداوة رسول الله قبل نزلات في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الذي يصلي النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى (٣٩٨) نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذذ بها

وقيل ثم لان الترجيح بين الحياة والموت أقطع من الصلي فهو متراح عنه في مراتب الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تركي) تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذ كراسم ربه) وكبره لا فتاح (فصلي) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة لا فتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة عطف على ما عليها وهو يقتضي الغابرة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر معاده ووقوفه بين يدي ربه فصلي له عن الضحك وذ كراسم ربه في طريق المصلي فصلي صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفعلون والمخاطب به الكافرون دليلاً لقراءة أبي عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وأبقى) أفضل في نفسها وأدوم (ان هذا في الصحف الاولى) هذا إشارة الى قوله قد أفلح الى أبي أي ان معني هذا

الذكرى ويتباعد عنها (الاشقي) أي في علم الله تعالى (الذي يصلي النار الكبرى) أي النار العظيمة العظيمة وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) أي في النار فيستريح (ولا يحيى) أي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل (قد أفلح من تركي) أي تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكياً وقيل هو صدقة الفطر روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله قد أفلح من تركي قال أعطى صدقة الفطر (وذ كراسم ربه فصلي) قل خرج الى العيد فصلي وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فان قات نعم مضى الى المصلي وان قلت لا قال فالآن فاخرج فائت هذه الآية في هذا قد أفلح من تركي وذ كراسم ربه فصلي فان قلت فوجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطرقات يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال وأنت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لأدري أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم لم يشب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو أنه كان في علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فاخبر عنه وقيل وذ كراسم ربه فصلي يعني الصلوات الخمس وقيل أراد بالذ كرت كبريات العيد وبالصلوة صلاة العيد وقوله عز وجل (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) يعني ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وأتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرجة الاشج كنعان عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساءها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويب عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان أراد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان أراد بذلك المسامون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة وهو خير وأبقى (ان هذا) أي الذي ذكر من قوله قد أفلح من تركي الى هنا وهو أربع آيات (في الصحف الاولى) أي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تركي والمصلي وإشارته الى ان الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعني ان هذا القدر المذكور في صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في جميع صحف الانبياء التي منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور في هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه * عن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ان للمسجد تحية فقات وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قات يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا بأبازر أقرأ قد أفلح من تركي وذ كراسم ربه فصلي بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلاً كيف يطمئن عجت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل آخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيئاً * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعة ركعة أخرجه الترمذي والنسائي وعن عبد العزيز بن جريح قال

الكلام وار د في تلك الصحف أو الى ما في السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لانه جعله مذكوراً في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفي الاثر وفي صحف ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿هل﴾ بمعنى قد (أناك حديث الغاشية) الداهية التي تنفسي
الناس بشدائد ها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة وقيل النار من قوله وتنفسي وجوعهم النار (وجوه) أي وجوه

(٣٩٩)

الكفار وأما خص الوجه

لان الحزن والسرور اذا

استحكما في المرء أثر

في الوجه (يومئذ) يوم اد

غشيت (خاشعة) ذليلة لما

اعتري أصحابها من الخزي

والهوان (عاملة ناصبة)

تعمل في النار عملات تعب

فيه وهو حرها السلاسل

والاغلال وخوضها في النار

كما تخوض الابل في الوحل

وارتقاؤها دابة في صعود

من نار وهبوطها في حدود

منها وقيل عملت في الدنيا

أعمال السوء والتذت بها

وتعمت فهي في نصب

منها في الآخرة وقيل هم

أصحاب الصوامع ومعناه أنها

خشعت لله وعملت ونصبت

في أعمالها من الصوم

الدائب والتهجد الواصب

(نصلي ناراحية) ندخل

نارا قد أحييت مددا طويلا

فلا حر يعدل حرها نصلي

أبو عمرو وأبو بكر (تسقى

من عين آنية) من عين ماء

قد انتهى حرها والتأثنت

في هذه الصفات والافعال

راجع الى الوجوه والمراد

أصحابها بدليل قوله (ليس

لهم طعام الا من ضرير)

وهو نبت يقال له الشبرق

فاذا يبس فهو ضرير

قال سألنا عائشة بآي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك
الاعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائي
والترمذي وقال حديث حسن غريب والله أعلم

﴿تفسير سورة لغاشية﴾

﴿وهي مكية وست وعشرون آية واثنان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحد وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (هل أناك) أي قد أناك يا محمد (حديث الغاشية) يعني القيامة سميت غاشية لأنها تنفسي كل
شيء بأهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تنفسي وجوه الكفار (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة
(خاشعة) يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فغير بالجزء عن الكل ولان الوجه أشرف أعضاء الانسان فغير
به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان
وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهاد في ضلالة بل يدخلون النار يوم
القيامة ومعنى النصب الدؤب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما
الرواية الاولى فانها تختص بمن أحدث في دين الاسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه
وأما الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل في دين الاسلام أو غير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن
تابعنا صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة
ناصبة في النار لانهم لم يعمل لله في الدنيا فعملها وأنصبها في النار بمخالطة السلاسل والاغلال وهي رواية عن
ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار
وقيل يكفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى (نصلي ناراحية) قال ابن عباس قد حيت
فهي تالطي على أعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم
منذ خلقت لو وقعت منها فطرة على جبال الدنيا لذابت في دفعون بها ورد اعطاشا فهداشرا بهم ثم ذكر
طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام الا من ضرير) قيل هو نبت ذو شوك لا طعم بالارض تسميه قر يش
الشبرق فاذا هاج سموه الضرير وهو أخبث طعام وأبشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقر به
دابة وقيل الضرير في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في
الحديث عن ابن عباس يرفعه الضرير في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأثن من الجيفة وأشد
حر من النار قال أبو الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من
العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضرير ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا
يجيرون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية ثم بقة لا هنيئة
ولا مريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعوا ذلك قوله تعالى
وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على
الضرير وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تأكله فانزل الله تعالى (لا يسمن ولا يغني من
جوع) يعني ان هذا الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الانسان على أكله فهو اذا لا يسمن

وهو سم قاتل والعذاب ألوان والمعذبون طبقات ففهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضرير فلاتناقض بين هذه الآية
وبين قوله ولا طعام الا من غسيلين (لا يسمن) مجرور المحل لانه وصف ضرير (ولا يغني من جوع) أي منفعنا العذاب منتفيتان عنه وهما
اماطة الجوع وافادة السمن في البدن

(وجوه بومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متعنة في لين العيش (لسعيها راضية) رضية بعملها وطاعتها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب (في جنة عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (فيها لاغية) أي لغوا أو كلمة ذات (٤٠٠) لغوا ونفسا تلغوا لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وجد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم

ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية انه لا طعام لهم الا من ضريع وذ كر في موضع آخر انه لا طعام لهم الا من غسيلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسيلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى (وجوه بومئذ ناعمة) أي متعنة ذات بهجة وحسن وزعامة وكرامة (لسعيها راضية) أي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حيث أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية) قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض (لا تسمع فيها لاغية) أي ليس فيها لغو ولا باطل (فيها عين جارية) على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يحج أهلها فاذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى مواضعها (وأكواب) يعني الكيزان التي لاعراها (موضوعة) يعني عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة (ونمارق مصفوفة) يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض أيما أراد أن يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى الأخرى (وزرابي) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خجل واحدتها زربية (مبنوثة) أي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل (أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت وانما بدأ بالأبل لانها من أنفس أموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لأهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الأبل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهد الفيل الا النادر منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نضعها فانزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في العجوبة فقال أما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دمه والأبل أعز مال للعرب وأنفسه تاكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الأبل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات باشياء وذلك أن جميع الحيوانات انما تقتنى امالازينة أو للركوب أو للحمل أو للبن أو لاجل اللحم ولا توجد جميع هذه الخصال الا في الأبل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويأكل من لحما اللحم الفقير وتصبر على العطش عدة أيام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها رعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الأبل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الأبل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذلك الا بل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيد وقدرته وانه هو

لا يسمع فيها لاغية مكى وأبو عمرو لا تسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن يجلسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وأكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين أيديهم لينلذوا بها بالنظر اليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أيما أراد أن يجلس جلس على موسدة واستند الى الأخرى (وزرابي) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مبنوثة) مبسوطة أو مفرقة في المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بان ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوع لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق

وكذا وعرض الزرابي كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثرا لاكواب هذه الكثرة وطول النمارق هذا الطول وبسط الزرابي هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك في الدنيا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت) طويلا ثم تبرك حتى تتركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذلك السرير يطأطي للمؤمن كما يطأطي الأبل الخالق

(والى السماء كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا اسلاك وعمد ثم نجومها أكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذلك الاكواب
(والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا تهيئ وتوطئة
فهي كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابى ويجوز أن يكون المعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة
الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقاءه وتخصيص هذه الاربع باعتبار ان هذا
خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما أكثر مشاهدته له والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها الى السماء
والارض والجبال والابل فهي أعز اموالهم وهم لها أكثر استعمالا (٤٠١) منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع

جميع المآرب المطلوبة
من الحيوان وهي النسل
والدر والجل والركوب
والاكل بخلاف غيرها فانه
سحرها منقادة لكل من
اقتادها بازمتها لاتعاز
ضعيفا ولا تمنع صغيرا
برأها طول الاعناق لتتو
الاقار وجعلها بحيث تبرك
حتى تحمل عن قرب
ويسر ثم تهض بما حلت
وتجرها الى البلاد الشاخطة
وصبرها على احتمال العطش
حتى ان ظمأها يرتفع الى
العشر فصاعدا وجعلها
ترعى كل نابت في البرارى
عما لا يرعا سائر البهائم
(فذكر) هم بالادلة
ليتفكروا فيها (انما أنت
مذكر) ليس عليك الا
التبليغ (لست عليهم
بمسيطر) بمسائط كقوله
وما أنت عليهم بمجبار
بمسيطر مدنى وبصرى

الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من أعظم شئ عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها
ظعنا واسفار اذ كرههم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا ابدأ بها ولانها من أعجب الحيوانات عندهم (والى السماء
كيف رفعت) يعنى فوق الارض بغير عمد ولا بناطلي (والى الجبال كيف نصبت) أى على الارض نصبا
ثابتا راسخا لا يزول (والى الارض كيف سطحت) أى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شئ
قال ابن عباس المعنى هل يقدر أحد أن يخاق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح
مثل الارض غير الله القادر على كل شئ ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبر واو لم يتفكر وا فيها
خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (فذكر انما أنت مذكر) أى فقط انما أنت واعظ (لست عليهم
بمسيطر) أى بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال (الامن تولى وكفر)
استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو ان
يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر
في كانت النار اكبر من هذا كله (ان الينا ايابهم) أى رجوعهم بعد الموت (ثم ان علينا حسابهم) يعنى
جزاءهم بعد الرجوع الينا والله أعلم

﴿تفسير سورة الفجر وهي مكية وتسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية﴾

﴿ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي انها
دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبث على الشكر واختلفوا في
معاني هذه الالفاظ فروى عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم أقسم الله تعالى به لما
يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر
الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا انه صلاة الفجر والمعنى انه أقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح
النهار ولانها مشهودة يشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول
يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذى الحجة لانه قرن به الليالى العشر وقيل هو فجر يوم النحر
لان فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات (وايام عشر) قيل انما ذكرها لما فيها من الفضل والشرف الذى
لا يحصل في غيرها روى عن ابن عباس انها العشر الاول من ذى الحجة لانها أيام الاشتغال بأعمال الحج وأخرج

(٥١ - (خازن) - رابع) وعلى وعاصم (الامن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء منقطع أى لست

بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان الله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء
من قوله فذكر أى فذكر الامن انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (ان الينا ايابهم) رجوعهم
وفائدة تقديم الطرف الشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم
ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى لتأ كيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شئ ﴿سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والفجر) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا أسفروا بصلاة الفجر (وليام عشر) عشر
ذى الحجة أو العشر الاول من المحرم أو الآخر من رمضان وانما ذكرت لزيادة فضيلتها

(والشفع والوتر) شفع كل الاشياء ووترها أو شفع هذه الليالي ووترها أو شفع الصلاة ووترها أو يوم النحر لأنه اليوم العاشر ويوم عرفة لأنه اليوم التاسع أو الخلق والخلق والوتر حزة وعلى وفتح الواو غيرهما وهما الغتان فالفتح حجازي والكسر نيمى وبعدهما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل) قيل أر يدبه ليلة القدر (أذايسر) اذا مضى ويايسر تحذف في الدرجا كتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الاخفش عن (٤٠٢) سقوط الياء فقال لا حتى تخدمنى سنة فسأله بعد سنة فقال الليل لايسرى انما يسرى

الترمذى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيهن أحب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وشد منزله وأيقظ أهله يعنى للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن أبى سعيد الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالإيمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلاثم عليه ومن تأخر فلاثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر لليوم الذى لايلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدره والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفرد بها عز بلاذل وقدره بلاعجز وقوة بلاضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذايسر) أى اذا سار وذهب وقيل اذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه (هل فى ذلك) أى فيما ذكر (قسم) مقنع ومكتفى فى القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لدى شجر) أى الذى عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى وأصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الامن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه شجر على نفسه ومنعها ما تر يد والمعنى ان من كان ذالبا وعقلا علم ان ما أقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وروى بويته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى ألم تركيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذب الكافر يدل عليه قوله تعالى ألم تركيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله ألم تركيف فعل ربك أى ألم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن

فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) أى مقسم به (لدى شجر) عقل سمي به لانه يحجر عن التفات فيما لا ينبغى كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى بريد هل تحقق عنده ان تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها وهل فى اقسامها اقسام لذي شجر أى هل هو قسم عظيم يؤكده بمثله المقسم عليه أو هل فى القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذب بن يدل عليه قوله ألم ترى الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (ألم تركيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) أى ألم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن

نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدتهم ولمن بعدهم عاد الاخرة ابن فارس عطف بيان لعاد وايدان أنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت وأرضها للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدو بين أهل عمد وطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين

له ملوكها فسمع بذلك
الجنة فقال أنى مثلها فبنى
ارم في بعض صحارى عدن
في ثلثمائة سنة وكان عمره
تسعمائة سنة وهي مدينة
عظيمة قصورها من الذهب
والفضة وأساطينها من
الزبرجد والياقوت وفيها
أصناف الاشجار والانهار
ولم يتم بناؤها سارا اليها باهل
ملكته فلما كان منها على
مسيرة يوم وليلة بعث الله
عليهم صيحة من السماء
فهلكوا وعن عبد الله بن
قلاية أنه خرج في طلب ابل
له فوقع عليها فحمل ما قدر
عليه مما لم يبلغ خبره
معاوية فاستحضره فقص
عليه فبعث الى كعب فسأله
فقال هي ارم ذات العماد
وسيد خلهار جل من
المسلمين في زمانك أحر
أشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عقبه خال يخرج
في طلب ابل له ثم التفت
فابصر ابن قلاية فقال هذا
والله ذلك الرجل (التي لم
يخلق مثلها في البلاد) أي
مثل عاد في قوتهم وطول
قامتهم كان طول الرجل
منهم أربع مائة ذراع ولم
يخلق مثل مدينة شداد في
جميع بلاد الدنيا (وثمود
الذين جابوا الصخر) قطعوا
صخر الجبال واتخذوا

ابن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عاد السمل للقبيلة لقوله تعالى وأنه أهلك عاد الأولى وارم هو جد
عاد على ما ذكر في نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارم هم
قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن
شيم بن سام بن نوح وقال السكبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة وكان
يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك عاد وثمود وأبقى أهل السواد وأهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات
العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد
الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود وبيس
رجعوا الى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى (التي لم يخلق
مثلها في البلاد) وسموا ذات العماد لانهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والسكبي ورواية ابن
عباس وقيل سمو ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان طول أحدهم
اثني عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين
قالوا من أشد مناقرة وقيل سمو ذات العماد لبناء بناء بعضهم فشيدهم ورفعه بناءه وقيل كان لعاد ابنان
شداد وشديد فلكا بعد وقهر البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فلذلك الدنيا وادانت له ملوكها
وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذلك الجنة وصفها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبوا
روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلاية أنه خرج في طلب ابل له شردت فيبناها هو يسير في صحارى عدن اذ
وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها أحدا يسأله
عن ابله فلم ير خارجا ولا داخل فزحل عن دابته وعلقها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين
عظيمين وهما امر صعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد
مثالها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأشجار اللؤلؤ
والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصارع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ
وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة اشجار
مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار مطردة تجري مأوها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وجل
معه من لؤلؤ وراياها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ
ذلك معاوية فإرسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما
أنا قال له يا أبا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال
خذ ثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عابها مائة فهرمان مع كل فهرمان ألف من الاعوان
وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسرون في الارض ليجدوا
أرضا موافقة فوققوا على صحراء نقيية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالتوا هذه الارض التي أمر
الملك ان يبنى فيها فوضعوا أساسها من الجرع اليماني وأقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة
سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر
ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن ينهيوا للنقلة الى
أرم ذات العماد وكان الملك وأهله في جهازهم عشرين سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم
وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب
وسيد خلهار جل من المسلمين في زمانك أحر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل
له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلاية فقال هذا والله ذلك الرجل ﴿قوله عز وجل﴾ (وثمود) أي وفعل ثمود مثل
ما فعل بعاد (الذين جابوا) أي قطعوا (الصخر) أي الحجر (بالواد) يعني بوادي القرى وكانت ثمود أول من

فيها يوتأ قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبع مائة مدينة كلها من الحجارة (بالواد) بوادي القرى

قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا (وفرعون ذى الاوتاد) سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضر بونها اذ انزلوا وقيل معناه ذى الملك كما قيل

* في ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهي امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فيبناها ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت الهى اواله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقالت له فقامت ودخلت على ابيها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فساها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالله اك وأقرى انى الهك قالت لا أفعل فغدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها كفرى بالله والاعذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها بنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبها على قلبها ثم قال اكفرى بالله والاذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لودبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله عز وجل فاتى بابنتها فلما أضجعت على صدرها وارادواذبها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا فى المهد صغارا اطفالا وقالت يا امه لا تجزعى فان الله قد بنى لك بيتا فى الجنة فاصبرى فانك تقضى الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث فى طلب زوجها حزقيل فلم يقدر واعليه فقيل لفرعون انه قد روى فى موضع كذا فى جبل كذا فبعث رجلين فى طلبه فاتمى اليه الرجلان وهو يصلى وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم انى كتمت ايمانى مائة سنة ولم يظهر على احد فابما هذين الرجلين كتم على فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وايمانه هذين الرجلين اظهر على فجعل عقوبته فى الدنيا واجعل مصيره فى الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وآمن واما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملأ فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعابه فقال احق ما يقول هذا قال ما رأيت مما يقول شيئا فاعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعنى أن أصبر على ما يأتى فرعون وانما سلمة وفرعون كافر فيبناها كذا كذا ثم امر نفسه اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشرا خلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعن بك الجنون الذى كان بها قالت ما منى من جنون وان الهها والهك والهى واله السموات والارض واحد لا شريك له فبصق عليها وضر بها وارسل الى ابيها وامها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذى كان بالماشطة أصابها قالت يا عوذ بالله من ذلك انى أشهد أن ربى وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها أبوها آسية ألسنت من خير نساء العالمين وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولاله أن يتوجنى تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكوكب حوله فقال لهما فرعون اخرجاعنى ثم مدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله روحها وأدخلها الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (الذين طغوا فى البلاد) يعنى عاد واثمود وفرعون عملوا بالمعاصي ونجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فاكثروا فيها الفساد) يعنى القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام

(وفرعون ذى الاوتاد)
أى ذى الجنود الكثيرة
وكانت لهم مضارب كثيرة
يضر بونها اذ انزلوا وقيل
كان له اوتاد يعذب الناس
بها كما فعل بأسية (الذين)
فى محل النصب على الدم أو
الرفع على هم الذين أو الجرح
على وصف المذكورين
عاد واثمود وفرعون (طغوا
فى البلاد) تجاوزوا الحد
(فاكثروا فيها الفساد)
بالكفر والقتل والظلم

(فصب عليهم بك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام أي عذبوا عذاباً مؤلماً دائماً (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا خيرا وان شرا فشر (فاما الانسان اذا ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربني اكرم من واما اذا ما ابتلاه فقد رزقه) أي ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته فقد رشامى ويزيد (فيقول ربني اهانن) أي الواجب ان ربه بالمرصاد ان يسعى للعاقبة ولاتهم العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربني اكرم مني أي فضلي عما أعطاني فبري الا كرام في كثرة الخط من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقد رزقه ليصبر قال (٤٠٥) رب اهانني فبري الهوان في قلة الحظ من الدنيا

لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) أي ليس الا كرام والاهانة في كثرة المال وقلته بل الا كرام في توفيق الطاعة والاهانة في الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدأ الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في امان من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فاما الانسان فقائل ربني اكرم مني وقت الابتلاء وكذا فيقول الثاني خبر لمبتدأ تقديره واما هو اذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايشكر أم يجزع ونحوه قوله تعالى

الاثم (فصب عليهم بك سوط عذاب) يعني لو ان من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان أصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجري ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى أسواط كثيرة فاخذهم بسوط منها (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته أحد وقيل عليه من الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وأمره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد أعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقد قيل أرصد النار على طريقهم حتى تهلكهم قوله عز وجل (فاما الانسان اذا ما ابتلاه) أي امتحنه (ربه) أي بالنعمة (فاكرمه) أي بالمال (ونعمه) أي بما وسع عليه (فيقول ربني اكرم مني) أي بما أعطاني من المال والنعمة (واما اذا ما ابتلاه) يعني بالفقر (فقد رزقه) أي فضيق عليه وقيل قدر (رزقه) أي وقد أعطاه ما يكفيه (فيقول ربني اهانن) أي أزانى بالفقر قيل نزلت في أمية بن خلف الجحفي الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) أي ليس الامر كذلك أي لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لالكرامته ويضيق على المؤمن لهوانه لكن لا امر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من أصناف المال ليختبره ايشكر أم يكفر ويضيق عليه ليختبره ايشكر أم يضجر ويقلق (بل لا يكرمون اليتيم) أي لا يعطونه حقه الثابت له في الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيم في حجر أمية ابن خلف فكان يدفعه عن حقه (ولا يحضون على طعام المسكين) أي لا يطعمون مسكينا ولا يأمرؤن باطعامه وقرئ ولا يحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (ويا كلون التراث) أي الميراث (أ كلا لما) أي شديد والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان ويا كلون نصيبهم وقيل الآكل اللام الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل أحلال ام حرام فيأكل الذي له ولغيره (ويحبون المال حبا جما) أي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به وبجبه (كلا) أي لا ينبغي أن يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما أمروا به من اكرام اليتيم وغيره من

ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما أنكر قوله ربني اكرم مني مع أنه أثبت به بقوله فاكرمه لانه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبت به وهو قصده ان الله أعطاه ما أعطاه اكرامه لاستحقاقه كقوله انما أوتيته على علم عندي وانما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) أي بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث) أي الميراث (أ كلا لما) ذالم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويا كلون تراهم مع تراهم (وتحبون المال) يقال حبه وأحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديد امع الحرص ومنع الحقوق ربني سحازي وأبو عمرو ويكرمون ولا يحضون ويا كلون ويحبون بصري (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار له عليهم ثم أتى بالوعيد وذكروا تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال

(اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعددك أي كرر عليها ذلك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (والملك صفا صفا) أي ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محرقين بالجن والانس (وجي يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت (٤٠٦) الجحيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون

المسلمين ثم أخبر عن تلافهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) أي دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شيء (وجاء ربك) اعلم ان هذه الآية من آيات الصفات التي سكنت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأويلها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد من تأويل الآية فقيل في تأويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئها لتفخيم تلك الآيات (والملك صفا صفا) أي تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محرقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وجي يومئذ) يعني يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود في هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تعيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعني يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) أي يتعظ الكافر ويتوب (وأني له الذكرى) يعني أنه يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول يا ليتني قدمت لحياي) أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياي في الآخرة التي لاموت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وثاقه أحد) يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق هو الاسر في السلاسل والاغلال وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق وثاقه أحد وهو أمة بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل (يا أيها النفس المطمئنة) أي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التي قد أيقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله وقيل هي الآمنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله قيل نزلت في حزة ابن عبد المطالب حين استشهد باحد وقيل في خبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشتري بئر رومة وسبيلها وقيل في أنى بكر الصديق والاصح ان الآية عامة في كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجى الى ربك) أي الى ما وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجهما من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال ارجى أيها النفس المطمئنة ارجى الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتفتح لها ولا يملك الاصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهلها اليه واذا توفى الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أي من كساء أنثى من كل نثن وأخشن من كل خشن فيقال أيها النفس

ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) أي يتعظ (وأني له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى (يقول يا ليتني قدمت لحياي) هذه وهي حياة الآخرة أي يا ليتني قدمت الاعمال الصالحة في الحياة الفانية لحياي الباقية (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه أحد) قال صاحب الكشف لا يعذب أحد أحدا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحد كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها أبو عمرو في آخر عمره الضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أي بن خاف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيته في كفره وعناده ثم يقول الله تعالى

للمؤمن (يا أيها النفس) اكرامه كما كام موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (المطمئنة) الخبيثة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة والمطمئنة الى الحق التي سكنها نالغ اليقين فلا يخالجه شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابى يا أيها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت وعند البعث أو عند دخول الجنة (ارجى الى) موعد (ربك) أو ثواب ربك

(راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين فانتظمي في سلكهم (وادخلي جنتي) معهم وقال أبو عبيدة أي مع عبادي أو بين عبادي أي خواصي كما قال وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي كقراءة عبد الله بن مسعود في جسد عبيد ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل في أعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدرك من تلاها قيل نزلت (٤٠٧) في حزة بن عبد المطاب وقيل في خبيب الذي

صلبه أهل مكة وقيل هي عامة في المؤمنين إذا عبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم (لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق

مغمورا في مكابد المشاق واعترض بين القسم

والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أي ومن المكابدة أن مثلك على

عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل

الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن

يقتلوا بها صيدا ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه

تشبیه لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد

من أهل مكة وتنجيب من حالهم في عداوته أو سلب

رسول الله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من

مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة

الخبيثة أخرجني إلى جهنم وعذاب ألم وركبك عليك غضبان وقيل في معنى قوله أرجعي إلى ربك أي إلى صاحبك وهو الجسد وإنما يقال لهذا ذلك عند البعث فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى أجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل أرجعي إلى ثواب ربك وكرامته (راضية) أي عن الله بما أعد لك (مرضية) أي رضى الله عنها وقيل لها في الدنيا أرجعي إلى ربك راضية مرضية فإذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلي في عبادي) أي في جملة عبادي الصالحين المصطفين (وادخلي جنتي) قال سعيد بن جبیر مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل أعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرك من تلاها يأتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض أهل الإشارة في تفسير هذه الآية يأتها النفس المطمئنة إلى الدنيا أرجعي إلى ربك بتركها والرجوع إليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم

تفسير سورة البلد

وهي مكية وعشرون آية واثنان وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (لا أقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لا أقسم في أول سورة القيامة والبلد هي مكة في قول جميع المفسرين (وأنت حل بهذا البلد) أي مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من أجل أنه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل أي حلال والمعنى أحلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس من الأثم في استحلها أحل الله عز وجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن أخطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صباة رغيرهما وأحل دمهما قوم وحرم دمهما قوم آخرين فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابها فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ولم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة والمعنى إن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل في معنى قوله وأنت حل بهذا البلد أي أنهم يحرمون أن يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه وإخراجك منه (والد وما ولد) يعني آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبادم وبالأنبياء والصالحين من ذريته لأن الكافر وإن كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه أيضا قال في شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وأصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وعن ابن عباس أيضا قال الكبد

تحمي للنفس والتنفس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد أي وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك إن الله تعالى فتح عليه مكة وأحاطها وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صباة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ونظير قوله وأنت حل في الاستقبال قوله إنك ميت وإنهم ميتون وكفاك دليلا على أنه لا استقبال إن السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فالفتح (والد وما ولد) هما آدم وولده أوكل والدو ولده إبراهيم وولده وما يعني من أو بمعنى الذي (لقد خلقنا الإنسان) جواب القسم (في كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذي النون لم يزل

منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم - فلو جعلت الواو في والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جوا اذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان في الدار زيد او الحجر عمر او اجيب بان واو القسم نزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصباً وجوا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمر او بكر خالد افرغ بالواو وتنصب (٤١٠) لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملها ما فكذا هنا وما مصدرية في (والسما وما

بناها والارض وما طحاها
ونفس وما سواها) أي
وبناها وطحوها أي
بسطها وتسوية خلقها في
أحسن صورة عند البعض
وليس بالوجه لقوله فآلهما
لما فيه من فساد النظم
والوجه أن تكون
موصولة وانما أو ثرت على
من لارادة معنى الوصفية
كانه قيل والسماء والقادر
العظيم الذي بناها ونفس
والحكيم الباهر الحكمة
الذي سواها وانما انكرت
النفس لانه أراد نفسا خاصة
من بين النفوس وهي نفس
آدم كانه قال وواحدة من
النفوس أو أراد كل نفس
والتكبير للتكثير كما في
علمت نفس (فآلهما
جفورها وتقواها) فاعلمها
طاعتها ومعصيتها أي
أفهمها ان أحدهما حسن
والآخر قبيح (قد أفلح)
جواب القسم والتقدير
لقد أفلح قال الزجاج صار
طول الكلام عوضا عن
اللام وقيل الجواب محذوف
وهو الاظهر تقديره
ليمدد من الله عليهم أي على

حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسما وما بناها) أي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كأنه أقسم به وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر أي والسماء وبناها (والارض وما طحاها) أي بسطها واسطحها على الماء (ونفس وما سواها) أي عدل خلقها وسوى أعضائها هذا ان أراد بالنفس الجسد وان أراد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطائها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسماعة والباصرة والمفكرة والخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن (فآلهما جفورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تاتي وما تنقي وقيل ألزمها جفورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الاسود الدبلي قال قال عمر ان بن حصين أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون ظمنا قال ففزع من ذلك فزع شديد اوقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يستل عما يفعل وهم يسئلون فقال لي يرحمك الله اني لم أردد بما سألتك الا لاخبر عقلك ان رجلين من مريضة أتيار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا ليارسول الله أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فآلهما جفورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراق بن مالك بن جعشم فقال ليارسول الله بين لنادينا كاتنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعد الشرفها ومصالح العامل بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعد ها وأورد على هذا القول انه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وبناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير رب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز وأجيب عنه بأن ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد أفلح من زكاهها) المعنى لقد أفلح من زكاهها أي فازت وسعدت نفس زكاهها الله أي أصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس الشيء اذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخساره من خذله وأضله حتى لا يظن أحدا أنه يتولى تطهير نفسه أو اهلاؤها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والحرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها

أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مدم على نمود لا لهم كذبوا صالحوها ما قد أفلح فكلام تابع أنت
لقوله فآلهما جفورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء (من زكاهها) طهرها الله وأصلحها وجعلها زكية (وقد خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة أفلحت نفس زكاهها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس والباء بدل من السين المكررة

(كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذا حامل لهم على التكذيب طغيانهم (اذ انبعث) حين قام يعقر الناقة (اشقهاها) اشقى ثمود فدار بن سالف وكان اشقر أزرق قصيرا واذ منصوب بكذبت أو بالظغوى (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) نصب على التحذير رأى احذروا عقرها (وسقياها) كقولك الاسد الاسد (فكذبوه) فيما حذرهم (٤١١) منه من نزول العذاب ان فعلوا (فعقروها) أى

الناقة أسند الفعل اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربه) أهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمه عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أى فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعه من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل فى ملكه وملكه لا يستل عما يفعل وهم يستلون فلا يخاف مدنى وشامى

﴿ سورة الليل احدى وعشرون آية مكية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (واللّيل اذا يغشى) المغطى اما الشمس من قوله واللّيل اذا يشعها والنهار من قوله يغشى الليل النهار أو كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلّى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذّكروا الانثى) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذّكر

أنت خير من زكاتها أنت وإيها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) أى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (اذ انبعث اشقهاها) أى قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر أزرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقهاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى أهله مثل أبى زمعة لفظ البخارى قوله عارم أى شديد متمنع ﴿ قوله تعالى ﴾ (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) أى ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما أضافها الى الله تعالى اشرفها كبيت الله (وسقياها) أى وشربها أى وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعنى صالحا (فعقروها) يعنى الناقة (فدمدم عليهم ربه) أى فدمر عليهم ربه وأهلكهم والدمدمه هلاك استئصال وقيل دمدم أى أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم أحد (بذنبهم) أى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) أى فسوى الدمدمه عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) أى لا يخاف الله تبعه من أحد فى هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبي ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسبب ذلك والله أعلم

﴿ تفسير سورة الليل ﴾

وهي مكية واحدة وعشرون آية واحدة وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴾ (واللّيل اذا يغشى) أى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله (والنهار اذا تجلّى) أى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق (وما خلق الذّكروا الانثى) أى ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذّكروا الانثى من ماء واحد ان أراده به جنس الذّكروا الانثى وقيل هما آدم وحواء وانما أقسم بهما لانه تعالى ابتداء خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) أى ان أعمالكم مختلفة فساع فى فكالك نفسه وساع فى عطهاروى أبو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله مو بفتحها أى مهلكها ﴿ قوله تعالى ﴾ (فامان أعطى) أى أنفق ماله فى سبيل الله عز وجل (واتقى) أى ربه وفيه إشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف به أى أيقن ان الله سيخلف عليه ما أنفق فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بوعده الله عز وجل الذى وعده أنه يشيبه (فسندسره)

والانثى من ماء واحد وجواب القسم (ان سعيكم لشتى) ان أعمالكم مختلفة وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فامان أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام أو بالثبوت الحسنى وهي الجنة أو بالكلمة الحسنى وهي لا اله الا الله (فسندسره)

البسري) فسنيه للخلعة اليسرى وهي العمل بما يرضاه ربه (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) (٤١٢) بالاسلام أو الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلعة المؤدية الى النار فتكون الطاعة أعسر شئ

عليه وأشد أو سمي طريقة
الخبر باليسرى لان عاقبتها
البسر وطريقة الشر
بالعسرى لان عاقبتها العسر
أو أراد بهما طريق الجنة
والنار (وما يغنى عنه ماله
إذا تردى) ولم ينفعه ماله
إذا هلك وتردى تفعل من
الردى وهو الهلاك أو
تردى في القبر أو في قعر
جهنم أي سقط (ان علينا
للهدى) ان علينا الارشاد
الى الحق بنصب الدلائل
وبيان الشرائع (وان لنا
للاخرة والاولى) فلا
يضرنا ضلال من ضل ولا
ينفعنا اهتداء من اهتدى
أو أنهم لنا فن طلبهم من
غيرنا فقد أخطأ الطريق
(فانذرتكم) خوفكم
(نارا تلظى) تلهب (لا
يصلها) لا بدخاها بالخلود
فيها (الا لا شقى الذى كذب
وتولى) الا الكافر الذى
كذب الرسل وأعرض
عن الايمان (وسيجنبها)
وسيعبد منها (الاتى)
المؤمن (الذى يؤتى ماله)
للفقراء (يتزكى) من
الزكاة أي يطلب أن يكون
عند الله زاكيا لا يريد به
رياء ولا سمعة أو يتفعل
من الزكاة ويتزكى ان

فسنيه في الدنيا (لليسرى) أي للخلعة والفعله اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله ﷻ قوله عز وجل (وأما من
بخل) أي بالنفقة في الخير والطاعة (واستغنى) أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) أي
بلا اله الا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب (فسنيسره للعسرى) أي فسنيه للشر بان
نجر به على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه أن يأتى خيرا وفي
الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى
ووجوب العمل بما سبق له في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قال كنا في جنازة في
بقيع الغرق فانا نارسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه مخصرة فذكر كس وجعل ينكت
بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ثم زاد مسلم والا وقد كتبت
شقية أو سعيدة فقالوا يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا وندع العمل فقال اعموا فكل ميسر لما خلق له
أما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل
الشقاوة ثم قرأ فما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب
بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت
بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك أو غيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق
وذلك أنه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردوة وعشرة أواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى
الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعى أبي بكر وأمие بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار
رجل فقهره عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فر بما سقطت التمرة فيأخذها
صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم وان وجدها في فم أحدهم أدخل
أصبعه في فيه حتى يخرجها فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقى النبي صلى الله عليه
وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل ان
لي نخلا وما فيه أعجب الى منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل
لك أن تبيعها بحش يعني حاطاله فيه نخل فقال هي لك فأتى أبو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله تشترىها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل
الفقير جارا الانصارى صاحب النخلة قال خذها لك واعيا لك فانزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف
لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة
وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في أبي بكر الصديق وأمие بن خلف لان سياق الآيات يقتضى ذلك
ﷻ قوله عز وجل (وما يغنى عنه ماله) أي الذى بخل به (إذا تردى) أي اذا مات وقيل هوى في جهنم (ان
علينا للهدى) أي ان علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ماله محسن من
اليسرى وماله مسيء من العسرى أخبرهم أن يسده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان
علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذلك كراهة المعنى ارشاد ولباى الى العمل بطاعتي وأصرف أعدائي
عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للاخرة والاولى) أي لنا في
الدنيا والآخرة فن طلبهم من غير مال كهمما فقد أخطأ الطريق (فانذرتكم) أي يا أهل مكة (نارا تلظى) أي
تتوقد وتتوهج (لا يصلها الا الاشقى) يعني الشقى (الذى كذب) يعني الرسل (وتولى) أي عن الايمان
(وسيجنبها الاتى) يعني التتى (لذى يؤتى) أي يعطى (ماله يتزكى) أي يطلب عند الله أن يكون زاكيا

لا يطلب بما ينفعه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يتباع الضعفاء فيعتقهم فقال له أبو هريرة أي بني لو كنت بتباع من يمنع ظهرك قال منع ظهري أريد فانزل الله وسيجزيها الاتقي إلى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بني جح وهو بلال بن رباح واسم أمه حامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجها إذا حيت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك أحدًا أحدًا قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوم ما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جح فقال لأمية ألا اتقي الله في هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعلى عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك أعطيكه قال قد فعلت فاعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالاً فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهيد بدر وأحدًا وقتل يوم بدر معونة شهيد أو أم عيمس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قریش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكاتلا امرأة من بني عبد الدار فراكها أبو بكر وقد بعثت ماسيدتهم ما يحتطبان لها وهي تقول والله لأعتقها أبداً فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فاعتقهما قال فيكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وما وهما حران ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها وأعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالاً وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق أبي بكر إياهم وكان اسم أبي بكر عتيقا فقال في ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا وأخزي فاكها وأباجهل
عشية هما في بلال بسواة * ولم يحذرا ما يحذر المرء ذوالعقل
بتوحيده رب الانام وقوله * شهدت بان الله ربى على مهل
فان تقتلوني فاقتلوني فلم أكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب ابراهيم والعبد يونس * وموسى وعيسى نجنى ثم لا تملى
لمن ظل بهوى النوى من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لابن بكر في بلال حين قال له أتبيعته قال نعم أبيعته بنسطاس عبد لابن بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله فإني فابغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعته بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر بلال الأليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل (وما لاحد عنده) أي عند ابن بكر (من نعمة تجزى) أي من يد يكافئه عليها (الابتغاء وجهه به الأعلى) أي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجهه به الأعلى وطلب مرضاته (واسوف يرضى) أي بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم

﴿تفسير سورة الضحى﴾

وهي مكية واحدة عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الضحى) اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى لا رجوان يكون شيطانك قد تركك لم أره قر بك ليلتين أو ثلاثا فانزل الله عز وجل والضحى

بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه نكر النار فاراد ناراً مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجزيها الاتقى لان التقى يحجب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد أن يبالغ في صفتهم ما فقل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل وأبو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لا يدخل النار الا كافر (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) الا ابتغاء وجهه به (أى وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا أن يفعل فعلا يتغنى به وجهه به فيجازه عليه) (الأعلى) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه وبرهانه ولم يرد به العلون حيث المكان فذا آية الحدان (ولسوف يرضى) موعده بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام واسوف يعطيك ربك فترضى

﴿سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار

حين ترتفع الشمس وأما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجداً والنهار كله لمقابله بالليل في قوله (والليل إذا سجي) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ما ودعك ربك وما قلى) ما تركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارق فقد بالغ في تركك روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً فقال المشركون إن محمداً ودعهم به وقلاه فنزل وحذف الضمير من قلى كخذه من الذاكرات في قوله والذاكركين الله كثير والذاكرات يريد والذاكراة (٤١٤) ونحوه فآوى فآغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف (وللاخرة خير لك

من الأولى) أى ما أعد الله لك في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك في الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله أنه لما كان في ضمن نبي التوديع والقلبي أن الله مواسلك بالوحي اليك وإنك حبيب الله ولا نرى كرامة أعظم من ذلك أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك لتقديمه على الانبياء وشهادة أمته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم إذا لأرضى قط وواحد من أمتي في النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ المحذوف تقديره ولأن سوف يعطيك ونحوه لا قسم فيمن قرأ كذلك لأن المعنى لانا أقسم وهذا لأنها إذا كانت لام قسم لا تدخل على المضارع الامع نون

والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى وأخرجه الترمذي عن جندب قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت أصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

قال فباطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل إن المرأة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي أم جليل امرأة أبي لطب القول الثاني قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين وأصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن أسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه أن جروا كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبطائه فقال أنا لاندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنا عشر يوماً وقال ابن عباس خمسة عشر يوماً وقيل أربعون يوماً فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إني كنت اليك أشد شوقاً ولاكني عبداً مأموراً ونزل وما تنزل إلا بأمر ربك وأنزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل أراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل كله في قوله والليل إذا سجي وقيل وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء (والليل إذا سجي) قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه إذا ذهب وقيل معناه غطي كل شيء بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجي وجواب القسم قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) أى ما تركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وإنما قال قلى ولم يقل فلاك لموافقة رؤس الآي وقيل معناه وما قلى أحداً من أصحابك ومن هو على دينك إلى يوم القيامة (وللاخرة خير لك من الأولى) أى الذي أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من الذي أعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هي الشفاعة في أمة حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد واسأله ما يبكيك وهو أعلم فأتى جبريل وسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ٣ وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد وقل له أنا سئريك في أمتك ولأنسوؤك (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتجمل كل نبي دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً عن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني آت من عند ربى يخبرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة إن شاء الله

تعالى

التوكيد فيتعين أن تكون لام ابتداء ولا لام الابتداء لا تدخل الاعلى المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر

كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشف وذ كر صاحب الكشف هي لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لأن النون إنما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف وذ كر أن الجمع بين حر في التأكيذ والتأخير يؤذن بان العطاء كائن لا محالة وإن تأخر ثم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقبس المترقب من فضل الله على ما سلف منه فلا تتم نعمه إلا الحسن وزيادة الخبر ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال

تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا أخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول
 انكم يومئذ معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
 من رحمة الله وأنا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى
 الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل
 الآية على ظاهرها من خيري الدنيا والآخرة معاً أولى وذلك ان الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على
 الأعداء وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة وأعلى دينه وأن أمته خير الأمم وأعطاه
 في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة ثم أخبر عن
 حاله صغيراً وكبيراً وقبيل الوحي وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل (ألم يجدك يتيماً) أي
 صغيراً (فأوى) ألم يعلمك الله يتيماً من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدك يتيماً صغيراً حين
 مات أبوك ولم يخلف لك مالا ولا ماوى فجعل لك ماوى تأوى اليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن
 تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب
 فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب إلى أن قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قوطهم درة
 يقيمة والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فأواك اليه وأيدك وشرفك بنبوته واصله طفاك
 برسائه (ووجدك ضالاً) أي عما أنت عليه اليوم (فهدي) أي فهداك إلى توحيدِهِ ونبوته وقيل
 وجدك ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفاً من أغنامه فردّه إلى جده عبد المطلب وقال
 سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة مبصرة غلام خديجة فيبينا هو
 راكب ذات ليلة مظلمة اذ جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ
 ابليس نفخة وقع منها إلى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القافلة فن الله عليه بذلك وقيل
 وجدك ضالاً نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين أهله من غير ان يعصمك
 من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الضلال لأن الله كان صلى الله عليه وسلم
 يخلو في غار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه صلى الله عليه وآله له دينه وقال الجنيد ووجدك متحيراً في بيان
 ما أنزل الله اليك فهداك به صلى الله عليه وآله ما قبل في هذه الآية ولا يلتفت إلى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم
 من جبل النبوة على ملة قومه فهداك الله إلى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ
 ولدوا ونشؤوا على التوحيد والإيمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله
 تعالى وتوحيده وبدل على ذلك أن قريشاً عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك
 وأمر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلاً اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع
 ما قالوه فيه وعبروه به ويؤكد هذا ما روي في قصة بحيرا الراهب حين استخلف النبي صلى الله عليه وسلم
 باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبي طالب إلى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي
 فاخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما ويؤكد هذا شرح
 صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقه منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه
 حكمة وإيماناً وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوي وقال الزمخشري ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة
 فان أراد أنه على خلوهم من العلوم السمعية فنع وان أراد أنه كان على دين قومه فعاذ الله والانبياء يجب
 أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فبالكفر والجهل بالصانع
 ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء والله أعلم قوله عز وجل (ووجدك عائلاً فأغنى) يعني فقيراً فاغناك

(ألم يجدك يتيماً) وهو من
 الوجود الذي بمعنى العلم
 والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم
 تكن يتيماً حين مات أبوك
 (فأوى) أي فأواك إلى
 عمك أبي طالب وضمك
 اليه حتى كفلك ورباك
 (ووجدك ضالاً) أي غير
 عالم ولا واقف على معالم
 النبوة وأحكام الشريعة
 وما طريقه السمع (فهدي)
 فعرفك الشرائع والقرآن
 وقيل ضل في طريق الشام
 حين خرج به أبو طالب
 في القافلة ولا
 يجوز أن يفهم به عدول عن
 حق ووقوع في غي فقد
 كان عليه السلام من أول
 حاله إلى نزول الوحي عليه
 معصوماً من عبادة الأوثان
 وقاذورات أهل الفسق
 والعصيان (ووجدك
 عائلاً) فقيراً (فأغنى)
 فاغناك بمال خديجة
 أو بما أفاء عليك من
 الغنائم

بما خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عز وجل مسألة ووددت أني لم أكن سألتها يا رب أنك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدهك يتما فآ وبتك قلت بلي يا رب قال ألم أجدهك ضالا فهديتك قلت بلي يا رب قال ألم أجدهك غائلا فاغنيتك قلت بلي يا رب زادني رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلي يا رب فإن قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بانهامه على عبده والمن مدموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت إنما حسن ذلك لأنه سبحانه وتعالى قصد بذلك أن يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المدموم لأن امتنان الله تعالى زيادة انعامه كأنه قال مالك تقطع رجاءك غنى ألت الذي ربيتك وآوتك وأنت ينم صغيرا تظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لا بد وأن أتم نعمتي عليك وقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فاما اليتيم فلا تقهر) أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به أضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير بأصبعه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (وأما السائل فلا تقهر) يعني السائل على الباب يقول لا تزجره إذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه وأما ان ترده ردته فافقه ولا تكهر بوجهك في وجهه قال إبراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي أنا يريدنا إلى الآخرة يحجيء إلى باب أحدكم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشئ وقيل السائل هو طالب العلم فيجب أن لا يسأفه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقى بمكرهه (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل أراد بالنعمة النبوة أي بلغ ما رسد به حدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن أمره أن يقرأه ويقرئه غيره وقيل أشكره به لما ذكره نعمه عليه في سورة من جبر اليتيم وأهدى بعد الضلالة والاعناء بعد العيلة والفقراء أمره أن يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من أثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى به لم يعط كان كلابس ثوبي زور أخرجه الترمذي ورواه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكره وكفروا بالجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله سبحانه

(فاما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لأضعفه (وأما السائل فلا تقهر) فلا تزجره فأبذل قليلا أو رد جيلا وعن السدي المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) أي حدث بالنبوة التي آتاك الله نعم والصحيح انها تم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة ألم نشرح﴾

وهي مكية وثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (ألم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير يرأى قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الإدراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهب الشواغل التي تصده عن إدراك الحق وقيل معناه ألم نفتح قلبك ونوسعها ونلينه بالإيمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره (م) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت أرى أثر الخيط في صدره (ووضعنا عنك وزرك) أي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله أيغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنب أمتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها إلى الزم في اللغة تنقل شيئا من ثقل الجبل وقيل معناه عصمتك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعفا مجازا واعلم أن الوزر في عصمة الأنبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من الحمل أو الرجل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع يتحرر بها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها وزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقر بين ﴿وقوله عز وجل﴾ (ورفعنا لك ذكرك) روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبدا عبد الله وصدق في كل شيء ولم يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يشادى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور بلوح ويشهد * وضم الاله اسم النبي مع اسمه

اذا قال في الخس المؤذن * وشق له من اسمه ليحمله * فذوالعرش محمود وهذا محمد

وقبل رفع ذكره باخذ من شاقه على النبيين والزامهم بالإيمان به والاقرار بفضلهم وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه في قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الأمة بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الأنبياء ثم وعده بالسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك أنه كان في شدة بمكة فقال تعالى (فان مع العسر يسرا) أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهر عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به (ان مع العسر يسرا) وإنما كرهه لما كيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فإذا اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى أي فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فازلنا عنه الضيق والخرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملي حكمة وعلمنا (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمورها وقيل هو زلة لا تعرف شيئا وهي ترك الأفضل مع اتیان الفضل والأنبياء يعاتبون بمثلها ووضع عنه أن غفر له والوزر الحمل الثقيل (الذي أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعنا لك ذكرك) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد في غير موضع من القرآن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الأولين وفائدة ذلك ما عرفت في

الى وعمره انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذى أنتم فيه يسرا وجيء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة في التسليمية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر أعيد معرفا فكان واحدا لان المعنى أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر أعيدت نكرة والنكرة اذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال ان مع الامير غلامان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع امير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع امير غلاما وان مع امير غلاما فما اميران وغلامان كذا في شرح التاويلات (فاذا فرغت فانصب) أى فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء واختلف انه قبل السلام أو بعده ووجه الاتصال بما قبله قوله وقال أحمد بن سليمان الخ كذا في بعض النسخ وفي بعض آخر وقال سليمان بن أحمد الرقي الخ اه مصحح

أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الاول كقوله كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسرا واحدا ويسرا ان وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفان مع الفارس سيفان هذا لا يوجب أن يكون الفارس واحدا والسيفان اثنين فجاز قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخففة كانت قریش تعبره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جعنا لك مالا حتى تذكرن كاييسر أهل مكة فانعم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوا به فترده الله نعمه عليه في هذه السورة ووعدته الغنى ليسليه بذلك عما خافه من النعم وهذا تعالى فان مع العسر يسرا أى لا يحزنك الذى يقولون فان مع العسر الذى في الدنيا يسرا عاجلا ثم أنجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطى المساكين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذى في الدنيا المؤمن يسرا في الآخرة وبما اجتمع له اليسر ان يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين أى ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذى وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذى وعدهم في الآخرة انما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم أبدا غير زائل أى لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهر اعيد الا ينقصان أى لا يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما في البادية بحالة من الغم فالتقي في روعي بيت شعر فقلت فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهواء أرى الموت لمن أصيب مغموما له أروح

ألا يا أيها المرء الذى الهى به برح وقد أنشد بيتا لم يزل في فكره يسبح اذا اشتد بك العسر * ففكر في ألم نشرح فعر بين يسرين * اذا أبصرته فافرح قال حفظت الايات ففرج الله عني وقال اسحق بن بهلول القاضى فلا تيأس اذا عسرت يوما * فقد أيسرت في دهر طويل * ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل * فان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل وقال أحمد بن سليمان في المعنى توقع لعسر دهاك سرورا * ترى العسر عنك يسر تسرى فما الله يخلف ميعاده * وقد قال ان مع العسر يسرا وقال غيره وكل الحادثات اذا انتهت * يكون وراءها فرج قريب قوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما وعد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعنه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن لا يخلى وقتا من أوقانه منها فاذا فرغ من عبادة أتبعها باخرى وعن ابن عباس رضى الله

انه لما عد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العباداة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يتخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عباداة ذنبا باخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبةك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿سورة والتين مكية وهي ثمان آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والتين والزيتون) أقسم بهم الانهما عجيبان عن بين الاشجار المثمرة روى انه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لأصحابه كوا فلو قلت ان فاكهة نزات من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع (٤١٩) من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من

الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هي سواك وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما (وطور سينين) أضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون يرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النسون بحركات الاعراب (وهذا البلد) يمين مكة (الامين) من أمن الرجل امانة فهو أمين وأمانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان

والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لا كره أن أرى أحداً منكم فارغاً من عمله في دنياه ولا في عمله آخرته السهيل الذى لا شئ معه وقيل السهيل الباطل (والى ربك فارغب) أى تضرع اليه راغباً في الجنة راهباً من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى في جميع أحوالك لا الى أحد سواه والله أعلم

﴿تفسير سورة والتين﴾

وهي مكية وثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخصصة من شوائب التنغيص وقيه غداء ويشبهه فواكه الجنة اكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمتكث في المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم وأما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصح به وشجرته في أغاب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتر بية وينبت في الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسر يانية طور تينا وطور زيتا لانهم ما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهم ما موضع الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل مسمى سينين وسيناء لحسنه أو لكونه مباركاً وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يأمن فيه الناس في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا للشدة وهذه أقسام أقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) يعنى في أعدلقامة وأحسن صورة وذلك أنه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فان خلقه ممدداً القامة حسن الصورة ويتناول ما كوله بيده مزيناً بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى الى

الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين أو الاولان قسم بمهبط الوحي على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليه السلام وجواب القسم (لقد خلقنا الانسان) وهو جنس (في أحسن تقويم) في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه (ثم رددناه أسفل سافلين) أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفلى خلقاً وتركيباً يعنى أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفلى من أهل الدرجات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفلى في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله ﴿قول الامام النسفي ونحو سينون يرون تبع فيه صاحب الكشف وعبارة أبى السعود وسينون كبيرون اه مصححه

وابيض شعره بعد سواده ونشأ ثن جلد (٤٢٠) وكل سمعه وبصره وتغير كل شيء منه فشيء دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته

خرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع أي ولكن الذين كانوا صالحين من الهرم والزمن فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب في (فما يكذبك بعد بالدين) للانسان على طريقة الالتفات أي فاسبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشراسوايا وتدرج به في مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يجهز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء أو لرسول الله أي فمن ينسبك الى الكذب بعد هذا الدليل فبمعنى من (أليس الله باحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم

الهرم وأرذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعاً لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً يضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يردون الى النار أو الى أسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعاً والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى أرذل العمر على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم وأخبرهم ان لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر غير عمل ثم قال الزمالة حجة (فما يكذبك) يعني يأبىها الانسان خطاب على طريق الالتفات (بعد) أي بعد هذه الحجّة والبرهان (بالدين) أي بالحساب والجزاء والمعنى فما الذي يلجئك أيها الانسان الى هذا الكذب ألا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله باحكم الحاكمين) أي باقضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يوم القيامة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأوا الطور الزيتون فقراً أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذي وعن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصى العشاء الاخيرة فقرا في إحدى الركعتين بالتين والزيتون فاسمعت أحداً أحسن صوتاً وقرأة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة العلق﴾

مكية وهي تسع عشرة آية واثنان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفاً

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله ما لم يعلم (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع الى أهله ويتزود ذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة مالي وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امراً نصير في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة أي ابن عم اسمع من ابن

أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا
 الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتني فيها جذا عالتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأْت رجل قط بمنزل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك حيا
 أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى
 الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلاماً وفي بذرة جبل لكي
 يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن لك ذلك جاشه ونقر عينه فيرجع اذا طالت
 عليه فترة الوحي غداً مثل ذلك فاذا أوفى بذرة الجبل لكي يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك
﴿فصل﴾ في هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال
 ان المدثر أول ما نزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في أول سورة المدثر وهذا
 الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم
 أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني
 وإنما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحمّلها القوى البشرية
 فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوحي وأما التحنن فقد فسر في الحديث بالتعب وهو تفسير صحيح لان أصل
 التحنن من الحنث وهو الائم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به الائم وقوطها فجاء الحق أي جاءه الحق بالوحي
 بغتة قوله فغطني بالغيبين المجمع والطاء المشالة المهملة أي عصرتي وضمي ضمياً شديداً وهو قوله حتى بلغ مني
 الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثاً قوله
 زملوني زملوني كذا في الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقوطها حتى ذهب عنه الروع أي
 الفزع قولها كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً يروى بضم الياء وبالحاء المهملة من الخزي أي لا يفضحك
 الله ولا يكسررك ولا يهينك ولا يذللك وروى بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون أي لا يخزئك من الحزن الذي
 هو ضد الفرح وقوطها وتحمّل الكل أي الثقل والحوادث المهمة وتكسب المعدوم أي تعطى المال لمن هو
 معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحيد الفاعل
 وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من
 الانجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي يكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله تعالى
 أن يكتب ومعناها صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب أي
 موضع شاء منه بالعبرانية ان أراد أو بالعربية ان أراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى هو
 بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمي جبريل
 بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله ياليتني فيها أي في أيام النبوة واطهار الرسالة
 جنداً عالى شاقواً يا حتى أبلغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً أي قوياً بالغيا
 قولها ثم لم يلبث ورقة أن توفي فلم يلبث أن مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله كي يتردى التردى
 الوقوع من عل وذروة الجبل أعلاه قوله تبدي له أي ظهر له قوله فيسكن لك ذلك جاشه أي قلبه وقيل الجاش هو
 ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجاش هو ما نار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازة اقرأ اسم ربك والمعنى اذ كرا اسم ربك أمر أن
 يتبدى القراءة باسم الله تأديباً وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أي قل باسم
 الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الآية دلالة على استحباب البداء بالتسمية في أول القراءة وقيل معناه اقرأ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 عن ابن عباس ومجاهدي
 أول سورة نزلت والجمهور
 على أن الفاتحة أول ما نزل
 ثم سورة القلم (اقرأ باسم
 ربك

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
 (انا أنزلناه في ليلة القدر)
 عظم القرآن حيث أسند
 انزاله اليه دون غيره وجاء
 بضميره دون اسمه الظاهر
 للاستغناء عن التنبيه عليه
 ورفع مقدار الوقت الذي
 أنزله فيه روى أنه أنزل
 جملة في ليلة القدر من
 اللوح المحفوظ الى السماء
 الدنيا ثم كان ينزله جبريل
 على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في ثلاث
 وعشرين سنة ومعنى ليلة
 القدر ليلة تقدير الامور
 وقضائها والقدر بمعنى
 التقدير أو سميت بذلك
 لشرفها على سائر الليالي
 وهي ليلة السابع والعشرين
 من رمضان كذا روى
 أبو حنيفة رحمه الله عن
 عاصم عن زر أن أبي بن
 كعب كان يحلف على ليلة
 القدر أنها ليلة السابع
 والعشرين من رمضان
 وعليه الجمهور ولعل الداعي
 الى اخفائها أن يحسب من
 يريد بها الليالي الكثيرة
 طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء
 الصلاة الوسطى واسمه
 الاعظم وساء الاجابة في
 الجمعة ورضاه في الطاعات
 وغضبه في المعاصي وفي
 الحديث من أدركها يقول
 اللهم انك عفوت عني

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
 ﴿قوله عز وجل﴾ (انا أنزلناه) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (في ليلة القدر) وذلك ان الله تعالى أنزل
 القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به
 جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل
 بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما أنزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولأنها كالمشترك بيننا
 وبين الملائكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام
 والارزاق والآجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده وعباده
 ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعله ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك
 السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه أنه يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات
 والارض في الارض في الارض قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم
 قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم
 قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الأمير أي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل
 الصالح يكون فيها إذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها
 ﴿فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها﴾ (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال
 بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحي
 الرجال اني خرجت لا خبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط
 عن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في العشر
 الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتمسها وعامة الصحابة والعلماء
 فمن بعدهم على أنها باقية الى يوم القيامة * روى عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لأبي هريرة
 زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان أستقبله قال نعم ومن قال
 ببقائها وجودها اختلفوا في محلها فقول هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى هكذا
 أبدأوا بها يجمع بين الاحاديث الواردة في أوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري وأحمد واسحق وأبو ثور
 انها تنتقل في الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها
 أبدأ في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كما هو قول ابن مسعود وأبي حنيفة
 وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يتم الحول يصيبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا
 عبد الرحمن أمانه علم انها في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكلم الناس وقال جمهور العلماء انها في شهر
 رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال أبو زر زين العقيلي في أول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر
 وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعت بدر يحكي هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا والحسن والصحيح
 الذي عليه الاكثر أنهما في العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر الاحاديث الواردة في ذلك﴾

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور العشر الاواخر من رمضان
 ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال رأيت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان
 وذهب الشافعي الى أنها ليلة احدى وعشرين (ق) عن أبي هريرة أن أباسه يد قال اعتمكفنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم العشر الاواسط فلما كانت صبيحة عشر بن نقلنا متاعنا فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه وأنا أريت هذه الليلة ورأيتني أسجد في ماء وطين فلما رجعت الى معتكفه هاجت السماء فطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين وفي رواية نحوه إلا أنه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكف قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في فضل ليلة القدر اثنتان وعشرون حديثا عن ٢ عبد الله بن أنيس قال كنت في مجلس لبي سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أرسلني اليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنتان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجعت فقال أوالقابلة يريد ثلاثا وعشرين أخرجه أبو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي أيضا (خ) عن الصنابحي أنه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في أول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن أنيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله فرني بليلة أنزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لا بئنه كيف كان أبوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا الحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بياديته أخرجه أبو داود ولمسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني أسجد صبيحتها في ماء وطين قال فطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان أثر الماء والطين على جبهته وأنفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة أربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في أربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس واليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبیش قال سمعت أبي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر قال أبي والله الذي لا اله الا هو انها في رمضان يحلف ولا يستثنى فوالله اني لا علم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأما رتاه أن تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين أخرجه أبو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا اسمع فقال هي في كل رمضان أخرجه أبو داود وقال ويروى موقوفا عليه

﴿ذكريال مشتركة﴾ عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكث أخرجه أبو داود عن ٣ عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكر فقال ما أنا بملتسمها بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين أو في سبع يبقين أو في خمس يبقين أو في ثلاث يبقين أو آخر الشهر قال وكان أبو بكر يصلي في العشر من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد أخرجه الترمذي (خ) عن عباد بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لايخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة

٢ قوله عبد الله بن أنيس الى آخر الحديث كذا بالنسخ وبمراجعة أبي داود يعلم ما فيه اه مصححه ٣ قوله عتبة كذا في نسخة وفي أخرى عتيبة وفي الترمذي الطبع عيتة اه مصححه

والسابعة والخامسة قوله فتلاحي رجلا ن أي نخاصم رجلا ن وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وإنما أراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتمسك بها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع مضين أو في سبع يمين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال أبو عيسى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر أنها ليلة إحدى وعشرين ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعي كأن هذا عندى والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يستل عنه يقال له نلتمسكها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي وأقوى الروايات عندى فيها ليلة إحدى وعشرين قال البغوي وبالجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجهتدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمها الاكظم في القرآن في أسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجهتدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روى عن الحسن رفعه أنها ليلة بلحمة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الاواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المنزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره (ق) عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عائشة قالت قلت يا رسول الله إن عامت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه قوله عز وجل (وما أدراك ما ليلة القدر) أي أي شيء يبلغ درايته قدره ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم رجل من بني اسرائيل حل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فحجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ونفى ذلك لامته فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمارا فأعطاها الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولا تمتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاها الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر أخرجه مالك في الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وإنما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وأنواع الخير والبركة الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعني الى الارض وسبب هذا أنهم لما قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها وظهروا أن الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزولوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا بما قالوه ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم (والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام قاله أكثر المفسرين وفي حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كعبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي قيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) أي في ليلة القدر (بأذن ربهم) أي بأمر ربهم (من كل أمر) أي بكل أمر

(وما أدراك ما ليلة القدر)
أي لم تبلغ درايته غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن النبي عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر فحجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي (تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا أو الى الارض (والروح) جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة أو الرحمة (فيها بأذن ربهم من كل أمر) أي تنزل من أجل كل أمر قضاء الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف

من الخير والبركة وقيل بكل ما أمر به وقضاء من كل أمر الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) أي سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما تقوا مؤمناً ومؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتداء فقال تعالى سلام (هي) يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة وقيل إن ليلة القدر سلامة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أي إن ذلك السلام أو السلامة تدوم إلى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة﴾

﴿وهي مدنية قاله الجمهور وفي رواية عن ابن عباس إنها مكية وهي ثمان آيات وأربع

وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفاً﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) أي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك أن الكفار كانوا جنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه في دينهم أما اليهود فقوله عز يز ابن الله وتشبيههم الله بخلقه وأما النصارى فقوله المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون أهل الاوثان الذين لا ينسبون إلى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (منفكين) أي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تأتيهم) أي حتى أتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضي (البينة) أي الحججة الواضحة يعني محمد صلى الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم إلى الإيمان فآمنوا فانقذهم الله من الجاهلة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدى في بسائطه وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظماً وتفسيراً وقد نخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام غفر الدين في تفسيره أنه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وأنا أقول وجه الاشكال أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا ومنفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم أنه تعالى لم يذكر أنهم منفكون عما ذالك كنه معلوم إذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم إن كلمة حتى لا تنهاى الغاية فهذه الآية تقتضى أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضى أن كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول حينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه أولها وأحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو أن الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا تنفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكيف الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب أي أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ثم ما فرقه عن الحق ولا أفرهم على الكفر إلا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ما يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقاً فيقول واعظه لم تكن منفكاً عن الفسق حتى توسر وما عمت رأسك في الفسق إلا بعد اليسار فيذكره ما كان يقول تو بينخا والزما قال الامام غفر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع إلى حرف واحد وهو أن قوله

(سلام هي) ما هي السلامة (سلام هي) ما هي السلامة خبر ومبتدأ أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضى في غيرها بلاء وسلامة أو ما هي السلامة لكثرة ما يسلمون على المؤمنين فيل لا يلقون مؤمنوا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) أي إلى وقت طلوع فجر بكسر اللام حمزة وعلى وخاف وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم ﴿سورة البينة تختلف فيها وهي ثمان آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم البينة) الحججة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض

تعالى لم يكن الذين كفروا منفيين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة من كور حكاية عنهم وقوله وما تفرق
الذين أتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع كان بخلاف ما دعوا وثانيها أن تقدير الآية
لم يكن الذين كفروا منفيين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال
الآن نفس اللفظة حتى بهذا ليس من اللغة في شيء وذكر وجوها آخر قال والمختار هو الاول ثم فسر
البينة فقال تعالى (رسول من الله) أي تلك البينة رسول من الله (يتلوا) أي يقرأ الرسول صلى الله
عليه وسلم (صحفا) أي كتب يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله
عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب (مطهرة) أي من الباطل والكذب والزور والمعنى أنها مطهرة
من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة أي لا ينبغي أن يمسها الا المطهرون (فيها) أي في
الصحف (كتب) أي الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الاحكام (قيمة) أي عادلة مستقيمة غير
ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا أجراه على وجهه ثم ذكر من لم
يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى (وما تفرق الذين أتوا الكتاب) يعني في أمر محمد صلى الله عليه وسلم
(الامن بعد ما جاءتهم البينة) يعني جاءتهم البينة في كتبهم أنه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل
أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في أمره
واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال تعالى (وما أمروا)
يعني هؤلاء الكفار (الا يعبدوا الله) أي وما أمروا الا أن يعبدوا الله قال ابن عباس ما أمروا في
التوراة والانجيل الا بالاخلاص العباداة لله موحدين له (مخلصين له الدين) الاخلاص عبارة عن النية الخالصة
وتجريد ما عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه
والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة
فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلا بد وأن يكون ممنو يفلأبده من اعتبار النية في جميع المأمورات قال
أصحاب الشافعي الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون ممنو يافتجب
النية في الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان يأتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء
ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان
لابد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل في معنى مخلصين
له الدين مقررين له بالعبودية وقيل قاصدين بقاوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى
قلوبكم (حنفاء) أي مائلين عن الأديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وقيل حنفاء أي حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء أي محتونين
محرمين لنكاح المحارم وقيل الخفيف الذي آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن
باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بخفيف (ويقيموا الصلاة) أي المكتوبة في أوقاتها
(ويؤتوا الزكاة) أي المفروضة عند محلها (وذلك) أي الذي أمروا به (دين القيمة) أي الملة المستقيمة
والشريعة المتبوعة وانما أضاف الدين الى القيمة وهي نعت لاختلاف اللفظين وأنت القيمة ردا الى
الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها أي وذلك دين أصحاب
الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائم لله بالتوحيد واستدل
بهذه الآية من يقول ان الإيمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد أولا وأتبعه بالعمل ثانيا ثم قال
وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الإيمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيهما من المؤمنين فا

(رسول من الله) أي محمد
عليه السلام وهو بدل من
البينة (يتلوا) يقرأ عليهم
(صحفا) قسرا طيس
(مطهرة) من الباطل
(فيها) في الصحف
(كتب) مكتوبات
(قيمة) مستقيمة ناطقة
بالحق والعدل (وما تفرق
الذين أتوا الكتاب الا
من بعد ما جاءتهم البينة)
فهم من أنكروا نبوته بغيا
وحدا ومنهم من آمن
وانما أورد أهل الكتاب
بعد ما جمع أولا بينهم وبين
المشركين لانهم كانوا على
علم به لوجوده في كتبهم
فاذا وصفوا بالتفرق عنه
كان من لا كتاب له أدخل
في هذا الوصف (وما أمروا)
يعني في التوراة والانجيل
(الا يعبدوا الله مخلصين
له الدين) من غير شرك
ونفاق (حنفاء) مؤمنين
بجميع الرسل مائلين عن
الأديان الباطلة (ويقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة
وذلك دين القيمة) أي
دين الملة القيمة

وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر ما للفرقيين فقال تعالى (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فان قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين قلت لان جنائهم أعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقررون بنبوته فلما بعث أنكروا وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنائهم أعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب لان المشركين أنكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير أنهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفرقيين في العذاب قلت لما أراد أهل الكتاب الرفعة في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أذلهم الله في الدنيا وأدخلهم أسفل سافلين في الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب (في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) أي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبة ون خالدين فيها فكانهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) يعني انهم بسبب أعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاءهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضاه ورضاعنه فالرضاه ان يكون ربا ومديرا والرضاعنه فيما يقضى وبدير قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضى الله أعمالهم ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) أي هذا الجزاء والرضا (لمن خشى ربه) أي لمن خاف ربه في الدنيا وانتهى عن المعاصي (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال وسماي قال نعم فبكي وفي رواية البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأك القرآن قال الله سماي لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال قد رقت عيناه (شرح غريب الحديث) اما بكاء أي فانه بكى سرورا واستغارا لنفسه عن تاهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين أحدهما كونه منصوفا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فأنها منقبة عظيمة لم يشارك فيها أحد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فأنها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار ما لا يسع في أسرار النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبي فلهي ان يتعلم أبي القراءة من ألفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النعم المستعملة في غيره فكانت قراءته على أبي ليتعلم أبي منه لليتعلم هو من أبي وقيل انما قرأ على أبي ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة أبي والحث على الأخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا واماما في القراءة وغيرها وكان أحد علماء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزلزلة ﴾

وهي مدنية قيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن من قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

(ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ونافع يمزجها والقراء على التخفيف والنبي والبرية السقر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل (جزاءهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدًا رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بشواها (ذلك) أي الرضا (لمن خشى ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرا وهو التراب ولو كان كذلك لما قرأ البرية بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم ﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وهي ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذلزت الارض زلزالها) أى حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاى
 قال كسور مصدر والمفتوح اسم (وأخرجت الارض أثقالها) أى كنوزها وموتاهاج مع ثقل وهو متاع البيت جعل مافى جوفها من
 الدفائن أثقالا لها (وقال الانسان ما لها) (٤٣٠) زلزت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت مافى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين

ترزل وتلفظ موتاهها أحياء
 فيقولون ذلك لما يهرهم
 من الامر الفظيع كما يقولون
 من بعثنا من مرقدا وقيل
 هذا قول الكافر لانه
 كان لا يؤمن بالبعث فاما
 المؤمن فيقول هذا ما وعد
 الرحمن وصدق المرسلون
 (يومئذ) بدل من اذا
 وناصبها (تحدث) أى
 تحدث الخلق (أخبارها)
 خذف أول المفعولين لان
 المقصود ذكر تحديثها
 الاخبار لا ذكر الخلق قيل
 ينطقها الله ونخبه بما عمل
 عليها من خير وشر وفى
 الحديث تشهد على كل
 واحد بما عمل على ظهرها
 (بان ربك أوحى لها) أى
 تحدث أخبارها بسبب
 إحياء ربك لها أى عليها
 وأمره إياها بالتحديث
 (يومئذ يصدر الناس)
 يصدر ون عن مخارجهم
 من القبور الى الموقف
 (أشتاتا) بيض الوجوه
 آمنين وسود الوجوه فزعين
 أو يصدر ون عن الموقف
 أشتاتا يتفرق بهم طريق
 طريق الجنة والنار (ليروا
 أعمالهم) أى جزاء أعمالهم
 (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴾ (اذلزت الارض زلزالها) أى تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة
 وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على
 ظهرها من جبل وشجر و بناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الأكثرين أنها فى الدنيا وهى من
 أسراط الساعة والثانى أنها زلزلة يوم القيامة (وأخرجت الارض أثقالها) فمن قال ان الزلزلة تكون فى
 الدنيا قال أثقالها كنوزها وموتاهها مافى بطنها من الدفائن والاموال فتلقبها على ظهرها يدل على صحة هذا القول
 ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها
 مثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويحىء القاطع فيقول فى هذا
 قطعت رجلي ويحىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا أخرجه مسلم
 والأفلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستورة فى الجوف
 وإنما خص الكبد لأنها من أطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار التقيء للإخراج ومن قال بان
 الزلزلة تكون يوم القيامة قال أثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض
 فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تشغل بهم احياء
 وامواتا (وقال الانسان ما لها) أى ما لها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت مافى بطنها وفى الانسان وجهان
 أحدهما أنه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من أسراط الساعة والمعنى أنها
 حين وقعت لم يعلم الكل أنها من أسراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثانى أنه اسم للكافر خاصة
 وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاهل بها فاذا وقعت
 سأل عنها وقيل مجاز الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل
 ما عمل على ظهرها من خيرا وشر فتشكو العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له عن أبى هريرة قال
 قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أندرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله
 أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه
 أخبارها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (بان ربك أوحى لها) أى أمرها بالكلام وأن لها
 أن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى اليها قيل ان الله تعالى يخاق فى الارض الحياة والعقل والنطق
 حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة وقوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) أى عن موقف الحساب
 بعد العرض (أشتاتا) أى متفرقين فأخذ ذات اليمين الى الجنة وأخذ ذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم)
 قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف أعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن
 يعمل مثقال ذرة) أى وزن غلة صغيرة وقيل هو ما صق من التراب باليد (خير ابره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
 يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا فى الدنيا الا أراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن
 يرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويثيبه بسيئاته
 وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدن نفسه وولده وأهله
 وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى

الدنيا

صغيرة (خيرا) تميز (يره) أى يره جزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا فى الكفار

المؤمنين ويرى ان اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال خذ ابطن هرشيء ماها فانه كلاجاني هرشيء طر يقرورى
 ان جد الفرزدق أنه عليه السلام ليستقرنه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبي حسبي وهى أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم

الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شريك نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه وكان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه إنما يؤجر على ما يعطى ونحن نحبه وكان الآخر نهاناً بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة وأشياء ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكائن وليس في هذا ثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك أن يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكبر والاثم الصغير في عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود أحكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الخبز فقال ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحجة غلب وقالوا فيها مثاقيل كثيرة قلت إنما كان غرضهما تعليم الغير والافهام من كرماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة العاديات﴾

وهي مكية في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس وهي إحدى عشرة

آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والعاديات ضبحاً) فيه قولان أحدهما أنها الابل في الحج قال علي كرم الله وجهه هي الابل تعد ومن عرفه إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى وعنه قال كانت أول غزاة في الإسلام بدر أو ما كان معنا الأفرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحاً مداً أعناقها في السير وأصله من حركة النار في العود (فالمريرات قدحا) يعني أن أخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجراً آخر فيورى النار وقيل هي النيران بجمع (فالمريرات ضبحاً) يعني الابل تدفع بركانها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة أن لا يدفع حتى يصبح والاعارة سرعة السير ومنه قولهم أشرق تير كما تغير (فأثرن به نقعا) أي هيجن بمكان سيرها غباراً (فوسطن به جمعاً) أي وسطن بالنقع جمعاً وهو من دلفة فوجه القسم على هذا أن الله تعالى أقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعرضه بابل الحج للترغيب وفيه تقرير لمن لم يحج بعد القدرة عليه فإن الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك ﴿القول الثاني في تفسير العاديات قال ابن عباس وجاعة هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت أجوافها إذا عذت قال ابن عباس ولبس شئ من الحيوانات يضح سوي الفرس والكلب والشعب وإنما تضح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من فزع أو تعب وهو من قول العرب ضبحته النار إذا غيرت لونه فالمريرات قدحا يعني أنها تورى النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى أصحابها ناراً ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يكر بصاحبه أما والله لا قدح لك ثم لا ورين لك فالمريرات ضبحاً يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو وعند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فآثرن به أي بالمكان نقعا أي غباراً فوسطن به جمعاً أي دخلن به أي بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهن الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الآيات أولى بالصحة وأشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا إراء النار بحوافرها وإثارة الغبار أيضاً

﴿سورة العاديات مختلف﴾ فيها وهي إحدى عشرة آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعاديات ضبحاً) أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها إذا عدون عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حكاه فقال أح أح وانتصاب ضبحاً على يضحن (فالمريرات) تورى نار الحباب وهي ما ينقذح من حوافرها (قدحا) قادات صاكات بحوافرها الحجارة والقذح الصك والبراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحاً بما انتصب به ضبحاً (فالمريرات) تغير على العدو (ضبحاً) في وقت الصباح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غباراً (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعاً) من جوع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة أو للعدو الذي دل عليه والعاديات وعطف فآثرن على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللا في عدون فآثرن فآثرن فآثرن وجواب القسم

(ان الانسان لربه لکنود) لکفوراً أي انه لنعمة ربه خصوصاً الشدید الکفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على کنوده (الشهید) يشهد على نفسه أو ان الله على کنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه لخبیر لشدید) وانه لاجل حب المال لبخیل ممسک أو انه لخب المال لقوی وهو لخب (٤٣٢) عبادة الله ضعيف (أفلا يعلم) الانسان (اذا بعث) بعث (ما في)

القبور) من الموتى وما بمعنى من (وحصل ما في الصدور) ميز ما فيها من الخير والشر (ان ربههم يومئذ خير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكور وهو عالم بهم في جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله أعلم (سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم) (القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدأ الاول وكان حقه ما هي وانما كرر تفعيلاً لما فيها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شيء أعلمك ما هي ومن أين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرر يوم (يكون الناس كالفرش المبثوث) شبههم بالفرش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطابر الى الداعي من كل جانب كما يتطابر الفراش الى النار وسمى فراشاً لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه

وانما أقسم الله بخیل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الاجر والغنيمة وتنبيهها على فضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى (ان الانسان لربه لکنود) أي لکفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الکنود الکنود الجود لنعمة الله تعالى وقيل الکنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الکنود وهي التي لا تثبت شيئاً وقال الفضيل بن عياض الکنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه على ذلك لشهید) قال أكثر المفسرين وان الله على كونه کنوداً شاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع (وانه) يعني الانسان (لخب الخير) أي المال (لشدید) أي لبخیل والمعنى انه من أجل حب المال لبخیل وقيل معناه وانه لخب المال وإيثار الدنيا لقوی شديد (أفلا يعلم) يعني هذا الانسان (اذا بعث) أي أثبر وأخرج (ما في القبور) يعني من الموتى (وحصل ما في الصدور) أي ميز وأبرز ما فيها من الخير والشر (ان ربههم يومئذ خير) انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس (يومئذ خير) أي عالم والله تعالى خير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص أعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لان أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات التي في القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله أعلم

﴿تفسير سورة القارعة وهي مكية﴾

ثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (القارعة) أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أي شدائده والقارعة من أسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرر القلوب بالفرع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع في الهول والشدة (وما أدراك ما القارعة) معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيفما قدرت أمرها فهي أعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفرش المبثوث) الفراش هذه الطير التي تراها تنهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا نال يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم أيضاً بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يوجب بعضهم بعضاً ويركب بعضهم بعضاً من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي كالصوف المنفوش وذلك لانها تتفرق أجزاءها في ذلك اليوم حتى تصبح كالصوف المتطاير عند النفث وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كأنه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصبح كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فاما من ثقلت موازينه) يعني رجحت موازين حسناته

قيل

الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألواناً لوانها ألوان ومن الجبال جدديض وجر مختلف ألوانها وبالمنفوش

منه لتفرق أجزائها (فاما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وتقلها رجحانها

قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنة المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في أقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورجته وأما الكافرون فقد قال في حقهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن أبي بكر الصديق أنه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا ﴿قوله تعالى﴾ (فهو في عيشة راضية) أي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضائر ضاهها صاحبها (وأما من خفت موازينه) أي رجحت سيئاته على حسناته (فامه هاوية) أي مسكنه النار سمى المسكن امالا لان الاصل في السكون الامهات وقيل معناه فام رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من أسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيها وون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمه أي هلكت خزنا وثكلا (وما أدراك ماهيه) يعني الهاوية ثم فسر ها فقال (نار حامية) أي حارة قد انتهت حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة التكاثر مكية﴾

وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (ألهاكم التكاثر) أي أشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناف عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشئ أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله في تقديم الاله وهو ما يقر به من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال بمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الآخرة التي هي سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مال الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابليت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله (حتى زرتم المقابر) أي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أناكم الموت وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبني فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حين من قریش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا والقادة والاشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكأثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكأثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا فانزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر مضي فكأنه تعالى يعجبهم من أنفسهم ويقول عجيبا بكم أنكم أكثر منهم عددا فاذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) أي إيس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر

(فهو في عيشة راضية)
ذات رضا أو مرضية (وأما
من خفت موازينه) باتباعه
الباطل (فامه هاوية) فمسكنه
وماواه النار وقيل للمأوى
أم على التشبيه لان الام
مأوى الولد ومفرغه (وما
أدراك ماهيه) الضمير
يعود الى هاوية والهاء
للسكت ثم فسر ها فقال
(نار حامية) بلغت النهاية
في الحرارة والله أعلم
(سورة التكاثر مكية وهي
ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
ألهاكم التكاثر) شغلكم
التباري في الكثرة والتباهي
بها في الاموال والاولاد
عن طاعة الله (حتى
زرتم المقابر) حتى
أدرككم الموت على تلك
الحال أو حتى زرتم المقابر
وعددتم من في المقابر من
موتاكم (كلا) ردع وتنبيه
على انه لا ينبغي للناظر لنفسه
أن تكون الدنيا جميع همه
ولا يهتم بدينه

(سوف تعلمون) عند النزاع
سوء عاقبة ما كنتم عليه
(ثم كلا سوف تعلمون) في
القبور (كلا) تكرير
الردع للاندثار والتخويف
(لوتعلمون) جواب لو
محذوف أي لوتعلمون ما بين
أيديكم (علم اليقين) علم
الامر اليقين أي كعلمكم
ما ستقنونه من الامور
لما اظهاكم التكاثرا ولفعلتم
مالا يوصف ولكنكم
ضلال جهلة (لترون الجحيم)
هو جواب قسم محذوف
والقسم لتوكيد الوعيد
لترون بضم التاء شامخ وعلى
(ثم لترونها) كرهه معطوفا
بتم تغليظا في التهديد وزيادة
في التهويل أو الاول بالقلب
والثاني بالعين (عين
اليقين) أي الرؤية التي
هي نفس اليقين وخالصته
(ثم لتستلن يومئذ عن
النعيم) عن الامن والصحة
فيم أفنيتقوما عن ابن
مسعود رضي الله عنه
وقيل عن التمتع الذي
شغلكم الالتذاذ به عن
الدين وتكاليفه وعن
الحسن ما سوى كن يؤويه
وأثواب تواريه وكسرة
تقويه وقد روى مرفوعا
والله أعلم

سورة العصر مختلف
فيها وهي ثلاث آيات

وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرهه تأكيدا والمعنى سوف تعلمون
عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذ انزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني
الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو
تعلمون علم اليقين) أي علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لوتعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن
التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين أن يعلم ان الله باعته بعد الموت (لترون الجحيم) اللام
تدل على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما وعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى
أنكم ترون الجحيم بأبصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعني مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيد
الوعيد (ثم لتستلن يومئذ عن النعيم) يعني ان كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيستلن يوم
القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر
وذلك لان الكفار لما اظهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن
ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك
شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يستل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما أنعم الله به عليه وأطاع ربه
فيكون السؤال في حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتستلن يومئذ
عن النعيم قال الزبير يا رسول الله وأي نعيم تستل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يستل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه
قال لتستلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول
ما يستل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له ألم نصحك جسمك ونروك من الماء البارد أخرجه
الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم أوليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال
الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لا أخرجني الذي أخرجكما فقوما وافقما وما معهما فأتى رجلا من
الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رآته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين
فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ثم
قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعدق فيه بسروتم ورطب فقال كلوا وأخذ
المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحبوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العنق
وشربوا فلما شبعوا وروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى بكر وعمر والذي نفسي بيده لا تستلن
عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وأخرجهم
الترمذي باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان
والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استمتعوا بها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن
الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما
كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يستل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لا بد
لكل أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يستل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل
عن الاسلام فانه أكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنقذكم به من
الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله أعلم

تفسير سورة العصر وهي مكية

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

العصر في مصحف حفصة
ولان التكليف في أدائها
أشق لنهات الناس في
تجاراتهم ومكاسبهم آخر
النهار واشتغالهم بمعاشهم
أو أقسم بالعشي كما أقسم
بالضحى لما فيها من دلائل
القدرة أو أقسم بالزمان
لما في مروره من أصناف
المجائب وجواب القسم
(ان الانسان لني خسر)
أي جنس الانسان لني
خسران من تجاراتهم (الا
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) فاهم اشترؤا
الآخرة بالدنيا فربحوا
وسعدوا (وتواصوا بالحق)
بالامر الثابت الذي
لا يسوغ انكاره وهو الخير
كله من توحيد الله وطاعته
واتباع كتيبه ورسوله
(وتواصوا بالصبر) عن
المعاصي وعلى الطاعات
وعلى ما يبلو به الله عباده
وتواصوا في الموضعين فعل
ماض معطوف على ماض
قبله والله أعلم

(سورة الهمة مكية وهي
تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره

(لكل همزة) أي الذي

يعيب الناس من خلفهم

(لمزة) أي من يعيبهم

١ قوله وقيل معناهما واحد ظاهره ان ما قبله ليس كذلك وليس كذلك اه مصححه ٢ قوله وان تغيب الخ كذا في بعض النسخ وفي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر والمجائب للناظر
وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى
الدهر فاقسم به تنبيه على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فاحصل فيه من النوائب والنوازل كان بتضاء الله
وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لانها يقال لها العصر ان فنه على شرف
الليل والنهار لانها آخرتان لاعمالي العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى
وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها حفصة والصلاة
الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من
فاته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل أراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما
أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد نبيه بذلك على أن زمانه أفضل الزمان وأشرفها
وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان لني خسر) أي لني خسران ونقصان قيل أراد بالانسان جنس
الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في أي الناس أي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان
الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو
معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على
الانتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرا فان كان بذلك انه لا ينفك أحد من خسران وقيل ان
سعادة الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية
والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في
طلبها فكانوا في خسار و بوار قد اهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالانسان الكافر بدليل أنه
استثنى المؤمنين فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل مامر
من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك
(وتواصوا) أي أوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد
(وتواصوا بالصبر) أي على أداء الفرائض واقامة أمر الله وحدوده وقيل أراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا
وهو لم ينفق في شئ من صلاتهم وهل مثل قوله لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الهمة) وهي مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ويل) أي قبح وقيل هو اسم واد في جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤون
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب (١) وقيل معناهما واحد وهو العيب المغتاب للناس
في بعضهم قال الشاعر

اذا القيتك من كره تكاشرتني * (٢) وان تغيب كنت الها من الامرا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على
ضده وقيل الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي

وللنابذة يدانا سنخلى بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو يته وحرمة وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما للنابذة قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديق العبد المطلب فاتاه فقال ياذا نفر هن عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل اسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشية ولكن سأبعث الى أنيس سائس الفيل فانه لي صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير يعظم خطر ك ومنزلتك عنده قال فارسل الى أنيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قر يش وصاحب غير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانه صديق لي أحب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قر يش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غيرنا صاب لك ولا يخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيفاً فلما رآه ابرهة عظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجان ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتي الى الملك أن يرد على مائتي بعيراً صابها لي فقال ابرهة لترجانه قل له قد كنت أعجبني حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هودينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهد مهلم تكامني فيه وتكافئني في مائتي بعيراً صابها لك قال عبد المطلب أنار ب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فانت وذاك فأمر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قر يشا الخبر وأمرهم ان يتفرقوا في السحاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تخوفاً عليهم من معرفة الحبش ففعلوا واتي عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا أرجو لهم سواك * يا رب فامنع منهم حماك
ان عدو البيت من عاداك * امنعهم ان ينخر بواقراك
لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليهم * ومحاطهم عدوا محالك
جرواجوع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا ومارقوا جلالك
ان كنت تاركهم وكه * مبتدأ فامر ما بدالك *

وقال أيضا

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح ابرهة بالغمس وقد تهيأ للدخول وهياً جيشه وهياً فيله وكان في لالم ير مثله في العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلاً فأقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فانك بيلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فاني فضر بوه بالمعول في رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومراقه ففرز عوه ليقوم فاني فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأني أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجايه وحجر في منقاره أمثال الحص والعيس فلما غشين القوم أرسلها عليهم فلم نصب تلك الحجارة أحداً الا هلك وليس كل قوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتمدون

الى الطريق الذي جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل

فانك ما رأيت ولن تراه * لدى حين المحصب مارأينا

جدت الله اذا بصرت طيرا * وحصب حجارة تلتقي علينا

وكلهم يسأل عن نفيل * كان على الحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أئمة تبعتهامدة من قبح ودم فاتهم الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فمن بقي من أصحابه ومات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي وأما محمود فيل النجاشي فر بض ولم يشجع على الحرم فنجوا الفيل الآخر شجعوا فخصبوا أي رموا بالخصباء وقال بعضهم انفلت أبو يكسوم وزيرا برهة وتبعه طير خلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أنهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي قال أمية بن أبي الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * ما يماري فيهن الا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يعوى كأنه معقور

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جرأ أصحاب الفيل أن فئة من قريش أججوا نار احين خرجوا نجارا الى أرض النجاشي فدنا من ساحل البحر وتم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتوا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاض طرم الهيكل نارا فانطلق الصريح الى النجاشي فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان في مكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نديها نبيل لا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها لله واجعلها لله ثم ابثها في الحرم فلعل بعض السودا يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنع فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا تتضاضات من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال أشباه اليعاسيب في مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها حجر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركبت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم أهالت الطير في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبحت انخطا من ذروة الجبل فشيئا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسأ أحدا ثم دنا فلم يسمع أحسا فقالا بات القوم سامرين فاصبحوا انياما فلما ساد نيام من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع في دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فؤوسهم فخر حتى أعرق في الأرض فلاؤه من الذهب الاجر والجواهر وحفر صاحبه مثله فلاؤه ثم قال لا بني مسعود اختران شئت حفر في وان شئت حفرتك وان شئت فهم لك معاف قال أبو مسعود

فاخترلى على نفسك فقال عبد المطلب انى أرى أجود المتاع فى حفرتى فهى لك وجلس كل واحد منهما على حفرتة وتنادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهم ما احتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك فريشا وأعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود فى أهلهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الا كثرون من علماء السير والتواريخ وأهل التفسير يرايه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم وأما التفسير فقوله عز وجل ألم ترأى ألم تلم ذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا أن العلم بها كان حاصلًا عنده لان الخبر بها كان مستفيضًا معروفاً بمكة واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينًا فلهذا قال تعالى ألم تتركيف فعل ربك بأصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثني عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآى وفى قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل فى العقل أن طيرًا تأتي من قبل البحر تحمل سحابة ترمى بها ناسًا مخصوصين وفيه دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو الداعى الى توحيدته واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارًا الا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل أن المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال أنا الذى فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفًا لقدومك واذا قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك بعد ظهورك (ألم يجعل كيدهم) يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة (فى تضليل) أى تضليل وخسار وابطال ما أرادوا وأضل كيدهم فلم يصلوا الى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) يعنى طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أبابيل أقاطيع كالابل المؤبلة وقيل أبابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدة ابالة وقيل أبيل وقيل أبول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم نخر اطيم الطير وأكف كالف الكلاب وقيل لها رؤس كورس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجافو جامع كل طائر ثلاثة أشجار حجران فى رجليه ونخر فى منقاره لا تصيب شيئا إلا هشمته ووجه الجمع بين هذه الأقاويل فى اختلاف أجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (ترميههم بحجارة) قال ابن مسعود صاحبت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريمها فضربت بالحجارة فزادتهما شدة فوقع حجر منها على رجل الاخرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميههم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وأصله سنك وكل فارسي معرب وقيل سجيل الشديد (فجعلهم كعصف مأكول) يعنى كزرع وتبن أكانه الدواب ثم رآته فيبس وتفرقت أجزاءه شبه تقطع أوصالهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا أكل فصارت أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى أعلم

(ألم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضليل وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا وقيل لأمريء القبس الملك الضليل لانه ضلل ملك أيه أى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت أولا يبناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الخريق فيه وكادوه ثانيا بآرادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) خرائق الواحدة ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميههم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميههم أى الله أو الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور أى الآجر (فجعلهم كعصف مأكول) زرع أكله الدود

﴿سورة قريش مكية وهي أربع آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لا يلاف قريش) (٤٤١) متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم أن

﴿تفسير سورة قريش﴾

وهي مكية وقيل مدنية والاول أصح وأكثر وهي أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (لا يلاف قريش) اختلفو في هذه اللام ف قيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحشة فقال فجعلهم كعصف مأ كول لا يلاف قريش أي أهلاك أصحاب الفيل اتبع قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعل هذه السورة والسورة التي قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا باطلاق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفو في العلة الجالبة للام في قوله لا يلاف ف قيل هي لام التعجب أي اعجبوا لا يلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب أعجبوا ذلك وقيل هي متعلقة بما بعده من التقدير فليعبدوا رب هذا البيت لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف أي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من ألفت الشيء ألفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لا يلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطع وقيل هو من ألفت كذا أي لزمته وألفنيه الله أي ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولد النضر فهو من قريش ومن لم يلبده النضر فليس بقريشي (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش في هذا الشأن مساهم لمسامهم وكافرهم لكافرهم * عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حرا صا وقال أبو ربحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلو قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشد شعرا للجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر * ربها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر * رعل على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولاتة * رك فيه لدى الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حتى قريش * يأكلون البلاد أكل كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخوشا
بلا الأرض خيلة ورجالا * يحشرون المطى حشرا كيشا

يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين ودخات الفاعلما في الكلام من معني الشرط أي ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لساثر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة أو بما قبله أي فجعلهم كعصف مأ كول لا يلاف قريش يعني ان ذلك الائتلاف لهذا الايلاف وهذا كالتضمن في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بالفصل ويروى عن الكسائي ترك التسمية بينهما والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم لينفاس مع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتهم فلا يجترأ أحد هم عليهم وقيل المعنى اعجبوا لا يلاف قريش للاف قريش شامى أي لمؤلفة قريش وقيل يقال ألفته ألفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا نطاق الا بالثار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدة بهم ومنعهم تشبها بها وقيل

في البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به وأراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس وكانت اقريش رحلتان برحلتون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فميتارون ويمتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) التنكير في جوع وخوف لشدهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف من بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

سورة الماعون مختلف فيها وهي سبع آيات (بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذي يكذب بالدين) (أرأيت الذي يكذب بالدين) أي هل رأيت

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمى قصي مجمعا لذلك قال الشاعر أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من قهر

وقوله تعالى (ايلافهم) هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الا كثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها أدفأ ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا مجدا بالازرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولادة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلو لا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة أهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى مكة وأهل البر حملوا على الابل والجير فألقى أهل الساحل بحمدته وأهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة وألقوا بالابلطح فامتار أهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضرورة ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال السكبي كان أول من حمل السمراء يعني القمح من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طاب السباحة والندى * هلا مررت بال عبد مناف * هلا مررت بهم تريد قراهم منعوك من ضر ومن اكفاف * الراشدين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي * والقائمين بكل وعد صادق والراجلين برحلة الايلاف * عمر والعلا هاشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف سفيرين سنهماله ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاضياف

وقوله عز وجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين أحدهما دفع ضر وهو ما ذكر في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكر في هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذي أطعمهم من جوع أي من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في معنى الآية انهم لما كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم دعاء عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فاننا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد وأخصبت أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد في رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام والله أعلم

تفسير سورة الماعون

وهي مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل (أرأيت الذي يكذب بالدين) قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة

الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردافيهما بجزوخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع الماروف والاقدام على ابداء الضعيف أي لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد (٤٤٣) لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك خفي

فقد علم عليه دل انه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) يعني بهذا المنافقين أي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها و يصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تأدية لغرض فهم ينخفزون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن انس والحسن قال الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهوا ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو

وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بיום الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) ولفظ أرايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أرايت يا أيها الانسان أو يا أيها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم أي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف أي يدعو له يستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالاطعام قوله تعالى (فويل للمصلين) يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاءة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية اذا حضر وامعهم لقوله تعالى الذين هم يراؤون وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس وقيل ساء عنها لا يبالي صلى أولم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا بان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوا صلوا هاريا وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سهوا في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب واراد برده عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من أفعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن (الذين هم يراؤون) يعني يتركون الصلاة في السر و يصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدي به ويامن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روى عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فندمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه الزكاة المفروض وأدناه عارية المتاع وقال

في صلاته فضلا عن غيره والمرآة مفاعلة من الاراءة لان المرائي يراي الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فن حقه الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله والاختفاء في التطوع أولى فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جيلا والماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور في العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح والله أعلم

محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلمحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الاتقاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعبرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم

﴿تفسير سورة الكوثر﴾

وهي مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث

آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (انا اعطيناك الكوثر) الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وأمه وقيل الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبيرة ان أناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شيء كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثر أو قيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق جميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم أعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واطهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الاقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء أنه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث (ق) عن أنس قال يينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذا غنى اغفائة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما نتحسكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفاسورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شأنك هو الا بتر ثم قال أندرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدني ربي عز وجل خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتي فيقول ما ندري ما أحدث بعدك لفظ مسلم والبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فاذا طينه أو طينته مسك أذ فرسك الراوي * عن أنس رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كاعناق الجزور قال عمران هذه لنا عمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ترته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه درج مجوف آيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكبرانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظما أبدا زاد في رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمامكم

﴿سورة الكوثر وهي

ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا اعطيناك الكوثر)

هو فوعل من الكوثر

وهو المفرط الكثرة وقيل

هو نهر في الجنة أحلى من

العسل وأشد بياضا من

اللبن وأبرد من الثلج وألين

من الزبد حافته الزبرجد

وأوانيه من فضة وعن ابن

عباس رضي الله عنهما هو

الخير الكثير فقل له ان

ناسا يقولون هو نهر في الجنة

فقال هو من الخير الكثير

حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفي رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية لا بيني حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية قال إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء (م) عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لا ينبت أكرم من عدد نجوم السماء وكواكبها إلا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طول ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل (م) عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى إلى عمان وسئل عن شربه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض ويرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لاناوهم اختلجوا دوني فاقول أي ربني أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبي حتى إذا رفعوا إلى اختلجوا دوني فلا قولن أي ربني أصحابي أصحابي فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي رواية ليردن على ناس من أمتي الحديث وفي آخره فاقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهطان من أصحابي أو قال من أمتي فيجملون عن الحوض فاقول رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غر المحجلين من آثار الوضوء وليصدن عن طائفة منكم فلا يصلون إلى فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا ذودن رجلا عن حوضي كما تذاذ الغريبة من ابل عن ابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضي لا بعد من أيلة إلى عدن والذي نفسي بيده لا ذودن عنه الرجل كما يذود الرجل ابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون على غر المحجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم الاجزاء من مائة ألف جزء من يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أخرجه أبو داود

فصل في شرح هذه الأحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتناول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وجارية بن وهب والمستور وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وأبي برزة وسويد بن حبله وعبد الله بن الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخاري ومسلم أيضا من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن

عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما وأخرجا أيضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحاحين قال القاضي عياض وفي بعض هذه ما يقتضي كون الحديث متواترا أو ما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبه كما بين جرباء وأذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفي رواية عرضه مثل طول ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لا بعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربهها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا بعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعدها بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض من أن العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم الا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضربه مثلا لا كثر العدد المعروف للسامعين و يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذاذون ويمنعون الورود لا رتادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتي فيقول ما ندرى ما أحدث بعدك وفي رواية ويرفعن الى رجال منكم حتى اذا أهويت الانوار لهم اختلجوا دوني فاقول أي رب أصحابي فيقول انك لا ندرى ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه وفي المراد به من هم قليل المراد بهم المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيصطلح انهم اذا حشر واعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسمي التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلو ابعديك أي لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من أساموا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن أبي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيئة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا بديعتهم عن الاسلام وأصحاب المعاصي الكبار الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبار فعلى هذا القول لا يقطع هؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز أن يذاذوا عنه عقوبة لهم ثم يرجعهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال أبو عمر بن عبد البر كل من أحدث في الدين كالحوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وغمط الحق والمعلنون بالكبار فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل أن من شرب منه من هذه الامة وقد ر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالنظر بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث أن جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين ياخذون كتبهم بإيمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما

يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله (شرح غريب ألفاظ الاحاديث) قوله فيختلج
العبد منهم أى ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جر باء واذرح اما جر باء فبجيم ثم راء سا كنه
ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخارى فيها المد والقصر أولى وهى قرية من الشام
وأما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهى مدينة فى طرف الشام قريب من الشوبك وأما
عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبقاء من أرض الشام وأما أيلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة
تحت وفتح اللام مدينة معروفة فى طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين
المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل وإلى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهى آخر
الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فهى قاعدة اليمن وأكبر مدنها وانما قيد باليمن فى الحديث لان بدمشق موضعها
يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه
ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين أى يسيل فيه وفى الحديث الآخر يغت بفتح
الياء وبالغين المعجمة وكسرهما وتشديد التاء المثناة فوق أى يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا قوله انى
لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل
هو مؤخر الحوض قوله اذود الناس أى أضرب الناس لاهل اليمن بعصى حتى يرفض عليهم معناه اطردهم
الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض أى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله أنا فرطكم على
الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات
الاستمقاء والمعنى أنا سابقكم الى الحوض كالمهيء له قوله سحقا أى بعدا وفيه دليل لمن قال انهم أهل الردة
اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث أنس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو
الظاهر لقوله ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذا غنى اغفائة يعنى نام نومة ثم رفع رأسه متبسم
والله أعلم قوله تعالى (فصل لربك وانحر) معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير
الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى له وينحروه متقرر بالى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك
صلاة العيد يوم النحر وانحرونسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحروالبدن بمنى وقال
ابن عباس فصل لربك وانحر أى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع
اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد أعطيتك ما لانهاية لكثرة من خير الدارين
وخصصتك بمالم أخص به أحد غيرك فاعبد ربك الذى أعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير وأعزك
وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فسل له واشكره على انعامه عليك وانحروالبدن متقرر باليه
(ان شئت) يعنى عدوك ومبغضك (هو الاثر) يعنى هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزات فى العاص بن وائل
السهمى وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج من المسجد وهو داخل فالتقىا عند باب بنى سهم وتحدثا
وأنا من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذاك
الابتر يعنى به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان
العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل أبترا لعقب له فاذا هلك انقطع
ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزات فى كعب بن الاشرف وجاعة من قريش وذلك انه
لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن
خير أم هذا الصبور المنبتر من قومه فقال أتم خير منه فنزلت فيه ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبوت والطاغوت الآية ونزلت فى الذين قالوا انه أبترا لشانك هو الاثر أى المنقطع من كل خير
قوله فى النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصبور أرادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة

(فصل لربك) فاعبد
ربك الذى أعزك
باعطائه وشرفك وصانك
من منن الخلق مراغما
لقومك الذين يعبدون
غير الله (وانحر) لوجهه
وباسمه اذا انحرت مخالفا
لعبد الاوثان لله فى النحر
طحا (ان شئت) أى من
أبغضك من قومك
بمخالفتك لهم (هو الاثر)
المنقطع عن كل خير
لا أنت لان كل من يولد
الى يوم القيامة من المؤمنين
فهم أولادك وأعقابك
وذكرك مرفوع على
المنابر وعلى لسان كل عالم
وذاكر الى آخر الدهر يبدأ
بذكر الله ويثنى بذكره
ولك فى الآخرة ما لا يدخل
تحت الوصف فثلك لا يقال
له أبترا ما الاثر هو شانك
المنفى فى الدنيا والآخرة
قيل نزات فى العاص بن
وايل سماه الاثر والابتر
الذى لا عقب له وهو خير
ان وهو فصل

سورة الكافرون

ست آيات مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)
 (قل يا أيها الكافرون)
 المخاطبون كفرة مخصوصون
 قد علم الله أنهم لا يؤمنون
 روى أن رهطاً من قريش
 قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا
 وتبع دينك نعبد آلهتنا
 سنة ونعبد الهك سنة فقال
 معاذ الله أن أشرك به غيره
 قالوا فاستلم بعض آلهتنا
 صدقك ونعبد الهك فنزلت
 فعد إلى المسجد الحرام
 وفيه الملائكة من قريش
 فقرأها عليهم فاستلموا
 (لا أعبد ما تعبدون) أي
 لست في حالي هذه عابداً ما
 تعبدون (ولا أنتم عابدون)
 الساعة (ما أعبد) يعني الله
 (ولا أنا عابد ما عبدتم ولا
 أعبد فيما استقبل من
 الزمان ما عبدتم) (ولا أنتم)
 فيما تستقبلون (عابدون
 ما أعبد) وذكر بلفظ ما
 لأن المراد به الصفة أي
 لا أعبد الباطل ولا تعبدون
 الحق أو ذكر بلفظ ما
 ليتقابل اللفظان ولم يصح
 في الأول من وصح في
 الثاني ما يعني الذي

المنفردة يدق أسفها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج في أصل أخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات
 تنبت من جذع النخلة تضربها ودواؤها أن تقطع تلك الصنابر منها فأراد كفار مكة أن محمد صلى الله عليه وسلم
 بمنزلة الصنبور ينبت في جذع نخلة فإذا انقطع استراحت النخلة فكذلك محمد إذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور
 الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فأكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم
 أشنع رد فقال إن شئت بك يا محمد هو الأبر الضعيف الوحيد الحقير وأنت الأعز الأشراف الأعظم والله أعلم بمراده
 تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

وهي مكية وست آيات وست وعشرون كلمة وأربع وتسعون حرفاً عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من قرأها إذا نزلت عدت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدت له بربع القرآن ومن
 قرأ قل هو الله أحدى عدات له بثلاث القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه
 وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن أن القرآن مشتمل على الأمر والنهي وكل
 واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بعمل القلوب وإلى ما يتعلق بعمل الجوارح فخصل من ذلك أربعة أقسام
 وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من أفعال القلوب فكانت
 هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس
 السهمي والعاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بن
 أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا وتبع دينك ونشركك في ديننا كله نعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك
 سنة فإن كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركاك فيه وأخذنا حظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت
 قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا
 فاستلم بعض آلهتنا صدقك ونعبد الهك قال حتى أنظر ما يأتي من ربي فانزل الله قل يا أيها الكافرون إلى آخر
 السورة فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه أولئك الملائكة من قريش فقام على رؤسهم
 ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وأذوه وأصحابه وقيل أنهم لقوا العباس فقالوا
 يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولا مناباً له فاتاه العباس فاخبره بقولهم
 فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في أبي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه
 وسلم كان مأموراً بتبليغ الرسالة بجميع ما أوحى الله إليه فلما قال الله تعالى قل يا أيها الكافرون أداه النبي
 صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ جميع ما أنزل
 الله علي وكان فيما نزل عليه قل يا أيها الكافرون وقيل إن النفوس تأتي سماع الكلام الغليظ الشنيع من
 النظر ولا أشنع ولا أغاظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي إنما هو من
 عند الله عز وجل وقد أنزل الله على قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيها الكافرون كفرة
 مخصوصون قد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون (لا أعبد ما تعبدون) في معنى الآية قولان أحدهما أنه
 لا تكرار فيها فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون لأفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا أنتم
 عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلمون في المستقبل ما تطلبه منكم من عبادة الهى ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم)
 أي ولست في الحال بعابد معبودكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم في الحال بعابدون معبودي وقيل
 يحتمل أن يكون الأول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما أن يكون للحال والاستقبال
 ولكن يختص أحدهما بالحال والثاني بالاستقبال لأنه أخبر أولاً عن الحال ثم أخبر ثانياً عن الاستقبال فيكون

المعنى لا أعبد ما تعبدون في الحال ولا أتم عابدون ما أعبد في الاستقبال وما معنى من أى من أعبد ويحتمل أن تكون بمعنى الذى أى الذى أعبد القول الثانى حصول التكرار فى الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكما كانت الحاجة الى التوكيد أشد كان التكرار أحسن ولا موضع أحوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار اجعوا النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار فى هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبتهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبتهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك أن ندخل فى دينك عام فادخل فى ديننا عام ففرت هذه السورة جوابا لهم على قولهم (لكم دينكم ولي دين) أى لكم كفركم ولي اخلاصى وتوحيدى والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم

﴿ تفسير سورة النصر ﴾

وهى مدنية وثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (اذا جاء نصر الله والفتح) يعنى فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطالحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشرة سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شرقيهم ثم ان بنى بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم أسفل مكة يقال له الوثير فخرج نوفل بن معاوية الدثلى فى بنى الدثلى من بنى بكر حين بقيت خزاعة على الوثير فاصابوا منهم رجلا ونحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بنى بكر بالسلام وقابل معهم من قريش من قائل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن أعان بنى بكر من قريش على خزاعة ليلته بنو بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل اننا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله الا الله اليوم يا بنى بكر اصبوا اثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما اظهروا بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما أهاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فقال

يا رب انى ناشد محمدا * حافأينا وأبييه الاتاندا

قد كنتمو ولدا وكنا ولدا * نمت أسلمنا فلم نزرع بدا

فانصر هداك الله نصر اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تر بدا

فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * ان قريشا خلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لى كداء وصدا

وزعموا ان لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

هم يبتون بالوثير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا * فانصر هداك الله نصر أبدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان

(لكم دينكم ولي دين)

لكم شرككم ولي توحيدى

وبفتح الياء فافع وحفص

وروى أن ابن مسعود رضى

الله عنه دخل المسجد

والنبي صلى الله عليه وسلم

جالس فقال له يا بنى

مسعود فقرا كل ياها

الكافرون ثم قال له فى

الركعة الثانية أخلص فقرا

قل هو الله أحد فلما سلم

قال يا بنى مسعود سل تحب

والله أعلم

﴿ سورة النصر مدنية وهى

ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) منصوب بسبح وهو

لما يستقبل والاعلام بذلك

قبل كونه من اعلام النبوة

وروى أنها نزلت فى أيام

التشرى بقى بمنى فى حجة الوداع

(جاء نصر الله والفتح)

لنصر الاعانة والاظهار على

العدو والفتح فتح البلاد

والمعنى نصر رسول الله صلى

الله عليه وسلم على العرب

أو على قريش وفتح مكة

أو جنس نصر الله المؤمنين

فتح بلاد الشرك عليهم

من السماء فقال ان هذه السحابة لتشهد بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم باني سفيان قد جاء يشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى أقوا بأسفيان بعسفان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد في العقد ويزيد في المدة وقدره هو ومن الذي صنعوا فلما التقى أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وهل أتيت محمد اقال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان أين كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمد ا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال أي بنية أرغبت في عن هذا الفراش أم رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبي بكر فكلمه أن يكلمه له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لك الى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلاما يدب بين يديها فقال يا علي انك أمس القوم في رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا بأسفيان لقد أرى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما تستطيع أن تكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بذلك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما ياغي ابني أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت على فأنصحنى قال والله لا أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم ألحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمد ا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي خافة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدي القوم ثم أتيت علي بن أبي طالب فوجدته ألبس القوم وقد أشار علي بشي صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئا أم لا قالوا وما ذاك قال أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد ا قال لا قالوا ويلك والله ما زاد على ان نلعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهبزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه قالت نعم قال فإني ترينه ير يد قال لا والله ما أدري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجود والتهيو وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهر الناس وكتب حاطب ابن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا هريرة كاثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من

رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبي صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالسكديين
 عسفان وأجأ فطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار
 والمهاجر بن عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولم يأتهم خبر عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل خرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن خزام و بديل بن
 ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب اتي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجلفة مهاجر بعياله وقد كان قبل ذلك مقبلاً
 بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران
 قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة
 قبل أن ياتوه فيستأمنوه انه لهلك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الراك لعلى أجد خطاباً وصاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم
 بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس فوالله اني
 لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذا سمعت كلام أبي سفيان و بديل بن ورقاء وحماتيراجعان وأبو سفيان
 يقول ما رأيت كالليلة نيراناً قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حشمتها الحرب فقال أبو سفيان خزاعة أذل
 وأقل من أن تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال يا أبا الفضل فقلت نعم
 قال مالك فذاك أبي وأمي قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به
 بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة
 حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفني ورجع صاحبا فخرجت أركض به على بغلة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الى ويقولون عم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الى
 فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله والحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم
 خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء
 قال فافتحمت عن البغلة سر يعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول
 الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله
 اني قد أجرتة ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لا ينجيك الليلة أحد
 دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلاً يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا أنه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني
 عدى بن كعب ما قلت هذا فقال مهلاً يا عباس فوالله لا سلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب
 لو أسلم وما ذاك الا لاني أعلم ان اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب
 لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأنتي به قال فذهبت به
 الى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان
 ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله واني رسول الله قال باني أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك والله لقد
 ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول
 الله قال باني أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال
 العباس ويحك أسلم وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة
 الحق وأسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال نعم من
 دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب

لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبس به مضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به
 جنود الله قال فخرجت به حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبس به قال ومرت به القبائل
 على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فاقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم القبيلة
 فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالي وازينة حتى نفدت القبائل لا تمر قبيلة الا سألتني عنها فاذا أخبرته
 عنها فيقول مالي ولبي فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبتة الخضراء وانما قيل لها الخضراء
 لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منها الا الحدق من الحديد فقال سبحانه الله من
 هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار قال ما لا حد به هؤلاء من قبل
 ولا طافة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق
 الآن بقومك فقدرهم فخرج سر يعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد
 جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فقه قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما نغني عنادارك قال
 من دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم
 ابن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين
 والانصار وأمره أن يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك ثم ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحته معتجرا بشقة عليه برد حبرة وان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه
 ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وأمر خالد بن
 الوليد فيمن أسلم من قضاة وبنى سليم أن يدخلوا من أسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو
 الحارث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا باسفل مكة وأن صفوان بن أمية
 وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخذمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد
 والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى فقال
 سعد حين توجه داخل اليوم يوم الملهمة اليوم يوم تستحل الحرمه فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو
 عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له في
 قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدركه بهذه الراية فكن أنت الذي تدخل بها
 فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والاحابيش باسفل
 مكة فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثني عشر رجلا وثلاثة عشر رجلا
 ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما
 كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شدا ولسل كاطر بقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد عهد الى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفر منهم
 سماهم أمر بقتلهم وان وجد تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وانما أمر بقتله لانه كان
 قد أسلم فارتد مشركا ففر الى عمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
 أن اطمأن أهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب وانما أمر بقتله لانه كان مسلما
 فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فزله منزلا وأمر المولى ان يذبح له
 نيسا ويصنع له طعاما وانما فاسد فيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان

بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتله مامعه والحويرث بن نقيد بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة
 ومقيس بن صبابه وانما أمر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قریش مرتدا وسارة
 مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن أبي جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن وأسلمت
 امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى
 أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله له سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة
 الاسلمي اشترك في دمه وأما مقيس بن صبابه فقتله غيلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا بن خطل
 فقتلت احدهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها وأما سارة فتغيبت
 حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاثت حتى أوطأها رجل من الناس فرسالة في زمن
 عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيد فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هاني لما نزل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الى رجلان من أحنائي من بني مخزوم وكانت عند هيرة بن أبي وهب
 المخزومي قالت فدخّل علي علي بن أبي طالب أخى فقال والله لا قتلهم ما فاعلقت عليهما باب بيتي ثم جئت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لآثر الحجين وفاطمة ابنته
 تستره بشوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا
 وأهلا بأم هاني ما جاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال قد أجرتنا من أجرت وأمننا من
 أمنت فلا تقتلهم ما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمان الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على
 راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة وأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت
 له فدخلها فوجد فيها حامة من عديدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له
 الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا
 كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهي تحت قدمي هاتين الاسدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطأ شبه العمد
 بالسوط والعصافيه الدية مغالطة مائة من الابل أو بعون منها خلفه في بطونها ولادها يامعشر قریش ان الله
 قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس
 انا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية ثم قال يامعشر قریش ماترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ
 كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقد كان الله أمكنه منهم
 عنوة فبذلك سموا أهل مكة الطلقاء ثم جالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه علي بن أبي طالب
 ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين
 عثمان بن طلحة فدعى له فقال هالك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فيبايعونه على السمع
 والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد
 جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمر بن وهب الجعفي يا رسول الله ان صفوان بن أمية سيد قومي قد خرج
 هار بامنك ليقتد بنفسه في البحر فأمنه يا رسول الله فقال هو آمن قال يا رسول الله أعطني شيئا يعرف به أمانك
 فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمر حتى أدركه بجدة وهو يريد أن
 يركب البحر فقال يا صفوان فدالك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلك كما فهدا أمان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جئتكم به فقال ويلك أعزب عني لا تكلمني قال فدالك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم
 الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني أخافه على نفسي قال هو أحلم
 من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم

أنك أمنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر قال ابن هشام وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحذقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه مكة أرضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ما اذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنيناً (ق) عن أبي هريرة أن خراعة قتلوا رجلاً من بني ليت عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانهم لم يحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد من بعدي الا وانما أحلت لي ساعة من نهار الا وانها ساعة من هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلي خلاها ولا يقطع شوكها ولا تحل ساقطتها الا المنشد ومن قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين اما أن يفقدى واما أن يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لي يا شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعني اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى محي النصر ان جميع الامور مرتبة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها وتأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا ابدأ بك النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذي هو تمام النعمة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) يعني زمر او ارسالا القبيلة بأسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمد اباهل الحرم وكان قد أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل أراد بالناس أهل اليمن (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اناكم أهل اليمن هم اضعف قلوبا وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام وأضافه اليه تشريفاً وتعظيماً له كبيت الله وناقاة الله ﷺ قوله (فسبح بحمدر بك واستغفره انه كان توابا) يعني فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال ومارأيت انه كان دعاني يومئذ الا ليريهم قال ماتقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أ كذاك تقول يا ابن عباس قال قلت لا قال فما هو قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمدر بك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما أعلم منها الا ما علم (ق) عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان أنزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر

(ورأيت الناس يدخلون) هو حال من الناس على ان رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو مفعول ثان على انه بمعنى علمت (في دين الله أفواجا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فصبح أي اذا جاء نصر الله اياك على من ناولك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبح بحمدر بك) فقل سبحان الله حامدا له أو فصل له (واستغفره) نواضعا وهضما للنفس أو دم على الاستغفار (انه كان) ولم يزل (توابا) التواب الكثير القبول للتوبة وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة ويروى ان عمر رضي الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين والله أعلم

﴿سورة أبي لُهب مكية وهي
خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم
تبت يدا أبي لُهب) التباب
الهلك ومنه قولهم أشابه
أم نابة أي هالكه من
الهرم والمعنى هلكت يداه
لأنه فيما يروى أخذ حجرا
ليرمي به رسول الله صلى
الله عليه وسلم (وتب)
وهلك كله أو جعلت يداه
هالكين والمراد اهلاك
جلته كقوله بما قدمت
يداك ومعنى وتب وكان
ذلك وحصل كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه
جزاء الكلاب العاويات
وقد فعل وقد دلت عليه
قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه وقد تب روى أنه لما
نزل وأتذر عشيرتك
الاقربين رقى الصفا وقال
يا صبا حاه فاستجمع اليه
الناس من كل أوب فقال
عليه الصلاة والسلام يا بني
عبد المطلب يا بني فهران
أخبرتك أن بفسح هذا
الجبيل خيلاً كنتم مصدق
قالوا نعم قال فاني نذير لكم
بين يدي الساعة فقال أبو
لُهب تبالك ألهذا دعوتنا
فسنزل وانما كناه
والتكنية تكملة لاشتهاره
بها دون الاسم أول كراهة

القول من سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وقال أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمي فاذا
رأيتها كثرت من قول الله سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله
والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فصبح بحمد ربك واستغفره أنه كان ثوابا قال
قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه نعت اليه نفسه وقال الحسن اعلم أنه قد
اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد
نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله
أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا لمزيد درجاتك
في الدنيا والآخرة وفي معنى التسبيح وجهان أحدهما نزهة ربك عما لا يليق بجلاله ثم أحده والثاني فصل لربك
لأن التسبيح جزء من أجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل
ذلك كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر قلت انه تعبد به الله بذلك ليقترى به غيره اذ لا يأمن كل واحد من نقص يقع في
عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغنى عن
الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لاعتن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم
وعلى قول من جوز الصغار على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى أن يكون قد وقع من تلك الامور
منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته وهذا ظاهر لان الله تعالى أمره بذلك في قوله واستغفر لذنبك
والمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة أبي لُهب﴾

﴿وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (تبت يدا أبي لُهب) (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وأتذر عشيرتك الاقر بين سعد
النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهران يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل
اذا لم يستطيع أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لُهب وقر يش فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي
تريد أن تغير عليكم كنتم مصدق قالوا نعم ما جر بنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب
شديد فقال أبو لُهب تبالك سائر اليوم ألهذا جئتنا فنزلت تبت يدا أبي لُهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صبا حاه فاجتمعت عليه قريش
الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضى الى الهلاك والمراد من اليد
صاحبها وجلة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كاهه وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله
عليه وسلم بحجر فأدعى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جلة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت
يده فاضيفت الافعال الى اليد وأبو لُهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم
وكنى بابي لُهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه في الكنية تشريفا وتكرمة قلت فيه وجوه
أحدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلوز كره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل
عنه الى الكنية لما فيه من الشكر الثالث انه لما كان من أهل النار وما له الى النار والنار ذات لُهب وافقت
حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها (وتب) قيل الاول أخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أخرج مخرج
الخبر كما يقال أهلك الله وقد هلك وقيل تبت يدا أبي لُهب يعني ماله وماله كما يقال فلان قليل ذات اليد

اسمه فاسمه عبد العزى أولان ما له الى نار ذات طب فوافقت حاله كنيته أبى طب مكي (ما أغنى عنه ماله) مالنقى (وما كسب) مرفوع ومما موصولة أو مصدرية أى ومكسوبة أو وكسبه أى لم ينفعه ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه أو ماله التالى والطارف وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب (٤٥٦) ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقا فاما أفتدى

منه نفسى بمالى وولدى (سبى على نار) سيدخل سبى على البرجى عن أبى بكر والسبى للوعيد أى هو كائن لا محالة وان تراخى وقته (ذات طب) توقد (وامراته) هى أم جيل بنت حرب أخت أبى سفيان (جمالة الخطب) كانت تحمل خزمة من الشوك والحسك فتنترها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم جمالة الخطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحميل من أحب شئ أم جيل وعلى هذا يسوغ الوقف على امراته لانها عطف على الضمير فى سبى على أى سبى على هو وامراته والتقدير أعنى جمالة الخطب وغيره رفع جمالة الخطب على انها خبر وامراته أو هى جمالة (فى جيدها جبل من مسد) حال أو خبر آخر والمسد الذى قتل من الحبال قتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى فى جيدها

يعنون به المال وطب يعنى نفسه أى قد أهلكت نفسه (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر بآء الى الله تعالى قال أبى طب ان كان ما تقول يا ابن أخى حقا فانا فتدى نفسى بمالى وولدى فانزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله أى شئ يغنى عنه ماله أى ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعنى من المال وكان صاحب ماله أى ما جمع من المال أو ما كسب من المال أى ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعنى ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء فى الحديث ان أطييب ماء كاتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذى ثم أوعده بالنار فقال تعالى (سبى على نار ذات طب) أى نار انتهب عليه (وامراته) يعنى أم جيل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان بن حرب عمه معاوية بن أبى سفيان وكانت فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (جمالة الخطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاء بالليل فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك وهى رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الخطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها فى نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الخطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين فى ذلك بأحد بل تفعله هى بنفسها وقيل كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث وتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الخطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقيل جمالة الخطايا والآثام التى حملتها فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب فى مصيرها الى النار (فى جيدها) أى عنقها (جبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو جبل من ليف وذلك الجبل هو الذى كانت تحتطب به فبينما هى ذات يوم حاملة الحزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاهاملك فحبسها من خلفها فاهلكها وقيل هو جبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات فى عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة الاخلاص﴾

﴿وهى مكية وقيل مدنية وهى أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا﴾

﴿فصل فى فضلها﴾ (خ) عن أبى سعيد الخدرى ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يردد هاهنا فلما أصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نفسى بيده انها تعدل ثلث القرآن وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه أبهى من أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينما يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن أبى الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من القرآن (م) عن أبى هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضى الله عنهم فى كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن أقوالا متناسبة متقاربة فقل ان القرآن العزيز لا بعد وثلاثة أقسام وهى الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقدسيه أو وصفاته أو أسمائه أو معرفته أفعاله

وسنته

جبل مما سد من الحبال وانها تحمل تلك الخزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الخطابون تحقيرا

الها ونصوير الها بصورة بعض الخطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلمها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدوة والله أعلم

﴿سورة الاخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هدا وهو ان الله واحد لا ثاني له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لانه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيداً بوجه منطلق فان زيد والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قر يش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتوني وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف أي هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله (٤٥٧) وحد فقالت الواو همزة لوقوعها طرفاً

والدليل على أنه واحد من جهة العقل ان الواحد اما أن يكون في تدبير العالم وتخليقه كافياً ولا فان كان كافياً كان الآخر ضائعاً غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافياً فهو ناقص ولان العقل يقتضي احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كافوا وراء الواحد فليس عدداً ولى من عدد فيفرض ذلك الى وجود أعداد لانهاية لها واذ محال فالقول بوجود الهين محال ولان أحدهما اما ان يقدر على ان يستر شيأ من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر فان قدر لم كونه المستور عنه جاهلاً وان لم يقدر لم كونه عاجزاً ولانا لو فرضنا معدوماً ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على إيجاد كان كل واحد منهما عاجزاً والعاجز لا يكون الها وان قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون الها وان قدر جميعاً فاما أن يوجد

وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث القرآن لان منتهى التقديس في أن يكون واحداً في ثلاثة أمور لا يكون حاصله منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصله من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون أحد في درجته وان لم يكن أصلاً ولا فرعاً منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفواً أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجملة وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تنهاى أسرارها ولا تنقضى عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازى لعل الغرض منه أن يكون المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلاث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقول هو الله أحد متمحضة لصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقاهلها يقال استقلت الشيء وتقلته وتقالته أي عدته قليلاً في بابيه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى في صفته أو لان قارئها قد أخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة أن الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبرائه عن كل ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصدانية والفرسانية وعدم النظر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محبت عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه أن رجلاً قال يا رسول الله اني أحب هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك اياها ادخلك الجنة أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قل هو الله أحد) عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيئ موت وليس شيء يموت الا سيئ موت وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفواً أحد قال لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثل شيء أخرجه الترمذي وقال وقدرى عن أنى العالمة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهم فقالوا انسب لنا

(٥٨ - (خازن) - رابع) بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجاً الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزاً وان قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فاذا أوجده أحدهما فاما ان يبقى الثاني قادر عليه وهو محال وان لم يبقى حينئذ يكون الاول من بلا قدرة الثاني فيكون عاجزاً ومعه راحة تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزاً قلنا الواحد اذا أوجد مقدور نفسه فقد سدت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزاً واما الشر يك فانفذت قدرته بالزالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك نهيها

(الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من (٤٥٨) صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه

وتقرون بأنه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالد او قد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لأول لوجوده اذ لو لم يكن قديماً لكان حادثاً لعدم الوسطة بينهما ولو كان حادثاً لافتقر الى محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدي الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء اهلها فيفسد القول به كما فسد بالهين أو غير متصف بهابل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفواً أحد) ولم يكافئه أحد أي لم يماثله سألوه أن يصفه لهم فأوحى اليه ما يحتوي على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وخالقها وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة

ربك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد وذ كرنحوه ولم يذ كرفيه عن أبي بن كعب وهذا أصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا من ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله أربد بالصاعقة و عامر بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاءنا من أحمبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل نعتة في التوراة فاخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل ويشرب وعن روث الربوبية ولمن يورثها فنزل الله هذه السورة قل هو الله أحد يعني الذي سألتموني عنه هو الله الواحد في الألوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف أحد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ودورهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها أحد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رأيت رجلاً واحداً وفي النفي ما رأيت أحداً فتنفي العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشركه فيه أحد (الله الصمد) قل ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشيء الصلب الذي ليس فيه رطوبة أو لارخاوة ومنه يقال السداد القارورة الصمد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذي ليس باجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التذبية على انه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يا كلان الطعام قيل الصمد الذي ليس باجوف شيئاً أحد هما دون الانسان وهو سائر الجادات الصلبة والثاني أشرف من الانسان وأعلى منه وهو الباري جل وعز وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في أفراد عنه أبي وائل شقيق بن سلمة قال اد مد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس أيضاً قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف الودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكمال في جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على أنه المتناهي في السؤدد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول على وقيل هو الذي لا تعتبره الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس له ملكة انتقال والاولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء وانه اسم خاص بالله تعالى انفرده به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴿قوله عز وجل﴾ (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفي عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفواً أحد أي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبهة فنفي عنه بقوله (ولم يكن له كفواً أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

والعلم لكونه واقعا على غابة احكام وانساق وانتظام وفي ذلك وصفه بأنه حي لان المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون حيا وفي ذلك وصفه بأنه سميع بصير مراد مستكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفاً بها لكان موصوفاً باضدادها وهي نقائص

وذا من أمارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفي الشريك وبأنه المتفرد بإيجاد المعذومات والمثوحده
 بعلم الخفيات وقوله الصمد وصف بأنه ليس الاحتجاج إليه واذ لم يكن الاحتجاج إليه فهو غنى لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد وقوله لم يلد
 نفي للشبه والمجانسة وقوله لم يولد نفي للحدوث ووصف بالقدم والأولية وقوله ولم يكن له كفواً أحد نفي أن يماثله شيء ومن زعم أن نفي الكفء
 وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعون أنه في الحال فقد تناه في غيه لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة
 إذا الحادث لا يكون كفواً للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤل إلى الاشتراك (٤٥٩) والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما

قررنا واستحسن سيبويه
 تقديم الظرف إذا كان
 مستقراً أي خبراً لأنه لما
 كان محتاجاً إليه قدم ليعلم
 من أول الأمر أنه خبر
 لافضلة وتأخير إذا كان
 لغوا أي فضلة لأن التأخير
 مستحق للفضلات وإنما
 قدم في الكلام الإفصح
 لأن الكلام سيق لنفي
 المكافأة عن ذات الباري
 سبحانه وهذا المعنى مصبه
 ومركزه هو هذا الظرف
 فكان الأهم تقديمه وكان
 أبو عمرو يستحب الوقف
 على أحد ولا يستحب
 الوصول قال عبد الوارث
 على هذا أدر كنا القراء
 وإذا وصل نون وكسراً
 حذف التنوين كقراءة
 عزير ابن الله كفواً بسكون
 الفاء والهمزة حمزة وخلف
 كفواً مثقلة غير مهموزة
 حفص الباقيون مثقلة
 مهموزة وفي الحديث من
 قرأ سورة الاخلاص فقد
 قرأ ثلث القرآن لأن القرآن

قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه إياي فقول له لن
 يعيدني كما بد أني وليس أول الخلق باهون علي من عادته وأما شتمه إياي فقول له اتخذ الله ولداً وأنا الأحد
 الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفلق وهي مدنية﴾

وقيل مكية والاول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفاً (م) عن عقبة بن
 عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق
 وقل أعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دلائل واضحة على كونهما من القرآن وفيه
 رد على من نسب إلى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان أن لفظة قل من القرآن أيضاً وأنه من أول السورتين
 بعد البسملة وقد اجتمعت الأمة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (خ) عن زر بن حبیش قال سألت أبي
 ابن كعب عن المعوذتين قلت يا أبا الوليد إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثله ولم يذكر
 ابن مسعود عن عبد الله بن حبيب قال أصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا
 فخرج فقال قل قل ما أقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل
 شيء وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قل ما أقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل أعوذ برب الناس
 حتى تختمها ثم قال ما نعوذ الناس بأفضل منهما أخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر
 الضعيف وهو قول أبي الدرداء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق)﴾ قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله
 عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزواله حتى أخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من
 أسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك ليبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان
 فيه (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنع وفي رواية
 أنه يخيل إليه فعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عند دعا الله ودعاها ثم قال أشعرت يا عائشة أن الله
 قد أفتاني فيما استفتيته فيه قات وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر
 عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال ليبيد بن الأعصم اليهودي
 من بني زريق قال فماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فابن هو قال في برذر وان ومن الرواة

يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد
 تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو
 الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فإظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنافي زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين
 لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل يا رسول
 الله ما وجبت قال وجبت له الجنة ﴿سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾
 أي الصبح أو الخلق أو هو وداني جهنم أوجب فيها

من قال في بر بن زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البر فنظر إليها فخل ثم
رجع إلى عائشة فقال والله لكان ماء هانقاعة الحناء واما كان نخلها رؤس الشياطين قالت يا رسول الله
فاخرجه قال اما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخفت ان أثير على الناس منه شر او في رواية للبخاري انه كان يرى
انه ياتي النساء ولاياتهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن أرقم قال
سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك أياما فأتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود
سحرك وعقد لك عقدا في بر كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فخلها فجعل
كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فاذ كرك ذلك لليهودي
ولاراه في وجهه قط أخرجه النسائي وروى انه كان تحت صخرة في البر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف
الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم وأسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه إحدى
عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية سورة الفلق خمس
آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت القعدة كلها فقام النبي صلى الله
عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى انه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م)
عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت فقال نعم قال بسم الله
أريك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أريك

فصل وقيل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وما قيل في الرقي
قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه قال الامام
المازري مذهب أهل السنة وجهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء
الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفي حقيقته وأضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لاحقائقها وقد ذكره الله
في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر ما فيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرعوز وجه وهذا كما
لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى
يخرق العادة عند النطق بكلام معلق أو تركيب أجسام أو المزوج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل
الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل
هو بقضاء الله وقدره أم لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لا بد واقع وان لم
يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء
بالعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابن أبي خزيمة عن أبيه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرايت رقي نسترقى بها ودواء تسداوى به وثقاة تنقيها
هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر بن الخطاب من قدر
الله الى قدر الله تعالى

فصل وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك
فيها وان تجوز به يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلائل القطعية
والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك
وتجوز ما قام الدليل بخلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما يعرض للتشريف بعبد أن
يخيل اليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل انه وطيء زوجته وليس بواطيء وهذا مثل
ما يتخيله الانسان في المنام فلا يبعد أن يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل انه يخيل اليه انه فعله وما فعله
ولكن لا يعتد صحة ما تخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضي عياض وقد جاءت في بعض

روايات هذا الحديث مبينة ان السحر انما سيط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب ايساء على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب أي مسحور قوله وجف طلعة ذكر يروي بالباء يروي بالفاء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقي والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بايات من القرآن أو اذا كانت وردت في الحديث وبديل على صحته الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روى عن عبيد بن رفاعه الزرقاني ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفاسترقى لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول أعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منهما ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان اليه الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعين ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمحجى الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يتقرب محجى النجاسات وقيل ان تخصيص الصبح بالدكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو وادى جهنم اذا فتح استعد أهل النار من حره ووجهه ان المستعبد قال أعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس أيضا ان الفلق خلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكأنه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات (من شر ما خلق) قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيني بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف وأخذ في الغيوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمر يض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وانما أمر بالتعوذ من الليل لان فيه تنشر الآفات ويقل العوت وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهاذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات ابديد بن الاعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفو في جواز النفث في الرقي والتعاويذ الشرعية المستحبة بخوزء الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبديل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وأنكر جماعة التفل والنفث في الرقي وأجازوا النفخ بلاريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان

(من شر ما خلق) أي النار والشیطان وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر بدل من شر أي شر خلقه أي من خلق شر أو زائدة (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فإشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده (ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقن والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انكار تحققي السحر وظهور أثره

(ومن شر حاسد اذا حسد) أي اذا أظهر حسده وشمل بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لا غنما به سرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بان شرهؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشرائع انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات والله أعلم ﴿سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس) أي مربيهم ومصليهم (ملك الناس) مالكهم ومدبر أمورهم (إله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس إله الناس عطف ببيان رب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكأنه (٤٦٢) مظنة للاظهار دون الاضمار وانما أضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل

مخلوق تشرى فاطهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بر بهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم وقيل أراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ إله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس

النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب أن لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذي يتمي زوال نعمة الغير ور بما يكون مع ذلك سعى فلذلك أمر الله تعالى بالتعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم أولييد بن الأعصم وحده والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الناس﴾

وهي مدنية وقيل مكية والاول أصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (قل أعوذ برب الناس) انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس الى الناس بر بهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل ان أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس إله الناس) انما وصف نفسه أولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله إله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب في تكرير لفظه الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعني الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفي (الخناس) يعني الرجاء الذي من عادته أن يخنس أي يتأخر قيل ان الشيطان جائم على قلب الانسان فاذا غفل وسهاوس وسواس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم الكلب وقيل خرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد به خنس ويقال رأسه كراس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهوما الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعني الجن (والناس) وفي معنى الآية وجهان أحدهما أن الناس لفظ

بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها شغله الذي هو عا كف عليه أو مشترك

أريد ذوالوسواس والوسوسة الصوت الخفي (الخناس) الذي عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (الذي يوسوس في صدور الناس) في محل الجر على الصفة أو الرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعودت بالله من شيطان الانس روى أنه عليه السلام سحر ففرض فجاءه ملك كان وهونا ثم فقال أحدهما صاحبه ما باله فقال طاب قال ومن طبه قال لييد بن أعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة في جف طلعة تحت راعوفة في برذى أروان فانتهى صلى الله عليه وسلم فبعث يراوعليا وعمار رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فزلت هاتان

مشارك بين الجن والانس وبدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقبل من أتم قالوا أناس من الجن
وقد سماهم الله تعالى رجالا في قوله يعوذون برجال من الجن فعملى هذا يكون معنى الآية أن الوسواس الخناس
يوسوس للجن كما يوسوس للانسان والوجه الثاني أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد
يكون من الانس فكما أن شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الانس
قد يوسوس للانسان كالنصح له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه
تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد وقل
أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه
وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح
عنه بيديه رجاء بركتهما أخرجه مالك في الموطأ وطبما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو
يقوم به آتاء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه
آتاء الليل وأطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله
أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل
قيل وما الحال المرتحل قال الذي يضرب
من أول القرآن الى آخره كلما حل
ارتحل أخرجه الترمذي والله
سبحانه وتعالى أعلم
بمراده وأسرار
كتابه

السورتان فكما قرأ
جبريل آية انحلت عقدة
حتى قام عليه السلام عند
انحلال العقدة الأخيرة
كأنما نشط من عقال وجعل
جبريل يقول باسم الله
أرقبك والله يشفيك من
كل داء يؤذيك ولهذا جوز
الاسترقاء بما كان من
كتاب الله وكلام رسوله
عليه السلام لا بما كان
بالسريانية والعبرانية
والهندية فإنه لا يحل اعتقاده
ولا اعتماد عليه ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ومن
سيئات أعمالنا وأقوالنا
ومن شر ما عملنا وما لم نعمل
ونشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن
محمد عبده ورسوله ونبيه
وصفيه أرسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين وأصحابه
مفاتيح دار السلام

✽ يقول راجي غفران المساوي رئيس لجنة التصحيح بمطبعة دارالكتب

العربية الكبرى محمد الزهري الغمراوي ✽

الحمد لله الذي أنزل القرآن نبينا لكل هداية ووقاية يعتصم به من كل غواية كتاب أحكمت آياته وبهرت بلاغاته فهو المعجزة الباقية والآية النيرة السامية ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المرسل رحمة للعالمين والمحبي موات القلوب بنوره المستبين وعلى آله المرتشفين من بحر فضائله وأصحابه الفائزين باجتلاء محاسن شمائله ✽ (أما بعد) ✽ فإن أجل ما يدأب الإنسان في تحصيله ويسعى في استتراق سبيله تفهم كلام الله المعجز للبلغاء والعلم بما انطوى في أساليبه من حكمة الحكماء وفقه الفقهاء وذلك لا يكون بغير الاطلاع على التفاسير الكاشفة لمقاصده والمتعرضة لبيان فوائده اذ التفسير وان كان منه ما توقف عليه القواعد العربية لکن لا يمكن التعويل على ذلك بغير الوقوف على الناسخ والمنسوخ والفوائد التي هي بغير المنقول منه أبيه وكان من أعظم من تعرض لبيان أسباب النزول المبين للفروع والاصول بعبارة شائقة وأساليب رائقة مع التعرض لجلب التواريخ وما ينبغي الاعتماد عليه فيها وسوق الاحاديث المبينة لاسباب النزول ومعاني بعض الآيات مع تفسير الغامض من معانيها تفسير علامة زمانه ونادرة وقته وفهامه وأوانه الامام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم الخازن أسكنه الله من دار

رحمته أعلى المواطن فلذلك استعيد طبعه محلي الهوامش بتفسير خاتمة المحققين

رواسطة عدة الأئمة المدققين العلامة الامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد

النسفي رحمه الله ولقاه رضاه وكان الفراغ من طبعه مع بذل الجهد

في تصحيحه وحسن وضعه بمطبعة دارالكتب العربية

الكبرى بمصر المحروسة الحميمة بجوار سيدي

أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر

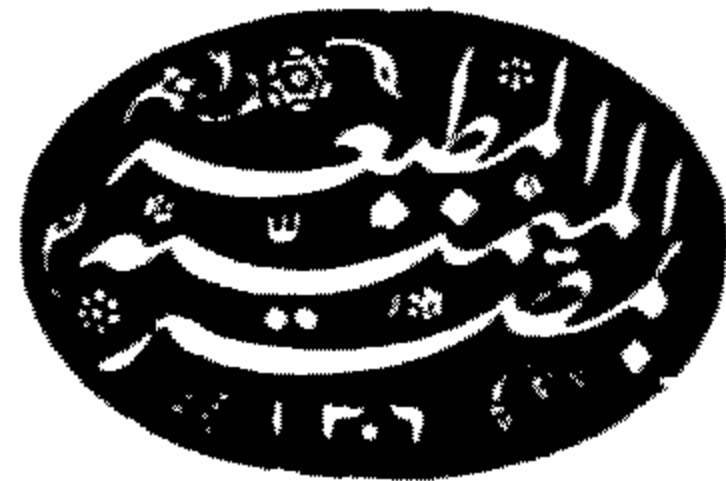
المنير وذلك في شهر محرم الحرام

سنة ١٣٢٨ هجرية على

صاحبها أفضل الصلاة

وآتم التحية

أمين



﴿ فهرست الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة	صحيفة
٢	(تفسير سورة يس عليه الصلاة والسلام)
٤	ذ كر قصة بعث سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الرسل الى أهل انطاكية
١٥	(تفسير سورة والصفات)
٢٣	ذ كر الاشارة الى قصة الذبح
٢٦	ذ كر الاشارة الى قصة بعث الله تعالى سيدنا الياس عليه الصلاة والسلام نبيا الى بني اسرائيل
٣١	﴿ تفسير سورة ص ﴾
٣٨	فصل في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عمالا يليق به الخ
	فصل اختلاف العلماء في سجدة ص
٤٩	فصل في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم أنا في ربي في أحسن صورة الخ
٥١	(تفسير سورة الزمر)
٦٣	فصل في ذ كر أحاديث تتعلق بقوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الخ
٦٩	(تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر)
٨٠	فصل في ذ كر الدجال
٨٥	(تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصاييح)
٩٣	فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة
٩٦	(تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى)
١٠٢	فصل في ذ كر التوبة وحكمها
١٠٨	(تفسير سورة الزخرف)
١١٩	(تفسير سورة الدخان)
١٢٣	ذ كر قصة تبع على ما ذكره ابن اسحق الخ
١٢٥	(تفسير سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة)
١٣٠	(تفسير سورة الاحقاف)
١٥٣	فصل لما وحي الله تعالى الكافر بن بالتمتع بالطيبات أثر النبي صلى الله عليه وسلم
١٣٨	ذ كر القصة في ذلك (أي قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفر من الجن الخ)
١٤٢	(تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم)
١٤٣	فصل في حكم الآية (يعني قوله تعالى فاذا القيم الذين كفروا فضررب الرقاب الخ)
١٥٣	(تفسير سورة الفتح)
١٦٢	ذ كر غزوة خيبر
١٦٥	ذ كر صلح الحديبية
١٧٤	فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٥	(تفسير سورة الحجرات)
١٨٠	فصل في حكم قتال البغاة
١٨٦	(تفسير سورة ق)
١٩٠	فصل في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم لانزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد الخ
١٩٣	(تفسير سورة الذاريات)
١٩٤	فصل هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان الخ (وهو قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا الخ)
١٩٩	(تفسير سورة الطور)
٢٠٤	(تفسير سورة النجم)
٢٠٧	فصل من كلام الشيخ محي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عروج ليلة الاسراء
٢١١	فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة
٢١٦	(تفسير سورة القمر)
٢٢١	فصل في سبب نزول الآية (أي قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر) وما ورد في القدر وما قيل فيه

صحيفة	صحيفة
٣٢٤ (تفسير سورة الحاقة)	٢٢٣ (تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل)
٣٣٠ (تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج)	٢٣١ (تفسير سورة الواقعة)
٣٣٤ (تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام)	٢٤٢ (تفسير سورة الحديد)
٣٣٨ (تفسير سورة الجن)	٢٥٢ (تفسير سورة المجادلة)
فصل اختلاف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن الخ	٢٥٣ فصل في أحكام الظهار وفيه مسائل
٣٤٤ (تفسير سورة المزمل عليه الصلاة والسلام)	٢٥٤ فصل في أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسائل
٣٤٥ فصل عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٦٢ (تفسير سورة الحشر)
٣٥٠ (تفسير سورة المدثر عليه الصلاة والسلام)	٢٧٣ (تفسير سورة الممتحنة)
٣٥٧ (تفسير سورة القيامة)	٢٨٠ (تفسير سورة الصف)
٣٦٠ فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة	٢٨٣ (تفسير سورة الجمعة)
٣٦٢ (تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضا)	٢٨٦ فصل في فضل الجمعة وأحكامها وأثرها في أركانها
٣٦٨ (تفسير سورة المرسلات)	٢٨٩ ذكر الاحاديث الواردة في هذه الاحكام أي أحكام الجمعة والخطبة
٣٧١ (تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل)	٢٩٠ (تفسير سورة المنافقين)
٣٧٥ (تفسير سورة النازعات)	٢٩٢ ذكر القصة في سبب نزول هذه الآية (أي قوله تعالى سوا عليمهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم الخ)
٣٧٩ (تفسير سورة عبس)	٢٩٤ (تفسير سورة التغابن)
٣٨١ (تفسير سورة التكويم)	٢٩٧ (تفسير سورة الطلاق)
٣٨٤ (تفسير سورة الانفطار)	٢٩٨ فصل اعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفس بدعة الخ
٣٨٥ (تفسير سورة المطففين)	٣٠١ فصل في حكم قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم
٣٨٩ (تفسير سورة الانشقاق)	٣٠٣ (تفسير سورة التحريم)
٣٩١ (تفسير سورة البروج)	٣٠٥ فصل اختلاف العلماء في لفظ التحريم الخ
٣٩٥ (تفسير سورة الطارق)	٣٠٨ فصل وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور الخ
٣٩٦ (تفسير سورة الاعلى)	٣١٠ (تفسير سورة الملك)
٣٩٩ (تفسير سورة الغاشية)	٣١٤ (تفسير سورة ن)
٤٠١ (تفسير سورة الفجر)	٣١٦ فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٠٧ (تفسير سورة البلد)	٣٢١ فصل في شرح ألفاظ حديث رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة
٤٠٩ (تفسير سورة الشمس)	
٤١١ (تفسير سورة الليل)	
٤١٣ (تفسير سورة الضحى)	
٤١٧ (تفسير سورة ألم نشرح)	

صحيفة	صحيفة
٤٤١ (تفسير سورة قريش)	٤١٩ (تفسير سورة التين)
٤٤٢ (تفسير سورة الماعون)	٤٢٠ (تفسير سورة العلق)
٤٤٥ فصل في شرح هذه الاحاديث وذ كرمات تتعلق بالخوض	٤٢١ فصل في هذا الحديث (أى حديث أول ما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة الخ) دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن الخ
٤٤٨ (تفسير سورة قل يا أيها الكافرون)	٤٢٣ (تفسير سورة القدر)
٤٤٩ (تفسير سورة النصر)	٤٢٤ فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها ذكر الاحاديث الواردة في ليلة القدر
٤٥٥ (تفسير سورة أبي طهب)	٤٢٥ ذكر ليال مشتركة
٤٥٦ (تفسير سورة الاخلاص)	٤٢٧ (تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة)
٤٥٩ (تفسير سورة الفلق)	٤٢٩ (تفسير سورة الزلزلة)
٤٦٠ فصل وقبل الشروع في التفسير نذ كرمعنى الحديث وما قيل فيه (وهو قول عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه الخ) وما قيل في السحر وما قيل في الرقى	٤٣١ (تفسير سورة العاديات)
٤٦٠ فصل وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه الخ	٤٣٢ (تفسير سورة القارعة)
٤٦٢ (تفسير سورة الناس)	٤٣٣ (تفسير سورة التكاثر)
	٤٣٤ (تفسير سورة العصر)
	٤٣٥ (تفسير سورة الهمزة)
	٤٣٧ (تفسير سورة الفيل)